مجلة تراثية نصف سنوية محكمة
العدد الثاني الخاص ـ السنة الخامسة والأربعون
٢٠١٨م / ١٤٣٨ هـ



الرقم المعياري الدولي
ISSN : 1606 - 4836

عنوان المراسلة: جمهورية العراق / بغداد - الأعظمية
حي تونس / دارالشؤون الثقافية العامة / ص.ب ٤٠٣٢
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤ / فاكس: ٤٤٦٧٦٠
البريد الإلكتروني:dar-iraqculture@yahoo.com
الموقع الالكتروني: www.darculture.com
رقم الايداع في المكتبة الوطنية (١٠٠) لسنة ٢٠١٤م

المحتوى

المحتوى

رئيس التحرير

يؤسس التعاون بين الجهات التي تهتم بالشأن الثقافي وتسعى إلى تكريس حضوره في أفق التلقي والتداول المعرفي المتاح فاعلية حيوية جديرة بالإشادة، كونها ترسخ اليقين في أن العمل الثقافي مساحة للتواصل ومّد الجسور بين أكثر من جهة، وبما يؤكد المسعى الحصيف نحو إعلاء شأن هذا العمل وترسيخ أدواره في بنية المجتمع المنشود.

وتمثلاً لهذه الرؤية فقد تهيأ لدار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة ومركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد أن يقيما بينهما أكثر من وشيجة تعاون ثقافي عبر اللقاءات والندوات المشتركة بينهما، وبما يمكن عدّه مثالاً طيباً لما ينبغي أن يكون عليه التواصل والعمل المشترك بين الجهات ذات النشاطات المعرفية المتناظرة.

ويأتي هذا العدد الخاص من (المورد) ليضاف إلى تلك الأنشطة المعرفية المشتركة، فهو يتضمن بين دفتيه الأبحاث العلمية التي أنجزها التدريسيون في مركز إحياء التراث، هذا المركز الذي تأسس منذ النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي، ولايزال يواصل عطاءه العلمي الرصين في مجال العناية بالتراث العلمي العربي، وتشخيص حضوره على نحو متميز، تتواصل مع ما كانت عليه البحوث والدراسات والمؤتمرات والندوات التي دونت في سفر هذا المركز الحافل بالعطاء العلمي الخلاق الذي تركت بصماتها فيه أجيال من الباحثين العراقيين الذين احتوتهم أقسامه البحثية المتعددة.

يتضمن هذا العدد مقداراً طيباً من الأبحاث التي أنجزها كتّابها على وفق ماتهيأ لهم من أدوات منهجية وإمكانات معرفية في القراءة والكشف والتحليل. وهي تتناول جوانب مختلفة من آفاق التراث العربي الإسلامي وقضاياه التاريخية والأدبية ونصوصه التي جرى تحقيقها من قبل أولئك الباحثين. وقد سعينا إلى تبويب تلك الأبحاث في مجالاتها بحسب محتوى كل منها واشتغالاته.

المرأة في نهج البلاغة

أُ. م . د . عماد الدين عبد الرزاق العباسي*

المقدمة :

لـم ينـل كتاب بعد القرآن الكريم من الشرح والتفسـير والترجمة الكليـة والجزئية ما ناله كتـاب (نهـج البلاغة) الذي يضم بين دفتيه جملة مما جمعـه الشريف الرضي (٤٠٦هـ) من كلام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) من خطب ورسـائل ومواعظ ووصايا وحكم أثبتها الرضي على شـكل فصول[١]. ولم يكن عمله هذا الأول من نوعه فقد سـبقه الكثير ممن حاولـوا جمع كلام الإمام عـلي (ع)[٢]، ولكنها كانـت محاولات غير متكاملـة أو مجتزأة؛ أما عمل الشريف الرضي فقد بزَّ به السـابقين واللاحقين لأنه جاء بترتيب وتنظيم مختلف تماماً، وقد أتمه سنة (٤٠٠هـ) معتمداً على الكثير من المصادر التي صرَّح ببعضها بين ثنايا الكتاب ومنها ما لم يصرح به لكنه مبثوث في كتب الأدب والتاريخ والسير السابقة للرضي.

تناول كلام الإمام علي(ع) في نهج البلاغة مواضيع شتى منها: التوحيد، والإيمان، والنبوة، والمعـاد، والحقوق، والإمامة، والعدالة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلاة، والصوم، والزكاة، والجهاد، والأمانة، وسياسة الحكم والحاكم، والاهتمام بالرعية، وغيرها. وما يهمنا في هذا البحث هو كلامه عن المرأة ومناسبة الكلام ومعناه والهدف منه وتفسيره.

وقد أحصينا المواضع التي جاء فيها لفظ: امرأة ونسـاء أينما وردت؛ ولكننا آثرنا أن نبحث في حديثه في المواضع التي أشـكلت عـلى البعض، أو التي أثار بعـض الجُهَّال وأصحاب الأغراض ومُدعي حقوق المرأة الكثير من اللغط حولها.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

● **خطاب المرأة في نهج البلاغة**

نُسبت للإمام علي (ع) الكثير من الأحاديث حول النساء، لكننا التزمنا اطمئناناً بما وثقه الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة وبعنوان البحث، ولم نطلب سواه من المستدركات[٣]، وسنوردها بحسب تسلسل كلامه (ع) من النهج:

١- ومن خطبة له (ع) في الحث على الجهاد وذم القاعدين: «يَا أَشْبَاهَ اَلرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ ! حُلُومُ اَلْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ اَلْحِجَالِ»[٤].

هذه الخطبة وردت في ذم القاعدين المتخلفين عن القتال من أهل الكوفة، وليس في ذم النساء عموماً؛ فوصفهم الإمام (ع) بأن أحلامهم كأحلام الأطفال وعقول النساء، وجاء هذا التشبيه لغلبة عواطف النساء وأهوائهن على عقولهن؛ فإذا اتبع الرجال هواهم وأضاعوا عقولهم صاروا مثل النساء اللواتي يتبعن أهواءهن. و «الحجال: جمع حجلة وهي بيت يزين بالستور والثياب والأُسرة»[٥].

٢- ومن خطبة له (ع) في الحث على الجهاد وذم القاعدين: «وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ اَلْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ اَلْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى الْمُعَاهَدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا، وَقُلُبَهَا وَقَلاَئِدَهَا، وَرُعُثَهَا، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إلاَّ بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاِسْتِرْحَامِ»[٦].

المعاهدة: ذات العهد، وهي الذمية. والحجل: الخلخال، والقُلُب جمع قُلْبْ وهو السوار المصمَت، و رعثها شنوفها، والاسترجاع قوله: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ)، والاسترحام: أن تناشده الرحم، و انصرفوا وافرين: أي تامين[٧].

وأخو غامد هذا هو: «سفيان عوف من بني غامد، وهم قبيلة في اليمن، دعاه معاوية وجهزه بجيش كثيف، وقال له: امض حتى تغير على الأنبار والمدائن، واقتل من ليس على مثل رأيك، وأخرب كل ما تمر به من قرى، وانهب الأموال وهو أوجع للقلب... وامتثل سفيان وقتل ونهب ودمر، وملأ القلوب رعبا... ولما عاد إلى معاوية قال له : «كنت عند ظني بك»[٨].

٣- ومن كلام له (ع) في ذم أهل العراق: «أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ اَلْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ اَلْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا»[٩].

جاء كلامه (ع) بعد معركة صفين بعد أن أصبح النصر قاب قوسين أو أدنى؛ ثم تخاذل القوم ورضخوا للتحكيم، فوبخهم أمير المؤمنين وشبههم بالمرأة الحامل في استعدادهم للقتال، وإتمامهم لوازم النصر كإتمامها، ورجوعهم عن عدوهم بعد إشرافهم على الظفر يشبه إملاص المرأة الحامل التي أتمت كل استعدادها للولادة ثم تملص حملها، وكما أن هذا الأمر غير طبيعي للمرأة؛ أي عملية الإسقاط، فإنه غير معتاد أيضاً عند الجيوش التي قاربت على النصر وسحق العدو ومحقه. ثم مات زوج المرأة التي أملصت، وطال تأيمها أي حرمانها من الأزواج، وورثها الأباعد من الأقارب أو من لا نسب بينها وبينه. وهكذا يشبه الإمام الناكثين بهذه المرأة التي استحقت طول الغربة والضعف والذلة، ويشبه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم لعدم وجود الولد والزوج؛ فأخذ عدوّهم الّذي هو أبعد الناس عنهم ما لهم من البلاد ، واستحقاقهم ذلك بسبب تقصيرهم عن مقاومته[١٠].

٤ـ ومن كلام لـه (ع) بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النسـاء: «مَعَاشِرَ اَلنَّاسِ، إِنَّ اَلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ اَلْإِيمَانِ، نَوَاقِصُ اَلْحُظُـوظِ، نَوَاقِصُ اَلْعُقُولِ. فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُـنَّ عَنِ اَلصَّلاَةِ وَاَلصِّيَامِ فِي أَيَّـامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَـهَادَةُ اِمْرَأَتَـيْنِ مِنْهُـنَّ كَشَـهَادَةِ اَلرَّجُـلِ اَلْوَاحِـدِ، وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِـنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى اَلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ اَلرِّجَالِ. فَاتَّقُوا شِرَارَ اَلنِّسَاءِ، وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِـنَّ عَلَى حَـذَرٍ، وَلاَ تُطِيعُوهُـنَّ فِي اَلْمَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ فِي اَلْمُنْكَرِ»[١١].

لعـل هـذا الـكلام للإمام عـلي (ع) مـن أكثر الأحاديث التـي أثارت جدلاً كبـيراً وخصوصاً في عصرنـا هـذا؛ حيث اجتهـد الكثير مـن الجُهال، ومن أصحـاب النوايا السـيئة، وتبـارى آخرون من مدعـي الدفاع عن حقوق المـرأة في لَي المعنى الذي أراده الإمام علي (ع) في هذا الكلام؛ بل حاول البعـض أن يربطـوا بين كلام الإمام علي وإشـارة الشريـف الـرضي إلى أنه قـد وقع بعـد الفراغ من حرب الجمل وأن يسـوقوا المراد والغرض إلى امرأة بعينها، وفاتهم أن هذا الكلام لا يجاوز حديث النبي (ص) معنىً، ولا يختلف عنـه لفظاً بقوله (ص): «يَا مَعْشَرَ النِّسَـاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّـارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُـولَ اللَّهِ ؟ قَـالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِـيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ» قُلْنَ: وَمَـا نُقْصَـانُ دِينِنَـا وَعَقْلِنَا يَا رَسُـولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَـهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْـنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَـا»[١٢]. وهذه الخطبة واحدة من الأحاديـث المعدودة التي تعرضـت للنقد والتحليل مـن زوايا مختلفة. وفي كل الأحوال فإن الكلام الذي ورد فيها لا يدل على أي حط من مقام وكرامة المرأة، ولا ينفـي المسـاواة والتناظر بين المـرأة والرجل في الصفات والجذور الإنسـانية؛ إلا أنه ينفي التشـابه بـين الطرفين في كثير مـن النواحـي الفيزيولوجية والبيولوجيـة والتفكـير والعواطـف والأحاسـيس والحقـوق والواجبـات والوظائـف، في الوقت الذي يمتلك كل منهما الوسـائل واللوازم الخاصة بتحمل المسـؤوليات والواجبـات الملقاة على عاتقـه؛ كما أن هنالك تمايزاً في الحالة النفسـية والبدنية أوجب هذا الاختلاف بينهما.

وفي هذا بيان واضح إلى أن النسـاء لسـن بصفة واحـدة ، فمنهـن الصالحات وهـن المؤمنات، ومنهن الشريـرات وهن الفاسـقات والكافـرات. وعلى المؤمن أن يجتنب النسـاء الشريرات، ولا يستسـلم للنسـاء الصالحات؛ بل يكون حذراً من انزلاقهن إلى الحرام. وإذا كن صالحات فلا يطيعهن في كل شيء، لأن إطاعتهن في كل مطلب يشجعهن على التمادي في الطلب، حتى يطلبن المنكر[١٣]. وللبحث في مضامين كلام الإمام يستلزم الأمر الإجابة على السؤال التالي: هل أن مفهوم النقص في كلام الإمام علي يعد ظلماً تكوينياً أم تشريعياً؟، وجواباً على هذا السؤال يجدر القول أن المقصود من «النقص» ليس التقليل من القيمة الإنسـانية؛ بل بيان حـدود المرأة في مقابل الرجل والتي لها رمزية في النقص الكمي وليس النوعي الذي يعد معيار القيم. والنقص بالمعيار المذكور ليس بمعنى أنها ظُلمت في نظام الخلق، والتشـكيل، والمؤسسـات القانونيـة والتشريـع، ولـم تعط حقها والإمكانات اللازمة لنضجها وتكاملها، والتي يجب أن توضع في خدمتها، وبعبارة أُخرى فإن الله سبحانه لم يهمش المرأة في نظام التكوين والتشريع بين الخلق، ولم تُخلق المرأة على خلاف الحكمة والمصلحة[١٤].

وإذا ما أخذنا بنظرة القرآن الكريم للمرأة من منظور علم الإنسان ؛ فإننا نلاحظ بجلاء المساواة بين الرجل والمرأة بأربعة أبعاد: المساواة في الأصل والجذر في الخلق ، والمساواة في قوة المنظومة القيمية ، والمساواة في القدرة على الإتقان والتطور ، والمساواة في الحقوق الإنسانية. وجدير بالانتباه أن مسألة الاختلاف بين المرأة والرجل واحدة من أعجب روائع الخلق ؛ فنفس هذه الاختلافات هي التي تشكل أرضية الجذب والانجذاب والحب والتعاون وتوجد فهماً وإدراكاً متقابلاً بين المرأة والرجل. وما تم تصويره عن المرأة في نهج البلاغة هو طرح ذو بعد واحد للوجه الكامل للمرأة في القرآن؛ فقد تحدث القرآن الكريم عن المرأة بعنوان النموذج العالي للإيمان وأيضاً بعنوان النموذج العالي للكفر، ومن خلال النظر إلى الطرفين والبعدين لموضوع المرأة، ولأجل فهم مظهر ووجه وشخصية المرأة في نهج البلاغة يجب الرجوع إلى القرآن، وبالمقارنة مع القرآن يمكن النهوض بدراسة نهج البلاغة[١٥].

وبالعودة إلى كلام الإمام (ع) وبدءاً بموضوعة نقصان الإيمان فقوله: «فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ»، وهذا ما لا يمكن عده نقصاناً في المرأة؛ بل بيان لأمر واقع غير قابل للإنكار. وبناءً على هذا فإن المقصود من عبارة «نواقص الإيمان» في كلام الإمام ليس الاختلاف في الإيمان بمعنى الإيمان والاعتقاد بالله والرسول والأصول والفروع الإعتقادية الأخرى؛ لأن ذلك الإيمان واحد لدى المرأة والرجل، والله وحده يستطيع تحديد ميزانه؛ بل إن الإيمان الذي أشار إليه أمير المؤمنين (ع) هو حصة المرأة من العمل والعبادات وقلة نصيبها بشكل قهري في أيام الحيض[١٦].



وفي حين يستطيع الرجل ممارسة العبادات في كل وقت، نجد أن المرأة تقعد عن الصلاة و الصيام في أيام المحيض، وهي تشكل نحواً من ربع حياتها. وسبب ذلك أن المرأة أثناء المحيض تعاني من تبدلات عضوية ونفسية تجعلها غير مهيأة لممارسة العبادات، ويَفصل في ذلك قوله تعالى:« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى» (البقرة: ٢٢٢)[١٧].

ويمكن التعويل على رأي ابن ميثم البحراني والعلامة الخوئي في تبرير هذا الكلام؛ بما أن الصلاة والصيام هي شعار المؤمن، ويمثل الابتعاد عنهما خللاً في الإيمان؛ فإن ترك النساء صلاتهن وصيامهن في أيام خاصة يتم بأمر الله؛ فإذا صح أن ترك الصلاة والصيام يبعث على ضعف الإيمان فهذا ليس لمن هو مأمور بترك الصلاة والصيام فهذا العمل نفسه عبادة؛ بل يكون مبعث ضعفٍ للذين يتركون الصلاة تمرداً وإهمالاً عن طريق العقل والقصد؛ فإن تركهن للصلاة والصيام في هذه الأيام جاء تنفيذاً لأمر الشرع المقدس الذي سلبهن هذا التكليف في هذه الأيام[١٨].

وحاشا لله أن يظلم عباده فقد جبر سبحانه هذا النقص بأشكال مختلفة، مثل: سرعة حلول سن التكليف، وبلوغها قبل الرجال؛ نظراً لأن النساء تُشرع الصلاة لهن قبل الرجال بست سنوات، ولا حيض لهن عند الحمل والإرضاع، وفي هذه الفترة لا عذر لهن في ترك الصلاة. وكُتب لهن غفران زلاتهن أثناء الحمل والولادة، ورُفعت عنهن التكاليف المجهدة مثل الجهاد والمهر ونفقة العيال وسوى ذلك[١٩].

وعطفاً على الموضوعة الثانية في قوله(ع) : «وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ» فمن الواضح أن المقصود هنا

بالحظوظ هو الإرث، والحصة من أموال المورثين، وهي إشارة إلى الآيتين الشريفتين: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» (النساء: ١٧)، و«فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (النساء: ١٧٦).

وطبقاً لقول العلامة الطباطبائي (رض) فإن: «حاصل هذا الوضع والتشريع العجيب أن الرجل والمرأة متعاكسان في الملك والمصرف، فللرجل مُلك ثلثي ثروة الدنيا وله مصرف ثلثها، وللمرأة مُلك ثلث الثروة ولها مصرف ثلثيها؛ وقد لوحظ في ذلك غلبة روح التعقل على روح الإحساس والعواطف في الرجل، والتدبير المالي بالحفظ والتبديل والإنتاج والاستربعاح أنسب وأمس بروح التعقل، وغلبة العواطف الرقيقة والإحساسات اللطيفة على روح التعقل في المرأة، وذلك بالمصرف أمس وألصق، فهذا هو السر الذي اعتبره الإسلام في باب الإرث والنفقات بين الرجال والنساء»[٢٠]، ويضيف العلامة الطباطبائي: «إن الرجال فُضلوا على النساء بروح التعقل الذي أوجب تفاوتاً في أُمر الإرث وما يشبهه، لكنها فضيلة بمعنى الزيادة، وأما الفضيلة بمعنى الكرامة التي يعتني بشأنها الإسلام فهي التقوى أينما كانت».

أي أن المهر ونفقات المعيشة ونفقات الأولاد تقع على عاتق الرجل وجوباً حتى في حالة حصول المرأة على مال وفير عن طريق الإرث أو طرق أُخرى؛ أي أن الإمام لم يرد التقليل من قيمة المرأة لأن سهم إرثها قليل، بل أراد القول أن الدين يعطي المرأة هذا المال ولكن بمسؤولية الرجل بعنوان مهر ونفقة [٢١].

وبالتأكيد فإن الشرع المقدس لم يشمل جميع مسائل الإرث[٢٢].

وأما الموضوعة الثالثة قوله: «وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ اِمْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ اَلرَّجُلِ اَلْوَاحِدِ»؛ فإذا كانت شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد فلأن العواطف تغلب عليهن، وربما تقع المرأة تحت تأثير عواطفها وأحاسيسها فتشهد لمنفعة شخص وبضرر آخر[٢٣]. ولتعلق موضوع الشهادة بمصير الناس وبأرواحهم وبالحياة والموت وحقوق الناس في كثير من مفاصل الحياة فكان لابد من سد الثغرات أي سد طريق الخطأ والشبهة لدفع أي ضرر محتمل. ويمكن تحسس بعض الأسباب المقنعة التي جعلت الشرع الحنيف يعدل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد، ومنها: وجود الأحاسيس والعواطف القوية لدى النساء، وتأثير عواطفهن على القضاء وشهادتهن، وكون النساء أكثر عرضة للانفتاح، ولا يستطعن التركيز في أمر واحد، والنسيان الناشئ من تأثير الأحاسيس والعواطف والخجل والحياء لديهن يستوجب أن تكون شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد[٢٤].

على أن هذا السياق في شهادة النساء لا يسري على جميع مسائل الشهادة؛ ففي مواضع كثيرة تكون شهادة النساء حتى بدون أن تتعدد مساوية لشهادة الرجال، وهذه المواضع هي التي تعرف بأنها موضوعات تختص بشهادة واعتراف النساء أنفسهن، مثل: شهادة المرأة فيما يخص أيام حيضها أو أيام طهرها، ونسبة الطفل الذي في بطنها والقضايا المالية والديون والعذرية، وغير ذلك[٢٥].

إن هذا التفاوت في القوى العقلية والعاطفية غير قابل للإنكار، ويرى المختصون أن المقصود هو العقل النظري والتحليلي والافتراضي والفلسفي والعقل السياسي- الاجتماعي لدى الرجال الذي يعد نطاقه وقدراته أكبر وأوسع وليس العقل العملي؛ لأن النساء في العقل العملي لسن ضعافاً؛ بل ربما يتغلبن على الرجال أحياناً، وعلماء النفس يهتمون بهذه المسألة فتقول السيدة (لامبر): «إن قوة العقل عند المرأة ناقصة؛ لأن العاطفة تتلاعب بقوتها، ونحن النساء في ذروة الفطنة والإدراك السريع لا علاقة لأفكارنا بالمسائل الاجتماعية»، وهذا فيما عدا التفاوت العاطفي؛ لتمتع النساء بعواطف أكبر كونهن يحملن رسالة الأُم والزوجة[٢٦].

ويرى الدكتور الكرباسي أن: «مما يدل على أن المراد ليس نقصان العقل الذي هو القوة المدركة؛ بل المراد به قوة الذاكرة، إن للعقل معاني متعددة منها العلم والذي هو قبال غيبوبته، وقد شاع استعمال اللفظ فيما له ارتباط بحقيقة أُخرى ولو بأدنى مناسبة، وذلك من باب أنه من مستلزماته، ومن تلك مفردة (العقل) المستخدمة هنا في قوة الذاكرة بدلا من القوة المدركة... واتضح أن المراد بنقصان العقل هو قلة الذاكرة، وليس كما ذهب إليه المغرضون الذين أرادوا التلاعب بالألفاظ ليس لصالح الرجل بل لضرب الإسلام والانتقاص من المرأة، وإلا فان في النساء منهن راجحات العقول على الرجال كما يشهد بذلك التاريخ ومواقف النساء المسلمات على عهد الرسول (ص) والأئمة الأطهار» (ع)[٢٧].

ثم كون شهادة اثنتين منهن كشهادة واحد منهم في الأموال وفي غيرها تفصيل، فقال الشيخ المفيد في (مقنعته): «وتقبل شهادة امرأتين مسلمتين مستورتين فيما لا يراه الرجال كالعذرة وعيوب النساء والحيض والنفاس والولادة والاستهلال والرضاع، وإذا لم يوجد على ذلك إلاّ شهادة امرأة واحدة مأمونة قبلت شهادتها فيه... ولا تقبل شهادة النساء في الطلاق والنكاح الحدود ، ولا تقبل شهادتهن في رؤية الهلال... وتقبل شهادة امرأة واحدة في ربع الوصية ولا تقبل في جميعها»[٢٨].

ومن الاختلافات الأُخرى الموجودة بين المرأة والرجل هو الاختلاف في مجال الإنفعالات؛ فيعتقد علماء النفس أن النساء أسرع وأكثر انفعالاً من الرجال، ويرى البروفسور (ريك): «أن المرأة والرجل يختلفان عن بعضهما من حيث التركيز كلية، علاوة على ذلك فإن الأحاسيس الموجودة ومقياس انفعالاتهما لن يكون متماثلاً ولا يشير إلى رد فعل واحد في مواجهة الأحداث والوقائع»، وتقول جينا لمبروز: «إن ما يحفز المرأة على اتخاذ قراراتها هو إحساساتها القلبية وليس استعداداتها العقلية»[٢٩]. بعبارة أُخرى ؛ فإن نقصان عقل المرأة بتمام عقل الرجل، ويُرمَّم ويُجبر النقصان العاطفي للرجل بالتمام العاطفي للمرأة، وفي هذه الحالة فإن المرأة والرجل يصنعان مع بعضهما الإنسان الكامل[٣٠].

الاختلاف الآخر بين المرأة والرجل هو الاختلاف في اتخاذ القرار؛ فالمرأة تجد عدة طرق لحل المشكلة؛ لذا فهي ليست قادرة على التركيز والتقرير.

كما أن النساء عندما يرغبن في تأسيس علاقة فإنهن يملن أكثر إلى أن يُشركن الآخرين في اتخاذ القرار على عكس الرجال الذين يمتلكون القدرة

السريعة للتركيز الكامل على المشكلة أو المسألة ويشرعون بالتقرير ثم يستعدون لتبديل قرارهم بناءً على معلومات الآخرين، وهذه المسألة توجد اختلافاً في مشورة النساء والرجال. ومثلما أن المسؤوليات الطبيعية والعمل الفطري للمرأة يحد من انجازها لبعض من الأعمال كالجهاد والحكم والقضاء، إلا أن المجال السياسي مفتوح أمامها للفعاليات والمشاركات الاجتماعية الأُخرى . كما أشركها الرسول الأكرم (ص) في النشاطات الاجتماعية مثل البيعة ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والهجرة واللجوء السياسي والحركات الاجتماعية الأُخرى(٣١).

وقوله (ع): «فَاتَّقُوا شِرَارَ اَلنِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلاَ تُطِيعُوهُنَّ فِي اَلْمَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ فِي اَلْمُنْكَرِ» يستفاد منه وجوب الحذر من شرار النساء ولزوم مراعاة جانب الاحتياط في التعامل مع النساء الصالحات أيضاً؛ ثم يبين دليل هذا الكلام: إذا أطاع رجل زوجته بشكل كامل ونفذ كل ما تأمر به فمن الممكن أن تأمره في أُمور خاطئة لا تختص به وحده(٣٢). ومن البديهي أن عدم طاعتهن في المعروف ليس بمعنى أنه (عمل صالح)، إذا كانت دعوتهن للخير وأنتم تخالفوهن؛ بمعنى: «ليس بنهي عن فعل المعروف وإنما هو نهي عن طاعتهن أي لا تفعلوه لأجل أمرهن لكم به بل افعلوه لأنه معروف والكلام ينحو نحو المثل المشهور لا تعط العبد كراعا فيأخذ ذراعا»(٣٣). بل إن الهدف من ذلك هو أن قبول اقتراحهن لا يجب أن يكون بصورة تسليم بلا قيد أو شرط في مقابلهن، وبتعبير آخر: اعملوا المعروف لكونه معروفاً، وليس بعنوان تسليم بدون قيد أو شرط في مقابل زوجاتكم ولا تجعلوهن يتجرأن وينتظرن أحياناً الاستسلام لرغباتهن غير المقبولة. فهدف الخطبة ليس ترك المعروف؛ بل هدفها أن لا يكون عملكم بشكل طاعة بلا قيد أو شرط(٣٤).

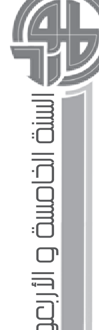
إن المحصلة العامة لهذه المباحث في هذا الكلام: هي أن النواقص الثلاثة التي نُسبت في هذه الخطبة إلى المرأة كان الهدف الكلي لأمير المؤمنين(ع)منها هو الإشارة إلى الخصائص السامية لحياة الرجل والمرأة وليس الاختلاف بين الشخصية الإنسانية للمرأة والرجل لوجود دلائل كافية ضمَّنها (ع) فيها أن القصد من نقصان الإيمان والعقل وسهم الإرث ليس بشكل كلي لأن إسناد مثل هذه النقوص إلى النساء مخالف للقرآن؛ فقد عدَّ القرآن الجميع مخلوقاً ومركباً من الجميع، وبناء على هذا سيكونون مثل الجميع ما عدا الذي يكون أكثر تُقاةً، وفي هذا ليس هناك بيان أكثر كمالاً وبلاغةً من هذا.

لقد وحد الإسلام بكل وضوح وبشكل قطعي الهوية الإنسانية للمرأة والرجل، والنصوص القاطعة للقرآن في بيان وحدة الهوية الإنسانية للرجل والمرأة ليست قابلة للخدش والشك. ومن جملة الآيات التي توضح هذه الوحدة:

آية التساوي في الخلقة: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ» (الحجرات: ١٣).

وآية التساوي في نيل الأجر على أساس العمل: «فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى» (آل عمران: ١٩٥).

وآية تساوي المرأة والرجل في اكتساب القيم والصفات السامية: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَ



الْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً» (الأحزاب: ٣٥). فالمرأة والرجل خُلقا من جوهر وذات واحدة، وجوهر المرأة والرجل واحد وليست المرأة فرعاً من الرجل ولا زيادة عليه ولا متطفلة؛ بل إن الله خلق أولاً المرأة من نفس الذات والأصل الذي خلق منه جميع الرجال والنساء[٣٥].

ومن خلال التدبر في الآيات السابقة يتضح وبدون أدنى إبهام أن الرجل والمرأة متحدان من حيث الشخصية والصفات والأوصاف العليا والقيم. وإن إهانة وتحقير المرأة أو إسناد إهانتها وتحقيرها إلى الإسلام ناتج عن عدم الاطلاع على المضامين الكثيرة للآيات التي جاءت في القرآن، وهذا هو البعد الإنساني والهوية الشخصية للمرأة من منظور الإسلام.

ومما تقدم يبدو جلياً أن هدف الإمام علي(ع) في هذه الخطبة لم يكن الحط من شأن المرأة وكرامتها؛ بل بيان الاختلافات التي بين الرجال والنساء في القيام بالعبادات والإرث والشهادة.

٥ـ ومن كلام له (ع) في توبيخ أصحابه: «وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيما إخالُكُم أن لَوْ حَمِسَ الْوَغَى، وَحَمِيَ الضِّرَابُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبي طَالِب انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا، وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَة مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاج مِنْ نَبِيِّي، وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً»[٣٦]

قوله (ع): «انفراج المرأة عن قبلها أي: وقت الولادة»[٣٧]. أو بكلام آخر إن المراد هو تشبيه القوم بالنساء حال الولادة، حينما تكون المرأة في أضعف حالاتها، ويستبد بها غيرها من النساء، ويراد بهذا التشبيه الإخبار عن أصحابه بأنهم ضعاف متخاذلون[٣٨]، و قال بعض الشُراح أن: القصد من هذا التشبيه هو استثارتهم ليرجعوا إلى الأنفة والحميّة.

٦ـ ومن خطبة له (ع) في تحذير الناس من الغفلة: «إِنَّ اَلْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا وَإِنَّ اَلسِّبَاعَ هَمُّهَا اَلْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا وَإِنَّ اَلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا وَاَلْفَسَادُ فِيهَا إِنَّ اَلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ»[٣٩].

أراد أمير المؤمنين(ع) بقوله: «وَ إِنَّ اَلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ اَلْحَيَاةِ اَلدُّنْيَا وَاَلْفَسَادُ فِيهَا» بيان أن لكل مخلوق شأناً يشغله وأمراً يلهيه؛ فذكر على سبيل المثال أن البهائم من الحيوانات تَعُدُ الحصول على الطعام همها الأول؛ أما الحيوانات المفترسة فمنشغلة بالعدوان على سواها وهذا جُل همها. ثم يعرج بالحديث عن النساء ويذكر أن ما يهمهُن هو «زينة الحياة الدنيا» التي فسرها القرآن الكريم بأنها «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ثم يردفها سبحانه: «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا» (الكهف ٤٦)، «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» هي على قول ابن عباس: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»، وعنه أيضاً أنها: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ». ومن المؤكد أن رأيه هذا في النساء لم يكن على سبيل التعميم؛ بل اختص به النساء اللواتي ابتعدن عن جوهر الإسلام وأصبح همهن المال والذهب والفضة والحياة الدنيا وزخرفها، وتركن عقولهن ورغبن في إتباع الشهوات، وفوَّتن الباقيات الصالحات.

ويروي ابن أبي الحديد بعض اللطائف لبعض الحكماء عن النساء فيقول: «نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة فقال: ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة. ومرت امرأة بسقراط وهو

يتشرق في الشمس فقالت: ما أقبحك أيها الشيخ! فقــال: لــو أنكن من المرائــي الصدئــة لغمني ما بــان من قبح صورتي فيكــن. ورأى حكيم امرأة تعلَّم الكتابة فقال: ســهم يُسقى ســمًّا ليَرمي به يوما ما. ورأى بعضهم جارية تحمل نارا، فقال: نار عــلى نار، والحامل شر مــن المحمول. و قيل: لسقراط أي الســباع أحسن؟ قال المرأة. و تزوج بعضهــم امرأة نحيفة، فقيل: لــه في ذلك ، فقال: اخترت من الشر أقله. ورأى بعض الحكماء امرأة غريقــة قد احتملها الســيل، فقــال: زادت الكدر كدرا والــشر بالشر يهلك»[٤٠]. وبما أن الزينة من لوازم النســاء، وتمثل منشــأ خداع للرجل ونوعاً من بضاعة وفتنة المرأة؛ لذا فإن هذا الســلاح من أخطر الأســلحة التي يواجههــا الرجال، والتي لا تبخل النســاء في اســتخدامها[٤١].

٧ـ و مــن وصية لــه (ع) لعســكره بصفين قبل لقاء العدو: «وَلاَ تَهِيجُوا اَلنِّسَاءَ بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُــمْ، وَسَــبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُــنَّ ضَعِيفَاتُ اَلْقُــوَى وَاَلْأَنْفُسِ وَاَلْعُقُولِ، إِنْ كُنَّــا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ، وَإِنْ كَانَ اَلرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ اَلْمَــرْأَةَ فِي اَلْجَاهِلِيَّــةِ بِالْفَهْــرِ أَوِ اَلْهِــرَاوَةِ، فَيُعَيَّرُ بِهَــا وَعَقِبُهُ مِــنْ بَعْدِهِ»[٤٢]. قولــه (ع): «لاَ تَهِيجُوا اَلنِّسَــاءَ بِــأَذىً»، أي: لا تحرّكوهــنّ، والفهــر: الحجــر، والهــراوة: العصا[٤٣]. وقــد كانت المرأة في المــاضي إذا تكلمــت أمام الســلطان أو الحاكم فلا يحاســبها كما يحاسب الرجل؛ بل يقول إنها امرأة والمرأة تتكلــم بعاطفتها، وهذه من صفات المــرأة إذا أُثيرت حفيظتها؛ فمن صفة النســاء إذا أُثيرت حفيظتهن، أنهن يسترسلن في التفوه بأنواع الــكلام، دون أن يســتطعن كبــح جماح أنفســهن وعاطفتهن.

وهنــا نجــد أن الإمام كان متحيــزاً للمرأة أكثر من أي عقيدة مادية، وقد استنكر العنف والتعرض للنساء تحت أي ظرف، حتى في حالة سوء التصرف والإهانة[٤٤].

٨ـ ومن كتاب له (ع) إلى معاوية جواباً: «وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ اَلْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ اَلْحَطَبِ»[٤٥].

والمــراد واضح فإن قوله(ع): «ومنا خير نســاء العالمين يعني فاطمة، نص رســول الله (ص) على ذلــك، لا خلاف فيه. و منكم حمالة الحطب، هي أم جميل بنت حرب بن أمية، امرأة أبي لهب الذي ورد نص القرآن فيها بما ورد»[٤٦].

٩ـ ومــن وصيتــه (ع) للحســن (ع): «وَإِيَّــاكَ وَمُشَــاوَرَةَ اَلنِّسَــاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ، وَاُكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِــدَّةَ اَلْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَــدَّ مِــنْ إِدْخَالِــكَ مَنْ لاَ يُوثَــقُ بِهِ عَلَيْهِــنَّ، وَإِنِ اِسْــتَطَعْتَ أَلاَّ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلاَ تُمَلِّكِ اَلْمَرْأَةَ مِــنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَــهَا، فَإِنَّ اَلْمَــرْأَةَ رَيْحَانَةٌ، وَلَيْسَــتْ بِقَهْرَمَانَةٍ. وَلاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَــهَا، وَلاَ تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا. وَإِيَّاكَ وَاَلتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو اَلصَّحِيحَةَ إِلَى اَلسَّقَمِ، وَاَلْبَرِيئَةَ إِلَى اَلرِّيَبِ»[٤٧].

هــذه الفقــرة من وصية له لابنه الحســن نقلنا منهــا ما يخــص النســاء، فيها قولــه: «وَإِيَّــاكَ وَ مُشَــاوَرَةَ اَلنِّسَــاءِ» ؛ لأن المــرأة غالبــاً مــا تحب أن تشــارك زوجها الــرأي في جميع المواقــف لو أُتيح لهــا ذلك، وقد تكون على صــواب في كثير من آرائها خصوصاً النســاء المميزات بالرأي السديد والفطنة المشــهودة، ولكن أغلب النســاء يملن إلى اســتغلال هذه المشــورة خصوصاً إذا حققت المشورة هدفها المنشــود؛ فتحــاول أن تفــرض رأيهــا في كل شيء



فتمحو شخصية الزوج، ويأخذها الغرور والزهو والعجب فلا ترى لرأي زوجها في قادم الأُمور مقاما حتى لو كان مصيباً.

وقوله (ع) «فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ» الأفن بالسكون: النقص، والمتأفن: المتنقص، يقال: فلان يتأفن فلانا أي يتنقّصه ويعيبه. ومن رواه إلى «أفنٍ» بالتحريك فهو ضعف الرأي، أفن الرجل يأفن أفنا أي ضعف رأيه والوهن: الضعف. وأراد أن مشاورة النساء من فعل عجزة الرجال[٤٨]. لذا فإن الأحاسيس والعواطف الشديدة مثلما يمكن أن تؤثر في اتخاذ القرار عند الرجل فإنها تؤثر في المرأة أيضاً؛ بيد أنها تؤثر في اتخاذ المرأة لقراراتها أكثر على أساس العواطف والأحاسيس قبل أن تأخذ الجوانب العقلانية بنظر الاعتبار ولهذا السبب يقول الإمام علي(ع) في وصيته لابنه الحسن(ع): «فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ»[٤٩]. بيد أن: «مثل هذا الكائن اللطيف لا يستطيع أن يكون طرفاً للمشورة في المسائل المهمة، ومعلوم أيضاً أن كل حكم عام له استثناءات ، وما من عام إلا وقد خصَّ، وفي هذا المورد ثمة نساء يملكن من العزم والإرادة والرأي الثاقب بحيث يوازين الرجال من أهل الخبرة، أضف إلى ذلك أن القضايا العاطفية والأحاسيس النفسانية تتغلب على النساء، وهذا هو الأمر الذي يتغلب عليهن في مقام المشاورة»[٥٠].

وربما يعود نهي النبي (ص) بقوله: «شاوروهن وخالفوهن» [٥١] وقول علي إلى أن أكثر النساء كانت تُحمل مشورتها على مشورة الجاهلية؛ فقد كانت أكثر النساء آنذاك بمعزل عن العلم وتجارب الحياة التي لا ذنب لها في ذلك؛ حيث تقع مسؤولية تعليمها وتربيتها على الرجل[٥٢].

والنظر إلى ضرورة المشورة يدلنا على أنها من الأُصول العامة للمعارف الاجتماعية الإسلامية ولا فرق في أصل الضرورة بين الرجل والمرأة. والواضح أن الإمام ينهى عن مشاورة النساء اللواتي خطف بريق الدنيا وزينتها عقولهن، وانشغلن بالأحاسيس الطفولية الساذجة، والبعيدات عن متابعة الأُمور السياسية اليومية[٥٣]. وإلا فقد جاء في القرآن الكريم: «وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُم» (الشورى:٣٨)، و«وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (آل عمران:١٥٩)، و«فَإِنْ أَرادا فِصالاً عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَتَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما» (البقرة:٢٣٣). وهو (ع) العارف والعالم بظاهر القرآن المجيد وباطنه وتفسيره وتأويله.

وقد قال(ع) في المشاورة: «مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ اَلرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا»[٥٤].

وقوله (ع): «لاَ غِنَى كَالْعَقْلِ، وَلاَ فَقْرَ كَالْجَهْلِ، وَلاَ مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ، وَلاَ ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ»[٥٥].

وقال(ع): «وَلاَ إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَاَلصَّبْرِ وَلاَ حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ وَلاَ شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلاَ عِزَّ كَالْحِلْمِ وَلاَ مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ اَلْمُشَاوَرَةِ»[٥٦].

وقوله(ع): «لِعَبْدِ اَللَّهِ بْنِ اَلْعَبَّاسِ رضي الله عنه وَ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ: لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي»[٥٧].

ومن كلام له(ع): «فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ. وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا»[٥٨].

ومن خطبة له(ع): «فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ»[٥٩].

ومن كلام له(ع): «فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ اَلسُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ اَلْإِمَاءِ»[٦٠].

ومن عهده (ع) إلى مالك الأشتر لما ولاه مصر: «وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ اَلْفَضْلِ ، وَيَعِدُكَ اَلْفَقْرَ»[٦١].

ومن كلامه (ع): «وَاَلاِسْتِشَارَةُ عَيْنُ اَلْهِدَايَةِ. وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ اِسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ»[٦٢].

إذن فهو أعرف الناس بقيمة وأهمية وجدوى المشاورة، وقد ورد عنه(ع) أنه قال: «إيّاك ومشاورة النساء، الّا من جُرّبت بكمال عقل»[٦٣]، حيث قيَّدَ (إياك ومشاورة النساء) بجملة (من جربت بكمال عقل)، وهذا يعود إلى نوع النساء؛ وإلا فما الفائدة من المشاورة مع الرجال من ذوي الأحاسيس والتجارب القليلة[٦٤]. ولم يكن قصد الإمام من عدم المشاورة مع النساء في شؤون الأُسرة أو الأُمور التي يكن فيها هن صاحبات الرأي؛ بل في أُمور السياسة وبعض المسائل الاجتماعية التي تشكل عليها[٦٥]. وقد جاء في الحديث الشريف: «ائتمروا النساء فى بناتهن»؛ أي شاوروا النساء في بعض الأُمور التي تكون من اختصاص ومعرفة النساء أكثر[٦٦].

وحديث الإمام علي(ع) هذا يوحي إلى أن المشاورة مع النساء ليست حراماً وعلامة على عدم الثقة وعدم اهتمام الإسلام برأي المرأة؛ بل إلى حقيقة مهمة أن في ذلك العصر لم تكن النساء تمتلك اطلاعاً كافياً على مسائل مهمة مثل تسيير الأُمور السياسية، فقد كان الشعور بالانتقام والتفوق وطلب السلطة ما يزال مستشرياً لديهم؛ لذا فإن المشاورة مع هذا النوع من النساء ليست في مصلحة الدولة والنظام الإسلامي[٦٧]، ولم تتوافر النساء على مكنة التحليل الصحيح للأحداث فكن يتمسكن بظاهر الأخبار[٦٨]. وقد ثبت من خلال التجربة وعلى مد التاريخ أنه كلما ترك الرجال زمام الدولة لنساء البلاط؛ فإن هذه الدولة تؤول إلى الفساد وعدم الاستقرار والضعف والسقوط، وهذا ما حصل لدول الخوارزمشاهيين والصفويين والقاجاريين والبهلويين و...[٦٩].

وعن نظرية (داخل المجلس وخارجه إدارة الرجل(يقول العلامة جعفري: «إن نظام الأُسرة في الإسلام ، نظام شورى مع إدارة ومسؤولية الرجل»[٧٠].

وقوله (ع): «وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ» إشارة إلى الآية الشريفة: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (النور:٣١) .

وقوله (ع) : «وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ» فيعني به فاكفف عليهن بعض أبصارهن. ثم ذكر فائدة الحجاب، و نهاه أن يُدخل عليهن من لا يوثق به، و قال إن خروجهن أهون من ذلك، لأن من تكن تلك صفته يتمكن من الخلوة ما لا يتمكن منه من يراهن في الطرقات. «وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مَنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ»، أي: حجبهن عن الغرباء؛ حيث لا فرق بين أن يطلق لهن السراح في



الخروج حيث أردن، وبين أن يدخل عليهن عاهر فاجر؛ أي أن خروج النساء من البيت أهون من دخول شخص غير موثوق عليهن، لأن من تكون هذه صفته يتمكن من الخلوة معهن في البيت بدون رقيب، بينما لا يتمكن من ذلك إذا رآهن في الطريق(٧١).

ثم قال(ع): «وَإِنِ اِسْتَطَعْتَ أَلاَّ يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ». ويروى أنه: «كان لبعضهم بنت حسناء فحج بها، و كان يعصب عينيها، ويكشف للناس وجهها، فقيل له في ذلك، فقال: إنما الحذر من رؤيتها الناس لا من رؤية الناس لها»(٧٢).

وقوله: «وَلاَ تُمَلِّكِ اَلْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا»، أي لا تدخلها معك في تدبير ولا مشورة، ولا تتعدّينّ حال نفسها وما يصلح شأنها(٧٣). وقد اتفقت المذاهب الإسلامية قولاً واحداً على أن المرأة لا يجوز أن تتولى(٧٤) الإمارة والسلطان، وفي الحديث: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(٧٥)، فقد اختلفوا في توليها القضاء، فقال أبو حنيفة: «يجوز أن تتولى المرأة القضاء في حقوق الناس دون حقوق الله أي الحقوق العامة»، وقال غيره لا يجوز إطلاقاً. وقوله: «فَإِنَّ اَلْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ»، أي إنما تصلح للمتعة واللذة، وليست وكيلاً في مال، ولا وزيراً في رأي(٧٦). فهي «رَيْحَانَةٌ» للرقة والحنان، «وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة» تتصرف فيما يخص الرجل نيابة عنه(٧٧). إذن فإن قصد أمير المؤمنين أيضاً هو النهي عن تكليف المرأة في الأُمور الشخصية والمالية للزوج وتسخيرها لخدمته(٧٨). فلا يجب على المجتمع «أن يثقل كاهلها بمهمات جسام تنوء بحملها وتخرجها من طور الحب والحنان والحضن الدافئ للزوج والأُسرة إلى مجتمع التقنية والآلة تحت شعار المساواة المزيفة، فخسرت الزوجة نفسها وزوجها وبيتها، ولم يربح المجتمع منها شيئاً وإن كان قد استغلها في مجال الدعاية المبتذلة فقد خسرناها كإنسانة وكامرأة باحتقاره لها وتسخيرها. ولذلك فإن الإسلام أراد للمرأة أن تكون سيدة بيتها فتحتل مكانتها الأصيلة في الحياة، هذه المكانة التي تحفظ لها هيبتها وتعطيها الدور الإنساني الكبير كزوجة ومربية للأجيال(٧٩).

فالرجال: «أكثر أهلية في تأمين العيش والحماية والمواجهة، وهنّ أكثر إطاعة للحبّ والعاطفة والعشق باتّجاه الخير، وأشدّ انسجاماً في طباعهنّ مع تحمّل الشدائد والصعاب في سبيل بلورة الجمال الإلهيّ، وتجسيد قدرٍ منه على الأرض، لتكون بذلك مرآةً لِعكس صورة معبِّرة عن الرحمة، والحبّ، والوفاء، وغيرها من القيم الجمالية»(٨٠).

وقد نهى النبي (ص) عن تمكين المرأة من الإمارة، لأنها إذا حكمت تحكم بهواها، فتشيع في الأرض الفساد، وهذا من علامات آخر الزمان وقيام الساعة. وقال النبي (ص): «إذا كان أُمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها. وإذا كان أُمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأُموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»(٨١). وقال الإمام علي: «ومن أمارات الساعة: أمارة النساء والصبيان وكثرة السراري وارتفاع البنيان. ولا تقوم الساعة حتى تشتغل الرجال، والنساء بالنساء»(٨٢).

وقد تنبه علماء النفس إلى وصية الإمام علي إلى ابنه الحسن التي تعود إلى ألف وأربعمئة سنة بقوله: «وَلاَ تُمَلِّكِ اَلْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا

فَإِنَّ اَلْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ» أن النساء إذا حُملت بأُمور في حدود طاقتها فإنها توفر لها التحمل النفسي، وأوصوا أن لا تكلف المرأة قدر الإمكان بأعمال تثقل كاهلها، وأن تكون الأُمور في حدود طاقتها حتى لا تختل وتضطرب سلامتها النفسية(٨٣).

ثم أكد الوصية الأولى، فقال: «وَ لاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا»، بعد قوله: ولا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها. ثم نهاه أن يطمعها في الشفاعات؛ فكرامة المرأة أن تبقى امرأة، وأن تضع نفسها حيث وضعتها الطبيعة، ولا تتطفل على وظائف الرجل(٨٤).

«وَإِيَّاكَ وَالتَّغايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَة»، حيث ينهى الإمام في موعظته حول معاملة المرأة الرجل من التمادي في الغيرة على النساء والزوجة، فيسيء الظن بهن بدون سبب، فان ذلك يولد فيهن رد فعل سيئاً، فخير الأُمور الوسط، وكل شيء في محله جميل. يقول (ع): «وَإِيَّاكَ وَاَلتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو اَلصَّحِيحَةَ إِلَى اَلسَّقَمِ وَاَلْبَرِيئَةَ إِلَى اَلرِّيَبِ»، فإذا كانت المرأة سوية بريئة؛ فإن شدة الضغط عليها قد يولد الانفجار، فتميل إلى الشذوذ وإلى سلوك سبل الريب(٨٥). فللرجل أن يغار على المرأة بصيانتها من التبرج ومخالطة المشبوهين، أما الغيرة برجم الظنون فإنها تشجع المرأة السقيمة على الخيانة، وتغري البريئة بها، وتقول في نفسها كنت أحرص على ثقته بأمانتي وعفافي، أما وقد أصبحت عنده في مكان الريب فلم يبق ما أحرص عليه(٨٦).

١٠ـ «المَرأَةُ عَقرَبٌ حُلوَةُ اللّسبَةِ»(٨٧).

يرى بعض من فسر هذا الحديث الذي ذهب مثلاً أن الإمام قد شبه المرأة بالعقرب لأنها «تسرع الغضب على الرجل، وتجدد معروفه لأمر تافه، وقد تؤذيه بكلمة موجعة، وحركة نابية بلا سبب موجب ومعقول، فأوصاه الإمام بأن يصبر عليها، ويتحملها على علاتها، لأنها مهما تكن فهي أخف وخير من العقرب التي لا يمكن معها العيش بحال»(٨٨). وقريب من هذا الحديث نجده أيضاً في نهج البلاغة بقوله: «مَثَلُ الدنيا كَمَثَلِ الحيَّةِ لَيِّنٌ مسُها والسُّمُّ الناقعُ في جوفِها. يَهوِي إليها الغِرُّ الجاهلُ ويَحذَرُها ذُو اللُّبِّ العاقلِ»(٨٩)، وقد ورد أيضاً بلفظ: «أما بعد، فإنما مثل الدنيا مَثل الحية: لين مسها، قاتل سمها، فأعرض عما يعجبك فيها»(٩٠).

وقد روى ابن أبي الحديد بضع روايات عن حكماء ومؤدبين وفلاسفة فيها من الطرافة والظرافة أكثر مما فيها من الشرح والتفسير لهذا الحديث ، وهذه العبارة ليست ذماً بأي حال بل هي إنذار للرجل من أن تخدعه امرأة(٩١).

ولربما يكون تشبيه المرأة بالعقرب بسبب الكلام الشبيه بلدغة العقرب لبعض النساء السليطات، وهو عادة ليس من باب الحقد والعداوة؛ بل يعود إلى نشأتها وتربيتها وثقافتها وحالتها النفسية. ويبدو أن الإمام علي (ع) قد ضرب هذا المثل من باب الدعابة، والمؤكد أنه قد جاء في مناسبة خاصة غير معلومة بالنسبة لنا خصوصاً إذا ما قورنت بأحاديث وخطب التوحيد والوعظ والوصايا والتنبيه والتحذير الجدية. وهذا التشبيه يجمع بين اللطافة والغرابة؛ فقد جمع بين تشبيه المرأة بالعقرب، وحلاوة لسعتها، والمعروف أن لسعة العقرب مؤلمة جداً فأين الحلاوة في ذلك؟. ولربما يكون القصد من وراء ذلك هو التشجيع على تحمل المرأة على كل حال، وإن كنا نرى أن هذا الحديث إلى الدعابة أقرب.



١١ـ وَقَالَ: «يَأْتِي عَلَى اَلنَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُقَرَّبُ فِيهِ إِلاَّ اَلْمَاحِلُ وَلاَ يُظَرَّفُ فِيهِ إِلاَّ اَلْفَاجِرُ وَلاَ يُضَعَّفُ فِيهِ إِلاَّ اَلْمُنْصِفُ يَعُدُّونَ اَلصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً وَصِلَةَ اَلرَّحِمِ مَنّاً وَاَلْعِبَادَةَ اِسْتِطَالَةً عَلَى اَلنَّاسِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ اَلسُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ اَلْإِمَاءِ وَإِمَارَةِ اَلصِّبْيَانِ وَتَدْبِيرِ اَلْخِصْيَانِ»(٩٢).

هذا الحديث يتضمن جانباً من الغيبيات التي اختص الله بها نبيه (ص) ثم علَّم بها النبي الإمام علي، والتي تُنبئ بما سيحل في قادم الزمان بعد رسول الله (ص)، وهذا ما حصل ويحصل إلى يومنا هذا. ومما قال ابن أبي الحديد في شرحه: «فعند ذلك يكون السلطان والحكم بين الرعايا بمشورة الإماء... إلى آخر الفصل وهو من باب الإخبار عن الغيوب وهي إحدى آياته والمعجزات المختص بها دون الصحابة»(٩٣). أي: إن النساء يسيطرنَ على الحاكمين، ويطمعن في إدارة البلاد، ويشفعن بالمجرمين، ومن يهدي إليهن النفيس والثمين(٩٤).

١٢ـ «غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ»(٩٥).

إن مفردة الكفر في الشريعة الإسلامية تستخدم في أكثر من موضع ولها أكثر من معنى، وليس بالضرورة أن يكون المقصود الكفر بالله حاشا لله؛ إنما غالباً ما يكون القصد هو عدم شكر الله وإيفائه الحمد على النعم التي أنعم على الإنسان بها، والرضا بما قسم له. ويرى البعض أن المعنى المراد بكفر المرأة ينحصر في علاقتها بزوجها ونظرتها وسلوكها وأحاسيسها عندما تغلب عليها الغيرة من الضرة، وأن: «المرأة تغار من ضرتها وشريكتها في الزوج بحكم الغريزة والفطرة، فإن هي صبرت وعاتبت بالحسنى؛ بل ومنت بفضلها على الزوج دون أن تغضب الله في شيء، فلا بأس عليها ولا إثم في غيرتها وحرقتها، بل هي مأجورة مشكورة عند الله والناس، وإن قامت ولم تقعد تعدت حدود الله فهي مجرمة آثمة. أما غيرة الرجال على المرأة فهي من الإيمان ونهي عن التهتك والفجور شريطة أن لا تتعدى الغيرة حدها المعقول»(٩٦). أي: «إن المرأة بدافع غيرتها على زوجها قد تنساق وراء عاطفتها، فتتصور أن زوجها يمكن أن يتزوج عليها، فخير سبيل لتتفرد به هو أن تفقره أو تمنعه من مغادره الدار، أو تصمه بالريبة في كل نظره ينظرها، مما يسبب لها فساد حياتها الزوجية ويعود عليها بالضرر والسوء. ولذلك نهاها الإمام (ع) عن هذه الغيرة المحرمة، واعتبرها كفراً بالنعمة التي أنعمها الله عليها. وإذا كانت الغيرة تصل إلى حد تنسى معه الله سبحانه بل و تتحدى معها أوامره تعالى ونواهيه بشكل علني وسافر وعن سابق توجه واطلاع، فإنها تعني أنها في حالة غيرتها و ثورتها لا تعترف بسلطان الله سبحانه ولا تخضع لأوامره و زواجره... و لعل هذا أقرب إلى ما يرمى إليه الإمام علي (ع) من كلمته الماثورة: «غيرة المرأة كفر»(٩٧). وغيرة الرجل التي هي إيمان؛ غيرته على ميلها لرجل أجنبي، وأما ميلها إلى زوج لها قبل بمعنى مدحها له بصفات ليست في الأخير فيغيّر زوجها فليس بإيمان بل من الكفر(٩٨).

ويربط آخرون بين أفضلية الرجل وعقله وتماسكه الذي يجعل غيرته في موضعها كونه يغار على عرضه وحريمه وأهله ضد أي انتهاك ويجتهد في المحافظة عليهم، وبين نقصان عقل المرأة وقلة صبرها وتعويلها على الأوهام والخيال، فالقياس عنده العقل ونقصانه، «المرجع في هذا إلى العقل والتماسك، فلما كان الرجل أعقل وأشد تماسكاً كانت غيرته في موضعها، وكانت واجبة عليه، لأن

النهي عن المنكر واجب، وفعل الواجبات من الإيمان، وأما المرأة فلما كانت أنقص عقلاً وأقل صبراً كانت غيرتهـا على الوهـم الباطل والخيال غـير المحقق، فكانت قبيحة لوقوعها غير موقعها، وسـماها (ع) كفراً لمشاركتها الكفر في القبح فأجرى عليها اسمه. وأيضا فإن المرأة قد تـؤدي بها الغيرة إلى ما يكون كفـراً على الحقيقة كالسـحر فقـد ورد في الحديث المرفـوع أنه كفر وقد يفضي بها الضجر والقلق إلى أن تتسـخط وتشـتم وتتلفظ بألفاظ تكون كفرا لا محالة»[٩٩]، وترك الغيرة فإنها باب الطلاق[١٠٠].

ولعـل «من آثار تكريم المرأة ما غرسـه الإسـلام في المسلمين من الغيرة، ونقصد بالغيرة تلك العاطفة التي تدفع الرجل لصيانة المرأة عن كل مُحَّرم أو شين أو عار»[١٠١].

وهناك من يرى أن غيرة النساء في مقابل العلاقات غـير المشروعة للرجـال واجب عليهـا، وان لا تبقى سـاكتة فلا تحرك سـاكناً، و ليس أمامها إلا التوكل على الله؟! فالتعاليم الإسلامية تضع على كاهل المرأة الكثير من المسـؤوليات التـي توجب عليها التصدي للانحرافـات والأفعال المشـينة التي تصـدر هنا أو هناك مـع قدرتها على التغيير والتصدي، وقد صرح القـرآن بهذه الحقيقة في الآية المباركة: «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَرِ» (التوبـة: ٧١). عليه لو قدر للمـرأة المسـلمة أن تردع زوجها عـن العلاقات غير المشروعة وجب عليها العمل بمسؤولياتها الشرعية؛ فإذا تساهلت في هذه القضية الحساسة فحينئذ يقع اللوم عليها لتقاعسها في القيام بواجباتها[١٠٢].

والغيرة لغـة واصطلاحاً وعُرفاً لها معانٍ مختلفة بحسـب واقع الحال، ولكن يبدو أن الأصل في شرح هذا الحديث هو ربطه بالعلاقة بين الزوج والزوجة وإن حاول البعض الاستطراد في إيجاد معان أُخرى للغيرة لهذا الحديث كالحسد عند المرأة؛ إلا أنه يعود إلى الـكلام عن كـون المقصود بالغـيرة هنا العلاقة الزوجية أو سواها. ويمكن القول مثلما أن الشريعة قد ذمت الغيرة غير المبررة للرجل ومصداق ذلك كلام أمير المؤمنين الذي أشرنا إليه سابقاً «وَإِيَّاكَ وَاَلتَّغَايُرَ فِي غَـيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ فَإِنَّ ذَلِـكَ يَدْعُو اَلصَّحِيحَةَ إِلَى اَلسَّقَمِ وَاَلْبَرِيئَةَ إِلَى اَلرِّيَبِ» فإنها عدت غيرة المرأة في غير موضعها كفراً. والأكيد أن المقصود في كلام أمير المؤمنـين ليس غيرة المرأة الخفيفة اللطيفة المحببة؛ بل الغيرة الملتبسة بالأنانية والأوهام والظنون التي تتحول إلى شـك وارتياب يكون مدعاة إلى تنغيص الحياة الزوجية وربما تفكيك الأُسرة وضياعها.

١٣- «اَلصَّلاَةُ قُرْبَـانُ كُلِّ تَقِيٍّ وَاَلْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيـفٍ وَلِـكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ اَلْبَدَنِ اَلصَّوْمُ وَجِهَادُ اَلْمَرْأَةِ حُسْنُ اَلتَّبَعُّلِ»[١٠٣].

البعل هو الـزوج لقوله تعالى: «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ» (البقرة: ٢٢٨)، وحسـن التبعل هو حسن المعـاشرة، وطاعتـه، وحفظه في حضـوره وغيابه، والتزيـن له، وتحمل أعبـاء الأُسرة وتربيـة الأولاد، والصبر على مشاق الحياة إلى جانب زوجها و«حسن تبعلها الطاعة والعفة، والتدبير والقناعة بالميسور، وتـرك المنَّة على الزوج ومعاتبتـه، وأن توافقه فيما يـرضي اللـه، وتُجْمـل في الغيرة... ونحـو ذلك مما يسـد منافذ الهموم، والغموم، والظنون»[١٠٤]. وقد ورد في الحديـث الشريف الكثير من الأحاديث التي تحث على وجوب طاعة الزوج وتشير إلى الأجر الذي تتحصل عليه المرأة من وراء طاعتها لزوجها.

١٤- «خِيَارُ خِصَالِ اَلنِّسَـاءِ شِرَارُ خِصَالِ اَلرِّجَالِ اَلزَّهْوُ وَاَلْجُبْنُ وَاَلْبُخْلُ فَإِذَا كَانَتِ اَلْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِـهَا وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا

وَمَالَ بَعْلِهَا وَإِذَا كَانَـتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا»[١٠٥].

لعل هذا الكلام للإمام علي (ع) من الأحاديث التي تفسر نفسها بنفسها وتشرح عباراتها بعضها بعضاً فهي واضحة الغرض والمغزى. وللاختلافات الكثيرة بـين الرجل والمرأة فـإن بعض الصفـات التي تعد أفضـل صفات المرأة هي بالضرورة أسـوأ الصفات عند الرجل. وقد عدَّ الإمام ثلاثاً من هذه الصفات عند المرأة: «الزهو والجبن والبخل».

فأحسـن مـا في المـرأة عفتهـا، وتدبـير منزلها، ومشـاركتها الرجل في آلامه، والتعاون معه بالصبر على كل حال. والزهو الذي يقبح في الرجال ويذم هو ممدوح وحسـن في النساء؛ لأنه حصن لعفافها كما قال الإمام، وبه أوصى؛ فالمرأة التي لا تستهين بنفسها يدفعها إعجابها بنفسها أن لا تمكن أحداً منها، وهي صفة جيـدة في المرأة على عكس المـرأة الدنيئة التي تسلم نفسها لكل طالب بلا مقابل. ومثله الجبن فإنه يردع الجبان والجبانة عما يجهلان من العواقب، وهو من أفضل الصفات، لأن المرأة التي تدعي الجرأة تضع نفسها في مواضع الخطر دون أن تحترس، وبما أنها ضعيفـة، فهي بذلك تعرض نفسـها للمهالك، ولو كانت تخاف لتجنبت أماكن الخطر، ولحسبت لكل أمر ألف حسـاب. أما بخل المرأة فهو كرم وسـخاء على الزوج والأولاد، و بما أن السعي وراء زينة الدنيا يحتاج إلى المزيـد من المال الذي يرهق كاهل الرجل؛ كانـت المرأة البخيلة أفضل مـن المسرفة، لأنها بذلك تحافظ على ما لها ومال زوجها و أُسرتها[١٠٦].

أما الرجل فعلى العكس مما ذُكر سـابقاً فهو يسمو بتواضعه وترفعه عن سفاسـف الأمور ووضيعها؛ مـع الحفاظ على وقاره وكرامته واحترامه واعتباره. ومن فضائله ان يكون شجاعاً مقداماً مهاباً جسوراً بالحق. وأن يكون كريماً سـخياً جـواداً. على ان ما ذُكر من الفضائل للرجل لا يجب أن تتجاوز المعقول والمقبول، وغلا تحول التواضع إلى ذل، والشجاعة إلى تجاوز وتهور واعتداء، وصار كرمه تبذيراً وإسرافاً.

*** الهوامش:**

(١)ينظـر: الأُصول الأُولى لخطب وكتـب وحكم الإمام علي في نهـج البلاغة، مجلة ثقافتنـا، ع١١ ، ٢٠١٢ ، ص١١٧-١٢٣ .

(٢)ينظـر: تصنيـف غـرر الحكـم ودرر الكلـم، الآمدي، ص٤٠٨-٤٠٩, ومسـتدرك نهج البلاغة، هادي آل كاشف الغطاء. ونهج السـعادة في مسـتدرك نهـج البلاغة، محمد باقر المحمودي.

(٣)شرح نهـج البلاغـة، ابن أبي الحديـد، ج٢: ص٢٧٠-٢٧١ .

(٤)المصدر السابق، ج٢: ص٢٧٣-٢٧٤ .

(٥)المصدر السابق، ج٢: ص٢٧٠ .

(٦)المصدر السابق، ج٢: ص٢٧٢-٢٧٣ .

(٧)المصدر السابق، ج٢: ص٢٧٧-٢٧٨ .

وفي ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ج١: ص٣٨٤ .

(٨)شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٦: ص٢٤٨ .

(٩)ينظـر: شرح نهـج البلاغة، ابن ميثـم البحراني ، ج٢: ص١٩٥-١٩٦ .

وشرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج٦:ص٢٤٨

(١٠)المصدر السابق، ج٦: ص٣٠٦ .

(١١)رواه البخاري في صحيحه، ص٣٤٢ .

(١٢)ينظـر: المـرأة في الإسـلام ومـن خـلال نهـج

البلاغـة، لبيـب بيضـون.

(١٣)جامعـه شـناسى زبـان در تبيـن جايـگاه اجتماعـى زن در خطبـه ٨٠ نهـج البلاغـه، شرمين نظربيگـى، ص١١٥ .

(١٤)زن در نهـج البلاغه، پيـام زن، قسـمت أول .

(١٥)آيـا زنان ناقـص العقل هسـتند، گروه پاسـخ به شـبهات .

(١٦)المرأة في الإسـلام ومن خلال نهج البلاغة، لبيب بيضون .

(١٧)ينظـر: زن در نهـج البلاغه، سـميه محمـدى .

(١٨)المصـدر السـابق. وينظر: زن از ديـدگاه نهج البلاغـه، ص٨٠-٨١ .

وشـمس المـرأة لا تغيـب، الكربـاسي، ص٢٣-٣٣ .

(١٩)الميـزان في تفسـير القـرآن، الطباطبائـي، ج٤: ص٢٢١-٢٢٢ .

(٢٠)المصدر السـابق، ج٤: ص٢٢٣ .

(٢١)ينظـر: زن از ديـدگاه امـام عـلى، ص٨٥ .

وجمـال المـرأة وجلالهـا، جـوادي آمـلي، ص٣٢٣ .

(٢٢)آيـا زنان ناقـص العقل هسـتند، گروه پاسـخ به شـبهات.

(٢٣)ينظـر: زن از ديـدگاه امـام عـلى، ص٩٥.

(٢٤)ينظـر: زن در نهـج البلاغـه، سـميه محمـدى.

(٢٥) آيـا زنان ناقص العقل هسـتند ، گروه پاسـخ به شـبهات .

(٢٦)زن در نهـج البلاغه، پيـام زن، قسـمت دوم .

(٢٧)شـمس المرأة لا تغيب، الكرباسي، ص٣٣-٣٤ .

(٢٨)المقنعـة، الشـيخ المفيـد، ص٧٢٧ .

(٢٩)ينظـر: زن در نهـج البلاغه، پيام زن، قسـمت دوم.

(٣٠)المصدر السـابق.

(٣١)المصدر السـابق.

(٣٢)ينظـر: زن از ديدگاه نهـج البلاغـه، ص٩٧ .

(٣٣)شرح نهـج البلاغـة، ابـن أبـي الحديـد، ج٦: ص٣٠٦-٣٠٧ .

(٣٤)ينظـر: زن از ديدگاه نهـج البلاغـه، ص٩٩ .

(٣٥)روان شـناسى زن در نهج البلاغـه، مريم معين الإسـلام، ص١٤ .

(٣٦)شرح نهـج البلاغـة، ابـن أبـي الحديـد، ج٧: ص٤٨ .

(٣٧)المصدر السـابق، ج٧:ص٤٨-٥١ .

(٣٨)ذم أمير المؤمنين للنسـاء، موقع الشـيخ علي آل محسـن.

(٣٩)شرح نهـج البلاغـة، ابـن أبـي الحديـد، ج٩: ص١٠٥ .

(٤٠)المصدر السـابق، ج٩: ص١٠٥-١٠٧ .

(٤١)زن در نهـج البلاغـه، نجـوى صالـح الجواد، ص٩٠ .

(٤٢)شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٥: ص٦٦ .

(٤٣)المصدر السـابق، ج١٥: ص٦٧ .

(٤٤)جايـگاه وحقـوق زن در نهج البلاغه، سـكينه

صارمى وحسن مجيدى، ص ٣١-٤٢ .

(٤٥)شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٥: ص ١١٤ .

(٤٦) المصدر السابق، ج ١٥: ص ١٢٤ .

(٤٧) المصدر السابق، ج ١٦: ص ٢٦٧ .

(٤٨) المصدر السابق، ج ١٦: ص ٢٦٨- ٢٦٩ .

(٤٩) زن در نهج البلاغه، پيام زن، قسمت دوم .

(٥٠) نفحات الولاية، ناصر الشيرازي، ج ٩: ص ٦٠١-٦٠٢ .

(٥١) ينظر في صحة الحديث: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج ٥: هامش ص ٢٥٣ . وقد ضعفه بعض العلماء، وحكم عليه آخرون بالوضع.

(٥٢)المصدر السابق، ج ٥: ص ٢٥٢- ٢٥٣ .

(٥٣) ينظر: زن از ديدگاه نهج البلاغه، ص ٥٠ .

(٥٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ، ج١٨:ص٢٩٧ .

(٥٥) المصدر السابق، ج ١٨: ص ٢٩٠ .

(٥٦) المصدر السابق، ج ١٨: ص ٣٣٧ .

(٥٧) المصدر السابق، ج ١٩: ص ١٢٨ .

(٥٨) المصدر السابق، ج ١١: ص ٧ .

(٥٩) المصدر السابق، ج ١١: ص ٦٨ .

(٦٠) المصدر السابق، ج ١٨: ص ٣٢٧ .

(٦١) المصدر السابق ، ج ١٧: ص ٢٦ .

(٦٢) المصدر السابق، ج ١٩: ص ١٧ .

(٦٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٠٣: ص ٢٥٣ .

(٦٤) ينظر: زن از ديدگاه نهج البلاغه، ص ٥٢ .

(٦٥) المصدر السابق، ص ٥٣ .

(٦٦) المصدر السابق، ص ٥٤ .

(٦٧) المصدر السابق، ص ٨٩ .

(٦٨) المصدر السابق، ص ٥٨ .

(٦٩) المصدر السابق، ص ٦٣ .

(٧٠) المصدر السابق، ص ٥٧ .

(٧١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦: ص ٢٦٨ . وفي ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج ٥: ص ٢٥٣ . والمرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة، لبيب بيضون .

(٧٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦: ص ٢٦٨ .

(٧٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦: ص ٢٦٩ .

(٧٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج ٥: ص ٢٥٣ .

(٧٥) صحيح البخاري، الحديث ٤٤٢٥، ص ١٩٢٠ .

(٧٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٦: ص ٢٦٨ .

(٧٧) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج ٥: ص ٢٥٥ .

(٧٨) زن از ديدگاه نهج البلاغه، ص ١٤٠ .

(٧٩) مع المرأة في نهج البلاغة، فتحية مصطفى عليوي، ص١٧٢-١٧٣ .

(٨٠) مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام .

(٨١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الحديث ٢٦٦ ، ص٥٢٩. تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٨ .

(٨٢) ينظر: المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة، لبيب بيضون .

(٨٣) زن در نهج البلاغه، پيام زن، قسمت دوم .

(٨٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ، ج١٦:ص٢٦٩ . وفي ظلال نهج البلاغة ، ج٥:ص٢٥٥

(٨٥) ينظر: المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة، لبيب بيضون .

(٨٦) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٥: ص٢٥٥ .

(٨٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٢٩٧ .

(٨٨) في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٦: ص١٠٢ .

(٨٩) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ص٦٥٠ .

(٩٠) المعجم المفهرس لنهج البلاغة، محمد دشتى وسيد كاظم محمدى، ص١٨٦ .

(٩١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ج١٨: ص٢٩٧ وما بعدها. وبهجة الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج١٤: ص٣٠٨-٣١٠ . وجمال المرأة وجلالها، ص٣٢٥ .

(٩٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٢٨ .

(٩٣) المصدر السابق، ج١٨: ص٣٢٨ .

(٩٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٦: ص١٤٤ .

(٩٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٥٨ .

(٩٦) في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٦: ص١٨٠-١٨١ .

(٩٧) المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة، لبيب بيضون .

(٩٨) بهجة الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، ج١٤: ص٣٠١ .

(٩٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٥٨ .

(١٠٠) المصدر السابق، ج١٨: ص٣٧٠ .

(١٠١) ماذا عن المرأة، نور الدين عتر، ص٢٩ .

(١٠٢) هل يرى أمير المؤمنين أن غيرة المرأة ورفضها للزواج الثاني كفرٌ؟

(١٠٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٨: ص٣٧٠ .

(١٠٤) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، الشيخ مغنية، ج٦: ص٢٠٢ .

(١٠٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٩: ص٣٨ .

(١٠٦) ينظر: في ظلال نهج البلاغة، مغنية، ج٦: ص٢٩٣-٢٩٤ .

The portrayal of women in "Nahjul Balgha"

By: Dr. Emad Elddin Abd AL- Rasaq 

Abstract

In "Nahjul Balgha", some texts that dealt with women show a negative trend towards degrading them. That's what the biased people and the enemies of religion trying to portray, therefore, we had to count such texts, confined them and transfer the views of commentators and those interested in women's issues. As we go after the term 'women', wherever it appears in "Nahjul Balgha", we intended to study what irritated some and to clarify the meaning of the term mentioned. We have relied on old and new references to transfer the views in order to achieve a balanced in understanding and studying the texts. In this research we have tried to study the speech of imam Ali, in which a statement about women mentioned to show his goal and to cite some of the views related to, we found that these texts had been stated to preserve women and keep them protected, not loaded with burdens or degrade their dignity, character or brove that women are inferior than men in mind.



التّفسيرات القرانيّة

عند الإمامين العسكريين (عليهما السلام)

م.د. هُدى ناجي عبيد البديري*

• المقدمة:

انطلاقا من قول الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي: أهل بيتي، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1]. آثرتُ أن أفرد بحثا للحديث عن العَلاقة الوطيدة بين القرآن الكريم والإمامين العسكريين (عليهما السلام).

لقد عُني أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عناية بالغة بتفسير القرآن الكريم، فكان كل منهم صاحب مدرسة في التفسير، ومن المقطوع به أنهم أدرى بما في القرآن وأعلم بعمومه وخصوصه، ومطلقه ومقيده، وناسخه ومنسوخه، وكان سيد العترة الطاهرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أعلم من سائر الصحابة بحقائق القرآن ودقائقه، ومحكمه ومتشابهه، ويعلم وقت نزول آياته حسبما صرح به (عليه السلام)[2].

والتفسير لغة: الفسُر: البيان، فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله، ابن الاعرابي: التفسيُر والتأويلُ والمعنى واحد، وقوله عز وجلّ: (وأحسن تفسيرا)(الفرقان/٣٢)، الفسُر: كشف المغطى، والتفسيرُ كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويلُ: رد أحد المحتملين الى ما يطابق الظاهر، واسفسرته كذا أي سألته أن يفسره لي ... وكلّ شيء يعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرته[3].

• نماذج من تراث الإمام علي الهادي (عليه السلام) التفسيري:

قال يحيى بن هرثمة: مرض المتوكل فنذر إن عوفي ليتصدقن بدراهم كثيرة .

---

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



فعوفي، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم فرجا فبعث الى علي الهادي (عليه السلام) فسأله فقال: يتصدق بثلاثة وثمانين دينارا . فقال المتوكل: من أين لك هذا؟

فقال: من قوله تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين)(التوبة/٢٥) والمواطن الكثيرة هي هذه الجملة، وذلك لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) غزا سبعا وعشرين غزوة، وبعث ستاً وخمسين سرية، وآخر غزوة له يوم حنين .فعجب المتوكل من هذا الجواب، وبعث اليه بمال كثير.فقال الإمام (عليه السلام): هذا الواجب فتصدق أنت بما احببت [٤].

وروى العياشي باسناده عن حمدويه، عن محمد بن عيسى قال: سمعته يقول: كتب اليه إبراهيم بن عنبسة - يعني الى علي بن محمد (عليه السلام) - إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قول الله: (يسئلونك عن الخمر والميسر) (البقرة/٢١٩) فما الميسر جعلت فداك؟ فكتب (عليه السلام): كل ما قومر به فهو الميسر وكل مسكر حرام[٥].

وروى باسناده عن أيوب بن نوح بن دراج قال: سألت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) عن (الجاموس) وأعلمته أنّ أهل العراق يقولون أنه مسخ، فقال: أو ما سمعت قول الله: (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين)(الانعام/١٤٤).

وروى العياشي: باسناده عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث عن الجاموس واعلمته أن أهل العراق يقولون أنه مسخ، فقال: أو ما سمعت قول الله (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين).

قال موسى بن محمد الرضا: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامّة، فسألني عن مسائل، فجئت الى أخي علي بن محمد (ع)، فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت: جعلت فداك إن ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لافتية فيها [٦]. فضحك (ع) ثم قال: فهل افتيته؟ قلت: لا، لم أعرفها.قال (ع): وما هي؟

قلت: كتب يسألني عن قول الله: (قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك)(النمل/٤٠) أنبي الله كان محتاجا الى علم آصف؟ وعن قوله: (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا)(يوسف/١٠٠) أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ وعن قوله: (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب)(يوسف/٩٤) من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي (ص) فقد شك؟ وإن كان المخاطب غيره فعلى من اذا انزل الكتاب؟ وعن قوله: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (لقمان/٩٤) ماهذه الأبحر وأين هي؟ وعن قوله: (وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)(الزخرف/٧١) فاشتهت نفس آدم (ع) أكل البر فأكل واطعم (وفيها ما تشتهي الأنفس) فكيف عوقب؟.

وعن قوله: (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) (الشورى/٥٠) يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوما فعلوا ذلك؟ وعن شهادة المرأة جازت وحدها، وقد قال الله (واشهدوا ذوي عدل منكم) (الطلاق/٢)؟ .

قال (ع): اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت وعين بحرون، ونحن كلمات الله التي لاتنفذ ولا تدرك فضائلنا[٧]. وأمّا الجنة فان فيها من المأكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأباح الله ذلك كله لآدم (ع)، والشجرة التي نهى

الله عنها آدم عليه السلام وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد اليهما أن لاينظرا الى من فضل الله خلائقه بعين الحسد، فنسي ونظر بعين الحسد، ولم يجد له عزما[٨] .

وأمّا قوله (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) (الشورى/٥٠) أي يولد له ذكور، ويولد له أناث، ويقال لكل اثنين مقرنين زوجان، كل واحد زوج، ومعاذ الله أن يكون عني الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم (ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا)(الفرقان/٢١) ان لم يتب.

قدم الى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فاراد أن يقيم عليه الحد فاسلم .فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله . وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود .فكتب المتوكل الى علي بن محمد النقي يسأله . فلما قرأ الكتاب كتب: يضرب حتى يموت . فانكر الفقهاء ذلك، فكتب اليه يسأله العلة . فقال: بسم الله الرحمن الرحيم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين)(غافر/٨٤). فأمر المتوكل فضرب حتى مات[٩] .

كتب ملك من ملوك الروم الى خليفة من خلفاء بني العباس كتابا يذكرفيه: إنا وجدنا في الانجيل أنّه من قرأ سورة خالية من سبعة أحرف حرم الله تعالى جسده على النار، وهي: الثاء والجيم والخاء والزاء والشين والظاء والفاء، فانّا طلبنا هذه السورة في التوراة فلم نجدها، وطلبناها في الزبور فلم نجدها، فهل تجدونها في كتبكم؟ فجمع العلماء وسألهم في ذلك فلم يجيبوا عن ذلك الّا النقي علي بن محمد بن الرضا (عليهم السلام) فقال: إنّها سورة الحمد فانّها خالية من هذه السبعة أحرف. فقيل: الحكمة في ذلك؟ فقال: إنّ الثاء من الثبور، والجيم من الجحيم، والخاء من الخيبة، والزاي من الزقوم، والشين من الشقاوة، والظاء من الظلمة، والفاء من الفرقة أو قيل من الافة فلما وصل الى قيصر وقرأ فرح بذلك فرحا شديدا، واسلم لوقته ومات على الإسلام[١٠].

نادى المتوكل يوما كاتبا نصرانيا أبا نوح، فانكروا الكنى للكتابيين، فاستفتى، فأختلف عليه .

فبعث الى أبي الحسن فوقع عليه (بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا أبي لهب)(المسد/٢٥). فعلم المتوكل أنّه يحل ذلك، لأنّ الله قد كنّى الكافر[١١].

وروى العياشي: باسناده عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث (عليه السلام) قال: الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد اليهما أن لاينظر الى من فضّل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد، ولم يجد الله له عزما [١٢].

أمّا الإمام أبو محمد الحسن العسكري (عليه السلام) فكان من أئمة المفسرين، وقد أثر عنه تفسير خاص عرف بتفسير الإمام العسكري [١٣].

ومن جملة الخدمات العظيمة التي قدمها الإمام العسكري (عليه السلام) الى الأمّة الإسلامية ما ألقاه من دروس في التفسير ممّا عنده من العلم، وذلك على شكل محاضرات كانت تملى على الحسن بن خالد البرقي أو على شخصين من الشيعة الإماميّة، كانا قد لجئا اليه (عليه السلام) وحسب هذه فإنّ هذه الحلقات دامت سبع سنين، كان الإمام خلالها يلقي ممّا عنده حول تفسير الآيات وتأويلها، وكانوا يكتبون كلّ ما يدلي (عليه السلام)[١٤].

- **التفسير المنسوب اليه:**

ونسب الى الإمام أبي محمد العسكري (عليه السلام) التفسير المسمى (بتفسير العسكري) وقد حامت حوله الظنون، واحتفت به الشكوك، فأثبته قوم أنه

له ونفاه عنه آخرون [١٥]. ولايخفى أنّ القول قد اختلف قديما وحديثا حول هذا التفسير الحاضر المنسوب اليه، فكثير من الأعاظم عدوه من الكتب المعتمدة بين الشيعة الإمامية، كالصدوق والطبرسي والراوندي وابن شهر اشوب والكركي والشهيد الثاني والمجلسي الأول والثاني والحر العاملي والفيض الكاشاني والبحراني والحويزي العروسي والحسن بن سليمان والشيخ الأنصاري والطبسي وغيرهم، ورده قسم آخر منهم كابن الغضائري والعلامّة الحلي والتفرشي والداماد والاردبيلي والقهبائي والبلاغي والخوئي، وتامل فيه آخرون قائلين إن شان هذا التفسير شأن الروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) يريدون بذلك أنّه لابدّ من التحقق في صحة ما ورد فيه، فما كان منه معتبر الاسناد فمقبول وإلا فمردود[١٦]

ومن الواضح أنّ كل ما قيل أو يقال، يرتبط بهذا التفسير الموجود برواية الشيخ الصدوق عن المفسر الاسترابادي، وإلا فإن التفسير الذي كتبه وجمعه الحسن بن خالد البرقي من إملاء الإمام وكان عدد مجلداته مائة وعشرين مجلدا، كما صرح به ابن شهر اشوب فلا كلام فيه.لانه لم يكن لذلك عين ولاأثر، ولم يضعف ابن خالد البرقي حتى يكون فيه كلام، بل وثقه علماء الرجال كلهم، ومنهم الرجالي الكبير أحمد بن العباس النجاشي[١٧].

- **المعتمدون عليه:** اعتمد على التفسير جماعة من كبار علماء الإماميّة، وآمنوا بصحة نسبته الى الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام، منهم:الشيخ الصدوق/ الشيخ الطبرسي/ المحقق الكركي/الشهيد الثاني/ محمد تقي المجلسي/ ابن شهر اشوب/ المحقق اغابزرك. فهؤلاء الأعلام لم يشكوا في نسبة هذا التفسير الى الإمام، وأرسلوا نسبته اليه ارسال المسلمات[١٨].

- **سنده:**

أمّا سند هذا التفسير وبعض الخصوصيات فقد تصدر الكتاب، وهذا نصه: قال محمد بن علي بن محمد بن جعفر بن دقاق حدثني الشيخان الفقيهان:

أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان، وأبو محمد جعفر بن محمد بن علي القمي، قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم المفسر الاسترابادي الخطيب رحمه الله، قال: حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار، وكانا من الشيعة الإماميّة قالا كانا أبوانا إماميين، وكانت الزيدية هم الغالبون في استرباد، وكنا في إمارة الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي الى الحق،إمام الزيدية وكان كثير الاصغاء اليهم يقتل الناس لسعاياتهم، فخشيناهم على أنفسنا فخرجنا باهالينا الى حضرة الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن محمد أبي القائم عليه السلام وانزلنا عيالاتنا في بعض الخانات، ثم استأذنا على الإمام الحسن بن علي، فلما رآنا قال: مرحبا بالآويين الينا الملتجئين الى كنفنا، فقد تقبل الله سعيكما،وأمن روعتكما، وكفاكما أعداءكما، فانصرفا امنين على أنفسكما وأموالكما، فعجبنا من قوله ذلك مع أنّا لم نشك في صدق مقاله، فقلنا: فماذا تأمرنا أيها الإمام أن نصنع في طريقنا الى أن ننتهي الى بلد خرجنا منه، وكيف ندخل من ذلك البلد، ومنه هربنا، وطلب سلطان البلد لنا حثيث، ووعيده إيانا شديد[١٩]؟

فقال (عليه السلام): خلفا علي ولديكما هذين لأفيدهما العلم الذي يشرفهما الله به، ثم لا تحفلا بالسعاة، ولا بوعيد المسعي اليه فإن الله عز وجل يتمم السعادة، ويلجئهم الى شفاعتكم

فيــه عند من قد هربتم منه. قــال أبو يعقوب وأبو الحســن: فائتمروا بما أمرا وخرجا، وخلفانا هناك فكنا نختلف اليه، فيلقانا ببر الأباء، وذوي الارحام الماســة، فقال لنــا ذات يــوم: إذا أتاكما خبر كفاية الله عز وجل أبويكمــا، واخزائه أعداءهما، وصدق وعــدي إياهما جعلت من شــكر الله عــز وجل أن افيدكما تفســير القران، مشتملا على بعض أخبار آل محمــد (ص)، فيعظم الله تعالى شــانكما، قالا: ففرحنا،وقلنا: يابن رســول الله فإذا نأتي بجميع علوم القــرآن ومعانيه، قــال: كلا إن الصادق علم ما أريد أن اعلمكما بعــض أصحابه ففرحنا بذلك وقالا: يابن رسول الله قد جمعت علوم القرآن كله، فقال: قد جمعت خيرا كثيرا، وأوتيت فضلا واسعا، ولكنــه مع ذلك أقل قليل أجزاء علم القران، إن الله عــز وجل يقول (قــل لو كان البحر مــدادا لكمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مــددا)(الكهف / ١٠٩) ويقول: (ولو أنّ ما في الأرض من شــجرة أقلام والبحر يمده من بعده ســبعة أبحر ما نفدت كلمات اللــه)(لقمان/٢٧) وهذا علم القرآن ومعانيــه، وما اودع من عجائبه، ولكــن القدر الــذي اخذته فقد فضلــك الله به على كل من لايعلم كعلمــك، ولا يفهم كفهمك[٢٠]. قالا: فلم نبرح من عنده حتى جاءنا فيج قاصدا من عند أبوينا بكتاب، يذكر فيه أنّ الحسن بن زيد العلوي قتل رجلا بسعاية أولئك الزيدية، واستصفى ماله، ثم أتته الكتب من النواحي والأقطار المشــتملة على خطوط الزيدية بالعذل الشديد والتوبيخ العظيم، يذكــر فيــه أنّ ذلك المقتــول كان أفضل زيدي على ظهر الأرض، وإنّ السعاة قصدوه لفضله وثروته، فشــكر لهــم وأمر بقطــع آنافهــم وآذانهــم، وأن بعضهــم قد مُثل به لذلك وآخرين قــد هربوا، وأنّ العلوي ندم واســتغفر، وتصــدق بالأموال الجليلة بعــد أن رد أمــوال ذلك المقتول عــلى ورثته، وبذل لهم أضعاف دية المقتول، واســتحلهم، فقالوا: أمّا الديــة فقد أحللناك منها، وأمّا الذم فليس إلينا إنما هــو الى المقتول، والله الحاكم، وأن العلوي نذر لله عــز وجــل أن لا يتعرض للنــاس في مذاهبهم، وفي كتــاب أبويهمــا أنّ الداعــي الى الحق الحســن بن زيد قد أرســل إلينا ببعــض ثقاته، بكتابه وخاتمه بأمانــه لنا، وضمــن لنا رد أموالنــا، وجبر النقص الــذي لحقنا فيها، وإنا صائران الى البلد ومنجزات مــا وعدنا [٢١]. فقال الإمــام: إن وعد الله حق، فلما كان اليوم العاشر جاءنا كتاب أبوينا أنّ الداعي الى الحــق قد وفى لنا بجميع عداتــه، وأمر لنا بملازمة الإمــام العظيم البركة، الصادق الوعد، فلما ســمع الإمام بهــذا قال: هــذا حين إنجازي مــا وعدتكما من تفســير القرآن، ثــم قال: قد وظفــت لكما كل يوم شــيئا منــه تكتبانــه، فالزمانــي، وواظبا على توقــير الله تعــالى من الســعادة حظوظكما، فأول ما أمــلى علينا أحاديث في فضل القــرآن وأهله، ثم أملى علينا التفسير بعد ذلك، فكتبنا في مدة مقامنا عنده، وذلك لسبع سنين نكتب في كل يوم مقدار ما ننشط له [٢٢] .

- اختلاف العلماء في التفسير الموجود:

وقد اختلــف العلماء قديما وحديثا في التفســير المنســوب اليه (عليه الســلام) فمنهــم من قبله وأخذ عنه ومنهم من ردّه، وهذه خلاصة ما قيل في ذلك:

ـ إن المفسّر الأسترابادي ضعيف كذّاب

قــال ابن الغضائري: إنّ محمد بن القاســم المفسّر الإســترابادي ـ الذي روى عنــه الصدوق ـ ضعيف كــذّاب. أقــول: قــد قــرّر في محلّــه أنّــه لا اعتبــار

بتضعيفات ابن الغضائري، وقد أجاب المحدّث الخبير الميرزا النوري عن هذا الإشكال قائلا:

١ـ إنّ الصدوق الآخذ عن محمد بن القاسم المصاحب الذي قد أكثر منه النقل عنه من هذا الكتاب في كتبه، وما يذكره الا ويعقّبه بقوله: رضي الله عنه أو رحمه الله، وقد يذكره مع كنيته كيف خفي عليه ضعفه وكذبه، وعرفه الغضائري بعد قرون؟ [٢٣].

٢ـ كيف يروي الصدوق عن هذا الكذّاب الضعيف في أكثر كتبه ويكثر عنه، وحتّى في كتابه من لا يحضره الفقيه، ثم يصرح في أول كتاب الفقيه قائلا:

ولم أقصد فيه قصد المصنّفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدت الى إيراد ما أفتي وأحكم بصحّته وأعتقد فيه أنه حجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره وتعالت قدرته، وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعوّل واليها المرجع [٢٤].

ـ الراويان لهذا التفسير مجهولا الحال:

قال العلّامة الحلّي (رحمه الله): في الخلاصة عند ذكر محمد بن القاسم: روى عنه أبو جعفر بن بابويه، ضعيف كذّاب، روى عنه تفسيرا يرويه عن رجلين مجهولين: أحدهما يعرف بيوسف بن محمد بن زياد، والآخر علي بن محمد بن يسار[٢٥].

وكيف يقال: إنهما مجهولا الحال في حين أنّ الشيخ الصدوق ـ كما أشرنا اليه في أول السند ـ والعلّامة الطبرسي في أول الاحتجاج، يصرحان بأنهما كانا من الشيعة الإماميّة، نعم، إنهما غير معروفين، وأين هذا من جهل حالهما؟[٢٦].

٣ـ إنّ هذا التفسير مروي عنهما عن أبيهما عن الهادي (عليه السلام)

وقال ابن الغضائري أيضا: إنّ يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن يسار يرويان هذا التفسير عن أبيهما، عن أبي الحسن الثالث (عليه السلام) .أقول: لقد أشرنا الى سند هذا الكتاب ولم نجد لهذا الادّعاء، محلّا، لأن الصدوق رحمه الله نقل هذا التفسير عن المفسر الإسترابادي، قال: حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وأبو الحسن علي بن محمد بن سيّار، ولم يكن في السند ما يدل على أنهما روياه عن أبيهما عن الإمام الهادي (عليه السلام) بل روياه عن الإمام العسكري (عليه السلام)[٢٧].

٤ـ التفسير يشتمل على أحاديث منكرة وأخبار كاذبة، ومن جملة الإشكالات الواردة على هذا التفسير، هو أنّه اشتمل على أحاديث منكرة وأخبار كاذبة، وإسناده الى المعصوم اختلاق وافتراء .أقول: وهذا الإشكال أيضا يرجع أصله الى ابن الغضائري وليته أشار الى بعض هذه الأكاذيب والمنكرات، نعم، يمكن أن يكون قد عنى بذلك بعض المعاجز الغريبة في هذا الكتاب، ولم تذكر في باقي الكتب[٢٨].

وقال التستري مشككا بصحة هذا الكتاب: لو لم يكن هذا الكتاب جعلا لنقل هذه العجيبة التي نقلها عن النبي وأمير المؤمنين وباقي الأئمة عليهم السلام ولرواها علماء الإماميّة [٢٩].

ـ نماذج من التفسير المنسوب الى الإمام العسكري (عليه السلام)

فسّر الإمام العسكري (عليه السلام) سورة الحمد وقوله عزّ وجلّ (بسم الله الرحمن الرحيم): بقوله (عليه السلام): ((الله هو الذي يتألّه اليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق وعند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه فيقول: (بسم الله الرحمن الرحيم)

أي استعين على أموري كلّها بالله الذي لاتحق

العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث والمجيب إذا دعي[٣٠]. قال الإمام (عليه السلام) وهو ما قال رجل للصادق (عليه السلام): يابن رسول الله دلّني على اللّه ما هو، فقد أكثر المجادلون عليّ وحيّروني؟ فقال له: ياعبد الله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: بلى .فقال: هل كسرت بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تغنيك؟ قال: بلى .
قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئا من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ قال:بلى.
قال الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حين لا مغيث [٣١].

- الافتتاح بالتسمية عند كل فعل:

قال الصادق (عليه السلام): ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا (بسم الله الرحمن الرحيم)[٣٢] فيمتحنه الله بمكروه، لينبّهه على شكر الله تعالى والثناء عليه، ويمحو عنه وصمة تقصيره عند تركه قول: (بسم الله الرحمن الرحيم) .

لقد دخل عبد الله بن يحيى على أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين يديه كرسي فأمره بالجلوس فجلس عليه، فمال به حتّى سقط على رأسه، فاوضح عن عظم رأسه وسال الدم فأمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بماء، فغسل عنه ذلك الدم . ثم قال: ادن مني فدنا منه، فوضع يده على موضحته ـ وقد كان يجد من ألمها ما لا صبر له معه ـ ومسح يده عليها وتفل فيها فما هو الاّ أن فعل ذلك حتى اندمل وصار كأنه لم يصبه شيء قط [٣٣].قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ياعبد الله، الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمنحهم التسليم لهم طاعاتهم ويستحقون عليها ثوابها .

فقال عبد الله بن يحيى: ياأمير المؤمنين وإنا لا نجازي بذنوبنا إلا في الدنيا؟ فقال نعم ما سمعت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر يطهّر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما يبتليهم به من المحن، وربما يغفره لهم، فإنّ الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) (الشورى/ ٣٠) حتّى إذا وردوا القيامة توفرت عليهم طاعاتهم وعباداتهم.

وإن أعداء محمد وأعداءنا، يجازيهم على طاعة تكون منهم في الدنيا ـ وإن كان لا وزن لها لأنه لا إخلاص معها ـ حتى إذا وافوا القيامة، حملت عليهم ذنوبهم وبغضهم لمحمد (صلى الله عليه وآله) وخيار أصحابه، فقذفوا لذلك في النار[٣٤] .

ـ نماذج من تراث الامام الحسن العسكري (عليه السلام) التفسيري:

روى الثقة الأمين أبو هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي محمد (عليه السلام) فسألته عن قول الله عز وجل: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) (فاطر/٣٢) فقال: أنّها وردت في آل محمد (صلى الله عليهم وآلهم) فالظالم لنفسه الذي لايقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات بإذن الله الإمام (عليه السلام) قال أبو هاشم: فدمعت عيناي وجعلت أفكر في نفسي ما أعطى الله آل محمد (صلى الله عليهم وآلهم) فنظر اليّ الإمام وقال: عظم ما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد، فاحمد الله، فقد جعلك الله متمسكا بحبهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دُعي كل إنسان بإمامه، فابشر يا أبا هاشم فإنك على خير [٣٥].

وسأل محمد بن صالح الأرمني الإمام أبا محمد (عليه السلام) عن قول الله عز وجل (لله الأمر من قبل ومن بعد)(الروم/ ٤) فقال الامام أبو محمد (عليه السلام): له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر بما يشاء، فقلت في نفسي، هذا قول الله (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)(الاعراف/ ٥٤) فنظر الي الإمام وتبسم ثم قال: له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين[٣٦].

وروى سفيان بن محمد الصيفي، قال: كتبت الى الإمام أبي محمد (عليه السلام) اسأله عن (الوليجة) في قول الله عز وجل (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة)(التوبة/١٦) وقلت في نفسي: من يرى المؤمن ها هنا؟ فرجع الجواب: الوليجة التي تقام دون ولي الامر، وحدثتك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع، فهم الائمة الذين يؤمنون بالله فنحن هم [٣٧].

قال أبو هاشم: كنت عند أبي محمد (عليه السلام) فسأله ابن صالح الأرمني عن قول الله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)(الاعراف/ ١٧٢) قال الإمام أبو محمد (عليه السلام): ثبتت المعرفة، ونسوا ذلك الموقف، وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه، ولامن رازقه .قال أبو هاشم: فجعلت أتعجب في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليه، وجزيل ما حمله، فأقبل أبو محمد علي، فقال: الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم، ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله، ومن أنكرهم أنكر الله، فلا مؤمن إلا وهو بهم مصدق، وبمعرفتهم موقن[٣٨].

*** الهوامش:**

(١) الإمام الصادق من المهد الى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، ص٣٩ .

(٢) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، ص ١٠٣ .

(٣) لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ج٥/ص ٥٥ .

(٤) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي محمد علي دخيل ص ٣٩.

(٥) أعلام الهداية الإمام علي بن محمدالهادي (عليه السلام) ج ١٢، لجنة التأليف ص ٢١٩.

(٦) أعلام الهداية الإمام علي بن محمدالهادي (عليه السلام) ج ١٢، ص ٢١٩.

(٧) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي دخيل ص ٤٠ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٤ .

(٩) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي دخيل ٤٩ .

(١٠) المصدر نفسه، ص ٥١ .

(١١) الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي دخيل، ص ٥١ .

(١٢) أعلام الهداية، ج ١٢، ص ٢١٩ .

(١٣) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٣ .

(١٤) حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري محمد جواد الطبسي، ص ١٤٩ .

(١٥) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٦ .

(١٦) حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري، ص ١٤٩ .

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٥٠ .

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٠٦ .

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٠٧ .

(٢٠) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٨ .

(٢١) المصدر نفسه ص ١٠٨ .

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٠٩ .

(٢٣) حياة الإمام العسكري لمحمد جواد الطبسي ، ص ١٥٢ .

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٥٢ .

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٥٣ .

(٢٦) المصدر نفسه، ص ١٥٣ .

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٥٣ .

(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٥٤ .

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٥٥ .

(٣٠) التفسير المنسوب الى الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليهم السلام) تحقيق محمد الصالحي الانديمشكي، ص ١ .

(٣١) المصدر نفسه، ص ١ .

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٢.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢ .

(٣٤) التفسير المنسوب الى الإمام الحسن بن علي العسكري (عليهم السلام)، ص٣ .

(٣٥) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٣ و١٠٤.

(٣٦) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٥ .

(٣٧) حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٥ .

(٣٨)حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل، ص ١٠٥ .

❋ قائمة المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم .

ـ أعلام الهداية الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) ج ١٢، المجمع العالمي لأهل البيت، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ هـ .

ـ الإمام الصادق من المهد الى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، الطبعة الأولى، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م.

ـ الإمام علي الهادي (عليه السلام) علي محمد علي دخيل (ب، ط)، (ب،ت) .

ـ التفسير المنسوب الى الإمام أبي الحسن بن علي العسكري (عليهم السلام)، تحقيق الشيخ محمد الصالحي الانديمشكي، منشورات ذوي القربى، قم ١٣٨٤ هـ .

ـ حياة الإمام الحسن العسكري دراسة وتحليل باقر شريف القرشي، دار الكتاب الاسلامي (ب، ت) .

ـ حياة الإمام العسكري دراسة تحليلية تاريخية علمية لحياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، محمدجوادالطبسي، الناشر مؤسسة بوستان كتاب قم، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٨٢ هـ .

ـ لسان العرب للامام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، دار صادر بيروت (ب،ت) .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي .

Coraanic interpretations when military Imams

(peace be upon them)

By: Dr. Hoda Naji al Budairi 

Abstract

rovided the center from the words of the Prophet Muhammad (may Allah bless him and his family): ((I am one who does not in you two weighty things: the Book of Allah and Aatarta: my family, once Thompsktm them will not go astray after me at all, except that they will not live apart untilIrDA Ali pelvis)) (1). It preferred to be singled out in search of the talk about the close of the Koran and military relationship Imams (peace be upon them) Altazamamna first themes of the conference Koran and Hadith Sciences.

Has taken care of Imams of Ahlul Bayt (peace be upon them) great attention to interpretation of the Koran, every one of them is the owner of a school of interpretation, and lump it because they know what the Koran and know Bamomh and _khasos, and absolute and unrestricted, and copier and copied, and was a master strain Immaculate Imam Commander of the Faithful (peace be upon him) know of other realities of the Koran and the prophet Dakkaigah, and the court and similar, and he knows the time of the descent of verses as stated by the (peace be upon him) (2).



الشريف المرتضى

سيرته وأثره على الحركة العلمية في بغداد



م. رشا عيسى فارس*

● **المقدمة :**

الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥-٤٣٦هـ) عالم ومتكلم وشاعر وأديب يكاد يجمع مؤلفو عصره على الإشادة بذكره وما كان يتمتع به من جلال الشخصية وتعدد المواهب والشهرة وعلو المكانة بين علماء وأدباء عصره وقد نص كثير منهم على انه كان من أئمة المسلمين في الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ومن ابرز من نبغ في علوم العربية والنقد والأدب ورواية الشعر وإخبار العرب وذكروا العديد من مؤلفاته في هذه المجالات كما نوهوا بديوان شعره وبما احتوى من نتاج ثرية.

● **المبحث الأول: ـ سيرته:**

هو الشريف المرتضى ذو الحسبين ـ أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الأبرش بن محمّد الأعرج بن موسى أبي سبحة بن إبراهيم المرتضى بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام عليّ السجّاد بن الإمام الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام)[١].

يعرف بالسيد المرتضى والشريف المرتضى وعلم الهدى وذي المجدين ويكنى بأبي القاسم [٢].

ولد في بغداد سنة (٣٥٥ هـ/ ٩٦٥م) في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد «الكرخ» الواقعة بين نهر الصراة غربا، ونهر كرخايا شرقا ومحلة الكرخ جنوبا [٣] في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله العباسي،من اسرة عريقة النسب سامية الشرف تتمتع بمنزلة اجتماعية وأدبية عالية[٤].

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

وكان أبوه عالماً وزعيم الطالبيين ونقيبهم [٥] وكان ابوه سيدا عظيماً مطاعا جليل القدر، مسموع الرأي رمزا للخير وكانت هيبته كما يقول ابن تغري بردي (اشد من هيبة الحكماء) [٦]

وكان معظما لدى دار الخلافة البويهية لانه كان سفيرا للخير بينها وبين دار الخلافة العباسية حتى لقبه بهاء الدولة البويهية (ت، ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) بالطاهر الأوحد ذي المناقب [٧] لجمعه مناقب شتى ومزايا رفيعة جمة، فهو فضلا عن كونه علوي النسب، هاشمي الأرومة انحدر من تلك السلسلة الطاهرة فإنه كان نقيب الطالبيين وعالمهم وزعيمهم، جمع إلى رئاسة الدين و زعامة الدنيا لعلو همته وسماحة نفسه، وعظيم هيبته وجليل بركته. وإلى ذلك أشار ابن مهنا في « عمدة الطالب» بنقله عن الشيخ أبي الحسن العمري النسابة « أن الشريف أبا أحمد أجل من وضع على رأسه الطيلسان وجر خلفه رمحا (أراد: أجل من جمع بينهما) وكان قوي المنة شديد العصبة، يتلاعب بالدول، ويتجرأ على الأمور»[٨]

وأمه فاطمة بنت الحسن (أو الحسين) بن أحمد بن الحسن بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن عمر الاشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (المتوفى سنة ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥م)[٩].

كان جده المرتضى الثاني لأمه الملقب بالنصر الكبير (ت، ٣٠٤هـ/ ٩١٦م) ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان [١٠].

أما أخوه الشريف الرضي، فيقول النجاشي: مات لخمسٍ بَقَيْنَ من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦ هـ/ ١٠٤٤م) وصلّى عليه ابنه في داره ودفن فيها، وتولَّيتُ غسله ومعي الشريف أبو يعلي محمد بن الحسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز[١١]. قيل ونُقل جثمانه بعد ذلك من بغداد إلى كربلاء ليُدفن بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام[١٢]. ويؤيد ذلك ما ذكره ابن ميثم (المتوفى ٦٧٩ ه/ ١٢٨٠مـ). إذ يقول في شرحه لنهج البلاغة: دفن السيد الرضي مع أخيه المرتضى إلى جوار جده الحسين عليه السلام[١٣].

ولكن يستبعد القزويني نقل الجثمان إلى كربلاء، ويقول بأن هذا القول «على شهرته لا ينهض بقيام الدليل على نقله» [١٤].

وذلك بسبب تضارب الروايات التاريخية في ذلك إضافة إلى عدم وجود موضع لقبره في مدينة كربلاء، وإنما هناك مزار له في مدينة الكاظمية[١٥] .

اما ولده فقد جاء في كتاب «أدب المرتضى»[١٦]. أنجب المرتضى ولدا كناه «أبا محمد» وكان حريصا على تربيته تربية عالية ولكنه فيما ظهر لي (كذا يقول مؤلف الكتاب) لم يكن على شيء من العلم لأنه لم يذكر في تراجم أعلام الإمامية.

نشأ الشريف المرتضى في ظل هذه الأسرة الدينية النبيلة ذات الوجاهة العالية والشرف الكبير فكان المرتضى وارثا للزعامة العلوية، كما تؤكد قصائد شعره المبكرة[١٧].

وقد حرصت أسرته على تعليمه منذ نعومة إظفاره فقد أخذته أمه إلى فقيه الإمامية محمد بن نعمان المعروف بالمفيد (ت، ٤١٣هـ/١٠٢٢م) ليتعلم الفقه، ومن البعيد أنْ يكون قد درس الفقه قبل أن يتلقَ مقداراً من العلوم الأدبية والتي تُعد مقدمة

للفقــه. وتُراثــه العلمــي دليل صادق عــلى أنّه بذل قصــارى جهــده منذ الصغر في طلــب العلم بحيث أصبح مرجعــاً في الفقه والكلام في ســن الســابعة والعشريــن وكان يرجــع إليــه بعــد ذلــك الإمامية وغيرهم من البلاد الإســلامية المختلفة عبر الرسائل والكتــب[١٨].ثم يتعلــم الأدب والبلاغــة وهو صبي لم يتجاوز الخامســة عشرة مــن العمر على يد عبد العزيــز بن عمر أو ابن محمــد المعروف بابن نباته الســعدي (ت، ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) وكان الســعدي هذا كما يقول الثعالبي (من فحول شــعراء العصر وآحادهم وملكوا رق المعاني)[١٩].

وتشــير عبارات المؤرخين وتعليقاتهــم ان المرتضى كان ذكيــا وطموحــا، مثابرا للعلم مؤثرا لمجالســة العلماء منذ حداثة سنه[٢٠].

لقد عين والد المرتضى نقيبا للطالبين وفق مرسوم خاص صادر من الخليفة سنة ٣٨٠/ ٩٩٠م وعين المرتضى واخوه الرضي نائبين عن ابيهما [٢١]. وقد توثقــت علاقة المرتضى بعدد من ســلاطين وامراء بنــي بويه وفق ماتؤكد مجموعة كبيرة من قصائد ديوانــه[٢٢].

كان الشريــف المرتــضى ربــع القامــة نحيــف الجســم أبيض اللون حســن الصورة.

اشــتهر بالبذل والســخاء والإغضاء من الحساد والأعــداء، وقد منــي بكثير من هــؤلاء، وديوانه طافــح بالشــكوى منهــم والايصــاء بالتجــاوز عنهم والكف عن مقارعتهم[٢٣].

توفى المرتضى لخمس بقين من شــهر ربيع الأول «ســنة ٤٣٦ / ١٠٤٤م» ببغــداد، وصــلى عليه ابنــه في داره، ودفن فيها عشــية ذلك اليوم، ثم نقل بعــد ذلك إلى كربلاء ودفــن بجوار أجداده عنــد قبر أبيه وأخيه الــرضي وجده إبراهيم[٢٤].

ابن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

دَرَس هــو وأخوه الشريف الــرضي اللّغة والمبادئ عند ابــن نباتــه الســعدي والفقه والأصــول لدى الشــيخ المفيد وتتلمذ على يد أبي عبد الله المرزباني في الشعر والأدب ويروي عنه أكثر رواياته في كتاب الأمــالي ويــروي كذلك فيــه عن أبي القاســم عبيد اللــه بن عثمان بن يحيى بن جنيقــا الدقّاق، وأبي الحسن علي بن محمد الكاتب، وله أساتذة وشيوخ آخرون في الحديث والفقه والعلوم الأخرى[٢٥].

وكان ممن يحضر مجالس درسه وحلقاته العلمية أبو العلاء المعري، فقد ســكن في بغداد، وعندما عاد من العراق إلى المعرة ســنة (٤٠٠ هــ) سألوه كيف وجدت السيد المرتضى؟ فقال :

لو جئته لرأيت الناس في رجل

والدهر في ساعة والأرض في دار [٢٦].

● المبحث الثاني : مكانته العلمية :

أقوال العلماء فيه :

لقــد أطــراه كلّ مــن ترجم لــه وتعرّض لســيرته بأجمل العبارات وأجزلها، وأحكم الجمل وأفضلها، مفصحــةً عن أدبه وشــعره وفضائله، اخترنا منها جُملاً يسيرة، وهي:

يقول الثعالبي (ت ٤٢٩ هــ/ ١٠٣٧م)

ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلّى مع محتــده الشريف ومفخره المنيف، بأدبٍ ظاهــر، وفضل باهــر، وحظٌ من جميع المحاســن وافر، ثمّ هو أشــعر الطالبيين من مضى منهم ومن



غبَر، على كثرة شعرائهم المفلقين: كالحِمّاني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم، ولو قلت: إنّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق، وسيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القِدح، الممتنع عن القَدح، الذي يجمع إلى السلاسة متانةً، وإلى السهولة رصانةً، ويشتمل على معانٍ يقرب جناها، ويبعد مداها[٢٧].

ويقول الباخرزي (ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م):

وأنا إذا مدحته كنت كمن قال لذُكاءٍ: ما أنورك! ولخُضَارةٍ[٢٨]. ما أغزرك! وله شعر إذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه، وعقد بالنجم نواصيه، وإذا نسب انتسب رقّة الهواء إلى نسيبه، وفاز بالقِدْحِ المعلّى في نصيبه، حتّى إذا أنشد الراوي غزليّاته بين يدي العِزهاة[٢٩]، لقال له من العزّ: هات، وإذا وصف فكلامه في الأوصاف أحسنُ من الوصائف والوصّاف، وإن مدح تحيّرت فيه الأوهام بين مادحٍ وممدوحٍ، له بين المتراهنين في الحلبتين سبق سابق مَروح، وإن نثر حمدت منه الأثر، ورأيت هناك خرزات من العقد تنفضُّ، وقطرات من المزن ترفضّ، ولعمري إنّ بغداد قد أنجبت به فبوّأتهُ ظِلالها، وأرضعته زُلالها، وأنشقته شمالها، وورد شعره دجلَتها فشرب منها حتّى شرق، وانغمس فيها حتّى كاد يقال:غرق، فكلّما أُنشدت محاسن كلامه تنزّهت بغدادُ في نضرة نعيمها، واستنشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها[٣٠].

وقال ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م):

كان رحمه الله عالماً أديباً، وشاعراً مُفلِقاً، فصيح النظم، ضخم الألفاظ، قادراً على القريض، متصرِّفاً في فنونه، إن قصد الرِّقّة في النسيب أتى بالعجب العُجاب، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يُشَقُّ فيه غباره، وإن قصد في المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعٌ أنفاسها على أثره، وكان مع هذا مترسِّلاً ذا كتابةٍ قويّةٍ، وكان عفيفاً شريف النفس، عالي الهمّة، ملتزماً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحدٍ صلةً ولا جائزةً حتّى إنّه ردَّ صِلات أبيه، وناهيك بذلك شرفَ نفسٍ[٣١].

وقال أبن خلكان شمس الدين أبو العباس (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) [٣٢].

كان نقيب الطالبين وكان إماماً في علم الكلام والأدب.

أما الذهبي، شمس الدين (ت،٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م) [٣٣] فقد قال: ديوان المرتضى كبير وتواليفه كثيرة، وكان صاحب فنون.

وذكره الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت، ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) [٣٤] فقال :

كان فاضلاً ماهراً أديباً متكلماً، له مصنفات جمة على مذهب الشيعة.

وعند يوسف بن يحيى الصنعاني (ت١١٢١هـ/ ١٧٠٩م) هو:

فاضل، تزاحمت مناقبه، وغلبت في حلبة الفخار مناقبه، فهو يفتخر بغير الشعر كأبيه، وإنّما رقّ لعصابة الشعر ففصلها بلآلئ فكرته لكلّ نبيه، وما رضي في مواشاته بغير السبق، فأضحى رأس الصناعة ومن ينكر يُضرب على الفرق، فنظم ما هو أعبق من المنثور، وأبهى من العسجد في جيد اليعفور، معاني كمعاني الشعب طيباً، وكمنزلة الربيع من الزمان حبيباً، لا تمليها رتوت الشعر في إنشادها[٣٥].

ووصفه السيّد محسن الأمين (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م) فقال :كان أوحد علماء عصره، وقرأ على أجلاّء الأفاضل، فكان أديباً بارعاً متميّزاً، وفقيهاً متبحّراً، ومتكلّماً حاذقاً، ومفسّراً لكتاب اللّه وحديث رسوله محلقاً، وأخفت مكانة أخيه المرتضى العلميّة شيئاً من مكانته العلميّة، كما أخفت مكانته الشعرية شيئاً من مكانة أخيه المرتضى الشعرية[٣٦].

ولم تكن آراء المتأخرين فيه لتقل عما سبق قوله [٣٧] .

● **المبحث الثالث: مؤلفاته:**

طبعت بعض مؤلفاته ضمن مجموعات أخرى في الوقت الحاضر والكثير من الرسائل في المجموعات المطبوعة[٣٨]. وسنشير إلى بعض مؤلفاته والتعريف بها حيث بلغت١٢٣ مؤلفا[٣٩] وهي :

– الانتصار: كتاب في الفقه يتضمن ما انفرد به الإمامية من أحكام قطعا أو ظنا. ويشتمل على ٣١٩ مسألة فقهية[٤٠].

– الناصريات: يتضمن هذا الكتاب ٢٠٧ مسألة فقهية وعقائدية [٤١].

– الشافي في الإمامة: لقد ألّف السّيد هذا الكتاب كنقد لكتاب المغني من الحجاج تأليف العالم المعتزلي المعاصر له القاضي عبد الجبار[٤٢].

– **إنقاذ البشر من الجبر والقدر** [٤٣].

– **تنزيه الأنبياء:** وتدور مسائل الكتاب المختلفة حول النقطة المحورية وهي الخلاف بين الإمامية والمعتزلة في مسألة عصمة الأنبياء[٤٤].

– **الأصول الاعتقادية:** ألّفت هذه الرسالة الصغيرة للبحث عن صفات الله عز وجل. والنبوة، والإمامة، والبعثة، والوعد والوعيد، والشفاعة، وعذاب القبر، وفناء العالم، والميزان والصراط، والجنّة، والنّار [٤٥].

– مقدمة في الأصول: يبحث فيها السيد بإيجاز أصول عقائد الإمامية [٤٦].

– العدد أو الرّد على أصحاب العدد: يردّ السّيد في هذه الرسالة القول بأنّ الصوم يثبت بإكمال العدد (لثلاثين يوماً) ويعتبر الهلال معياراً للعمل.. [٤٧].

– ديوان المرتضى: تصل أشعار السيد المرتضى كما يظهر لدى بعض المؤرخين إلى عشرين ألف بيت، ويبدو من كتب التراجم أنّ الكثير من المؤلفين في العصور المختلفة كانوا قد حصلوا على نسخ من الديوان [٤٨].

– شرح قصيدة السيد الحميري: وهي قصيدة في مدح الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام[٤٩].

– الغرر والدرر وآمالي المرتضى.

– الذريعة إلى أصول الشريعة: يتناول الكتاب أصول فقه الشيعة الإمامية في أربعة عشر بابا [٥٠].

● **المبحث الرابع:**

إنّ المكانة العلمية للسيد المرتضى غنية عن البيان فهو دون شك من أكبر علماء الشيعة الإمامية ويظهر من مؤلفاته الكثيرة في العديد من علوم عصره كالكلام والفقه والأصول والتفسير والفلسفة الإلهية والفلك وأقسام الأدب كاللغة والنحو والمعاني والإنشاء والشعر وأمثالها فهو أستاذ ماهر بل وحيد عصره. وكان قد انصبّ أكبر جهده على الفقه والكلام والأدب وقد خدم المذهب الإمامي من خلال هذا الطريق وأدّى إلى إستحكام آرائه الأصلية والفرعية.

ويقوم منهجه في الأصول على الدليل العقلي ومن هنا لا يختلف مع الأشاعرة فقط وإنّما مع أهل



الظاهـر مـن الإمامية. ولـم يعمـل في الفقه بخبر الواحـد وكان يسـتفيد في اسـتنباط الأحـكام من الأدلـة الأصولية اللفظية والعقليـة وهذا ما يميزه عن المحَدِّثين والإخباريين من الإمامية[٥١] إنّ السيد المرتضى فقيه الإماميـة ومتكلمهم ومرجعهم بعد وفاة أستاذه الشيخ المفيد، وكتابه الشافي في الإمامة أوضح دليل على تعمّقه في علم الكلام والمناظرة في كلّ مذهب.

ورسـائله وكتبـه في الفقـه والأصول شـاهد على تسـلّطه. ويأتـي كتابـه الأمـالي في الأدب واللّغـة والتفسـير والتاريخ والتراجـم كبرهان ناصع على سـعته المعرفية في العلوم.[٥٢] يقول تلميذه الشيخ الطوسي [٥٣]:

هو متوحّد في علومٍ كثيرة، مجمَع على فضله، مقدمٌ في العلـوم مثل علم الـكلام والفقه وأصـول الفقه والأدب والنحو والشعر واللّغة وغير ذلك [٥٤].

ويقـول النجاشي: حاز من العلوم مـا لم يُدَانه أحد في زمانه، وسـمع من الحديث فأكثر وكان متكلمـاً شـاعراً أديبـاً عظيـمَ المنزلـة في العلم والديـن والدنيـا.[٥٥].

لقد كان السـيد المرتضى عماد الشـيعة ونقيب الطالبيـين في بغـداد وأمير الحـج والمظالم بعد أخيـه الرضيّ وكان ذلك منصب أبيهما من قبل. وكان يدفـع الرواتب لتلامذتـه حيث يدفع لأبي جعفـر الطـوسي اثني عـشر ديناراً في الشـهر، والقـاضي ابـن الـبراج ثمانيـة دنانـير. ويُعدّ الشـيخ المفيد أهم أساتذته ومع ذلك كان يروي عن بعض مشـايخ المفيد فهو يـروي كثيراً على سـبيل المثال عـن أبي عبد اللـه محمد عمر ابن المرزبانـي البغدادي (المتـوفى ٣٧٨هــ) حديث خطبـة الزهـراء عليها السـلام والتـي رواها في كتابه الشافي [٥٦].

وكان لــه بيتاً كبـيراً قد اتخذه مدرسـة يُدرّس فيها طـلاب الفقـه والـكلام والتفسـير واللّغة والشـعر والعلوم الأخرى كعلم الفلك والحساب وتجري فيهـا المناظرات. ولم تقتصر المدرسـة هـذه عـلى الطلبـة الشـيعة وإنّما كانـت تضم طلاب العلم من كل مذهب وفرقة [٥٧].

- **المبحث الخامس: ميوله ومعتقداته:**

كان الشريـف المرتـضى ميالا إلى الزهـد في الدنيا راغبـا عنها، ذامـا لها، داعيـا إلى الاعتبـار فيها، سـالكا سـبيل أجداده الكرام، مـن جعلها مجازا للآخرة ومـزادا لدار القرار لذا نجد ديوانه يفيض بالقصائـد في ذم الدنيـا والحـث عـلى الزهد فيها والاعتبـار بتقلـب أحوالها، وفنـاء نعيمها، ثم هو يصف مقابرها، ويرثـي مقبوريها، ويدعو كذلك إلى تكميـل النفس وتهذيبها، وغـرس مواد العزة فيهـا بنبذ الحرص، وترك الطمع، والتحلي بجمال العلم وخصال الخـير، فمن ذلك قوله في ذم الدنيا والحث على الزهد فيها:

أفي كل يوم لي مني أستجدها وأسباب دنيا بالغرور أودها ونفس تنزى ليتها في جوانح[٥٨] كان الشريف المرتـضى، يذهب في أصـول عقائده مذهب سـائر الشـيعة الإمامية من قولهم: بتوحيد الله عز وجل، وعدله وامتنـاع صدور الظلم منـه، وهم ينهجون بذلك منهج أغلب المعتزلة الذين يسـمون أنفسـهم بالعدلية أو أهل العـدل، ويقولون: بنفي الصفات الإلهيـة الزائـدة على الـذات، إذ يـرون أن صفاته

سبحانه هي عين ذاته، ويذهبون إلى أن تحسين الشيء أو تقبيحه أمر عقلي أي يدرك بالعقل كعلمنا بحسن الصدق النفع وقبح الكذب الضار وغيرهما من الأمور البديهية، وإن كانت بعض الأحكام التكليفية كالعبادات مثلا لا يمكن استقلال العقل بالحكم فيها بالحسن أو القبح إلا عن طريق الشرع، فما ورد الشرع بحسنه أو قبحه أمر لا مجال للعقل في تحسينه أو تقبيحه، فمرتبة العقل بعد مرتبة الشرع بلا جدال[٥٩].

يدل علم الشريف المرتضى بغريب اللغة على اطلاع واسع على لغة العرب بدراسة علومها ومعرفة لسانها في مختلف ديارها ومواطنها، وقد كان الشيخ عز الدين أحمد بن مقبل [٦٠]. يقول: لو حلف إنسان أن السيد المرتضى كان أعلم بالعربية من العرب لم يكن عندي آثما، وكتابه الأمالي المعروف بـ « غرر الفوائد ودرر القلائد » يشتمل على محاسن فنون تكلم فيها في النحو واللغة والشعر والتفسير والكلام وغير ذلك، حتى أن شيخا من شيوخ الأدب بمصر قال فيه: والله إني استفدت من كتاب الغرر مسائل لم أجدها في كتاب سيبويه وغيره من كتب النحو[٦١].

كما كان له أشعاره التي دلت على موهبته العالية في هذا الجانب[٦٢]، ولاسيما قصائده في رثاء الإمام الحسين(ع)[٦٣].

- **المبحث السادس :**اثر الشريف المرتضى في الحركة العلمية في بغداد:

يجمع عدد من المؤرخين والأدباء والعلماء الذين عاصروا المرتضى على أن المرتضى كان من ابرز علماء عصره في الفقه والأصول وعلم الكلام والعقائد والتفسير، وانه كان أديبا مبرزا وناقد بصيرا بمعاني الشعر وفنون البلاغة ورواية ثقة للشعر وإخبار العرب [٦٤] ويشيد بعظهم بمنزلته العلمية فيعتبره إمام عصره في علوم الشريعة واللغة والأدب في العراق.

يقول ابن بسام الشنتريني دالا على مرجعية المرتضى في المعارف السابقة الذكر: (وكان هذا الشريف إمام من أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها، وعنه اخذ عظماؤها، صاحب مدارسها وجماع شاردها وأنساها، من سارت إخباره وعرفت إشعاره) [٦٥]ويتبعه في ذلك عبد الملك الثعالبي، فيصرح بقوله «وقد انتهت الرياسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف، والعلم والأدب والفضل والكرم» [٦٦] بينما يصادق ابن خلكان على ان المرتضى «كان مجمعا على فضله،وانه توحد في علوم كثيرة، مثل علم الكلام والفقه وأصوله والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغيرها»[٦٧] .وهكذا يؤيد تفوق المرتضى في الحقول العلمية والأدبية المذكورة كلها عدد من كبار المؤرخين والمفكرين حتى من اولئك الذين خاصموه وتحاملوا عليه لاختلافهم معه في بعض المسائل العقائدية [٦٨].

أما عند الشيعة الإمامية، فان المرتضى يعد من أعاظم المراجع في الفقه والأصول كما يعد عندهم الرائد الأول في تبسيط فقه الإمامية وتوضيح أصوله ميز بينهم وبين فرق الشيعة الأخرى كالزيدية والإسماعيلية وما تفرع منها أو إنحدر منها[٦٩].وهذا الاعتقاد مازال مصادقا عليه لدى علمائهم ومفكريهم حتى عصرنا الحاضر[٧٠].



يقـول ابـن حجـر العسـقلاني «أن المرتضى كان لايؤثـر عـلى العلـم شـيئا وانـه جعـل داره للعلم وقدرهـا للمناظـرة »[٧١]. وان المرتـضى كان لـه مجلس علمي يحضره الفيلسوف أبو العلاء المعري (ت،٤٤٩ه/١٠٥٧م) وإمام النحو واللغة المشهور عثمان بن جني (ت،٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)[٧٢].

إن تلـك المناظـرات والمجالـس العلمية قـد بلورت شـخصية المرتضى وزادت من عطائـه العلمي وإذا أضيـف إلى عطائه الفكري انه كان شـغوفا باقتناء الكتـب وقراءتها وانـه كما يقـول صديقه القاضي التنوخي ويمتلك مكتبة ضخمـة نضم ثمانين إلف مجلد في مختلف العلوم والفنون[٧٣].

لقـد كان اهتمـام المرتـضى وتأثـيره العلمي على الحيـاة العلميـة والفكريـة في العـراق انـه كان يتعهد لطلابه وملازمي مدرسته ومجلسه العلمي بمكافـأة مالية جيدة، بل انه كان يتعهد لبعضهم بما يكفي من المئونة لمعيشـتهم وانه أوقف قريته الزراعيـة ومن أملاكه على قراطيـس الفقهاء[٧٤]. كما فتح مكتبته الخاصة لكافة طلابه مما سـاعد على زيادة الاهتمام العلمـي والثقـافي في العـراق.

ان جعـل المرتـضى مـن داره مجلسـا للمناظـرة ومدرسـة خاصة عائدة له يـصرف عليها من ماله الخاص مما شـجع الطلاب المعوزين إلى الانضمام إلى مدرسـته وحضور درسـه، وقد ذكر المؤرخون ان عدد من الطلاب الذيـن تتلمذوا على يد المرتضى وحضروا في مدرسته قد نبغوا بعد ذلك في التحصيل والـدرس[٧٥]. ويمكن ان يكـون للتلميذ مثل هؤلاء الطلبة وبالعدد الذي أشار إليه المؤرخون دلالات من أبرزها إن من شأن ذلك ان يدفع رجلا طموحا مثل المرتـضى إلى تكريس الوقت والجهد لفعالية فكرية وتحصيل مكثـف وبحث علمي وثقـافي متواصل، يعده لما تصدر له، ويجعل منه أستاذا قديرا متمكنا من العلوم والموضوعات التي يدرس ويباحث فيها ويتصدى لها، بنحو مواز لمقامه ومكانته الاجتماعية وسـمو تطلعاته. وقد اسـتطاع بالفعـل أن يخرج تلاميـذ أصبحوا فيما بعد نوابـغ أو إعلام عصرهم في العـراق، في الفقـه والأصول والعقائـد والكلام، مثل حمـزة بن عبد العزيز الديلمي الملقب بسـلار (ت، ٤٤٨ه/ ١٠٥٦م)، والقـاضي عبـد العزيز بن البراج (ت،٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) والقاضي محمد بن علي الكراجي (ت،٤٤٩هـــ/ ١٠٥٧م) ومحمد بن الحسن الطوسي (ت، ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) وهو من أشهرهم واجلهم.

ولا شـك ان جانبا كبيرا من تكوين الرصيد العلمي والمعرفي الوافر لهـؤلاء العلماء وفي تنمية مهاراتهم وإعدادهـم وتوجيههم لما كرسـوا مـن اجله يعود لأستاذهم الشريف المرتضى، وفي ضوء ذلك ودلالاته الواضحة عـلى مكانته العلمية والثقافية من جانب وعلى نفوذه وقوة شخصيته من جانب أخر[٧٦].

❋ هوامش البحث:

(١) ينظـر ترجمتـه في المصـادر التاليـة: الثعالبـي، عبد الملك،النيسـابوري أبـو منصـور (ت، ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) يتيمـة الدهـر، شرح وتحقيـق: د. مفيد محمـد قمحية، (١٤٠٣هـــ/ ١٩٨٣م)ج٣، ص ١٥٥؛ النجاشي،أبـو العباس احمد بن على بن احمد الاسـدي الكوفي (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) رجـال النجاشي، تحقيق: الحجة السـيد موسى الشـبيرى الزنجانـى النـاشر: مؤسسـة النشر الاسـلامي التابعة لجماعة المدرسين (قم المشرفة، بلا) ص١٠٦٥؛ ١.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، (بيروت، بلا)ج٣،ص٤٠.

(٢)آغا بزرك الطهراني محمد ابن محمد رضا محسن (ت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) طبقات أعلام الشيعة، (بيروت،بلا)ص١٢٠-١٢١.

(٣)كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ١٩٨

(٤) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت،٤٦٠هـ/ ١٠٥٠م)، الفهرست، تصحيح: سيد محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الرضوية، (النجف، د.ت.) ص١٢٥؛ الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية (النجف الاشرف، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ص٤٨٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٣١٣؛ ياقوت الحموي، ابن عبدالله الرومي (ت، ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الإرشاد (معجم الأدباء) دار إحياء التراث العربي (بيروت، بلا)، ج٥، ص١٧٣.

(٥)الشريف المرتضى،الانتصار،ص٩.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، دار الكتب (القاهرة، ١٣٥٧هـ)ج٤، ص٢٢٣.

(٧)ابن الجوزي،المنتظم،ج٧،ص٢٢٦-٢٢٧

(٨) ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت، ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.قام بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني. منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية (النجف الاشرف، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) ص ١٩٢.

(٩)الشريف المرتضى،الانتصار،ص١١-١٢.

(١٠) أبو الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي (القاهرة، ١٣٧٨ه/ ١٩٥٩م) ج١، ص٣٢-٣٣.

(١١)النجاشي،رجال النجاشي ص٢٧٠.

(١٢) الجعفري، سيد محمد مهدي، سيد رضي، (طهران،١٣٧٥هـ).ص٣١.

(١٣) ابن ميثم البحراني،(ت، ٦٧٩ هـ/١٣٧٧م) شرح نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، (قم المقدسة، ١٣٦٢ هـ)ج١، ص٨٩.

(١٤)القزويني، مهدي، (ت، ١٣٠٠ه/١٨٨٢م)، كتاب المزار، دار الرافدين، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٢٥٢.

(١٥)القزويني، كتاب المزار، ص٢٥٤.

(١٦)عبد الرزاق محي الدين، أدب المرتضى، مطبعة المعارف (بغداد،١٩٥٧م)ص٧٨

(١٧)ديوان الشريف المرتضى، تحقيق، رشيد الصفار المحامي، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، ١٩٥٨م) ج١، ص٢٧٩-٢٨٤، ج٢، ص٧-١٢، ج٣، ص٣١.

(١٨) الكرجي، أبو القاسم، تاريخ فقه وفقها، (طهران، ١٣٨٥هـ)ص١٤٨.

(١٩) الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،ج٢، ص ٣٨٠

(٢٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١، ص٤١؛ الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي، (ت، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات الدار الإسلامية، الطبعة: الأولى (قم،١٩٩١)، ج٤، ص٢٩٥.

(٢١)ابن الجوزي،المنتظم،ج٧،ص١٥٣.

(٢٢) ديـوان الشريف المرتـضى، ج١، ص١١، ص١٠١.
(٢٣)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص١٣.
(٢٤)المصدر نفســه،ص٥٧.
(٢٥)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٢٤.
(٢٦)الطـبرسي، أحمـد بن علي (ت،٥٤٨هــ/١١٥٣م) الاحتجاج، تصحيح السـيد محمد باقر الخرسان، مطابع النعمـان، (النجـف الاشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.)ج٢، ص٣٣٦.
(٢٧)يتيمـة الدهـر، ج٣،ص١٥٥.
(٢٨)الخضـارة: البحـر. الجوهري، أبو نصر إسـماعيل بن حمـاد (ت،: ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) الصحـاح تاج اللغة وصحـاح العربية،تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور عطـار النـاشر: دار العلـم للملايـين الطبعـة: الرابعـة (بيروت ١٤٠٧هــ/١٩٨٧)ج٢،ص٢٠٨«خـضر».
(٢٩)رجلٌ عِزْهاةٌ، وعِزْهَاءَةٌ: لا يَطْـرَبُ لِلَّهوِ ويَبْعُدُ عنه. الجوهـري،الصحـاح،ج٦،ص١٤٣«عـزه».
(٣٠)الباخـرزي، دمية القـصر وعُصرة أهل العصر ج٧، ص٢٩٢.
(٣١)أبـن أبـي الحديـد، شرح نهـج البلاغـة ١:٣٣.
(٣٢)وفيـات الأعيـان، ج٣ ص٣١٣.
(٣٣) الذهبي، سـير أعلام النبلاء ـ،ج١٧ ص٥٨٨.
(٣٤)الصفـدي، صلاح الدين خليل بـن أيبك بن عبد الله (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) الـوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرنـاؤوط وتركي مصطفـى، دار إحياء التراث (بيروت، ١٤٢٠هــ/ ٢٠٠٠م)،ج٦،ص٣٦٢.
(٣٥)الصنعاني. ضياء الدين يوسـف بن يحيى الحسني اليمني،. نسـمة السحر، تحقيق: كامل سليمان الجبوري النـاشر: دار المـؤرخ العربـي، الطبعـة: الأولى (بيروت، لبنـان ١٩٩٩.)ج٣،ص٥٢.
(٣٦)أعيان الشـيعة ج٩،ص ٢١٨.
(٣٧)الغدير في الكتاب والسـنة والأدب، مؤسسة الاعلمي للمطبوعـات الطبعـة: الأولى (بـيروت،١٩٩٤) ج٤: ص،١٨١ ـ ١٨٢.
(٣٨)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٤٨-٥٧.
(٣٩)الطـوسي، الفهرسـت، ص١٥٧؛ الخوانسـاري، روضات الجنـات، ج٤، ص٢٤؛ الـزر كلي، الإعلام، ج٧، ص٢٤٥.
(٤٠)الكرجـي،تاريـخ فقـه وفقهـا،ص١٥٩-١٦٠.
(٤١)المصدر نفســه، ص١٦٠.
(٤٢)المصدر نفســه، ص١٦١-١٦٢.
(٤٣)المصدر نفســه، ص ١٦٢.
(٤٤)الكرجـي،تاريـخ فقـه وفقهـا،ص١٦٢-١٦٣.
(٤٥)المصدر نفســه، ص ١٦٣.
(٤٦)المصدر نفســه،، ص ١٦٨.
(٤٧)المصدر نفســه، ص ١٦٨-١٦٩.
(٤٨)المصدر نفســه،، ص ١٧٠.
(٤٩)المصدر نفســه، ص١٧٠.
(٥٠)الكرجـي،تاريـخ فقـه وفقهـا،ص١٧٢-١٧٣.
(٥١)المصدر نفســه، ص ١٤٩-١٤٨.
(٥٢)الكرجي، تاريـخ فقـه و فقهـاء، ص ١٤٩-١٤٨.
(٥٣)الشريـف المرتـضي،الانتصـار،ص٧-٨.
(٥٤)الطوسي، محمد بن الحسـن، الفهرسـت، ص ٩٩.
(٥٥)النجـاشي، رجـال النجـاشي، ص ٢٧٠.
(٥٦)أغـا بزرك الطهرانـي، طبقات أعلام الشـيعة، ص ١٢٠-١٢١
(٥٧)الشريـف مرتـضى،الانتصـار،ص٢٢.
(٥٨)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٢٠
(٥٩)الشريـف المرتـضى،الانتصـار،ص٢٥

(٦٠)الخونســاري،روضات الجنات ص ٣٨٥.

(٦١) الخونســاري، روضات الجنات ص ٣٨٥.

(٦٢)الأمينــي، عبـد الحســين،الغدير،ج ٤، ص،٢٦٣-٢٦٤.

(٦٣) المرجع نفســه،ج ٤،ص ٢٩٠-٢٩١.

(٦٤) ينظـر، الباخــرزي، عــلي بـن الحســن (ت: ٤٦٧ هــ/ ١٠٧٤م)، دمية القصر، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعــة المعــارف (بغداد،١٣٩٠هـــ/ ١٩٧٠م)ص٢٩؛ ياقوت الحموي الإرشــاد (معجم الأدباء) ج٥، ص١٧٣؛ ابـن الفوطي، كمــال الديـن (ت ٧٢٣هـــ / ١٣٢٣م)، تلخيـص مجمــع الآداب في مجمــع الألقــاب، تحقيــق مصطفى جــواد، المطبعة الهاشــمية (دمشــق،١٩٦٢م) ج٤، ق١، ص٦٠٠؛ الســيوطي، جــلال الديــن (ت: ٩١١هـــ/ ١٥٠٥م)، بغيــة الوعاة في طبقــات النحويين والنحــاة، تحقيق محمــد أبو الفضل إبراهيــم (القاهرة، ١٣٨٤هـــ/ ١٩٦٥م)ج٢، ص١٦٢؛الخونســاري، روضــات الجنــات،ج٤،ص٢٩٥.

(٦٥) الشنتريني، علي بن بسام،(ت، ٥٤٢هــ/ ١١٤٧م) الذخــيرة في محاســن أهــل الجزيــرة، تحقيق، إحســان عبــاس، دار الثقافة (بــيروت، ١٣٩٩هــ/ ١٩٧٩م) ق٤، ص٤٦٥.

(٦٦)الثعالبــي،يتيمــةالدهــر،ج١،ص٥٣.

(٦٧)ابــن خلــكان،وفيــات الأعيــان،ج٥،ص١٧٣

(٦٨)ابــن كثــير، البدايــة والنهايــة في التاريــخ، ج٢، ص٥٣؛ابــن العمــاد الحنبــلي، شــذرات الذهــب، ج٣، ص٢٥٦.

(٦٩) العســقلاني، احمــد بــن عــلي، (ت، ٨٥٢هـــ/ ١٤٤٨م) لســان الميــزان، مؤسســة الاعلمــي (بــيروت، ١٣٩٠ه/ ١٩٧١م)ج٤، ص٢٨٩؛ عبــد اللــه أفنــدي الاصبهانــي، ريــاض العلمــاء وحيــاض الفضــلاء ج٤، ص٦١.

(٧٠)عبــاس القمــي، الكنــى والألقــاب، ج٢، ص٤٨٠؛مصطفــى جــواد، مقدمــة ديــوان الشريــف المرتــضى، ج١، ص١٩؛عبــد الــرزاق محــي الدين، أدب المرتــضى،ص٥٧-٥٩

(٧١) ابن حجر العســقلاني، لســان الميزان، ص٢٢٣ .

(٧٢)محــي الديــن،أدب المرتــضى،ص١٢٢.

(٧٣) عبد اللــه أفندي الاصبهاني، ريــاض العلماء،ج٤، ص٢١.

(٧٤)الخونســاري، روضات الجنات، ج٤، ص.٢٩٦

(٧٥)الطــوسي، الفهرســت، ص؛ الخونســاري، روضات الجنــات، ج٤، ص.٢٩٩-٣٠٠؛ عبــد اللــه أفنــدي الاصبهانــي،ريــاض العلمــاء،ج٤،ص١٦-١٧

(٧٦)محــي الديــن،أدب المرتــضى،ص١٥٠.

AL-Sharif AL-Murtadaa

His biography and his effect on the scientific movement in Baghdad

By: Rasha Isaa Faris

Abstract

The world speaking poet and literary authors of the era is almost unanimous praise for the mentioned and was enjoyed by the Jalal personal multiplicity of talent and fame, and loudness place between scientists of his era writers of his era to have the text of many of them that it was a Muslim imams in the jurisprudence, and the interpretation, theology, the most prominent of nabgh in Arab science, literature and poetry and novel criticism of Arab news and reminded many of his writings in these areas, as noted in the Divan of poetry as contained the product of the rich, the research aims to study the biography of al-Sharif El-murtadha and its impact in the scientific movement in Baghdad, the search contains five detectives, the first containing biography ii its inception scientific and ANESTHESIOLOGY III: Scientific stature and tells us that the fourth: tendencies and beliefs, and poems and tells us that the v :After Al Sharif El-murrada on scientific movement in Baghdad and then the conclusion and sources and references.

Conclusion included the following points:

1-The stages of the life of El-murrada and passed by this personal developments reflect the elements involved in the construction of the personality and reflect the dimension of the family is an incentive to practice intellectual activities were outstanding.

2-Demonstrated his writings on a wide variety of experience and breadth of knowledge and ه is not in Islamic sciences and beliefs but to in poetry and literature also.

3-Had a significant impact on the revitalization of the scientific and intellectual movement in Iraq through his debates scientific councils and that came out of many scholars and writers.



مكانة الأندلس في التواصل الحضاري

بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية

أ.د. وجدان فريق عناد*

● المقدمة:

نشطت الحركة العلمية، في مختلف عهود الحكم العربي للاندلس فكان لها الصدارة في القرون الوسطى، إذ انتقلت العلوم منها الى اوروبا، وكانت واحدة من أهم حلقات التواصل بين علوم الحضارة الإسلامية والغربية، ولها دورها الكبير في تطور وازدهار عدد من العلوم كالطب والفيزياء والرياضيات وعدد من التطبيقات التقنية. وبما إن موضوع البحث واسع ومتشعب لذلك سنقتصر على بعض الجوانب الآتية: العلوم الطبية، العلوم الرياضية، العلوم الفيزيائية والكيميائية، العلوم الفلكية، وكان اختيارنا لهذه الجوانب من باب كونها مفتاح يقود إلى ميدان رحب فيه الكثير من الحقائق العلمية التي تثبت مكانة الحضارة الإسلامية في خدمة البشرية، لذلك كانت محاولتنا إبراز بعض مجالات اللقاء الحضاري بين الحضارتين الإسلامية والغربية، إذ قامت الأندلس بدور حضاري نتج عنه إشعاع علمي، ثقافي، عمراني، اقتصادي، اجتماعي...الخ ، أنار طريق أوروبا وهي تعتلي منصة السيادة الحضارية العالمية.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

● **أولا: العلوم الطبية**

كانت العلوم الطبية عند المسلمين تعتمد على علوم الحضارات القديمة ومعارف عصر ما قبل الإسلام فضلاً عن الطب النبوي، ثم بدأت الدراسات الطبية الإسلامية بالظهور واستمرت سواء النظرية أو التطبيقية، كما تشهد على ذلك أعمالهم الكثيرة والمتنوعة، إذ برز المسلمون بفلسفتهم بالطب وتقدمهم وإنجازاتهم في مجالات التغذية والنظافة والوقاية والجراحة وطب العيون[١].

وبعد الفتح الإسلامي للأندلس كانت جهود المسلمين مركزة على تدعيم سياستهم هناك، وكان أكثر الممارسين للطب هم المسيحيين، والمولدين واليهود. ثم شيئاً فشيئاً حدث التغيير نتيجة الاحتكاك مع المشرق، وبحلول عهد الخليفة عبد الرحمن الثاني بدأت تظهر تطورات مهمة في الثقافة والعلوم نتيجة الرعاية الواسعة من قبل الحكام[٢].

ويعد عهد المرابطين والموحدين من الحقب الذهبية بالنسبة للطب في الأندلس، فقد كتب العديد من الأطباء بحوثاً حول العلوم الطبية والأدوية، واستمر تطور العلوم في عهد الدولة النصرية. وبعد انتهاء الحكم الإسلامي في غرناطة، بقيت ممارسة الطب محصورة بأيدي المسلمين، غير أن الضياع المتدرج للنصوص العربية، فضلاً عن الصعوبات التي واجهها المسلمون في تدريس هذه النصوص العربية، جعلت هذه المهنة تنحدر شيئاً فشيئا[٣].

وكان المنهج التجريبي أساس التقدم الذي حققه المسلمون في الطب، فأطباء غرناطة في القرن الرابع عشر الميلادي مثلاً توصلوا إلى نظرية العدوى، بعد أن عانى الناس من أوبئة خطيرة[٤].

فكان الطبيب الأندلسي كما هو الحال في بلدان العالم الإسلامي صيدلي وعالم نباتي في معظم الأحيان[٥]، كما قام هؤلاء الاطباء بترجمة مجموعة من الأعمال الطبية، كما ساهموا بكتابة بحوث طبية، بقيت كمرجع طوال حقبة العصور الوسطى. كل هذا الجهد الذي بذل في الأندلس لجمع البحوث الطبية وتنسيقها تم نقله إلى أوروبا عن طريق الترجمة من العربية إلى اللاتينية، مكوناً حجر الأساس ومادة طبية غاية في الأهمية لأطباء عصور النهضة [٦].

ومن أبرز الأطباء الأندلسيين[٧]: عبد الملك بن حبيب صاحب الكتاب الطبي المختصر في الطب، وسليمان بن الحسن بن جلجل صاحب كتاب طبقات الأطباء والحكماء، وسليمان بن عبد ربه الذي ألف بحثاً حول الأدوية المركبة كما كتب قصيدة تعليمية حول الطب تحت عنوان أرجوزة في الطب، وعريب بن سعد القرطبي الذي كتب حول علم الأجنة وطب الأطفال تحت عنوان كتاب مراحل الجنين ونظام الحوال وحديثي الولادة، وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وأبو العلاء زهر أبو الطبيب المشهور بزهر وهو طبيب مرموق ومعلم ومدرب لابنه ابن زهر، وأبو مروان بن زهر الأشبيلي صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير، ومحمد بن علي القربلياني الشفرة ألف كتاباً تحت عنوان كتاب الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحة والأورام، وأحمد بن علي بن خاتمة مؤلف لعدد من الأبحاث عن وباء الطاعون، ولسان الدين بن الخطيب الذي كتب عدة بحوث حول علم الأمراض بشكل عام تحت عنوان (كتاب من طب لمن حب)،

وهو كتاب شامل يبحث في تجنب الأمراض، وابن رشد ومن أهم أعماله التي اشتهرت في الطب الأندلسي منها الكليات في الطب، وابن ميمون القرطبي الذي كتب عدة أبحاث طبية بعضها حول مواضيع محددة مثل الربو والبواسير. ومحمد بن قسوم بن أسلم الغافقي القرطبي الكحال، والذي ألف كتاب المرشد في الكحل، ولا يمكن نسيان دور ابن البيطار من مدينة مالقة وكتابه المعين في الأدوية والجامع لمفردات الأدوية والأغذية، فضلاً عن ابن جناح، وابن بكلاريش من مدينة سرقسطة، والرميلي من مدينة المرية، وأبو الصلت أمية، وابن باجة، وابن الرومية، ومحمد بن إبراهيم بن السراج، والمؤلف المجهول لكتاب (عمدة الطبيب) وكتاب (معجم لأصوات رومانسية) عمد كاتبه إلى جمع ودراسة الأعشاب التي تنمو في الأندلس وشمال افريقيا.

كان لتطور العلوم الطبية في الأندلس أثرها في النهضة العلمية في أوروبا من خلال مؤلفات أطبائها، التي انتقلت الى أوروبا بفضل الترجمة، فعلى سبيل المثال كتاب أبو مروان زهر الأشبيلي صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير، في هذا الكتاب وصف مجموعة من الأمراض المعروفة ويشرح كيفية مداواتها، يعد واحداً من الكتب الأكثر استخداماً في عصور النهضة بعد ترجمته الى العبرية واللاتينية [٨]، محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي القرطبي صاحب كتاب «المرشد في الكحل»، وفيه رسوم للآلات التي كان يستعملها في عملياته الجراحية، فكان بذلك له الفضل في تطور طب العيون في النهضة الأوروبية.

ومن الأندلس انتقلت دراسة علم الأمراض[٩]، واستئصال أي عضو من الأعضاء، ووصف خفقان القلب، والأورام، وغيرها[١٠]، وفي حالة الحمى فقد شخصت أكثر من مائة حالة، بعض هذه التصنيفات كانت بحسب مدتها، وأخرى تشخص الحمى بحسب المكان من الجسم الذي تصيبه، كذلك التشخيص بحسب المزاج الناتج عنها، كما درست حالات الحمى الناتجة عن الأوبئة وغيرها[١١]، والتدرج في مداواة المرضى. وكذلك تعلموا دراسة العقاقير، فهي تعد عملاً روتينياً بالنسبة للكثير من الأطباء[١٢].

ومن الأطباء المسلمين الذين أثروا في أوروبا من خلال ترجمة ونقل مؤلفاتهم عبر الأندلس علي بن العباس[١٣] المعروف عند اللاتين باسم (هالي أباس) صاحب كتاب كامل الصناعة الطبية، الذي كان أول كتاب طبي عربي ترجم إلى اللاتينية باسم الكتاب الملكي، وترجمه (قسطنطين الأفريقي)[١٤]، ولقي عناية فائقة، ودُرّس في أوروبا حتى أواسط القرن السادس عشر الميلادي، فكان المرجع الرئيس في علم التشريح في سالرنو في ايطاليا وغيرها للمدة من ١٠٧٠-١١٧٠م[١٥].

والرازي[١٦] الذي له مؤلفات كثيرة في علم الطب، منها: كتاب من لا يحضره الطبيب، وكتاب المنصوري، وأشهر كتبه الحاوي، وله رسالة في الجدري والحصبة، وكان كتاب الحاوي معتمد عند أساتذة الطب في أوروبا في العصور الوسطى. ومن المهم أن نذكر إن مكتبة الكلية الطبية في باريس كانت تتكون من تسعة كتب رئيسة في عام ١٣٩٥م، كان كتاب الحاوي للرازي أحدها، كما إن الملك لويس الحادي عشر أراد استنساخ

هذا الكتاب فدفع مقابل ذلك مبلغ كبير من الذهب والفضة من أجل استعارته، وطبع مرات عديدة في أوروبــا بترجمته اللاتينية[١٧]، وترجم الكتاب على يد طبيب يهودي من صقلية يدعى فرج بن ســالم ويعرف باســم (فراجوت) بأمر من شــارل الأول، وانتهــى من ترجمته عام ١٢٧٩م، إلا إنه لم ينشر إلا في عــام ١٤٨٦م، وهناك ترجمة أخرى صدرت في البندقيــة عــام ١٥٤٢م. أما كتابــه المنصوري وهــو أصغر من الحاوي فقد ترجــم إلى اللاتينية، وصــدرت أول طبعة في عام ١٤٨١م. كما ترجمت أعمال الرازي إلى العبرية والفرنسية، ومنها كتاب (اقرابازين)، وكتاب تقســيم العلل المعروف باسم كتاب التقســيم والتشــجير، ورســالته في الفصد، ومقالــة في الحــصى في الــكلى والمثانــة، ومقالة في أمراض المفاصــل، ومقالة في أمراض الأطفال، ولا يزال الغربيون ينظــرون إلى الرازي بتقدير حتى أن جامعة برنســتون الأمريكية أطلقت اسمه على أهم أجنحتها تقديراً لعلمه[١٨].

أما ابن ســينا[١٩] الذي عرف بلقب الشيخ الرئيس والمعلــم الثالــث، فمن أهــم كتبه في الطــب كتاب القانون الذي يعد موســوعة طبية جيدة التنظيم، وبفضل هذا الكتاب حاز ابن ســينا شهرة واسعة وانتــشرت أبحاثه، حتــى أن أوروبــا كانت تنظر إلى هــذا الكتاب بصفة القدســية. فضــلاً عن ذلك فالكتاب ظل معتمداً في أوروبا ستة قرون وترجمه الفرنــج إلى لغاتهــم، وأصبح مرجعا للدراســات الطبيــة، فــكان يــدرس في جامعتــي مونبيليه في فرنســا، وجامعة لوفان في بلجيــكا، وهي جامعة كاثوليكية تأسســت في ســنة ١٤٢٥م[٢٠]. وترجم كتــاب القانون في القرن الثانــي عشر إلى اللاتينية من قبل (جيرارد الكريموني)، وللتدليل على أهمية ابن ســينا أن جامعة باريس تحتفــظ حتى اليوم بصورتين كبيرتين في قاعتها الكبرى للرازي ولابن سينا[٢١].

أما ابن الهيثم[٢٢] فله بحوث مهمة في العين وكيفية تكويــن الصورة، خدمت هذه الأبحاث علوم الطب والإنسانية بشكل كبير، فهو أول من اهتم بأقسام العين ورسمها ووضع أسماء لبعض أقسام العين أخذها عنــه الإفرنج وترجموهــا إلى لغاتهم، منها الشبكية، والقرنية، والســائل الزجاجي، والسائل المائي... الخ[٢٣].

أما ابن النفيس[٢٤]فهو الطبيب الذي اهتم بالقلب والحنجــرة، وكان لأبحاثه في هذا المجال أن توصل إلى اكتشــاف الدورة الدمويــة الصغرى، ويعد هذا كشــفا للمعرفة الإنســانية، وقد عدّه علماء الغرب السلف الحقيقي لوليم هارفي في هذا المجال[٢٥].

أما الزهراوي[٢٦] فقد اشــتهر بعلــم الجراحة، وله الريــادة في اســتعمال ربط الشريــان لمنع النزيف، ومن أشــهر كتبــه كتــاب التعريف لــن عجز عن التأليــف، وهــو كتــاب عــام في الطــب، وفيه بين الزهراوي أن الجراحة علم مستقل بذاته، ومتصل بالتشريح، وبقي كتابه يدرّس في جامعات أوروبا، مثل ســالرنو ومونبيليه حتى القرن السابع عشر، وقــد طبع كتابه باللغة اللاتينية في القرن الخامس عــشر، وكان أســلوبه في جراحــة المثانــة وإخراج الحصاة دروساً متداولة بين طلبة كلية الطب وأبناء صناعته[٢٧]. ويعرف الزهراوي عن اللاتين باســم (أبو لكســيس)، وقام جيرارد الكريموني بترجمته إلى اللاتينية، وصــدرت الترجمة عام ١٥١٩م، كما ترجم الكتاب إلى البروفنسية والعبرية[٢٨].

ومـن الأطبـاء العـرب المسـلمين الذيـن ترجمت كتبهـم إلى اللاتينيـة ابـن الجـزار العربـي[٢٩] الذي قام (قسـطنطين الأفريقـي) بترجمة كتابه زاد المسـافر، بيـد أن الأخير انتحله لنفسـه، ولم يضع عليه اسـم مؤلفـه الحقيقـي[٣٠]، وقد نقل هـذا الكتـاب في حياتـه إلى الأندلـس وصقليـة، ثـم إلى إيطاليـا، وترجـم إلى اليونانيـة والعبرية فضـلاً عـن اللاتينية[٣١]. وابن رشـد الذي ترجم كتابه الكليات في الطـب، وقام بترجمته اليهودي (البـدوي بونا كوزا) وطبع مـرات عديدة . وابن زهـر الذي ترجم كتابه المجربات في الطب بفضل يهـودي مـن البندقية، وعلي بن عيـسى البغدادي المعروف عند اللاتين باسـم (جيزو هالي)، وعمار الموصـلي المعـروف باسـم (كانـا موصـلي)، إذ ترجمت رسـالتيهما في طب العيـون، وبقيت من الكتب المهمة في دراسة هذا الجانب حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. وكذلك ابن خاتمة الذي كتب عن الطاعون الذي اجتاح المرية في اسـبانيا ١٣٤٨-١٣٤٩م[٣٢]، ويعد من أعظم الكتب في هذا المرض في أوروبا بين القرنين الرابع عشر والسـابع عشر الميلاديين[٣٣].

أمـا في مجـال العقاقـير فقـد كان لـماسـويه الماردينى كتاب في العقاقير، وكان مهما للدراسـة في أوروبا لعدة قرون، كذلك كتاب الأدوية المفردة لابن وافد[٣٤].

كمـا لابد مـن الإشـارة إلى البيمارسـتانات التي كانت منتشرة في شرق الدولة الإسـلامية وغربها، إذ تحولـت إلى كليـات للطب، يفـد إليها الطلاب مـن كل ناحيـة، ولاسـيما في الأندلـس، إذ وفدت أعـداد كبيرة مـن أوروبا لتعلم علـوم الطب على يد الأطباء المسـلمين، قبل أن يؤسس الأوروبيون المدارس الطبية التي ألحقت بها المستشفيات[٣٥]. إن هؤلاء العلماء الذين تركوا آثاراً مهمة في العلوم الطبية كان لهم الأثر البالغ في تطور هذا العلم في أوروبا، وقد وصل إليهم عـن طريق المعابر التي ذكرناهـا سـابقاً، وأهمها الأندلس، لاسـيما وأن الصناعة الطبية فيها كانت مزدهرة.

● ثانياً: العلوم الرياضية

تعد الرياضيات العربية حصيلة للاتصال ومن ثم التمـازج بين تراث عدد من الحضـارات القديمة، وهي حصيلة شـهدت في مـا بعد إثـراءً مهماً من خـلال مرحلـة التجديد التـي امتدت مـن القرن التاسع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر.

وانطلاقا من هذه المساهمات النظرية والتطبيقية قدم العـرب والمسـلمون تطويرات ومسـاهمات جديدة على مـر القرون، وتحقيـق نتائج جديدة في الهندسـة ونظرية الأرقام، ودراسـة مواضيع رياضيـة جديدة (الأشـكال المسـتوية، والصلبة، والسلسـلات الرقمية)، وطرق التقريب، وابتكار تخصصات جديـدة، ومن هذه الأخـيرة ما حقق اسـتقلاله عـن تخصصـات أخـرى أكثـر قدماً، ومنها ما بقـي في طيات صفحـات التاريخ، كما هو الشأن بالنسـبة للتحليل التوافقي والمربعات السـحرية[٣٦].

وكان للأندلس دور فعال في نقل العلوم الرياضية إلى الحضـارة الغربيـة، فقد وصلـت إلى الأندلس ترجمات مهمة لمؤلفات علماء قدامى مثل اقليدس وأبولونيـو ومينيـلاو وأرخميـدس وبطليمـوس، ووصلـت أيضـاً مؤلفـات مبتكـرة للرياضيـين المسلمين مثل ثابت بن قرة وابن سنان وأبو كامل،



وعن طريق الرياضيات الأندلسية أدخل الترقيم العشري إلى أوروبا، وعرفت الأرقام التسعة منذ القرن العاشر الميلادي في الأندلس. وكان أخطر رمز حسابي اهتدى إليه المسلمون هو الصفر الذي لم تعرفه أوروبا إلا عن طريق المسلمين، ثم عرفوا النسبة بين محيط الدائرة وقطرها التي يرمز إليها بالحرف (ط)، وقسموا الأعداد إلى زوجية وفردية، وقالوا إن الواحد أصل الأعداد جميعا فردية كانت أو زوجية، ووضعوا الطرق لإجراء العمليات الحسابية، وتوسعوا في بحوث النسبة والتناسب كذلك عرف المسلمون تقسيم الحساب العملي إلى غباري وهو ما يحتاج إلى ورقة وقلم عند استعماله، وهوائي أي ذهني وهو لا يحتاج إلى أدوات في استعماله[٣٧].

وأشهر عالم رياضي هو الخوارزمي[٣٨] الذي أثر على أوروبا بأفكاره ومؤلفاته التي ترجمت إلى اللاتينية، ومن كتابه الحساب عرف الأوروبيون نظام الأعداد الهندية التي انتشرت في أغلب البلاد العربية الإسلامية، وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية، وانتشرت في بلاد المغرب العربي والأندلس، وانتقلت منها إلى أوروبا.

لقد ترجم كتاب الخوارزمي إلى الاسبانية اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، ونقل الكتاب المترجم إلى الأراضي الألمانية، وسموه (Alogorizmus)، ونظموا الأشعار باللاتينية تعليقا على نظرياته، وعرف أنصاره في اسبانيا وألمانيا وانكلترا الذين كافحوا من أجل نشر قاعدته الحسابية باسم الخوارزميون[٣٩].

أما علم الجبر فيرجع الفضل فيه إلى الخوارزمي أيضا عندما ألف كتابه (الجبر والمقابلة) وفيه شرح أصول الجبر، فقام بشرح العمليات الأربعة، وهي الكميات الجبرية، وطرحها، وضربها، وقسمتها، وأوضح ستة أنواع من معادلات الدرجة الثانية مع حلها، وتوصل إلى معرفة أحجام بعض الأجسام الهندسية البسيطة، كالهرم الثلاثي والرباعي والمخروط[٤٠]، وبقي يدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادي.

لقد حقق المسلمون في علم الجبر حل معادلات الدرجة الأولى بطريقة حساب الخطأين وتوسعوا فيها، ونقلوها إلى أوروبا، وحلوا معادلات الدرجة الثانية بطريقة هندسية، فجمعوا بين الجبر والهندسة، ووضعوا أساساً للهندسة التحليلية، مما ساعد على ظهور التفاضل والتكامل، وحلوا معادلات من الدرجة الثالثة، وبعض معادلات الدرجة الرابعة، كما عرفوا الجذور الصماء، ويعود إليهم الفضل في استعمال الرموز في الأعمال الرياضية[٤١].

وكذلك كان للعالم العربي أبو بكر محمد بن حسن الكوجي (ت ٤٠٧هـ) فضل على تطور علم الجبر في أوروبا، وهو صاحب كتاب الفخري في الجبر والمقابلة . والعالم أبو الحسن القلصادي (ت ٨٩١ هـ) وكتابه كشف الأسرار عن علم الغبار، ومن علماء الجبر أبو كامل شجاع بن أسلم بن محمد الحاسب المصري الذي نبغ بحدود القرن الثالث الهجري، وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ هـ)، وأبو الوفاء البوزجاني (ت ٣٨٨ هـ). وبفضل هؤلاء وغيرهم تقدم علم الجبر والهندسة، وساعدت أوروبا بالتقدم بالهندسة التحليلية بالتفاضل والتكامل، وفي علم المثلثات أوجد المسلمون الجداول الرياضية للجيب والمماس والقاطع وقمامه، وانتفع علماء الغرب من هذه الانجازات ونقلوها إلى لغاتهم[٤٢].

لقد شجع الحكام الأمويين في الأندلس النشاط العلمي مثل عبد الرحمن الثاني، والحكم الثاني، فنشأت مكتبات ضخمة تحتوي على مجلدات كثيرة قادمة من الشرق، فبرز رجال علم من أمثال محمد بن أرقم وعباس بن فرناس وأبو عبيدة البلنسي.

وفي القرن العاشر الميلادي نشأت مدرسة ركزت على علم الفلك، واهتمت أيضا بالرياضيات، وهي مدرسة العالم المجريطي، وكان من أكبر الداعمين للعلوم والآداب في هذا القرن الخليفة عبد الرحمن الثالث، وساعد تمتع حكمهما بالاستقرار السياسي والاقتصادي في الأندلس على الازدهار الثقافي والعلمي. وفي هذا القرن أيضاً عني بالرياضيات علماء مثل مسلمة والطبيب الزهراوي، كما برز في هذا الميدان ابن السمح بدراساته حول علم الحساب والهندسة، ووضع كتاباً حول طبيعة العدد، وشرحاً لكتاب اقليدس، ورسالة في الهندسة، وفيها تقصى الخط المستقيم والمقوس والمنحني[٤٣].

وفي القرن الحادي عشر الميلادي انقسمت الأندلس إلى دول للطوائف، تنافس حكامها فيما بينهم، محيطين أنفسهم بأفضل علماء عصرهم، وبرزت سرقسطة وبلنسية وجيان كمراكز مهمة في حقل الرياضيات، وبرز في هذا العصر ثلاثة رجال هم: ابن معاذ قاضي جيان الذي أدخل إلى الأندلس علم حساب المثلثات الجديد، الذي كان تطوره قد بدأ في المشرق، ويعد مؤلفه الأساسي المسمى «كتاب مجهولات قسي الكرة» أقدم بحث معروف في الغرب حول الهندسة الكروية، شرح اقليدس في «مقالة في شرح النسبة»، إلى جانب وضع كتاب في علم الفلك. والمؤتمن بن هود ملك سرقسطة الذي كان رياضياً بارزاً، كما عني بالفيزياء والفلسفة، ويعد كتابه «الاستكمال» مؤلفه الأهم، وهو موسوعة رياضية مخصصة للرياضيين والفلكيين والفيزيائيين، وقد وحدّ بين المعارف الرياضية الإغريقية والمشرقية، مضيفاً إسهاماته المهمة المبتكرة، وقد عالج مسائل حول نظرية الأعداد، والاحجام غير المعتدلة، والهندسة المستوية، وهندسة الكرة والمجسمات والقطوع المخروطية وغيرها. وابن سيد وهو رياضي آخر نشأ في بلنسية، وبرز من خلال دراساته في حقل الهندسة، لم يحفظ من مؤلفاته غير ما نقله عن تلميذه ابن باجة، وقد وضع كتاباً حول نظرية الأعداد[٤٤].

أما في عهد المرابطين والموحدين فقد حدث تغير في المشهد العلمي الأندلسي، على الأقل جغرافياً، فوصول المرابطين والموحدين قادمين من شمال افريقيا، إلى جانب الزحف المسيحي، جعل النشاط العلمي ينتقل بشكل أساسي إلى جنوب الأندلس، وساعدت الوحدة السياسية بين الأندلس والمغرب على حركة انتقال كثير من العلماء الأندلسيين إلى مدن الشمال الافريقي، مثل ابن الياسمين وابن منعم والقرشي، وقد أغنى هذا التنقل التبادل العلمي، وبرز في هذا العصر الكاتب السرقسطي ابن باجة، وبدأ هذا العالم الكبير تكوينه في الموسيقى والشعر، وواصله في المنطق والرياضيات، وفي مرحلة النضج انكب على دراسة الفلسفة. وضع مؤلفات كثيرة في موضوعات مختلفة في الرياضيات والفلك والفلسفة والفيزياء والبصريات وغيرها[٤٥].

وفي عهد مملكة غرناطة ورغم الظروف السياسية الصعبة استمر تشجيع العلماء، ونجد في حقل الرياضيات شخصيات مهمة مثل محمد الاشبيلي وابن رشد السبتي وابن بدر، وعلى رأسهم جميعاً القلصادي المولود في بسطة في بدايات القرن الخامس عشر، وبرز في الحساب والجبر[٤٦].

وفي علم الهندسة تعد الزخرفة الهندسية بأشكالها الفسيفسائية المتناظرة كنزاً مخفياً تكمن فيه المفاتيح للتعبير عن إنموذج اجتماعي، فقد أعطى الأندلسيون شكلاً مادياً لمعتقداتهم، وذلك في دلالة جميلة على عبقريتهم أدت إلى قدرة إبداعية لا سابق لها في صناعة الفسيفساء التي بلغت أوجها في قصر الحمراء في غرناطة. ومن المدهش جداً أن مصممي تلك الأشكال قاموا في أيامهم بتنمية جميع الامكانيات التي تبرهن اليوم «نظرية المجموعات البلورية المستوية»، التي تم تطويرها خلال النصف الثاني من القرن العشرين باستخدام الأشعة السينية[٤٧].

ولا يمكن نكران أثر الاندلس في انتقال إنجازات المسلمين الرياضية إلى أوروبا، ولاسيما عن طريق دور الترجمة المنتشرة فيها، والتي كانت نشطة في ترجمة الكتب العلمية ومنها الرياضية إلى اللغات الاوروبية بما ساهم في تطور الحركة العلمية في أوروبا.

● ثالثاً: العلوم الفيزيائية والكيميائية

تناول العلماء المسلمون مواضيع فيزيائية متنوعة مثل سكون الجماد والسوائل والحركة والبصريات، وتطرقوا كذلك للميكانيك، فقد أخذ العلماء المسلمون عن الأغريق بأمانة علمية، وأضافوا إلى أعمال سابقيهم شروحاً وتعليقات، وطوروها من خلال طروحات رياضية وتجريبية جديدة، وما زالت محفوظة إلى اليوم حوالي ستين مؤلفاً عربياً في عالم السكون، من بينها مؤلفات قيمة لابن سينا والرازي والبيروني، ومساهمات الخازني حول الجاذبية ومركز الأرض[٤٨].

كما بحث الفارابي وأبي الصلت وابن باجه وابن رشد في فلسفة الطبيعة، وطرحوا مسائل يمكن أن تعد فيزيائية إلى حد ما، فالفارابي مثلاً أنجز دراسة عن مفهوم الفراغ ترجمت إلى اللاتينية في العصور الوسطى، كما إن كتاب الهيئة للبتروجي يعد أقدم مصدر في الأندلس يتطرق لنظرية الدافع، وترجمه إلى اللاتينية ميغيل سكوتو[٤٩].

أما في مجال البصريات التي كانت أحد فروع علم الفيزياء ويعد ابن الهيثم أبرز العلماء المسلمين الذين نالت مؤلفاته شهرة وكان لها أثرها في النهضة الأوروبية، إذ استخدم منهجاً علمياً مبنياً على الاستقراء والاستنباط، وإبطال النظرية اليونانية التي كانت تدعي أن الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من العين إلى الجسم المرئي، وقدم نظريات جديدة في مجال البصر، وخصائص الضوء والألوان، مزج فيها بين الفيزياء والرياضيات والفسيولوجيا وعلم النفس، وذلك في كتابه (المناظر)، والذي ترجم إلى اللاتينية. وكان ابن الهيثم مرجعاً لروجير بيكون وعلماء ومفكرين أوروبيين آخرين، وكان معروفاً لهم باسم «الحزن» أو «الحسن»، إذ إن اسمه الكامل هو: أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم. كما اعتمد الفرس والأتراك كتبه مراجعاً وتناولوها بالتعليق. وفي الأندلس تمت ترجمة

رسالته في «المرايا المحرقة بالدوائر» إلى اللاتينية في طليطلة في القرن الثاني عشر، فضلا عن كتابات عربية مهمة في مجال البصريات، سواء منها النظرية أو التطبيقية، تناولت بالبحث مواضيع كالانعكاس والانكسار، والخسوف والكسوف، وقوس قزح، والبصر، وانتشار الضوء. وتبين الترجمات اللاتينية التي أنجزت في شبه الجزيرة الايبرية أن النصوص العربية الأصلية نقلت إلى هذه اللغات عبر الأندلس[٥٠] .

وفي مجال علم الكيمياء، كانت كلمة كيمياء تستعمل في العربية للدلالة على علم الكيمياء وعلى الكيمياء القديمة في الوقت نفسه، فبينما كان علم الكيمياء يشمل تحويل المواد لصناعة الأصباغ والمداد والعطور ومواد التجميل، واستخراج بعض المواد المستخدمة في الصناعة (النسيج والخزف والورق) وتطبيق المعارف الكيميائية في مجال صناعة المعادن وغيرها، كانت الكيمياء القديمة ذات طابع خرافي، حيث كان المشتغلون بها يؤمنون بامكانية استخراج المعادن الكريمة أو الثمينة كالذهب من المعادن الخسيسة، وكانوا يسعون إلى ابتكار اكسير الحياة أو حجر الحكمة[٥١].

وإلى غاية القرن الحادي عشر الميلادي كان هناك أكثر من أربعين عالم كيمياء قدموا مساهمات كبيرة، وبرز منهم جابر بن حيان والرازي والفارابي، وفي الأندلس مسلمة القرطبي (القرن العاشر الميلادي) والذي ألف «رتبة الحكيم»، تطرق فيه لتحويل المعادن بالحرارة، وأشار إلى تجارب مثل كيفية الحصول على أوكسيد الزئبق، بشكل يذكر بنظرية احتراق الزئبق لعالم الكيمياء الشهير لافوازييه (القرن الثامن عشر الميلادي) .

وكانت لعباس بن فرناس الأندلسي الذي حاول الطيران، مساهمات أخرى في مجال الكيمياء[٥٢]، فهو أول من استنبط استخراج الزجاج من الحجارة والرمل بالأندلس[٥٣].

● رابعاً: العلوم الفلكية

يعد التراث العربي الإسلامي في مجال علم الفلك تراثاً ضخماً نجده في الأفكار والمصطلحات العلمية والتقنية وأسماء النجوم والكواكب، وآخر ملموس يتمثل في المخطوطات والآلات، تلك الآلات والأدوات التي تعد خير رفيق لعالم الفلك، والتي كان يصطحبها في ذهابه وإيابه إلى الحواضر العلمية العربية الكبرى في العصور الوسطى، من بغداد إلى قرطبة، ومن الأندلس إلى سمرقند[٥٤].

وكان علماء الفلك والمراصد الفلكية يتوفرون على أدوات كالربع الحائطي والسمتي وذات الحلق والاسطرلاب وأدوات معقدة أخرى، وبفضل هذه الأدوات تمكن علماء الفلك من مراقبة السماء وكواكبها ونجومها، والمساهمة بنظريات فلكية، وإعداد جداول فلكية وحساب الوقت، كما استعملوها لضبط أوقات الصلاة والصوم والحج ...الخ[٥٥].

وتوجد العديد من المؤلفات التي ما زالت مخطوطة تخبرنا عن تلك الأدوات، ويرتبط تاريخ تصميم الأدوات الفلكية بتاريخ الرياضيات التطبيقية، وتطور الهندسة الوصفية، ونظرية الاسقاط. ومن بين مؤلفات العصور الوسطى حول الأدوات الفلكية بعض الأعمال التي هي عبارة عن جرد للأدوات التي كانت معروفة للمؤلف، ومن هذه الأدوات ما كان قياسياً ومعروفاً وشائع



الاستعمال، ومنها ما هو معقد هندسياً لدرجة أن المرء قد يشك أنه كان موجود في ذلك العصر. وكانت للأندلس مساهمة متميزة في صناعة الأدوات المعقدة، وكان علماء الفلك وصناع الأدوات الفلكية الأندلسيون ما بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين هم الذين يطورون الأدوات الفلكية العالمية التي كانت تعود في النهاية إلى الشرق، أو تصدر إلى أوروبا(٥٦).فقد عنى حكام الأندلس في قرطبة بإنشاء المكتبات، وبعثوا إلى المشرق أساتذة لتأهيلهم علمياً، ولكي يجلبوا كتب العلماء المشرقيين، ومنهم الأمير القرطبي عبد الرحمن الثاني الذي عني عناية كبيرة بعلم الفلك وهو أول من أدخل الجداول الفلكية إلى الأندلس، محيطاً نفسه بمجموعة من الفلكيين من بينهم يحيى الغزال، وعباس بن فرناس.

بلغ علم الفلك تقدماً كبيراً في النصف الثاني من القرن العاشر، فبرزت شخصيات مثل مسلمة المجريطي الذي أنشأ مدرسة فلكية، ولد في مدريد، ونمى نشاطه العلمي في قرطبة، وكان واحداً من الفلكيين الذين ضمهم بلاط الخليفة عبد الرحمن الثالث، عني بجداول الخوارزمي التي اعتمد فيها على كتاب «السند هند» على الإحداثيات الجغرافية لقرطبة، ومن جهة ثانية تبنى جداول البتاني التي ارتكزت على كتاب بطليموس، ولعل من ألمع تلاميذه مسلمة بن السمح القرطبي صاحب رسالة الاسطرلاب وابن الصفار(٥٧).

وخلال القرن الحادي عشر الميلادي، وأثناء حقبة ملوك الطوائف، لمع علم الفلك، وكان له بريق خاص، ففي عهد الملك المأمون ظهرت في طليطلة مدرسة فلكية مهمة، ومن بين الفلكيين الذين انتموا إليها برزت شخصية عظيمة، هو أبي اسحاق إبراهيم بن يحيى الزرقالي، وكان أهم عالم فلك في الأندلس، بدأ نشاطه في طليطلة، ثم انتقل إلى قرطبة فيما بعد، وتوفى فيها عام ١١٠٠م، اشتهر باختراعه لأجهزة فلكية، ومن الناحية النظرية كان أيضاً عالماً من الطراز الرفيع، ومن مؤلفاته الكثيرة البارزة رسائل مثل الصفيحة، وحركة النجوم الثابتة، ورسالة في الكواكب السيارة، كما كانت له مساهمة مهمة في «جداول طليطلة»(٥٨).

وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر تميز علم الفلك الأندلسي بعلاقته الحميمة والوثيقة بعلم الفلك المغربي، فالزحف النصراني المتقدم، وقيام عواصم الدول التي خضع لها الأندلس في الشمال الأفريقي ساعد على تنقل علماء الفلك بين الضفتين وانتشار مؤلفاتهم، وكان من علماء الأندلس البارزين في هذا العصر أبو الصلت الداني، وله رسالة في الاسطرلاب.

وفي عصر بني نصر زار الأندلس بعض الفلكيين المغاربة امثال ابن البناء، وفي هذا العصر برز علماء مثل ابن باصو الذي اخترع آلات فلكية، والعالم ابن الرقام وأصله من مرسية، صاحب رسالة في علم الضلال، والتي يصف فيها طريقة بناء أنواع المزاول الشمسية، وكتب أيضاً الجداول الفلكية، ومن الفلكيين أيضاً ابن القضاعي.

إن التطور الذي شهده هذا العلم في الأندلس يعود الى ركيزتين أساسيتين: تمثلت الركيزة الأولى بكتاب «السند هند»، والذي دخل مدرسة بغداد في القرن الثامن الميلادي، وقد أنجز العالم المشرقي الخوارزمي الترجمة العربية له بأسم السند هند

الصغير، ووصل هذا الكتاب إلى الأندلس في القرن التاسع الميلادي من خلال عباس بن ناصح، الذي رحل إلى المشرق، وجلب معه عدداً كبيراً من الكتب العلمية، وفي الأندلس قام أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت ٣٩٧ هـ) بتصحيح زيج الخوارزمي، وكانت هذه النسخة أساس الترجمات اللاتينية لهذا الكتاب[٥٩]، وعن طريق الأندلس دخلت تلك المؤلفات الى أوروبا.

والركيزة الثانية كتاب بطليموس أهم عالم فلك في الحضارة اليونانية، وكتابه عرض لنظرية مركزية الأرض، وحساب أمد الفصول، ودورات القمر وحركاته، وضم أيضاً مجموعة من الجداول للتنبؤ بمواقع الكواكب، ودخل كتاب بطليموس إلى الأندلس في القرن التاسع الميلادي. وقام محمد البتاني بتصحيح أخطاء بطليموس، ومن أهم مؤلفاته الزيج الصابي الذي طبع في أوروبا عدة طبعات بعد أن ترجم، وهو عبارة عن جدول رياضي عددي يحدد مواضع الكواكب السيارة في أفلاكها، وقواعد معرفة للشهور والأيام والتواريخ الماضية، والوقوف على حركة الكواكب، ويعتمد الزيج على قواعد حسابية وقوانين عددية غاية في الدقة[٦٠].

ومن أوائل كتب الفلك في الأندلس كتاب «الصلب» أول كتاب في الفلك والتنجيم في الأندلس، وقد عالج، فضلاً عن حساب مواقع النجوم، مسائل فلكية مختصة بالأرصاد الجوية، مثل تحديد أوقات نزول المطر وحصول الجفاف وغيرها، ويعد «كتاب الهيئة» للقاسم بن مطرف القطان، من أوائل الكتب الفلكية الأندلسية أيضا، وفيه وصف هذا الفلكي الكون الفيزيائي، مهتماً بقضايا مهمة لأداء الشعائر الإسلامية، مثل أهلة القمر، وتحديد الأوقات، ودرجات العرض، وغيرها.

ومن العلوم المرتبطة بالفلك علم التنجيم الذي هو فرع من علم الفلك التطبيقي، وتمكن علماء الفلك من تصميم جداول فلكية وخرائط أبراج على درجة عالية من الدقة، وكان التنجيم المرتبط بالبلاط رائجاً في الخلافة والإمارات الأندلسية، وبجانب هذا التنجيم العلمي، كان هناك تنجيم شعبي وهو أقرب ما يكون الى الشعوذة[٦١]، وفي الأندلس تطورت طرق التنجيم الرياضي، بحيث بسطت أساليب الحساب المستعملة لأبراج الطالع، فضلاً عن جداول وتقنيات رياضية كانت تستعمل لحساب إجراءات تنجيمية، مثل مطارح شعاعات الكواكب، والتسييرات، وتقسيم منازل الكواكب، فتمكنوا من وضع خرائط الأبراج التاريخية، وتقنية الاختبارات التنجيمية، وعلم الأحوال الجوية المبني على التنجيم[٦٢].

أما علم الميقات فقد كان يطبق على الشعائر الإسلامية، لتحديد منازل القمر وبعض الأعياد الدينية، مثل بداية أو نهاية شهر رمضان، وتقسيم اليوم إلى خمسة أقسام للصلوات، وتوجيه المصلين نحو القبلة في مكة المكرمة وغيرها، وكل هذه التطبيقات العملية سمحت بتطور علم الفلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي. أما كتب الأنواء في الأندلس فقد كانت هناك عناية في مراقبة السماء بغرض الحصول على معلومات قابلة للتطبيق في الحياة اليومية، مثل طرق تحديد الجهات، ومعرفة حالة الطقس، وفي القرن العاشر أنشيء في قرطبة «تقويم قرطبة» الذي حوى معلومات حول أمد الفصول ومسائل طبية

حول ما ينبغي وما لا ينبغي فعله، ومتى ينصح بالابحار في البحر المتوسط، وفي الهندسة الزراعية، وغيرها. ومن مؤلفي كتب الأنواء ابن عاصم الثقفي، وابن الكتاني، وابن خلف القرطبي.

قدمت الأندلس عدداً كبيراً من الفلكيين، ومؤلفات أصيلة، منهم الزرقالي الذي أثر في علم الفلك في الشرق والغرب في العصور الوسطى(٦٣). ومن خلالها عبرت العلوم الفلكية الى الحضارة الغربية، وكان للترجمة أثر كبير في ذلك فقد عني الملك الفونسو العاشر بذلك ومن أبرز المؤلفات في عهده كتب الحكمة، وهي الكتب المؤلفة بأمر من الملك الفونسو العاشر «الحكيم»، بين العامين ١٢٧٦-١٢٧٧م ، والتي تجمع ست عشرة رسالة علمية من التراث العربي، كرس معظمها لوصف الآلات الفلكية، ونخص منها بالذكر: الرسالة في آلة ذات الحلق، وهي ترجمة مؤلف لأبي اسحاق الزرقالي، الرسالة في الكرة السماوية «الكرة»، الرسالة في الصفيحة، الرسالة في الاسطرلاب المسطح، الرسالة في الكواكب الثابتة، والرسالة في الاسطرلاب الكروي أو الدائري، وكذلك ابن يونس المصري الذي له دراسة في كسوف الشمس وخسوف القمر والاعتدال الشمسي وتحديد خطوط الطول، كذلك أبو الوفاء البزجاني الذي اشتهر في الجداول الفلكية، ثم البيروني الذي له رسالتين في الفلك هما افراد المقال في أمر الضلال وتمهيد المستقر لمعنى الممر، وخير ما يبين تأثير المسلمين في علم الفلك، هو إن هذا العلم لا يزال مليئا بالمصطلحات ذات الأصل العربي، كالعقرب والغراب وغيرها(٦٤).

فضلا عن ذلك فقد اهتم العرب بالمراصد للتحقيق الدقيق للظواهر السماوية، وفي هذه المراصد العديد من الآلات التي كانت من صنعهم، وتمكن علماء الفلك المسلمون من التوصل إلى كروية الأرض، ودورانها حول محورها، وقدروا محيط الأرض(٦٥). ومن الأندلس انتقلت فكرة بناء المراصد الفلكية الى أوروبا.

كما اخترع العرب بعض الآلات والأجهزة القياسية مثل الرقاص الذي استعملوه في الساعات الدقاقية، ونسب اختراعه إلى أبي الوفا البوزجاني، كما أن كمال الدين بن يونس استعمل الرقاص، وكان الفلكيون يستعملون البندول لحساب الفترات الزمنية أثناء الرصد، وهم بذلك مهدوا السبيل لغاليلو لاستنباط كل القوانين التي تسود الرقاص. كذلك الإسطرلاب وهو آلة فلكية لقياس بعد الكواكب، واخترعها الإغريق وسنها بطليموس الجغرافي، ثم تولاها علماء مسلمون، حتى أخذها عنهم علماء الغرب. كما إن علماء الفلك كانوا يتمتعون بالحرية فيؤلفون ويناقشون ويبحثون في الفلك، في وقت كان التفكير في هذا يعد جريمة في أوروبا يعاقب مرتكبوها بالموت كما حصل لغاليلو الإيطالي سنة ١٦٤٢، كذلك تعرض كوبرنيكوس إلى التجريم من قبل البابا لأنه قال لكل كوكب حركتين حول الشمس وحول محوره(٦٦) .

❋ الهوامش:

(1) Dubler,Cesar E., La Materia Medica de Dioscórides.Transmisión medievaly renacentista, Barcelona, 1959, vol.9, p. 112 .

(2)García Ballester, L., Los moriscos y la medicina. Un capitulo de la medicina y la ciencia marginadas en la España del siglo XVI, Barcelona, 1984, p. 67 ; Giron Irueste, F., Los



médicos mozárabes y el proceso de constitución de la medicina árabe en al-Ándalus , Asclepio, 19781969-, p. 43 .

(3) Dubler,Cesar E., op.cit, 9/ 114 .

(4)García Ballester, op.cit, p. 72 .

(٥) وجدان فريق عنــاد، علم الصيدلة في الحضارة العربية الإسلامية، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد السابع، العدد الثالث، ٢٠١٢، ص ٣٨٤- ٣٨٧.

(6) Liavero Ruiz, E., La mediciana andalusiy suaportacion a la botanica ciencias de la Naturaleza en al-Andalus Textos y Estudios, Granada, 1990, p. 68 .

(7)Giron Irueste, F., Occidente Islámico Medieval- Historia de la Ciencia y de la Técnica, Madrid, 1994, p. 144 ; Al-Imrani, Abd Allah, Andalusian medicine : theory and practice Boletin de la Asociacion Espanola de orientalistsa , 1987, p. 54 ; Jacquart, D, Influence de la medecine arabe en Occident Medieval , en: Roshdi Rashed, Histoire des sciences arabes, Technologia, alchimie et sciences de la vie , vol. 3, Paris, 1997, p. 79 .

(8) Rosa Khune, Abu Marwan b. Zuhr un professionnel de la medecine en plein Xll siecle, en:La Patrimoine Andalous dans La Culture Arabe Et Espagnole, Tunis, 1991 , p. 133 .

(9) Vernet, J., La Cultura hispanoarabe en Oriente y Occidente, Barcelona, 1978, p. 36 .

(10) Giron Irueste, op.cit , p. 45.

(11) Savage Smith, E., Medician, en: Roshdi Rashed, Historie des sciences arabes Technologia alchimie et sciences de la vie, vol. 3, Paris, 1997, p. 221.

(12) Pena, C.; Diaz, A.; Alvarez de Morales, C.; Giron, F.; Kuhne, R.; Vazquez, C. y Labarta, A., Corpus Medicorum arabico-Hispanorum , Awraq, 4, 1981 , p. 59.

(١٣) ينظر: فــرج محمد الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيري للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، ١٩٨٦، ص ١٤٥-١٤٦.

(١٤) ينظــر: الهــادي روجــي إدريس. الدولــة الصنهاجية تاريــخ أفريقيــة في عهد بني زيري من القــرن ١٠ إلى القرن ١٢م، ترجمة حمادي الســاحلي، ج ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤٢٨.

(١٥) ماهــر عبد القادر محمد عــلي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٧٩-٨٠.

(١٦) ينظــر: القفطــي، جمــال الدين أبي الحســن علي بن يوســف (ت ٦٤٦ هـــ). أخبــار العلمــاء بأخبــار الحكماء، مطبعة الســعادة، مصر، ١٣٢٩ هــ، ص ٤١٤؛ ابن خلكان، أبو العباس شــمس الدين أحمد بن محمــد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هــ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج ٤، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص ٢٤٤؛ ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد سنة ٣٨٤هــ)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد ســيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٧٧.

(١٧) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ، ص ٥٨٩.

(١٨) ماهــر عبد القــادر محمد علي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، ص ٨١-٨٣.

(١٩) ينظــر: ابــن خلــكان ، وفيــات الأعيــان، ١/ ٤٢٠؛

إدوارد بـراون ، الطب العربي، ترجمة داود سـلمان علي، (بغـداد، ١٩٦٤)، ص ٦٣.

(٢٠) حســين أمــين، جهـود العـرب في العلـوم الطبيـة في العصريـن العبـاسي والأندلـسي، مجلة المـورد، العدد الثاني، المجلد ٣٥، سـنة ٢٠٠٨ ، ص ١٦-١٨.

(٢١) ماهـر عبـد القادر محمـد علي، مقدمـة في تاريخ الطـب العربـي،ص ٨٣-٨٤.

(٢٢) ينظر: ابن أبي أصيبعـة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسـم الخزرجـي (ت ٦٨٦ هـ). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الفكـر، بيروت، ١٩٥٧، ٣/١٤٩.

(٢٣) أحمد شـوكت الشـطي، تاريخ الطب قبل الإسلام، مطبعـة جامعـة دمشـق، دمشـق، ١٩٥٩، ص ١٢١؛ الدميـلي، العلم عند العرب وأثره في تطـور العلم العالمي، ترجمـة محمد يوسـف موسى وعبـد الحليـم النجار، دار القلم، د.م، ١٩٦٢، ص ٣٠٦؛ حسين أمين ، جهود العرب في العلـوم الطبيـة، ص ١٨.

(٢٤) نظـر: ابـن تغـرى بـردي، جمـال الدين يوسـف الأتابكـي (ت ٨٧٤ هــ). النجوم الزاهـرة في ملوك مصر والقاهـرة، ج ٧، القاهـرة ، ١٩٦٣، ص ٣٧٧.

(٢٥) سـين أمـين، جهود العـرب في العلـوم الطبية، ص ١٨.

(٢٦) ظـر: الظبي، أحمد بـن يحيى (ت ٥٩٩ هـ). بغية الملتمـس، القاهـرة، ١٩٦٧، ص ٢١٧؛ عبـاس محمـود العقـاد، أثـر العـرب في الحضـارة الأوروبيـة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٥.

(٢٧) حسـين أمين، جهود العـرب في العلوم الطبية، ص ١٨-١٩.

(٢٨) ماهـر عبـد القادر محمـد علي، مقدمـة في تاريخ الطب العربي، ص ٨٥.

(٢٩) ينظـر: ابن أبـي أصيبعة، عيـون الأنباء في طبقات الأطبـاء، ١/٣٨؛ الهـادي روجـي إدريـس، الدولـة الصنهاجيـة، ص ٤٢٧.

(٣٠) ماهـر عبـد القـادر محمد عـلي، مقدمـة في تاريخ الطـب العربـي،ص ٨٤.

(٣١) الهادي روجي إدريس، الدولـة الصنهاجية، ٤٢٧.

(٣٢) خليـل ابراهيـم السـامرائي، تاريـخ العـرب وحضارتهـم في الأندلـس، مديريـة دار الكتـب والطباعة والنشر، جامعـة الموصـل، الموصـل، ١٩٨٦، ص ٤٨٢ .

(٣٣) ماهـر عبـد القـادر محمد عـلي، مقدمـة في تاريخ الطـب العربـي،ص٨٦-٩١.

(34) Rachel Arie , Espana Musulmana siglos vlll-xv, Barcelona, 1993,p.415-422.

(٣٥) فـرج محمـد الهونـي، تاريخ الطـب في الحضارة العربية الإسـلامية، ص ١٩٩.

(36) Giron Irueste, F., op.cit, p. 48 .

(٣٧) وجـدان فريق عناد، تأثير الحضارة الأندلسـية على أوروبـا – العلـوم العقلية أنموذجـاً، مجلة كليـة التربية الأساسـية – جامعـة بابل، العـدد الثانـي، آذار ٢٠١٠، ٩٥-٩٦.

(٣٨) الفهرست، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٤٨هـ ، ص ٢٧٤ .

(٣٩) عبـد الحسـين مهـدي الرحيـم، تاريـخ الحضارة العربيـة الإسـلامية، طرابلـس، ١٩٩٥، ص ٢٠٥-٢٠٧؛ قـدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلـك، دار الـشروق، بـيروت، د.، ص ١٦٠.

(٤٠) الخوارزمـي، محمد بن موسى (ت ٢٣٢هـ). الجبر والمقابلـة، مـصر، ١٩٦٨، ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤، ٣٨، ٥٤.

(٤١) عبـد الحسـين مهـدي الرحيـم، تاريـخ الحضارة العربيـة الإسـلامية، ص ٦٠٧.

(٤٢) المرجع نفسـه، ص ٦٠٧-٦١٠.

(43) Giron Irueste, F., op.cit, p. 52 .

(44) (Emilio Gonzalez Ferrin, Historia Geni-eral de al-andalus, Segunda Edicion, Almuzara, 2007, p.431-471.

(45) Ibid, p.483.

(46) Giron Irueste, F., op.cit, p. 53 .

(47) Antonio R.Acedo del olmo ordonez, Ab

(48) bas ibn Firnas el asbio de al-andalus, Editorial la serranía,2015,p19-30.

(49) Rodrigo Gutierrez Vinuales, el legado cientifico, Ronda , 1995 , p.141.

(50) Savage-Smith, E., op.cit, 3/ 64 .

(51) Vernet, J., La ciencia en al-Andalus, Sevilla, 1986, p. 83.

(52) Antonio R.Acedo del olmo ordonez , Abbas ibn Firnas el asbio de al-andalus, p.79-100.

(53) Ibid ,p.57,123.

(54) Antonio claret dos santos, Azarquiel y Otras Historias la astronomía en al-andalus , instituto de astrfisica de Andalucía , 2005, p. 24-27.

(55) Ibid ,p.31-33.

(56) Vernet, J., op.cit, p. 84.

(٥٧) وجدان فريق عناد، تأثير الحضارة الأندلسية على أوروبا – العلوم العقلية أنموذجاً، ص ٩٦-٩٧.

(58) Roser Puig, Une connexion hispano-maghrebine dans le domaine des instruments astronomiques: La Safiha d al-Zarqalluh (Azarquiel) Xle siecie, en:La Patrimoine Andalous dans La Culture Arabe Et Espagnole, Tunis, 1991 , p. 207.

٥٩) ابن صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد (ت ٤٦٢ هـ). طبقات الأمم، مطبعة التقدم، مصر، د.ت ، ص ٦٧-٦٨.

(٦٠) القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٧٧-١٧٨؛ الدميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، دار القلم، د.م ، ١٩٦٢، ص ٢٠٨ .

(61) Antonio claret dos santos , op.cit,p. 64.

(62)Samso, J., Las ciencias de los antiguos en al-Andalus, Madrid, 1992, p. 19 .

(63)Roser Puig, op.cit, p. 212 .

(٦٤) عبد الحسين مهدي الرحيم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص ٦١١-٦١٣.

(٦٥) المرجع نفسه، ص ٦١٢.

(٦٦) بدري محمد فهد وآخرون، الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٤١.

The status of Andalusia

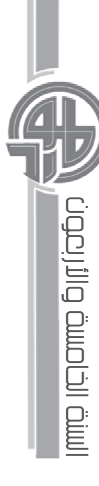
in the cultural communication

between the Islamic civilization and Western civilization

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad 

Abstract

Andalusia had a clear impact on the renaissance of Western civilization, as it was one of the most important ways in which Islamic scientific achievements were transferred to it. This research was a simple attempt to identify the most important areas of cultural exchange between the Islamic and Western civilizations, and the role of Andalusia civilization.



الجوانب الاجتماعية

في كتاب البخلاء للجاحظ (ت٢٥٥هـ)

(دراسة تحليلية)

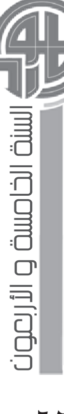
أ . م . د . أحلام محسن حسين*

● المقدمة:

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته في مجال الدراسات الاجتماعية التي تقوم على اساس دراسة تأثير التآلف الاجتماعي من زاوية آخرى لما كان سائداً في عصر الجاحظ من اتجاهات أجتماعية كان له تحديد نوع الاجتهادات في تعريف انماط السلوك البشري في الحياة الاجتماعية لعصره الذي وضحه من خلال كتابه (البخلاء) وذلك من خلال عدة ابعاد كان لها اثرها على الحياة الاجتماعية لانه اهتم بعرض عدد من المظاهر الاجتماعية التي كان لها اثرها على بيئته في كتابه هذا، اي انه قرب واقع بيئته في جميع صورها الاجتماعية بشكل دقيق. لهذا الكتاب أهمية علمية لانه يكشف لنا عن جملة من طبائع البشر في جميع احوالها النفسية وطبائعهم وسلوكهم فضلاً عن دراسة قضايا اخرى لها اثرها في المجتمع آنذاك،إذ كان موسوعة علمية اجتماعية بالدرجة الاولى اجتمعت فيها كل شروط العلم والمعرفة رغم بعض الخيال الذي كان متوارداً فيه الا انه عكس لنا شخصية الجاحظ العلمية المتميزة في الكتابة وتناول مثل هذه القضايا ومناقشتها باسلوب ادبي متميز فيه الصيغة الاجتماعية التي امتزجت معه واظهر ذلك من خلال نصوص الكتاب التي اعتمدها وناقش فيها هذه الجوانب.

---

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



ولا سـيما انـه اعتمـد فيـه على تلـك القصص والاخبار التي وردت عند معاصريه او السابقين له التي تمثل رؤية معاصرة للفكر الخلاق في كل جوانبه الاجتماعية .

اولا: المنهج العام لكتاب البخلاء[١]

يعـد كتاب البخـلاء للجاحظ مـن الكتب المهمة التي كان لها أثرها الاجتماعي في عصره لأنه قدم فيه معالجات فنية لبعـض الظواهر الاجتماعية العامـة في مجتمعـه بأسـلوب أدبـي متين كان له اثـره في البنـاء الفني لصياغة تلـك الظواهر الاجتماعيـة، ولا سـيما انـه اعتمد فيـه على تلك القصص والأخبار التي وردت عند معاصريه أو السـابقين له التي تمثل عصـارة الفكر الخلاق، أي انه موسـوعة علمية بأسلوب أدبي كما يقول عنه الجاجري «يراها الناس أحيانا ثم ينسبه إلى غـيره، وما كانت هذه الغايـة إلا نوعاً من العبث بخصومه، أو الرغبة في إذاعة ما يكتبه وترويجه، ومثـل هذا لا يبلغ مبلغ ذلـك الحافز الفني الذي يحفـزه إلى وضع الأحاديث إرضـاء لتلك النزعة الغالبة عليه»[٢].

كان كتـاب الجاحـظ هذا ذا تأثـير اجتماعي لأنـه تناول فيـه موضوعات صـورت لنا بعض الجوانـب التي كان لها اثرهـا في المجتمع آنذاك، وطبع عليهـا الزمن طغراء الجاحظ[٣]، وأشـار الجاحـظ الى الأسـباب والدوافـع التـي دفعتـه الى تأليـف كتابه هـذا قائلاً «... إذكـر لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشـحاء، ومـا يجوز من ذلك في بـاب الهـزل، ومـا يجـوز منه في بـاب الجد، لأجعل من الجد مسـتراحاً، والراحة جماماً، فأن للجد كدّا، يمنع مـن معاودته، ولا بد لمن إلتمس نفعه من مراجعته»(م.ن،ج١،ص٦)، مشـيراً الى المواضيـع التي تناولها في كتابه هذا في جملة من التناقضات بـين البخل والكرم والمدح والذم،كما يقـول «وذكرت ملح الحزامي واحتجاج الكندي، ورسـالة سـهل بن هـارون، وكلام ابـن غزوان وخطبة الحارثي، وكل ما حضرني من اعاجيبهم واعاجيـب غيرهـم ولم يسـموا البخـل صلاحاً، والشـح اقتصاداً، لم حاموا على المنع ونسبوه الى الحزم، ولم يضوا للمواساة، وقرنوها بالتصفيع، لـم جعلوا الجود سرقةً والاثرة جهلاً، ولم زهدوا في الحمد، وقل احتفالهم في الذم، ولم استضعفوا من هش للذكر، وارتاح للبذل، ولم حكموا بالقوة لمن لايميـل الى الثناء، ولا ينحرف عن هجاء، ولم احتجوا بظلف العيش على لينه، وبحلوه على مره، ولم يسـتحيوا من رفض الطيبات في رحالهم مع اسـتهتارهم بها في رحال غيرهم، ولم اختاروا ما يوجب ذلك، مع انفتهم من ذلك الاسم، ولم رغبوا في الكسـب، مع زهدهـم في الانفاق، ولم عملوا في الغنى عمل الخائف من زوال الغنى، ولم يفعلوا في الغنـي عمل الراجي لـدوام الغني، ولم وفرو نصيـب الخوف، وبخسـوا نصيـب الرجاء، مع طول السـلامة العامة وشـمول العافية، والمعافى اكثر من المبتلى وليست الحوائج اقل من الفوائد» (م.ن،ج١،ص٦-٧).

ومـن جملـة الاهداف التـي وضحهـا الجاحظ في الكتـاب ولها اثرهـا الاجتماعي الـذي عالجه من خلال النصوص التي اوردها للظواهر ذات المغزى المتناقض كما يقول في باب السعادة التي تمثل احد

اوجه الشعور النفسي الذي يعتري الفرد ويؤثر عليه وعلى مجمعته كما يقول «... كيف يدعو الى السعادة، من حض نفسه بالشقوى فكيف ينتحل نصيحة العامة، من بدأ بغش الخاصة، ولم احتجوا مع شدة عقولهم، بما اجمعت الامة على تقبيحه، ولم فخروا مع اتساع معرفتهم، بما اطبقوا على تهجينه، وكيف يفطن عند الاعتلال له، ويتغلغل عند الاحتجاج عنه، الى الغايات البعيدة، والمعاني اللطيفة، ولا يفطن لظاهر قبحه، وشناعة اسمه وخمول ذكره وسوء اثره على اهله...»(م.ن،ج١،ص٧)، وكذلك اشار الى بعض الصفات التي يقوم بها الافراد الذين يهدفون الى اصلاح المجتمع وهم لا ينفذون ما يدعون له من خلال العيش، كما يقول:

«... فكيف يتحل نصيحة العامة من بدأ بغش الخاصة...»(م.ن،ج١،ص٧)، وكذلك الانتقاص من الافراد رغم معرفتهم وعلمهم الأنه تم النيل منهم من قبل الامة والمجتمع، كما يقول«... ولم أصبحوا مع شدة عقولهم، بما اجمعت الامة على تقييمه، ولم فخروا مع اتساع معرفتهم ايما اطبقوا على تهجينه. . . »(م.ن،ج١،ص٧).

ويذهب الى ابعد من ذلك عند الاعتلال والاحتجاج الى غايات بعيدة لها اثرها على اهله، كما يقول «... وكيف يفطن عند الاعتلال له، ويتغلغل عند الاحتجاج عنه، إلى الغايات البعيدة والمعاني اللطيفة ولايفطن لظاهر قبحه، وشنعة اسمه وخمول ذكره وسوء اثره على اهله»(م.ن،ج١،ص٧).

وغيرها من المتناقضات التي طرحها الجاحظ، وكان لها اثرها الاجتماعي انذاك لانها كانت تمس الفرد الذي يمثل جزء هام من المجتمع في كل ما يتعلق به من الصفات التي علل فحواها الجاحظ ما بين هذا الاتجاه وغيره كما يقول مستعملاً بعض الالفاظ الدالة على ذلك منها: قلت كما يقول « وقلت: فبين لي ما الشيء الذي خبل عقولهم وافسد اذهانهم، واغشى تلك الابصار ونقض ذلك الاعتدال ؟ وما الشيء الذي عاندوا الحق، وخالفوا الامم، وماهذا التركيب المتضاد !! والمزاج المتنافي وما هذا الغباء الشديد، الذي الى جنبه فطنة عجيبة، وما هذا السبب الذي خفي به الجليل الواضح، وادراك به الدليل الغامض، وقلت: وليس عجبي ممن خلع عذاره في البخل، وابدي صفحته للذم ... كعجبي فمن قد فطن البخل، وعرف افراط شحة، وهو في ذلك يجاهد نفسه ويغالب طبعه، ولربما ظن ان قد فطن له وعرف ما عنده، فموه شيئاً لا يقبل التمويه ... وبعد فما باله يفطن لعيوب الناس اذا أطعموه ولا يفطن لعيب نفسه اذ أطعمهم وان كان عيبه مكشوفاً وعيب من أطعمهم مستوراً»(م.ن،ج١،ص٧-٨).

الاتجاهات الاجتماعية التي تناولها الجاحظ في الكتاب من خلال مصادرها.

عمل الجاحظ في كتابه (البخلاء)على عرض بعض الاتجاهات الاجتماعية لمجتمع كامل منها البخل في كل اصنافه وطرقه وكان له الدور الرئيس في هذا العرض مصوراً بعض الاحداث مستعملاً في ذلك الفاظاً دالة على النقل الذي كان يقوم به من خلال ايراد تلك الاحداث من خلال نصوص منها (حدثني، اخبرني، سمعت) وهي روايات الأخبار في الكتاب، كما يقول «وحدثني



ابراهيم بن السندي، قال: كان على ربع الشاذروان شـيخ لنا من أهل خراسـان وكان معجمـاً بعيداً عن الفسـاد ومن الرشـاة، ومن الحكـم بالهوى، وكان حفياً جداً، وكذلك كان في امساكه، وفي بخله وتدنيـه في نفقاتـه، وكان لا يأكل الا مـا لابد منه، ولا يشرب الا مـالا بدله منـه»(م.ن،ج١،ص٢٢)، وقولـه «حدثني صاحب لي قـال: دخلت على فلان بن فلان واذا المائـدة موضوعة، بعد واذا القوم قد اكلوا ورفعوا ايديهم فمددت يدي لآكل، وقال: اجهز على الجرحى ولا تتعرض للأسماء، يقول: اعرض للدجاجة التي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ، فأما الصحيح فـلا تتعرض لـه، وكذلك الرغيف الـذي قد نيل منه واصابه بعض الرق وقال لي هذا الرجـل: اكلنا عنـده يوماً وابوه حـاضر له يجيء ويذهب فاختلف مراراً كل ذلك يرانا نأكل: فقال الصبي: كم تأكلون ؟ لا اطعم الله بطونكم، فقال ابـوه وهو جد الصبي ابنـي ورب الكعبة يقصد مثله بالبخل»(م.ن،ج١،ص٣٥)، وسـمعت كما يقول « قال اسـماعيل وسـمعت الكندي يقول: انمـا المال لمن حفظـه، وإنما الغني من تمسـك بـه وتحفظ المال بنت الحيطان، وغلقت الابواب، واتخـذت الصناديـق فعملت الاقفال، ونقشـت الرسـوم والخواتيم، ويعلم الحسـاب والكتاب» (م.ن،ج١،ص٦٨)، وقولـه « قـال اسـماعيل: وسـمعته يقول: عجـب لمن قلـت دراهمه كيف ينام ...»(م.ن،ج١،ص٦٩)، واخبرني كما يقول «حدثني محمد بن حسان الاسود، قال: اخبرني زكريـا القطـان، قـال: كان للغـزال ارض قدم حانوني ... »(م.ن،ج١،ص٩٥).

أمـا الروايات الاخرى التي نفلهـا الجاحظ نقلاً عـن اصحابهـا وهذا الامـر الذي يزيـد من دقة الروايـة والوثـوق بها فاسـتعمل ألفاظـا منها « قـال، حكي، قالـت » وكانت اغلبهـا مدعومة بالسـند والروايـة، ومنها اسـتعمل حكى قائلاً «وحكى ابو اسـحاق ابراهيم بن سـيار النظام عن جـارة المـروزي، أنه كان لا يلبـس خفاً ولا نعـلا، الى ان يذهب النبـق اليابس، لكثرة النوى في الطريق والاسـواق، قال: ورآني مرة مصصت قصب سـكر، فجمعت مـا مصصت مادة لأرمي به، فقال ...»(م.ن،ج١،ص٢٥).

واسـتعمل لفـظ «قالت» كما يقـول « وقالت له أمرأة: ويحك يا ابا القمامم، إن قد تزوجت زوجاً نهاريا، الساعة وقته، ولست على هيئة، فاشترلي بهذا كيف آسـا، وبهذا الفأس دهناً فانك تؤجر، فعـسى الله ان يلقـي محبتي في قلبـه فيرزقني على يدك شـيئاً اعيش به فقد والله ساءت حالي، وبلـغ المجهـود منـي فأخذهما وجعلـه وجهه (م.ن،ج١،ص١٠٠)، ولفـظ «قـال » كما يقول «قال: ويكون الزائر مـن أهل البصرة عند الآبلى مقيمـاً مطمئناً، فاذا جاء المد، قالوا: ما رأينا مداً قطـاً ارتفع ارتفاعه وما اطيب السـير في المد او تسـير في المـد، الى البصرة، اطيب من السـير في الجزر الى الابله، ويسـافر فـلا يزالون به، حتى يـرى ان مـن الـرأي، ان يغتنم ذلك المـد بعينه ويسافر»(م.ن،ج١،ص١٠١)

وكان في بعـض الاحيـان عندمـا يسـتعمل هذه الالفـاظ في نقل الرواية يشـير الى اسـم صاحب الرواية كما يقـول. « حدثني المكي: قال بت عند

اسـماعيل بن غـزوان .. وأنما بيتنـي عنده، حين علم اني تعشـيت عند مويس، وحملت معي قربة نبيذ، فلما مضى من الليـل اكثره، وركبني النوم، جعلت فراشي البسـاط، ومرفقتـي يدي، وليس في البيـت إلامصلى له مرفقة ومخدة، فأخذ المخدة فرمى بها الي، فأبيتها ورددتها عليه، وابى وابيت، فقال: سـبحان اللـه يكون ان تتوسـد مرفقك، وعنـدي فضل مخدة، فأخذتهـا فوضعتها تحت خدي، فمنعني من النوم انكاري للموضع ويبس فـراشي»(م.ن،ج١،ص١٠٥)، او يشـير الى نقل الرواية من اكثر من واحد حسـب تسلسل السند الذي نقـل منه،كما يقـول» وحدثتـي الحزامي والمكي والعروضي قالوا: سمعنا اسماعيل يقول: أوليس قد اجمعوا على ان البخلاء في الجملة اعقل من الاسـخياء في الجملـة وما نحـن اولاء عندك جماعة، فينا من يزعم الناس انه سخي وفينا من يزعم الناس انه بخيل، فانظر اي الفريقين اعقل ها انا ذا وسـهل بن هارون، وخلقان بن صبيح، وجعفر بن سـعيد، والحزامي والعروضي، وابو يعقوب الخزيمي، فهل معك إلا ابو الاسحاق ؟ » (م.ن،ج١،ص١٠٥).

وايضـاً ينقل من قول راوٍ عـن آخر،كما يقول «. . . وحدثني المكي قال: قلت لإسماعيل مرة، لـم أرَ أحدا قط أنفق على الناس من حاله، فلما إحتاج إليهم أسـوء، قال: لوكان مـا يصنعون للـه رضي وللحـق موافقـاً لمـا جمع اللـه لهم الغدر واللؤم، مـن اقطار الارض ولو كان هذا الانفـاق في حقه لما ابتلاهم اللـه جل ذكره من جميع خلقه» (م.ن،ج١،ص١-٥).

او تراه يشـير الى حديث كما يقول انه سمعه من تلـك الحكايات التـي تناول جملة مـن القضايا الاجتماعية «او حديث سـمعناه على وجه الدهر، زعمـوا ان رجلاً قد بلغ في البخـل غايته، وصار اماماً وانه كان اذا صـار في يده الدرهم، خاطبه وناجاه وفداه واستنبطنه وكان مما يقول له: كم من ارض قد قطعـت، وكم من كيس قد فارقت، وكم من خامل رفعت ! ومن رفيع قد اخملت ! لك عندي ان لاتعرى ولا تضحى، ثم يلقيه في كيسـه ويقول له: اسكن على اسم الله، في مكان لا تهان ولا تـذل ولا تزعج منه وأنه لم يدخل فيه درهماً قط فأخرجه» (م.ن،ج١،ص١٠٦).

واشـار الى بعـض اصحاب المصـادر الذين نقل عنهـم من غـير ان يذكر اسـماءها كمـا يقول «قـال الاصمعـي او غيره، حمـل بعض الناس مـد يتراً على بـرذون فأقامه عـلى الاري فانتبه مـن نومه فوجده يعتلف فصاح بغلامه: يا ابن ام بعـه وإلا فهبه وإلا فرده فأذبحه! انام ولا ينام؟ يذهب بحر مالي؟ ما اراد الاسـتئصالي!» (م.ن،ج١،ص١٠٧)، وقولـــه « قال رافع بن هريـم تحلبُ قاعداً، وتلجُ احياناً وقعبكَ حاضرُ يدعـو اللـه عليـه ان يجعله صاحب شـاه ولا يجعلـه صاحب ابـل، وأن يرتضع من صاحب ابـل الخلـف، وان كان معـه أنـاء. والعربـي يمـاري صاحبـه فيقـول: ان كنـت كاذبـاً، فاحتلبت قاعـداً: اي ابدلك الله بكرم الابل لؤم الغنم...»(م.ن،ج ١،ص ١١٢-١١٣)،وقولـه «قـال ابـو سـعيد: اما مـا ذكرتم مـن انتقاض البـدن، فـان الذي اخـاف على بدني مـن الدعة

ومــن قلة الحركة اكثر. وما رأيت اصح ابدانا من الحمالين والطوافين، والقوم قبل ان يموتوا، لم يكن لهم تلك عبــادة أو ليس يقول الناس: والله لفلان اصــح من الجــلاوزه؟ (يعني اختــلاف الجلاوزة في العــدو)، ولربمــا أقمت في المنــزل لبعض الامر، فاكثر الصعود والنزول، خوفاً مــن قــلة الحركة» (م.ن،ج١،ص١١٤).

ويؤكــد مــن خلال ذلــك صحة مصــدر الرواية لنفس المؤلف، كما يقول (فهذا حديث ابي سعيد) (م.ن،ج١،ص١١٤)، او يشير الى اسم المصدر كما يقول « وجاء في الاثر: ان اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة»(م.ن،ج١،ص١٢٠)، واستعمل لفظ ايضاً (م.ن،ج١،ص١٥٠) او يستعمل بعض الالفــاظ العامة نقــلاً عن بعض الاقــوام وغيرهم مستعملاً الفاظاً وعبارات دالة على ذلك منها قوله « وقالت العرب: انا كم اخوكم يستتمكم، فأتموا له. وقالــوا: مانع الاتمام لوم .وقالوا: البخيل ان ســأل الحف،وان سأل سوف. وقالوا: ان سئل مجد، وان اعطى حقد. وقالوا يريد قبل ان يسمع، ويغضب قبــل ان يفهم. وقالوا: البخيل اذا ســال ارتز،واذا ســال الجواد اهتز. وقــال النبي «صــلى الله عليه وسلم» ينادي كل يوم مناديان من السماء يقول احدهما: «اللهم عجل لمنفق خلفا ويقول الاخر: اللهم عجل لمسك تلفا. . .»(م.ن،ج١،ص١٤٨)، وقوله في قول العامة « فأن قضيتم بقول العامة فلعامة ليســت بقدوة. وكيف يكون قدوة من لا ينظــر ولايحصل ولايفكر ولايمثــل وان قضيتم باقاويل الشــعراء وما كان عليــه اهل الجاهلية الجهلاء، فما قبحوه مم لا يشك فيه حسنه،اكثر مــن ان تقف عليه،او نتشــاغل باســتقصائه » (م.ن،ج١،ص١٥١٧)، وآخــر « وقــال آخــر: اشــتهي ثريدة دكناء من الفلفــل، ورقطاء من الحمــص ذات حفافين من اللحــم، لها جناحان من العراق، اضرب فيها كما يضرب والي السوء في مال اليتــم »(م.ن،ج١،ص١٥٩). والشــاعر كما يقول « وقد قال الشــاعر:

الا ليت خبزا قد تسربل رائبا

وخيلا من البرني فرســانها الزبد

ولهــم البرمــة والخلاصــة والحبــس والوطيئة» (م.ن،ج١،ص١٦٨)، و« وقال بعض الشــعراء ...» (م.ن،ج١،ص١٦٩)، و« ولذلك قال شاعرهم ...» (م.ن،ج١،ص١٨٣)، و« قــال اعرابــي: اتينــا بــبر كأفــواه البعران،وخبزنــا منه خبــزة زيت في النار،فجعل الجمر يتحدر عنها تحدر الحشو عن البطان،ثم ثردناها...» (م.ن،ج١،ص ٢٣٠)، « وقال بعض التميمي وهو يجو بن جبار:

لو ان قدرا بكت من طولي ما حبست

على الحفوف بكت قدر ابن جبار

ما مسها دسم مذ فض معدتها

ولا رات بعد نارالقين من نار »

(م.ن،ج١،ص١٦٩). وتــراه ايضــاً يؤكــد صحــة الــكلام المنقــول وهــذا جزء مــن منهجــه في نقد الروايــات « وقــد صدق قــول القائل: مــن احتاج اغتفر، ومن اقتضى تجوز وقيل لريسيموس نأكل في الســوق ؟ قال: ان جاع(ريسيموس) في السوق اكل في الســوق، وقال من اجدب انتجع، ومن جاع جشــع ...» (م.ن،ج١،ص٢٣٠)، او تراه يشــك في قول احدهم مستعملاً لفظ زعم « اوزعم سري بن



مكـرم، وهو ابن اخي موسى بن جنــاح، قال: كان موسى يأمرنا الأنكال مادام احد منا مشغولا بشرب الماء وطلبــه...»(م.ن،ج١،ص١٨١-١٨٢)، وقوله «زعم ابو يعقوب الخزيمي ان جعفر بن يحيى اراد يوما حاجــة كان طريقه اليها على باب الاصمعي، وانه دفع الى خادم له كيســا فيــه الف دينار وقال لــه: ماتزال في رجعتي الى الاصمعي، وسـيحدثني ويضحكني .فاذا رأيتني قد ضحكت فضع الكيس بين يديه »(م.ن،ج١،ص١٩٢-١٩٣).

وفي بعــض الحــالات نـراه لا يحـدد اي اسـم لمصــدر روايته مسـتعلاً الفاظاً وعبـارات دالة على ذلـك لنفس النص، منها قوله «ثم يقبل على الاخــر فيقول: يافلان، ما أدمـك فيقول اكثر ما تـأكل لحوم الجــزور، وتتخذ منها هــذه القلايا ونجعل بعضها شــواء. قال: فتأكل من اكبادها واســنتها، وتتخذ لــك الصباغ؟ قال:نعــم. . . » (م.ن،ج١،ص٢٠٣).

وقوله « ثم يقيل على الذي يليه فيقول: انا فلان، مــاأدمــك...»(م.ن،ج١،ص٢٠٠).

وقولــه (ثم يقول للذي يليه: انا فلان ما ادماك ؟ فيقول: الشبارقات والاخصة والفالوذجات، قال طعام العجم، وعيش كـسرى ولباب البر بلعاب النحل بخالص السـمى حتــى اني على آخرهم.: بئــس العيش هذا! ليس هذا عيــش آل الخطاب كان بــن الخطــاب يــضرب عــلى هــذا، كل ذلك يقول: اكثر مــا تأكل لحوم الجزور،وتتخذ منها هذه القلايا ونجعل بعضها شــواء. قال: افتأكل من اكبادها واسنتها،وتتخذ ذلك الصباغ ؟ قال: نعــم. . ...»(م.ن،ج١،ص٢٠٠) .

ثالثــاً: الجوانب الاجتماعية في كتــاب البخلاء / دراسة تحليلية .

تعــددت الاتجاهــات التــي يمكن دراســتها في (كتــاب البخلاء) وفقــاً لتأثيرها الاجتماعي ســواء كان في الاســلوب او النظــر العينيــة، لأنه قد ســلك مــن خلالها منهجــاً عمد فيه الى الحفــاظ على وحدة الفكرة وطرحه اســنادها مــن خــلال المصــادر التــي نقلت منهــا، وقد امتزجــت هذه مــع فكرة وشــخصية الجاحظ الــذي تميــز فيهــا الى حــد لفــت الانتبــاه الى رواياتــه التــي يرويها ضمن ســلوكيات افراد المجتمع،كما يقول « فقســموا الامور كلها على الديــن والدنيا ثــم جعلوا احد قســمي الجميع الدرهــم، وقال ابــو بكر الصديــق (رضي الله عنــه): اني لا بغــض اهل البيــت ينقون رزق الايــام في اليــوم، وكانوا يبغضــون اهل البيت اللحامين » (م.ن،ج١،ص١٦)، وهذا الســلوك الــذي يقف من خلاله على دخائل قلبه، اي انه رسم الشــخصية الطيبة التي جعلها اقرب الى الواقع من حيث حســن الخلق ومــا يتعلق بها كمــا يقول« ... كان من اطيب الخلق واملحهم بخلاً، واشــدهم ادباً دخل عــلى ذوي اليمينين طاهر بن الحســين، وقد كان يعرفه بخرسان بســبب الــكلام . فقال لــه منذ كم انــت مقيم بالعــراق يا ابا عبدالله ؟ قال: انا بالعراق منذ عشريــن ســنة، وأنا اصوم الدهــر منذ اربعين ســنة قال فضحك طاهر وقال: ســألناك يا ابا عبــد الله عن مســألة واجبتنا عن مســألتين » (م.ن،ج١،ص٢٠).

وهنا تراه حدد الشخصية بين ثلاثة اتجاهات واحـدة تعتمد عـلى الاخرى في بعـض الملامح، اي انــه يصنــع من هــذه الشــخصية إنموذجاً يســتطيع ان تقــوم كل مــا تريــده . اي انــه الجاحــظ يكون قــد تقل شــخصيته من الواقع حسـب ما رواه، عندما جسد شخصية ابو عبد الله(م.ن،ج١،ص٢٠)، هي غير شـخصية ابن ابــي كريمــة(م.ن،ج١،ص١٧)، وفي الكتــاب جانــب اخــر بصــورة المطبخ وادبه كما اشــار في ذلـك (...فما جعـت ولا اشـتهيت الغذاء، في ذلـك اليوم الى الطهر، ثم مـا فرغت من غذائي وغسـل يدي، حتـى قاربت العـصر. فلما قرب وقت غذائي من وقت عشـائي، طويتُ العشــاء وعرفـت قصدي))(م.ن،ج١،ص٢٧)، وفي ضوء هــذا الاتجاه يصور لنا واحدة من حالات البخل كما قول ((فقالـت للعجوز: لم لا تطبخين لعيا لنا في كل غـذاة نخالة فان ماءها جلاء وقوتها غـداء وعصمــة، ثـم تجغفــين بعـدُ النخالــة فتعـود كما كانـت فتبيعــين اذا الجميع يمثل الثمــن الاول، ونكـون قد ربحنــا فضل ما بين الحالتــين . قالت: أرجو ان يكون الله قد جمع بهــذا الســعال مصالــح كثيرة لما فتــح الله لك بهــذه النخالة التي فيهــا صلاح بدنك وصلاح معاشــك، وما اشــك ان تلك المشورة كانت من التوفيــق))(م.ن،ج١،ص٢٧.).

ان هــذا الإنمــوذج يقودنــا الى تخصــص نوع محــدد منها واثــره الاجتماعــي في المجتمع ولا سيما انه امام مجتمع كامل يعرض البخل بشتى أصنافه ومارس الجاحظ الدور الرئيس في التعبير عن هذا المجتمع من خلال الواقعية التي اتسم بها اسلوبه[٤]، بعيداً عن الخلط مع النماذج الاخرى التــي تطرق اليهــا الجاحظ في كتابــه اي انها بسـبب حالة فردية في المجتمع او جماعة كبيرة عــلى مســتوى الطبقات ممــن كان لهــم اثرهم على المجتمــع انذاك، كما يقــول الجاحظ ((وان وجدتــم في هذا الكتاب كناً، ! وكلاما غير معرب، ولفظاً مدلولا عــن جهته، فاعلموا انا انما تركنا ذلك، لان الاعــراب ببعض هذا البــاب ويخرجه مــن حده، الا ان احكي كلامــا من كلام متعاقلي البخــلاء، واشــحاء العلماء، كســهل بن هارون واشــباه))(م.ن،ج٢،ص١٢٧).

وعلـل في قصة ليـلي الناعطية لظاهــرة كان لو عــرف عيبهــا لتنبه الى ضعفه عن علاج نفســه كما يقــول ((.. فانها مازالت ترفــع قميصاً لها وتلبســه حتــى صــار القميص الرقــاع، وذهب القميــص الاول...))(م.ن،ج٢،ص١٢٥)، وهنــا في نحــو اخر يمثــل لنــا الجاحظ الســذاجة في شــخصية البخيل ومــردود اثرها عــلى المجتمع لانه لم يعتمد على الفاظ معينة في صنع المفارقة وانما عــلى العكس هــي المفارقــة التي صنعت الالفاظ، كما اشــار الى ذلك عندما قدم نوعاً من المقارنة بــين البخلاء وطريقة ســخاءهم قائلاً: "وحدثنــي الخزامي والمكي والعــروضي قالوا: ســمعنا اســماعيل يقــول: او ليس قــد اجمعوا على ان البخلاء في الجملة اعقل من الاســخياء في الجملــة؟ ها نحن اولاء عنــدك جماعة، فينا من يزعــم الناس انه ســخي، وفينا من يزعم الناس أنه بخيل، فانظر اي الفريقين أعقل؟

ها انا ذا سهل بن هارون وخاقان بن صبيح، وجعفر بن سعيد والخزامي والعروضي، وابو يعقوب الخزيمي فهل معك إلا ابو الاسحاق» (م.ن،ج١،ص٧٩).

وهناك صور لوصول البخيل الى حد الشح كما صورها لنا الجاحظ اذ يقول « قالوا: دعا عبد الملك بن قيس منح النقود على الطعام الذئبي رجلاً من اشراف اهل البصرة . وكان عبد الملك بخيلا على الطعام، جواداً بالدرهم، فاستصحب الرجل ساكن . فلما رآه عبد الملك ضاق به ذرعاً. فاقبل عليه فقال له: الف درهم خير لك من احتباسك علينا! واحتمل غررم الف درهم، ولم يحتمل اكل رغيف!»(م.ن،ج٢،ص١٧٢).

وهذه حجة ابتدعها البخيل كي لا يطعم الرجل، وهنا تظهر المفارقة في الاصل عدم النية في اطعام الرجل ولامنحه النقود.

كما اورد عن العلاقة التي تكون بين البخل والبخيل وما هي المفارقات التي يحصل بينهما كما صورها الجاحظ في بعض النصوص قائلاً: «... قد اخبرتك ان عينك مالحة، وانك ستصيبني بعين! قلت: وما بينته هذا من العين؟ قال انما العين مكروه يحدث . فقد انزلت بناعينك اعظم المكروه فضحكت ضحكاً ما ضحكت قبله، وتكالمنا حتى كأنه لم يقل قبيحاً، وحتى كاني لم افرط عليه»(م.ن،ج٢،ص١٢٥).

وكذلك اشار الى البخيل الذي يستغل اي دعوة للطعام ويتمتع بها لأنها من مال غيره وانه في داره شح ويحاول ان يستفاد من كل شيء كما يشير الجاحظ الى ذلك من نصائح البخيل لعياله قائلاً: «وكان يقول لعياله ألا تلقوا نوى التمر والرطب، وتعودوا ابتلاعه وخذوا وحلوقكم يتسوقه، فان النوى يعقد الشحم في البطن، ويدفئ الكليتين و بذلك الشحم، واعتبروا ذلك ببطون الصفايا، وجميع ما يعتلف لنوى، والله لو حملتم انفسكم على البزر والنوى، وعلى قضم الشعير، واعتلاف القت، لوجدتموها سريعة القبول ! وقد يأمل الناس القت قداحا، والشعير فريكا، ونوى البسر الاخضر، ونوى العجوة »(م.ن،ج١،ص٧٩).

وهذا التصوير يتمثل ما بين الخداع والحيلة في الضيافة التي لا يرفضها صراحة . الا اننا نرى هنا البخيل يكون في اكرم مما تتوقع من اقتصاده، اي هذا نموذج للبخيل المقتصد والمضيف وهذا يمثل ظاهرة معقدة لها اثرها على المجتمع [٥]، وهذا الامر مستحيل ان يكون عند البخيل مضيافاً كما صوره الجاحظ [٦]، اي انه صور الحيلة عند البخيل الذي يحاول من خلالها ابعاد الضيوف ما نقله عن صاحب الدكان كما يقول « قالوا: وكان له دكان لا يسع الا مقعده، وطبقيا يوضع بين يدية، وجعله مرتفعاً، ولم يجعل له عتباً، كي لا يرتقي اليه أحد، قالوا: فكان اعرابي يتحين وقته، ويأتيه على فرس، فيصير كأنه معه على الدكان . فأخذ دية وجعل فيها حصى، واتكأ عليها . فاذا رأى الاعرابي قد اقبل، أراه كانه يجول متكأه، فإذا قعقعت الديه بالحصى نفر الفرس قالوا: مالم يزل الاعرابي يدينه، ويقع هو به حتى نفر منه فصرعه فكان لا يعود بعد ذلك اليه»[٧].

وهنـاك نظـرة خاصـة للجاحـظ عـن البخيل عندمـا يكون صحنه رغم انـه يتلذذ من موائد المضيفين لاسـيما انه وقع صحنـه لبخيل آخر أو شـخص وهو صحنـه للمفارقـة. كما يقول الجاحظ «وكنا عند دواد بن ابي داود بواسـط، ايـام ولايته كسـكر فأتتـهُ من البـصرة هدايا فيها زقاق دبس، فقسـمها بيننا، فكل ما اخذه منهـا الخزامي اعطى لغـيره، فأنكرت ذلك من مذهبه، ولم اعرف جهـة تدبيره، فقلت للمكي: قـد علمت ان الخزامي انمـا يجزع من الاعطاء وهو عـدوه، فاما الاخـذ فهو ضالتـه وأمنيته، وانـه لـه اعطـى افاعـي سجسـتان، وثعابين مـصر، وحيات الاهـواز، لأخذها اذا كان اسـم الاخذ واقفـاً عليها فعسـاه اراد التفضيل قال: أنـا كأقبـه وصداقتي اقـدم، وما ذلـك به وان هنا امراً ما تقع عليـه، فلم يلبث ان دخل علينا فسـألته عن ذلك فتحصر قليلاً ثـم باح بسره، قـال: وصنيعته اضعاف ربحـه، واخذه عندي من اسـباب الادبـار قلت اول وظائفـه احتمال الشكر، قال هذا لم يخطر لي قط على بال، قلت: فهـات اذاً مـا عنـدك»(م.ن،ج١،ص٤٨).

وهذا حال مابين الحالين في بيان ما يكون عليه التمثيـل كما يقول الجاحـظ«... لو رأيت رجلاً يفسد طين الردعة، ويضيع ماء البحر، لصرفت عنة وجهـي! فـاذا كان اصحـاب النظر واهل الديانة والفلسـفة هذه سيرتهم، وهكذا ادبهم، فمـا ظنكم بمن لا يعد مـا يعدون، ولا يبلغ من الادب حـين يبلغـون»(م.ن،ج١،ص٦٠).

ويـرى في قصتـه محمد بن عـلي المؤمل الحال الواقـع ما بـين اطعـام الطعام وانفـاق المال وقياسـاته بين الكثرة والقلة كمـا يقول «قلت لمحمـد بن ابـي المؤمـل: اراك تطعـم الطعام وتتخـذه، وتنفـق المال وتجود بـه، وليس بين قلـة الخبر وكثرته، كثير ربـح، الناس يبخلون من قل عـدد خبـزه، وراو ارض خواته، وعلى ان ارى جماجم من يـأكل معك، اكثر من عدد خبـزك»(م.ن،ج١،ص٧٠).

فهـو هنا صور لنا ما بين لؤم البخيل الشـكور والـذم حمـداً كمـا يقـول«... نـرضى لـك من الغنيمـة بالإيـاب، ومن غنـم الحمد والشـكر، بالسـلامة من الذم واللـؤم!! فزد في عدد خبزك شيئاً، فأن بتلك الزياة القليلة، ينقلب ذلك اللؤم شكراً، وذلك الذم حمداً اعلمت أنك لست تخرج مـن هذا الامـر، بعـد الكلفـة العظيمة، سـالماً لا لـك ولا عليـك؟ فانظـر في هذا الامـر رحمك اللـه»(م.ن،ج١،ص٧١). والبخيـل المنتـصر الذي يسـتغل كل الاوقات لصالحـه، كما يقول الجاحظ« وكان ابو سـعيد هذا مع بخله اشـد النـاس نفسـاً، واحماهم انفا، بلـغ من امره في ذلـك، ومن بلوغه فيه انه اتى رجلاً من ثقيف يقتضيـه الـف دينـار، وقـد حل عليـه المال، فـكان ربما طـال عنـده الجلـوس، ويحضر عنـده الغـذاء، فيتغـذى منـه وهـو في ذلـك يقتضيـه...»(م.ن،ج٢،ص١١٧).

وصـور لنا الجاحـظ البخل لدى النسـاء الذي يختلـف في بعض احواله عـن بخل الرجال كما يقول في قصة بخل ليلى الناعطيه التي سـمعت قول الشـاعر في ثوبها الذي رفته قائلاً:

البس قميصك ما اهتديت لجيبه

فاذا أضلك جيبه فاستبدل

فقالت: أنــي اذا لخرقاء، أنا والله احوص الفتق، وفتــق الفتــق، وارقع الخــرق وخــرق الخرق». (م.ن،ج١،ص٣١) .

واشار ايضاً الى دور البخلاء في الاصلاح والمذاكرة فيه، كما يقول«.. وصنع ابو سعيد المداتي اعظم من ذلك ؟ اصطبغ من دن خل، وهو قائم حتى مني ولم يخرج منه قليلاً ولا كثيراً، وكانت له حلقة تعقد فيها اصحاب الغنية والبخلاء الذين يتذاكرون الاصلاح فبلغهم ان ابا سعيد بأن الحربية في كل يوم، ليقتضي رجلاً هناك خمسة دراهم فضلت عليه، وقالوا: هذا خطا عظيم، وتضييع كثير وانما الحزم ان يتشدد في غير تضييع. وصاحبنــا قد رجع على نفســه بـضروب من البلاء فاجتمعوا عليه على طريق التفرغ له، والاستفادة منه، قالوا: نراك تصنع شيئاً لا نعرفه، والخطأ منك اعظم منه من غيرك، قد اشكل علينا بهذا الامر، فأخذنا عنه، فقد ضاقت صدورنا به...» (م.ن،ج١،ص١١٣).

وبــذا يكون الجاحــظ في كتابه هذا قــدم لنا صورة فنية للبخــلاء في كتابــه في كل اتجاهاتها واثرها الاجتماعي لعصره.

***الهوامش:**

(١)الجاحــظ:: ابوعثمان عمرو بن بحــر، كتاب البخلاء، (بغـداد، دار الشـؤون الثقافيـة العامـة، ١٩٩١ م)، ج١،ص٥.

(٢)الدكتــور طه الجاجري، الســخرية في الادب العربي، ٢٠٠٦ م، ٤- الجاحــظ ؛ الفصــل: د. ســمر روحــي، ادبــاء وشــعراء – اســلوب الجاحــظ، ٢٠١٣م " شــبكة المعلوماتية".

(٣)الجاحظ، كتاب البخلاء، ج١، ص٣.

(٤)طنطاوي:د.نعمان،قــراءة في نص من «كتاب البخلاء للجاحظ» حكايات ابي القمام،القاهرة،كلية الآداب،قســم العلــوم النسانية،٢٠٠٨م،"دراســة وافيــة عــن هــذا الموضــوع".

(٥) دوكلاس: فــدوة مالطــي، بنــاء النــص التراثــي، ط١(القاهرة، الهيئة المصريــة العامة للكتاب، ١٩٨٥م)، ص٤٦.

(٦)الخوجــة: محمــد ابراهيــم خالــد، المفارقــة في ادب الجاحظ / البخــلاء انموذجا، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٦م، ص٢٩.

(٧)الجاحظ، البخلاء، ج٢، ص١٣١.

The social aspects

in the Book of BUkhla by Al-Jahez

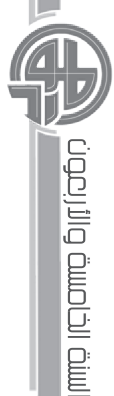
(An analytical study)

By: Dr. Ahlam Mohsin Hussein 

Abstract

We conclude that Al-Jhahez was distinguished in his style in which he presented his book in terms of his plains, his morals and literary decency, and that he was encyclopedic when he presented the texts of this book with their social impact in the events of this book which he studied and analyzed. Their sources in this study are available in the stories and the news industry that took place in the philosophies of the scouts in the stories that were most supported and supported by realistic characters in his time, that is, he showed us aspects of social deviations within the category has maintained its character and inherited values Which was influenced by social and social, that is between the generosity and generosity is one of the values of the Arabs and their original origin in a local language with a dialogue between the characters, so his style in the presentation of social reality a unique and unique way, through which a collection of knowledge that facilitated the researcher dealing with texts This book, which is balanced in terms of accuracy in the performance of language and order of ideas and the most influential personality in the community in the

first place.



ولاة عثمانيون مصلحون في تاريخ مدينة بغداد


أ . م .د .كمال رشيد خماس العكيلي*

● مقدمة:

تميز حكم الولاة العثمانيين الذين تولوا إدارة ولاية بغداد بالتخلف وإهمال الأصلاحات في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والأجتماعية طوال سنوات حكمهم بأستثناء قلة من الولاة المصلحين من أمثال الوالي مدحت باشا عام ١٨٦٩ـ ١٨٧٢م، وكذلك الأصلاحات التي قام بها الوالي الفريق ناظم باشا عام ١٩١٠ـ ١٩١١م.

(١)

كان مدحت باشا والياً مجدداً مصلحاً جاء لبغداد وللعراق بكثير من المؤسسات الحديثة، كالمدرسة والمستشفى والجريدة وأحدث بأعمالهِ تلك نقلة نوعية في نمط الحياة الأجتماعية والعمرانية والثقافية، وإن أعتبرهُ البعض مُقلداً للأفرنج ـ الأجانب ـ لكن بقي الناس يذكرونهُ وأعمالهِ الأصلاحية[١]. لذا تميزت ولايتهِ في تاريخ بغداد بأنها كانت عهد نهضة حقيقية[٢]، وبالتالي تحديث وتطوير فعلي في عموم حياة وحركة المدينة، قياساً إلى فترة حكمهِ القصيرة التي دامت ثلاث سنوات.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



فقد أدرك هذا الوالي حاجة مدينة بغداد إلى كثير من الأصلاحات وبالأخص في مجال وسائط النقل، إذ نالت هـذه المدينة من الخـراب وعوامل التأخر الكثير، فكانت الحيوانات تلك الوسيلة البدائية هي وسيلة السفر البرية السائدة في العراق طيلة العهد العثماني وعليه عمل على إدخال الوسائل الحديثة في المواصـلات عـلى الطـرق ذات الأهميـة، وكانت أحدث وسـيلة يوم ذاك هي الترامواي الذي تجرهُ الخيـول، وكان أهـم طريق هو الطريـق الموصل بـين بغداد والكاظمية التي تبعـد أميالاً قلائل عن بغداد، حيثُ يكثر زوار المراقد الدينية المقدسـة في الكاظمية، وجعل المشروع شركة مسـاهمة شارك فيها عدد من سـكان بغداد والكاظمية. لذا إرتبط تاريخ ترامواي بغداد ـ كاظمية بولاية عهد مدحت باشا[٣] .

وقـد حالف النجـاح هذا المـشروع منـذُ إفتتاحهِ عام ١٨٧١م فقد مـدت الخط شركة أهلية وتحت إشراف والي بغداد نفسـه، وهذا الطريق الحديدي (الترامواي) بين بغداد وبلـدة الكاظمية لايتجاوز طولهِ سـت كيلومترات[٤]. وظل هـذا الترامواي أو كما يطلقـون عليهِ الكاري ـ الـكاري وهي لفظة هندية معناها عربة ـ ينقل الركاب على هذا الطريق بأنتظـام قُرابة[٥] عام أي حتى عام ١٩٤١م حيثُ حقق هـذا المشروع نجاحاً كبـيراً إذ بلغت أرباحهِ ١٠٠٪ حيـثُ تقرر تصفية أعمال الشركة وبالتالي إنتهى هذا المشروع[٦] .

لقـد كان مـن أول أعمـال مدحـت باشـا إن أدخـل التنظيمـات الأداريـة،[٧] فوضـع مجالس الولايـات ومجالـس البلديات والمجالـس الخاصة بالمتصرفيـات، تمهيـداً لتطبيـق قانـون التجنيد الأجبـاري حـصراً على مدينـة بغداد أُجـري أول تعداد رسـمي لنفوس مدينة بغـداد وذلك في عام ١٨٦٩م وإن كان مُقتـصراً عـلى الذكور فقط.[٨]، وقسم بغداد إلى محلات وأطراف وجعل لكل محلة إسـماً، وعين لها مُختـاراً ومعـاون مُختار، ورقم أبواب الدور وغير ذلك من الأصلاحات البلدية[٩] .

وتم تشـكيل أول بلديـة في مدينة بغـداد وتعيين (إبراهيـم الدفـتري) رئيسـاً لهـا، وكذلـك أنشـأ مجلسـاً بلدياً عام ١٨٦٩م يختار أعضائهِ بطريق الأنتخاب[١٠] .

وكانـت إدارة البلدية يُعهد بهـا إلى رئيس البلدية ومجلسـهِ الـذي يكـون عـلى الأغلـب مـن إحدى العوائـل الأساسـية في المدينة أو موظفـاً حكومياً. وكانـت البلديـة التي أدخل نظامها مدحت باشـا تُسـيطرعلى المدينة طوال هذا العهد، وتتولى سـد إحتياجات السكان من الخدمات[١١]. ومن الأحداث المهمـة في تاريـخ بلديـة بغـداد صـدور قانـون للبلديـات عام ١٨٧٧م عينـت الحكومة العثمانية بموجبهِ واجبـات البلديات وتشـكيلاتها وحالتها والمجلـس البلدي الذي يتألف منها . ومن جملة ما أنطوى عليهِ هذا القانون من مواد وأحكام، تقسيم البلديات في المدن الكبرى إلى بضعة أقسـام على أن لايقل عدد سـكان كل قسم عن (٤٠) ألف نسمة . وبموجـب هذا القانون تم تقسـيم بلدية بغداد إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول يشـمل الرصافة، بينما شمل القسم الثاني منطقة باب الشيخ، أما القسم الثالث فشمل منطقة (جانب) الكرخ وقد تم تعيين رئيسـاً للبلدية وكذلك لكل قسـم من هذه الأقسام

الثلاثـة ـ ويذكر إنهُ في عـام ١٩٠٧م أُعيد توحيد ودمج هذه الأقسـام الثلاثة حيـثُ جعلت بموجب هـذا الدمج بلديـة واحدة لبغـداد ـ وكانت البلدية تتولى سد الأحتياجات العامة من تأمين الحراسة في الليل وتنظيف الأزقة ورفع النفايات. ولضيق طرق المحـلات وقلة المصابيح ومنعـاً لوقوع جرائم فيها أمر الوالي (عبد الرحمن باشا) عام ١٨٧٩م بإنارة بعض المحلات في جانب الرصافة، فأدخلت الأضاءة بمصابيح الغـاز (الفوانيس) وعُهد بها إلى مقاول، ولكن لم تحظ بالأضاءة في الواقع إلا الشوارع التي يُقيم فيها سكان من علية القوم [١٢] .

وفي عهـد الوالي مدحت باشـا بـدأ التفكـير جدياً بأنشـاء مشروع دائم لربط دور بغداد وسقاياتها العامة بأنابيب وتضخ إليها المياه بواسـطة مكائن حديثـة تُنصـب في أماكـن عدة من شـاطىء نهر دجلـة وتكـون تحـت إدارة بلدية بغداد المُنشـئة حديثـاً، وتعاقـدت على خمـس مكائن مـن لندن وضعـت واحدة منها في شريعة الميدان على سـبيل التجربـة، حتـى إن جريـدة الزوراء الرسـمية قد نشرت عام ١٨٧١م خبراً يُبـشر البغدايين بأنتهاء مشـكلة مياه الشرب في مدينتهم، إلا إنهُ لادليل على إتمام المشروع[١٣] .

وبخصوص السـور الذي يمتد في الجانب الشرقي مـن المدينة (الرصافـة) والذي ظل يُقـاوم الزمن ويصد الغُزاة ويحمي المدينة، وفي هذه المرحلة من تاريـخ مدينة بغداد فقدت أسـوار المدينة أهميتها العسـكرية، وذلـك بتطور الأسـلحة وأسـتعمال المدافع فصارت تُستخدم لحماية المدينة من خطر الفيضـان فقط،[١٤] وبداعي عدم فائدتهِ بالنسـبة للأختراعـات العلمية ولأجل توسـيع مدينة بغداد، وفي سبيل إسباغ صفة العصرية عليها، فقد نقض في عهد مدحت باشـا عام ١٨٧٠م بأستثناء أبوابهِ الأربعة والأبواب المتصلة بالقلعة حيثُ لم يمسـها بسـوء بل أبقاها، ولا نـدري إذا كان لهُ قصد آخر سـياسي مثلاً، خاصـةً وأنهُ أدعـى إن هنالك عجز طارىء في خزينة الولاية ولغرض سداد ذلك العجز قرر بيـع حجارتـهِ.[١٥]، ولم يبق للسـور وأبوابهِ تلـك أي أثر يُذكر غير الباب الوسـطاني فقط أتى العمران الحديث عليهِ [١٦].

ولهذا كانت تلك الأسـوار إيذاناً ببدء تغيير أساسي في طبيعـة المدينـة عبر تاريخهـا الطويل مما مهد لتوسـعها بعـد إذ، وكان لهُ الأثر الأكـبر في تقرير مصير المدينة ونمط توسـعها المستقبلي وبالأخص بعد ردم الخندق الناتج عن إزالة السـور .وشـيد بحجـارة تلك الأسـوار بعـض الأبنيـة الحكومية العامـة كالمعامـل والمـدارس . وأحـد معالمها من البنايـات التراثية في مدينة بغداد بناية القشـلة ـ وهي كلمة تركية تعني بالعربية الثكنة العسكرية ـ التي أسسها عام ١٨٦١م الوالي العثماني (نامق باشـا)، وقد أتم بنائهـا مدحت باشـا وأقام فيها سـاعتها الكبيرة ذات البرج البـارز لإيقاظ الجنود صباحـاً، الذي لـم يزل مـن معالم مدينـة بغداد البارزة[١٧].

وبنايتي القشـلة والسـراي متلاصقتان، فالقشـلة للعسكريين، والسراي للمدنيين وكلمة السراي كلمة تركية، قد كان السراي مقراً للوالي وإدارة الولاية وهي بناية كبيرة تطل على نهـر دجلة،وقد شرع برصف الشـوارع بالصخر ـ لم يكن التبليط بالقير معروفاً



بعد ــ وكان أول طريق عبدهُ هو سوق البلانجية ــ هو موقع شارع المأمون حالياً بين تمثال الرصافي وجسر الشهداء ــ ولأنهُ رصف بالصخر فقد أطلق عليهِ الناس أسم عقد الصخر [١٨] .

ولم تكن في بغداد مدارس حديثة إلا بضع مدارس لبعثات التبشير الفرنسية،[١٩] فأنشأ مدحت باشا عدداً من المدارس الحديثة منها (مدرسة الصنائع) عام ١٨٦٩م وهي خاصة بأيتام المسلمين الذين لامعيل لهم يتعلمون فيها النجارة والحدادة، والنسيج، وكذلك إفتتاح المدرسة الرشدية في نفس العام، وتبعها إفتتاح عدد منها مثل المدرسة الرشدية العسكرية عام ١٨٧٩م والمدرسة الأعدادية العسكرية في عام ١٨٧٩م [٢٠] .

وتتميز ولاية مدحت باشا في تاريخ بغداد بأنها كانت عهد نهضة حقيقية [٢١]، فقد أسس عام ١٨٦٩م أول دار للنشر وهي دار نشر الولاية في بغداد، وأصدر جريدة (الزوراء) وهي أول جريدة تظهر بالعراق وتنطق رسمياً بأسم حكومة الولاية، ومد خط تلغراف وأقام معمل للثلج إضافةً إلى عدد من المنشأت العامة النافعة[٢٢]. وفي مجال الترفيه والتسلية للسكان أقام متنزهاً عاماً في بغداد هو (متنزه البلدية) في البستان المعروف ببستان المجيدية في منطقة باب المعظم- هو موضع مستشفى الجمهوري ومدينة الطب حالياً ــ وسمح أن تضرب فيهِ كل يوم آلات الطرب والدخول إليهِ لقاء مبلغ معلوم وأباح للناس شرب الخمور فيه، فتهافت إليهِ أهل الأنس والطرب غير إن ذلك جلب إليه نقمة رجال الدين[٢٣]، فكان بذلك أول حديقة شعبية في مدينة بغداد[٢٤].

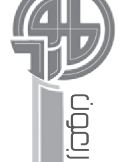
ونستطيع القول إن مدينة بغداد تبقى مدينة للوالي المصلح مدحت باشا وأعمالهِ من المؤسسات النافعة والمشاريع العامة، فقد كان محبوباً ذا شعبية من الأهالي والأجانب المقيمين على حد سواء، ويبدو أن الدولة العثمانية إستاءت من صرفهِ للأموال في تطوير وتحديث مدينة بغداد، بدلاً من أن يبعث بها إلى الأستانة لذلك صدر الأمر بعزلهِ من ولاية بغداد عام ١٨٧٢م، كان فقيراً وهذا دليل على عفتهِ وأستقامتهِ[٢٥]، ترك مدحت باشا منصبهِ في بغداد (بعدما باع ساعتهِ) ليدفع نفقات سفرهِ إلى الأستانة[٢٦] .

وهكذا تميزت ولاية مدحت باشا في تاريخ بغداد بأنها ثورة حضرية وعهد نهضة حقيقية أسبغت على المدينة طابعاً حضرياً وكانت دافعاً للمدينة نحو النمو والتقدم وشكلت حداً فاصلاً بين عهدين من عهودها[٢٧].

(٢)

خلف مدحت باشا ولاة تعاقبوا على ولاية بغداد فترات قصار ولم يُنجز في عهدهم إلا القليل، ففي عام ١٨٧٩م أُفتتحت المستشفى التي بناها مدحت باشا، وفي عام ١٨٨٩م حول الوالي (سّري باشا) الميدان إلى ساحة مكشوفة بها بُستان، ووضع وسطها حوض يحتوي على (شذروان) يقذف الماء وبهذا تحول الميدان إلى متنزه لأهل بغداد، وأُقيم جسر جديد من القوارب عام ١٩٠٢م إتساعهُ يكفي لمرور العربات[٢٨].

وعلى ذكر تطور تصميم المدينة فقد بقى شكل بغداد بصورة عامة ثابتاً إلاّ من ناحية الحجم، كما بقيت المدينة على ضفتي نهر دجلة توصل



الجسـور بين قسـميها[٢٩]، فكانت مدينة بغداد في مستهل القرن العشرين تسـتوعب مساحة قدرها حـوالي أربعـة أميـال مربعـة، وحوالي ثلـث هذه المساحة خالياً أو تشغلهُ مقابر او أطلال[٣٠].

أمـا ناجـي شـوكت فيقـول «لـم تكن مـن حيث السـعة والانتظام، وسـعة الشـوارع وكثرتها، إذ كانت بغداد أشـبه بالقرية الكبيرة منها إلى المدينة العصرية»[٣١]. وبدأ جانب الكرخ من بغداد بالنمو ولكنـهُ كان أصغـر في الطول والعمـق من جانب الرصافة، فكانت معظم عـلاوي الطعام ومخازن الأخشـاب تقع في الكـرخ وكذلك مـراسي الأكلاك الآتيـة من الموصـل وسـامراء والمحملـة بالفواكه ولاسيما الرقي والبطيخ [٣٢].

وبجانب الترامواي كانت هناك العربة التي وصلت إلى بغـداد عـام ١٨٩١م وكانـت تُسـمى عربـات اللانـدون وهـي الآخرى تُمثـل تطـوراً وتقدماً في وسـائل المواصـلات خاصةً وإنهـا كانت مقتصرة لكبار القوم والأعيان من شخصيات بغداد[٣٣].

فهـي عربـات فخمة تجرهـا خيول معـدودة أي إنهـا عربـات خصوصية، أسـتوردت من (لندن) أو مـن فـرع الشركـة في الهنـد ومن هنـا جاءت التسـمية عربات اللاندون. وماعـدا هذه العربات كانت وسـائط نقل الأشخاص والبضائع في داخل بغداد بواسـطة الحيوانـات من الحمـير والخيل والبغـال[٣٤].

وفي عـام ١٩٠٠م إتسـعت الشـوارع العريضـة نسـبياً لمرور عربـات النقل فيها، حيثُ تأسسـت شركة عربـات منظمـة تجرها الخيول وسـميت عربات الكنبانية[٣٥].

ولغـرض نقل النـاس داخـل المدينة أسـتورد أحد الأشخاص أول عشر عربات جديدة لهذا الغرض من الهند وكانت هذه العربات تُعرف (بالربلات)، وهذه العربات العشرة كانت تسـد حاجة السكان في النقل في- البدايـة ـ يـوم كانت بغداد محـدودة الأطراف، بعدها تم أستيراد أعداد كبيرة منها[٣٧].

وبخصوص إحصاء النفوس في العهد العثماني فأنهُ كان يتم بشـكل واهٍ حيثُ تنعدم الكفـاءة بهِ، وكان مقتـصراً على المدن ومنها بغـداد. ولأغراض الكتابة ليس إلاّ[٣٧].

من المراحـل المهمة في تطور مدينة بغداد الحضاري في التاريـخ الحديث والمعاصر هو الأنقلاب العثماني في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م ومأعقبهُ من أعلان الدستور في عام ١٩٠٩م[٣٨]، إذ حدثت نقلة إجتماعية وحضاريـة في بغداد من جراء ذلك منها كما يشـير علي الوردي كثرة صدور الصحف وقيام الجمعيات وظهور الملاهي والمراقـص لأول مرة في حياة بغداد، ومجيء السينما والسيارة والتلفون وكثير من الأمور الأخـرى[٣٩]. وعلى ذكر السـيارة يذهب لونكريك إن أول سـيارة ظهـرت في بغداد عـام ١٩٠٨م وكانت قادمة من حلـب[٤٠] التي جلبها (حمدي بابان) وقد دهش الناس لرؤيتها، ويُعتبر الفريق (جاويد باشا) والي بغـداد قُبيل إنـدلاع الحرب العالميـة الاولى عام ١٩١٤م بأنهُ كان أول من أسـتعمل سـيارة خاصة تعود ملكيتها إليهِ [٤١] وعلى أثرهِ تغير شـكل الأدارة أيضاً حيثُ نُظمت دواويـن الحكومة وأخذت بغداد تسير نحو المدنية والعمران، وقامت فيها مدارس عدة رسمياً للبنين والبنات وأدخلت اللغة العربية في مناهج التدريس بعد أن كانت مقتصرة على اللغة التركية[٤٢].

بينما يروي عبدالرزاق الحسني إنهُ لم يكن في بغداد عام ١٩٠٨م أكثر من خمس مدارس واحدة لليهود (الأليانس) والثانية للمسيحيين وهي (اللاتين) وماتبقى للحكومة ولايدخل في ضمنها الكتاتيب[٤٣]. وقد قابل اليهود أعلان الدستور في الدولة العثمانية عام ١٩٠٩م بهتاف ومظاهر الترحيب والأرتياح[٤٤]. وفي عام١٩٠٩م أنشئت مدرسة للحقوق[٤٥]، ويمكن أعتبار هذه المدرسة النواة الأولى للتعليم العالي في العراق .

ومن مظاهر التقدم والتطور في المدينة هو إقامة أول حديقة حيوانات فيها، ففي أوائل القرن العشرين أشتهرت دار محمد فاضل باشا الداغستاني والتي تقع مقابل القلعة (المقصود وزارة الدفاع حالياً) وبجوار جامع المرادية بوجود حديقة فيها تضم الأسود والفهود والنمور والدببة وغيرها، وسمح لأهالي بغداد عصر كل يوم خميس بالتفرج على هذا المعرض الحيواني الوحيد في بغداد[٤٦].

وفي عهد الوالي العثماني الفريق ناظم باشا عام ١٩١٠- ١٩١١م والذي أعتبر (مدحت باشا الثاني) وذلك لكثرة إصلاحاتهِ وهمتهِ العمرانية، أرهب الناس فأمنت السبل وبالتالي شهدت المدينة خلال ولايتهِ نوعاً من الهدوء والأمن والأستقرار، وهو من الولاة المصلحين وكان صاحب همة وقرار[٤٧]، وجعل للجيش معسكراً خارج مدينة بغداد القديمة وأخضعهُ للتدريب الشاق ومنعهم من الأتيان بأعمال تخل الأمن وذلك بالقضاء على ظاهرة الفرهود في بغداد من خلال دفع رواتب الجنود المتاخرة وتنظيم صرفها في مواعيدها[٤٨] .

وقد أسدى ناظم باشا الكثير من الخدمات لمدينة بغداد وذلك بأصلاح بعض الطرق والأسواق وجمع المجانين والمبتلين بالأمراض السارية وخصص لكل منهما مكاناً وأجرى عليهم النفقات، ونفى المشردين من الغرباء الذين لاعمل لهم خارج الحدود وفتح مدرسة المعلمين بالكرخ، وبنى باباً رئيساً للسراي وكذلك شيد أبنية جديدة محيطة ببغداد ومن أعمالهِ التي سُجلت لهُ هي تنظيم عملية جمع الأزبال والأوساخ من أزقة بغداد الضيقة وذلك بواسطة عربات خشبية بدلاً عما كانت عليهِ بواسطة الحمير، وكذلك أمر بجمع الكلاب السائبة للقضاء عليها[٤٩]. وفكر في تسيير شاحنات كهربائية لسحب عربات الترامواي الممتد بين بغداد والكاظمية ولكن الفكرة لم تُنفذ. كان يُقيم الأستعراضات ويرعى التعليم وعلاقتهُ جيدة بالأقليات، ويلح على هدم الأبنية لغرض فتح شوارع جديدة في بغداد[٥٠]، ومن ضمن أعمالهِ العمرانية إنهُ فتح شارع المستنصر - شارع النهر حالياً - وعبدهُ وكساه بالقار وكان يُمثل الطريق الرئيس في المدينة، ويُذكر إن أستقامة الشارع المذكور أدت إلى الأصطدام ببناية القنصلية البريطانية والتي كانت تتمتع بأمتيازات عن غيرها من القنصليات الأجنبية في بغداد[٥١]، وأخذ عدد المستشفيات العسكرية من المستوصفات في الظهور فقد أفتتح الوالي ناظم باشا عام ١٩١٠م مستشفى (مير الياس) الذي أنشأهُ اليهودي الثري (مير الياهو الياس) خارج باب المعظم - تُعرف حالياً بالكرنتينة [٥٢]. ويظهر إن ناظم باشا كان أخر الولاة الأقوياء والمحدثين معاً في بغداد خلال العهد العثماني .

وكان أول مـن فكـر بحمايـة مدينـة بغـداد من الفيضانات وما يرافقهـا من تدمير وتفشي الأوبئة والأمراض هو ناظم باشـا الذي أنشـأ سدة ترابية سُميت بأسـمهِ لتحمي بغداد من الفيضانات تمتد من شـمال المدينة حتى جنوبها، ويُعد هذا أشـهر عمل لـهُ في المدينة بصورة عامـة حيثُ حمتها من الغرق[٥٣]. ومما يُلفت النظر إن سـدة ناظم باشـا هذه أنشئت والهدف الوحيد من إقامتها هو حماية المدينـة من خطر الفيضـان دون أن يكون لها أية صلة بالدفاع العسكري كما كان الحال عند إنشاء سور المدينة في العهد العباسي[٥٤].

غير إن وجود هذه السـدة موازية لنهر دجلة وعلى بعـد بضعـة كيلومترات حـدد نمو بغداد بشـكل طـولي، أمـا الضفة الغربيـة في الكـرخ فقد كانت محاطة بعدة سدات لاتوازي في أهميتها سدة ناظم باشا [٥٥].

وحدثت شكاوي وكُثرت الأحاديث على الوالي ناظم باشا قبل عزلهِ من منصبهِ في بغداد عام ١٩١١م من جراء قضية (سارة أوانيس إسكندر) الأرمينية[٥٦]، حتى إن الشـاعر جميل صدقي الزهاوي وبسـبب عزلـهِ من وظيفتهِ في مدرسـة الحقوق أخذ يصب جام غضبهِ على ناظم باشا ولقبهُ بقصيدة عنوانها (طاغية بغداد) وفيها يقول[٥٧]:

رام هتكاً لما تصون فتاة

كسبت في أمر العفاف إشتهارا

رام شيئاً لبنت بغداد يزرى

فعلى الشعب شعبها أن يغارا

سر بعيداً إلى سلانيك عنا

إن فيها كواعبـــاً أبكــــارا

والحقيقـة إن أغلـب الأهلـين كانوا راضـين عنهُ، فيكفي إنهُ ولد رهبة في قلوب أهل الشـقاوة بل إنهُ يُعتبر من الولاة المصلحين ولم ينل مثل شهرتهِ من ولاة بغداد إلاّ مدحت باشا [٥٨].

❋ الهوامش:

(١) العـرداوي، عـادل، عـلي الـوردي وحديـث حول مدينـة بغـداد، مجلـة أمانـة العاصمة، العـدد (١١)، تمـوز، ١٩٧٧م، ص٣٦ .

(٢)عبـود، عبدالمنعـم كاظـم، مجلـة أمانـة العاصمة، العـدد (١٣)، تشريـن الثانـي، ١٩٧٧م، ص١٧.

(٣)الجبوري، جميل، وسـائط النقل في بغداد القديمة، مجلـة بغـداد، العـدد (٢٣)، شـهر كانـون الثانـي، ١٩٦٥م، ص ٢٠.

ـ الجميـلي، صـادق، حكايـة الـكاري بـين بغـداد والكاظميـة، مجلـة أمانـة العاصمـة، العـدد (١٩)، ١٩٧٩م، ص ٢٠ .

(٤)ديولافـوا، رحلة مدام ديولافوا إلى كلدة العراق عام ١٨٨١م، ترجمـة، علي البصري، مطبعة أسـعد، بغداد، ١٩٥٨م، ص ٩١.

(٥) لونكريـك، سـتيفن همسـلي، العـراق الحديـث ١٩٠٠ـ ١٩٥٠م، ترجمـة، سـليم طـه التكريتي، ج١، ط١، مطبعة حسـام، بغداد، ١٩٨٨م،ص ٦٣ـ ٦٤.

(٦) الزبيـدي، فخـري، بغداد مـن ١٩٠٠ ـ ١٩٣٤م، ج١، دار الحريـة للطباعـة، بغـداد ١٩٩٠م، ص٩.

(٧) مجموعـة كتـاب، بغـداد، نفابـة المهندسـين العراقيـين، مؤسسـة رمـزي للطباعـة، بغـداد، ١٩٦٩م،ص ٧٩.

(٨) مذكـرات بغدادي، من دفتر ذكريات محمد رؤوف السـعودي أبو عطوف، مجلة المـورد ـ عدد خاص عن

بغداد ـ العدد (٤) شتاء، ١٩٧٩م، ص٥٥٥ .
(٩) جواد، مصطفى ـ أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٨م، ص٣٣٤.
(١٠) عبود، عبد المنعم كاظم، مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٥)، أذار، ١٩٧٨م، ص٨.
(١١) العلاف، عبدالكريم، بغداد القديمة، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠م، ص٧٠.
(١٢) عبدالسلام، عماد، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، مجلة المورد ـ عدد خاص عن بغداد، العدد (٤)، شتاء ١٩٧٩م، ص١٩٤ـ ١٩٥.
(١٣) سوسة، أحمد، فيضانات بغداد في التاريخ، القسم الثاني، مطبعة الأديب، بغداد، ١٩٦٥م، ص٤١٢.
(١٤) دراور، ليدي، في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة، فؤاد جميل، ط١، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦١م، ص١١١.
(١٥) السوداني، عبدالله عبدالرحيم، أسوار بغداد، مجلة المورد ـ عدد خاص عن بغداد، العدد (٤)،شتاء، ١٩٧٩، ص٥٥.
(١٦) الجبوري، جميل، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب، مجلة آفاق عربية، العدد (٣)، آذار، ١٩٨٧م، ص٨٨.
(١٧) حول بناية القشلة، مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٧)، تموز، ١٩٧٨م، ص٢٤.
(١٨) الجبوري، جميل، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب،المصدر السابق، ص٨٩.
(١٩) الحسني، عبدالرزاق ـ عبد العزيز الدوري، بغداد، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م، ص٥١.
(٢٠) الجبوري، جميل، لمحات من الحياة البغدادية في الأمس القريب، مصدر سابق، ص٩٠.
(٢١) عبود، عبدالمنعم كاظم / مجلة أمانة العاصمة، العدد (١٣)، تشرين الثاني، ١٩٧٧م، ص١٣.
(٢٢) الزبيدي، فخري، بغداد من ١٩٠٠ ـ ١٩٣٤م، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٩٠م، ص٤٧.
(٢٣) الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٦م، ص٢٤١.
(٢٤) الحنفي، جلال، وسائل التسلية الشعبية في بغداد، مجلة بغداد ن العدد (٢٣)، كانون الاول، ١٩٦٥م، ص٣٢.
(٢٥) فوك، وليم بيري، أحوال بغداد في القرن الـ ١٩، ترجمة، عبود الشالجي، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٦٠م، ص٢٣.
(٢٦) لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٦، مطبعة أركان، بغداد، ١٩٨٥م، ص٣٦٠.
(٢٧) جواد، مصطفى ـ أحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، مصدر سابق، ص٢٣١.
(٢٨) الحسني، عبدالرزاق ـ عبدالعزيز الدوري، مصدر سابق، ص١٥٢ـ ١٥٣.
(٢٩)المدفعي، قحطان، بغداد، وزارة البلديات مديرية التخطيط والتصميم العامة، بغداد، ١٩٦٢م، ص٢.
(٣٠) الحسني، عبدالرزاق ـ عبد العزز الدوري، مصدر سابق، ص١٥٨ـ ١٥٩.
(٣١) شوكت، ناجي، سيرة وذكريات،ج١، ط٢، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٩٠م، ص٢٣.
(٣٢) المصدر نفسه .

(٣٣) سـالم، كمال لطيف، شـارع الرشـيد ذاكرة بغداد، مجلة التراث الشعبي، العدد الفصلي الثاني، ربيع، ١٩٨٨م، ص٧٤.
(٣٤) الزبيدي، فخري، ج١، مصدر سابق، ص٣٣ـ ٣٤.
(٣٥) سـالم، كمال لطيف، شـارع الرشـيد ذاكرة بغداد، مصدر سابق، ص١٧٤.
(٣٦) السـامرائي، عبدالجبـار، شـارع الرشـيد تاريخـهُ وبعض تراثِهِ، مجلة التراث الشـعبي، العدد الفصل الثاني، ربيع، ١٩٨٨م، ص٣٤.
(٣٧) لونكريـك، العـراق الحديـث، ج١، مصـدر سـابق، ص٢٧.
(٣٨) شـبيب، محمود، غوامض من تاريخ العراق والعرب والعالم، ط١، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٨٤م، ص٢٠ـ٢٤.
(٣٩) العـرداوي، عـادل، علي الوردي وحديـث عن بغداد، مصدر سابق، ص٣٦.
(٤٠) لونكريـك، العـراق الحديـث، ج١، مصـدر سـابق، ص١١٤.
(٤١) المصدر نفسه، ص٩٢.
(٤٢) الزبيدي، فخري،ج١، مصدر سابق، ص٢٠.
(٤٣) المصدر نفسه، ص٤٨.
(٤٤) العلاف، عبد الكريم، بغداد القديمة، مصدر سـابق، ص٤٥.
(٤٥) مكـي، طه، تاريخ بغـداد الحديثـة، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٥م، ص٩٣.
(٤٦) عـلي، عادل محمد، حدائق الحيوانات في بغداد، مجلة المورد ـ عدد خاص عن بغداد، اللعدد (٤)، شتاء، ١٩٧٩م، ص٣٦٣.
(٤٧) لونكريـك، العـراق الحديـث، ج١، مصـدر سـابق، ص٩٣.
(٤٨) الزبيدي، فخري، ج١، مصدر سابق، ص٢١ـ ٢٣.
(٤٩) المصدر نفسه، ص٢٢.
(٥٠) لونكريـك، العـراق الحديـث، ج١، مصـدر سـابق، ص٦٣ـ ٦٤.
(٥١) الزبيدي، فخري، ج١، مصدر سابق، ص٢١ـ ٢٣.
(٥٢) لونكريـك، العـراق الحديـث، ج١، مصـدر سـابق، ص٩٧.
(٥٣) العـرداوي، عـادل، علي الوردي وحديـث عن بغداد، مصدر سابق، ص٣٦.
(٥٤)سوسـة، أحمد، فيضانات بغـداد في التاريخ، مصدر سابق، ص٤١٣.
(٥٥) المدفعي، قحطان، مصدر سابق، ص٢.
(٥٦) العـلاف، عبدالكريم، بغداد القديمة، مصدر سـابق، ص١٨١.
(٥٧) العـزاوي، عبـاس، تاريـخ العـراق بـين إحتلالين، ج٨، شركـة التجارة والطباعة المحـدودة، بغداد، ١٩٥٦م، ص٢٠١.
(٥٨)العمري، خيري، حكايات سياسـية من تاريخ العراق الحديث، دار الهلال، ١٩٦٩م، ص٣٧ـ٣٨.

Ottoman governor's reformers

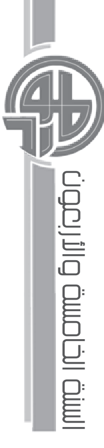
in the history of Baghdad city

By: Dr.Kamal Rashid Khammas Al-Ekaili 

Abstract

The city of Baghdad at the end of the Ottoman era witnessed a series of architectural and reformist features in order to modernize and develop them, influenced by Western European style by a number of reformist rulers who sought reform, renewal and modernization. The most prominent of these was the reformed governor Medhat Pasha in 1869-1872, The life and the movement of the city, compared to his short reign that lasted three years and so characterized the mandate of Medhat Pasha in the history of Baghdad as an urban revolution and the era of real renaissance.

And was punished after the governor Medhat Pasha governors punished the mandate of Baghdad periods of short and did not accomplish in their time until the arrival of the governor, Lieutenant General Nazim Pasha in 1910- 1911, which is the last governors powerful and modern together in Baghdad during the Ottoman era and therefore is a governors reformers did not get his fame from Walaa Baghdad only Medhat Pasha.



فكر الدكتور محمد عابد الجابري

بين التراث والمعاصرة

أ . د . مجيد مخلف طراد*

● المقدمة :

يتميـز هذا العـصر الذي نعيش فيه باتسـاع افق الثقافـة نتيجة التقدم العلمي المسـتمر، وهـذا من شـأنه ان يبعث عند الكثير من مفكري العرب تسـاؤلاً مسـتمراً عـن قيمة تراثنا الحضـاري والفكـري ازاء ثقافـة العـصر وان يحفـز بعضهـم في الوقت نفسـه الى الاطلاع عـلى مـشروع فكري يكشـف مـن خلاله عمـا يمكـن ان يكون في ذلـك التراث مـن المعاني الايجابيـة والقيـم الخلاقـة الدافعة الى التقـدم العلمـي والاجتماعي، ايمانـاً منهم بامكان الملائمة بين التراث والمعاصرة وهي ملائمة بلا شـك تعطينا ثقة بأنفسـنا وتؤكد شخصيتنا بـازاء الثقافات الوافـدة الينا على اختلاف اتجاهـاتها ومن أولئـك المفكرين الذين عنوا بهذه الاشـكالية ودرسـوا التراث العربي الاسـلامي من اجل الكشـف عن اصالته الدكتور محمد عابد الجابري .

● إشـكالية التراث والمعاصرة في فكر الجابري:

كان الجابـري احد الرواد الاوائل الذين كرسـوا جهدهم للعناية بالتراث الفلسـفي الاسـلامي فعنى بشـخصياته البـارزة كالفارابي وابن رشـد وابن خلـدون، بل كانت قراءة ابـن خلدون في اطروحة الدكتـوراه رقيقـة جداً اضفـت طابعاً معاصراً للمنهـج الخلدوني في التعامل مع التاريخ الاسـلامي عموماً.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

ثــم جــاء تأليفه لكتاب فلســفة العلــوم في جزئيه الاهــم في دراســاته اذ دخل مــن خلالــه منعطفاً منهجياً الى فلســفة العلوم ثم راح يقطع خطوات اخــرى متقدمــة في مقاربتــه للتراث ومــا تضمنه من اتجاهــات فقهية وفلســفية وتأريخية ونقلية وصوفية وسياســية، شــكلت فيما بعــد الخطوط الاساســية لاشــكالية التراث والمعــاصرة في فكره الفلســفي، هذه الاشــكالية التي كثير ما تطرح في الفكر العربي الحديث والمعاصر على انها مشــكلة الاختيــار بين النمــوذج الغربي في المجــالات كافة وبــين التراث بوصفه يقــدم او بأمكانــه ان يقدم انموذجــاً بديــلاً او اصيلاً يغطي جميــع ميادين الحياة المعاصرة [١].

لقد تعامل الجابري مع التراث بعده قوة حاضرة في الذاكرة العربية وهذا يعني ان الاســلام عنده لا يزال يلعب دور المحرك للتاريخ العربي في مختلف لحظاته وتجلياته وتقلباته، فسعى الى الكشف عن جذور التراث العربي الاســلامي من خلال البحث عــن مكوناتــه الاساســية وعــن الية العقــل الذي انتــج هذا التراث بالاعتماد عــلى منهج نقدي مبيناً السبل الكفيلة بالتعاطي معه وبيان مكامن القوة والابداع مع الاخــذ بنظر الاعتبار الفــارق الزمني بين الماضي والحاضر، وهكذا ســعى الجابري بكل ما بوســعه للكشــف عن اصالته واحيائه في وقت اشــتدت فيه الحاجه الى هــذا الاحياء الذي كان ولا يــزال يعد مــن اهم الاعمــال الفكريــة التي يمكن مــن خلالهــا مواجهة اخطــار وتحديــات الثقافة الغربيــة الجديدة التــي فرضت نفســها كنموذج عالمي حضاري جديد للعالــم كله يقوم على جملة مقومــات لــم تكن موجودة ســابقاً مثــل التنظيم العقلاني لشؤون الاقتصاد واجهزة الدولة واعتماد العلم والصناعة والتبشــير بقيــم جديدة كالحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وكانت وسائله بذلــك التبادل التجاري غــير المتكافئ والتدخل في الشــؤون الداخلية بحجة الدفــاع عن حقوق اقلية مــن الاقليات او حماية مصالــح معينة او الهيمنة الاقتصاديــة والســيطرة الثقافيــة والايديولوجية وكان من نتيجــة ذلك كله غرس بنى هذا النموذج الغربي في البــلاد العربية هذا من جهة، ومن جهة اخرى اذا كنا لم نختار النمــوذج الغربي بارادتنا فنحــن كذلك لم نختر ما تبقــى لدينا من النموذج التراثــي فان ذلــك ارث يصاحب حياتنا شــئنا ام ابينا واكثر من ذلك هنالك شــعور داخلي نتمســك بــه بل نجده احياناً ملاذ لنا نحتمي به عندما نجد انفســنا امام تهديد خارجــي يمس الذات والهوية والاصالــة والخصوصية ويحاول ان يحل نفســه إنموذج حضــاري على حســاب النمــوذج التراثي العربي الاصيل [٢] .

هذه هي حقيقة المشكلة التي يعانيها الفكر العربي المعاصر، فهي ليست مشكلة الاختيار بين النموذج الغربــي والنمــوذج التراثي الاســلامي او محاولة التوفيق بينها، بل المشكلة الاساسية التي ينبغي ان يدركها الجميع هي الازدواجية التي ترافق حياتنا المادية والفكرية، بل الاكثر هي مشكلة موقفنا من هــذه الازدواجية، فنحن نقبل هذه الازدواجية على صعيد واقعنا الاقتصادي والاجتماعي والســياسي والتعليمــي، بــل قد نبني خططنا المســتقبلية على اســاس هذا الواقع المزدوج وبتمــاس معه تماماً، لكننا في الوقــت ذاته قد ندعم القطاعات العصرية ونوسعها باسم المعاصرة تماماً كما ندعم بالمقابل القطاعات التقليديــة من اجل البقاء عليها واحياء المندثر منها باسم الاصالة او التراث [٣]

امام ذلــك كله وانطلاقاً منه تولدت لدى الجابري رغبــة في حصر جهوده العلمية في اتجاه واحد بعد

ان فرضت عليه ظـروف التدريس في الثمانينيات الخوض في اكثر من اختصاص، فقرر توجيه هذه الجهود كلها بأتجاه الدراسـات التراثية الاسلامية حتى انقطـع اليها كلياً فيما بعـد وبمرور الزمن تبلـور في فكـره منهج ورؤية يسـتجيبان لجانب مهـم من الاهتمامات الفكريـة العربية المعاصرة، فشكل هذا الهاجس في داخله نواة مشروع فكري جديد يدرس الـتراث والفكر المعاصر معاً على ان يسـهم في تقديم اجوبة منطقية عن علاقة التراث بالمعـاصرة، وكيـف نتعامـل مع الـتراث ؟ وهو سؤال عصرنا الثقافي الراهن بعد ان استرجع كتبه التراثية التي بدأ بتأليفهـا منذ عام ١٩٧١ بكتابه (العصبية والدولة، معالـم النظرية الخلدونية في التاريخ الاسـلامي) ثم اعقبـه بمؤلف آخر في عام ١٩٧٧ مـن اجل رؤية تقدمية لبعض مشـكلاتنا الفكريـة والتربوية وكتاب (نحـن والتراث، قراءة ومعـاصرة في تراثنا الفلسـفي) في عام ١٩٨٠ ثم مؤلفه التراث والحداثة / دراسـات ومناقشات في عـام١٩٩١.

اقول لقد تبلور في ذهنـه بعد ذلك مشروع نقدي كبير ظهر على شـكل كتـاب ضخم في ثلاثة اجزاء يحمل عناوين تكوين العقل العربي وبنية، العقل العربـي، والعقل السـياسي العربي، صدرت كلها في بيروت في الاعـوام ١٩٨٤، ١٩٨٦، ١٩٩٠ [٤] .

والـذي دعـى فيه الى الاخـذ بثقافـة الغرب مع إحيـاء الـتراث العربـي القديم بما انطـوى عليه مـن أدب وعقيدة وتشريع وفلسـفة وبذلك تمتزج الثقافـات القديمة والجديـدة في اطار واحد يمكن للامة العربية الاسـلامية من خلالها ان تعيد ثقتها بنفسـها وتعيد بنـاء مجدهـا بانفتاحهـا على ما هو جديد مـع الاحتفاظ بالقديـم بحيث لا يطغى احدهما على الآخـر، فهي اذن محاولة للثقة بتراث الامة الحضاري والسعي للاطلاع عليه وفهمه بدقة ونـشر مالم ينشر منه حتـى نحكم عليه بالحكم الصحيح .

تلـك هـي جـذور مـشروع الجابـري الفكـري وخطوطه العامة ومقدماته الاساسية والذي ينظر اليه البعض على انه واحد من أهم وأبرز المشـاريع الفكريـة عـلى السـاحة العربية المعـاصرة والذي اسـتقطب اهتمام العديد مـن المفكرين والمثقفين والنقـاد العـرب مـن ذوي الاختصـاص في مجال الفكر والفلسفة كونه باعتقادهم يمثل وقفة جادة ومعمقة لدراسـة التراث باطـر منهجية معاصرة، قـد لا نجد فيها ذلك النظير النقدي التقليدي الذي تتبنـاه النظريـات النقديـة الحديثـة المعروفة في الدراسات الادبية والفلسفية والتي كثير ما نجدها في دراسات وكتابات واراء المفكرين المعاصرين له، فضـلاً عن ذلك كلـه فان دراسـة الجابري للتراث جاءت بطريقـة تحليلية دقيقة انتجـت عنها اراء وافـكار واجتهادات خطيرة وجريئة طالت تركيبة الاداة الاساسية للفكر العربي الا وهي العقل [٥]

فالعقـل مـن حيث هـو نتاج فكـري ومنظومة معرفيـة وتطورات ذهنية وثوابت في الفهم نوعان، عقـل نظري يسـتقبل بطرائق الاسـتدلال وقواعد البحث العلمي والناس فيه سواء وآخر عملي يضم أنمـاط التفكـير الاجتماعي والاخلاقـي والذوقي، بمعنى أدق هو نشـاط الناس او الجماعات والذي يشـكل الصـورة الاجتماعية للشـخصية الوطنية وهـو بذلـك الأهـم ان لم يكـن الأخطر مـن نوعه النظري [٦] .

لقـد ركز محمد عابد الجابري في مشروعه لدراسـة التراث على مسألة غاية في الاهمية عندما أشار فيه الى ان نقد العقل العربي جزء أساسي وأولي لكل مشروع نهضـوي عربي حديث، مؤكداً ان سـبب تعثر أغلب



المشاريع الفكرية العربية هو انها كانت تجري غير هـذا المجرى، بل يعتقـد جازماً ان من أهم أسـباب تعثرها لغايـة الآن هو تبنيها عقل لم يقم بمراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراته [٧].

فالعقـل عنده هـو الفكـر بوصفـه أداة للتفكير وعروبتـه تمثل الثقافـة التي ينتمي اليهـا، وهكذا إستطاع ان يشـخص وبدقة اسباب الركود الفكري العربي حتى عُد تسـاؤله عن أسباب هذا الركود هو المرتكـز والمنهج النقدي لمشروعـه الفكري الجديد، مع الإشـارة الى ان هذا السؤال هو ذاته الذي طرحه غيره من المفكرين العرب المحدثين والمعاصرين وإن كان بأشـكال وصيغ مختلفة لكنها تشير الى معنى واحد هو لماذا تأخر المسـلمون وتقدم غيرهم ؟ ربما الإختـلاف في طرح الجابري له كان على وفق الاطار الذي أراد ان يتحرك به وأعني الاطار الابستمولوجي او المعرفي المحض لكي تكون صيغة طرحه للسؤال مستوعباً كل الإستيعاب داخل هذا الإطار[٨] .

وحتى نكون أكثر دقة في تحديد هذا السـؤال وبيان تفصيلاتـه كما طرحـه الجابـري نعيـد صياغته بالشـكل الآتي، لماذا لـم تتطـور أدوات المعرفة من مفاهيـم ومناهـج ورؤى في الثقافـة العربية خلال نهضتها في القرون الوسطى الى ما جعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية علمية متطورة شاملة على غرار ما حدث في الغرب منذ القرن الخامس عشر [٩].

إذن هذه هي قاعدة الإنطلاق لرسـم صورة منهج مشروعـه الفكري الجديـد، وهي نقطة بلا شـك تعبر عن دلالات وأبعاد فلسفية لفكر الجابري، إذا مـا نظرنا اليه من وجهة نظر فلسـفية بحته، لان حقيقة العقل المتفلسـف قائمة أساسـاً على أسئلة متواصلـة عن الأشـياء والوجـود والفكر وتحاول أن تبحـث عن اجوبة ومعان أوسـع لهذه المفاهيم أو الإشـكاليات . ولـذا نجـد ان الفكر الفلسـفي وعبر مسـار تأريخـه الطويل يعد إثارة الاسـئلة من الواجبات الأساسـية لبحث اي مشـكلة بإطار فكـري او فلسـفي ولهذا قيـل ان التفلسـف بدأ بأسئلة طاليس عن أصل الأشياء [١٠] .

يعتقد الجابري ان السؤال عن كيفية التعامل مع التراث سـؤالاً متعـدد الابعاد ومرتبط فيه سـؤال آخر ملازماً له كيف نتعامل مع عصرنا وهو سؤال متعـدد الابعاد وموجه الى الـتراث بجميع مجالاته وموجـه الى المعـاصرة نفسـها بـكل معطياتهـا وطموحاتهـا فلا تزال هنالك اراء تضع بصيغة او بأخرى الاشـتغال بالتراث موضع التساؤل لما كل هـذا الاهتمام بالتراث ؟ هـل هو ردة فكرية ؟ وان التمسك به يعني رفض كل المعاصرة ومتطلباتها، فهل تراثنـا هو ككل تراث مجـرد بضاعة تنتمي الى المـاضي ويجـب ان يبقى في المـاضي وبالتالي لا ينبغي العناية به الا المختصون في شـؤون الماضي وينحصر الاهتمام بـه في قاعات الدرس الجامعي والنشر في المجالات العلمية والثقافية، حتى نتوجه الى المعـاصرة، ان هـذا التوجـه بتقديـر الجابري ينم عـن عدم تقديـر كاف للاشـكالية المطروحة في الثقافـة العربية، وهو ينظـر الى المعاصرة هي تجاوز الفهم التراثـي للتراث الى فهم معاصر والى رؤيـة حديثة لـه فالمعـاصرة باعتقـاده لا تعني رفـض الـتراث ولا القطيعـة مع المـاضي بقدر ما تعنـي عنده الارتفاع بطريقـة التعامل مع التراث الى مسـتوى مـا نسـميه بالمعـاصرة اي مواكبـة التقـدم الحاصل على صعيد الحضارة الانسـانية [١١]. وهكـذا نلحظ ان اشـكالية التراث والمعاصرة كان حضورها واضح وعميـق لديه بعدِّها واحدة من أهم القضايا التي طرحت نفسـها بقوة ليست عـلى الفكـر الجابري فحسـب، وانما عـلى الفكر العربي المعاصر بشـكل عام، واخذ يتجدد شـكل

طرحها بتجدد شكل واسلوب معالجتها من قبل المفكرين العرب المعاصرين بل رافقت جهدهم الفكري والثقافي منذ مدة ليست بالقصيرة عندما بدأت المواجهات العسكرية التأريخية بين اوروبا والبلاد العربية التي رافقتها مواجهة من نوع آخر هي المواجهة الحضارية الشاملة التي جاءت بها اوروبا الى العرب حاملة نتائج نهضتها ووسائل تقدمها حتى أصبحت الحضارة الغربية وقيمها باعتقادها واعتقاد بعض المفكرين العرب ايضاً هي المعيار الوحيد الذي يحدد كل نهوض وتقدم، الامر الذي اصاب العالم العربي بصدمة حضارية وعاش حالة من الانهيار التي افقدته القدرة على التميز والرؤية الصحيحة، فوقف العقل العربي على أثرها عن الابداع والعطاء(١٢)، بل فقدت الامة الفاعلية الحضارية المطلوبة لنهضتها وتقدمها، فسادها الركود والتخلف واصبحت القضية المطروحة على الفكر العربي بإلحاح . كيف نوازن بين تراثنا من جهة وبين مواجهة التحدي الجديد الذي يعبر عنه بالمعاصرة من جهة أخرى، وهو السند الذي لابد منه في عملية تاكيد الذات لمواجهة هذا التحدي . وان كانت المعادلة في غاية العسر وحلها في غاية الصعوبة، فمن جهة هناك اعجاب لا ينكر بعلوم الغرب ومنجزاته الحضارية على الاصعدة كافة، تعد مثال لنموذج التقدم العلمي الذي شهده العالم، ولكن من جهة اخرى نرى ان حامل هذا النموذج هو الغرب نفسه الذي سلب حرية الامة وخيراتها وطعن في هويتها واصالتها وشكك في تراثها وهدد وجودها (١٣).

بدأ الجابري بمناقشة قضية التراث والمعاصرة بقراءة جديدة لتراث العرب الاسلامي تنطلق من منهج واحد وعن رؤية واحدة بحيث يجعل من هذه القراءة المقروء معاصراً لنفسه على صعيد الاشكالية والمحتوى المعرفي من جهة، ومن جهة اخرى تحاول هذه القراءة ان تجعل المقروء معاصر لنا ولكن فقط على صعيد الفهم والمعقولية، فهي تجعل المقروء اذاً معاصراً لنفسه ومعناه فصله عنا وجعله معاصر لنا ومعناه وصله بنا، اذن هي قراءة تعتمد على الفصل والوصل لخطوتين منهجيتين رئيستين (١٤) .

استعرض الجابري القراءات السابقة لقضية التراث والمعاصرة فوجد نفسه أمام ثلاث قراءات رئيسة، حاول الوقوف عليها ومناقشتها وبيان خلاصاتها، **الاولى هي القراءة السلفية** والتي طرحها بسؤالين كيف نستعيد مجد حضارتنا ؟ وكيف نحيي تراثنا ؟ وهما سؤالان كما يعتقد يتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه ويشكلان بترابطهما احدى المحاور الرئيسة في اشكالية الفكر العربي الحديث والمعاصر، مؤكداً ان التيار السلفي انشغل بالتراث واحيائه اكثر من غيره وحاول استثماره من اطار قراءة ايديولوجية تسعى الى اسقاط صورة المستقبل المنشود على الماضي ثم البرهنة انطلاقاً من عملية الاسقاط هذه على ما تم في الماضي يمكن تحقيقه في المستقبل، فيتخذ من الاصالة والتمسك بالجذور والحفاظ على الهوية شعاراً له على ان هذا الشعار يمثل الاسلام الحقيقي، وهي محاولة لتأكيد الذات وبعث الثقة فيها، لكن الذي حدث العكس تماماً لقد أصبحت الوسيلة لتأكيد الذات غاية بحد ذاتها، فالماضي الذي اعيد بناؤه بسرعة قصد الارتكاز عليه لنهوض الامه أصبح هو نفسه مشروع للنهضة وهكذا أصبح المستقبل يقرأ بواسطة الماضي وظلت صورة هذا المستقبل هي نفسها صورة المستقبل – الماضي – وينتهي الجابري من هذه القراءة الى انها قراءة لا تأريخية

وبالتالي لا تنتج سواء نوع واحد من الفهم للتراث هو الفهم التراثي للتراث [١٥]، نعم ربما كانت وقائع الحياة منذ البعثة المحمدية الى بدايات القرن التاسع عشر مشابهة متناظرة فلم يكن هنالك وقائع في حياة المسلم العربي ما يجعله يشعر بأنه منفصل عن التراث لقد كان حاضره امتداد للماضي ونسخة منه اما اليوم فالامر يختلف تماماً، فالحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وبكلمة واحدة الحضارة الراهنة تختلف جذرياً عن نمط حياة الماضي وبالتالي فالاحكام الى الاشياء والنظائر لا يكفي بل ربما لا يجدي لان معطيات الحضارة المعاصرة لا اشباه لها ولا نظائر في الماضي فالاصلاح او تطبيق الشريعة اصبح يتطلب ليس فقط الرجوع الى الاصول بل اعادة تأصيلها بفكر متفتح يجمع بين اعتبار المقاصد والاسترشاد باسباب النزول وبين ضروريات وحاجات عصرنا خصوصاً تلك التي تسهم في تحرير الانسان وتقدم الحضارة [١٦] .

اما القراءة الثانية فهي القراءة اللبرالية والتي طرحها بصيغة سؤالين ايضاً هما كيف نعيش عصرنا ؟ وكيف نتعامل مع تراثنا ؟ وهما سؤالان مترابطان ومتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه وبذلك يشكلان احد المحاور الرئيسة في اشكالية الفكر العربي الحديث والمعاصر .

ويرى الجابري ان نظام العلاقات في هذا المحور قائم على الترابط بين الحاضر والماضي ولكن لا حاضر العرب بل حاضر الغرب الاوروبي الذي يفرض نفسه كذات على العصر كله واساس لكل مستقبل ممكن وهي قراءة استشراقية تقوم من الناحية المنهجية على معارضة قراءة التراث بالتراث ومحاولة رد كل شيء الى اصله فعندما يكون المقروء مثلاً التراث الاسلامي فان مهمة القراءة تنحصر في رده الى اصوله اليهودية والمسيحية والفارسية واليونانية والهندية .

وهكذا تهدف دعوى المعاصرة على وفق هذه القراءة اللبرالية للتراث الى استلاب للذات، الذات لا بوصفها حاضراً متخلفاً فحسب بل ايضاً بوصفها تاريخاً وحضارة [١٧]، فمن الواضح ان هذه القراءة تهدف الى الاعراض والقطيعة عن التراث العربي الاسلامي وان اعتمادها يقتضي في الوقت نفسه الاعراض والقطيعة عن التراث الاوربي الذي انبثقت منه هذه القراءة، لكننا لا نرى ذلك عندها وهذه هي نقطة الضعف الاساسية فيها ولهذا يرى الجابري ضرورة اعادة النظر في الطريقة التي يتعامل بها اتباع هذه القراءة مع الحداثة الاوربية لانها بالنتيجة لا تعني استسلام الخصوصيات الثقافية ولا ذوبانها فيها بقدر ما هي محفز قوي للمقاومة والدفاع عن الذات [١٨] .

القراءة الثالثة والاخيرة هي القراءة اليسارية او الماركسية، والتي لخصها بسؤالين ايضاً هما كيف نحقق ثورتنا ؟ كيف نعيد بناء تراثنا ؟ وهما سؤالان آخران يتضمن احدهما الآخر ويحيل اليه، وكذلك يشكل بترابطها احد المحاور الرئيسة في اشكالية الفكر العربي المعاصر والحوار في هذه القراءة ونظام العلاقات فيها يقوم على المستقبل والماضي بوصفها معاً مجرد مشروعين، مشروع الثورة التي لم تتحقق بعد ومشروع التراث الذي سيعاد بناءه بالشكل الذي يجعله يقوم بدوره في هذه الثورة وتأصيلها، فالعلاقة جدلية بين الاثنين مطلوب من الثورة ان تعيد بناء التراث وبالمقابل مطلوب من التراث ان يساعد على تحقيق الثورة، وانتهت هذه القراءة اليسارية كما يصفها الجابري للتراث العربي الاسلامي الى سلفية ماركسية، اي الى محاولة لتطبيق طريقة الماركسية للمنهج الجدلي

فكان الهدف هو البرهنة على صحة المنهج المطبق لا تطبيق المنهج وهذا هو سر ضعف هذه القراءة وقلة انتاجها وضعف مردوديتها وانعكاساتها على الفكر العربي الحديث والمعاصر[١٩] .

السؤال هنا ما الذي يريده الجابري من هذه القراءات ؟ هل هي عملية اقرار لهذه الاطروحات او تبنيها او الكشف عنها ؟ يجيب ان الذي يهمنا من ذلك كله هو طريقة التفكير التي انتجتها او العقل وفعله اللاشعوري كما يصفه الذي يؤسسها، لانه يؤمن ان نقد الاطروحات عندما يغفل الاساس المعرفي الذي تقوم عليه هو نقد ايديولوجي وبالتالي فهو لا يمكن ان ينتج سوى ايديولوجيا، اما اذا ركزنا في نقدنا على الجانب المعرفي او طريقة الانتاج الفكري او النظري فهو السبيل الوحيد الذي يضفي الصيغة العلمية ويمهد لقيام قراءة علمية واعية للتراث العربي الاسلامي .

فاذا دققنا بالقراءات الثلاثة الآنفة الذكر وقمنا بعملية تحليل دقيقة لها وجدنا ما يجمع بينها من الناحية المعرفية هو وقوعها جميعاً تحت طائلة آفتين كبيرتين هي المنهج والرؤية، فمن ناحية المنهج افتقدت جميع هذه القراءات الى الحد الادنى من الموضوعية ومن ناحية الرؤية تعاني جميعها من غياب النظرة التأريخية، وهذان الظاهرتان اعني اللاتاريخية وفقدان الموضوعية هما متداخلتان تلازمان كل فكر يئن تحت ثقل احد اطراف المعادلة التي يحاول تركيبها[٢٠] .

فالقضية الاساسية التي تواجه مشكلة المنهج في الفكر العربي المعاصر هي الموضوعية بين الفصل والوصل اي علاقة القارئ العربي بالمقروء، اي محاولة فصل الذات المفكرة عن الموضوع (التراث) . وحتى يستقيم لدينا الفهم الموضوعي للتراث ولا وسيلة لذلك الا ان تسبقه وسيلة منهجية فاعلة هي القطيعة التي يؤكد الجابري على اهميتها في فهم التراث، على ان تكون هذه القطيعة ابستمولوجية مع بنية العقل العربي وخاصة للفترة الواقعة بين عصر الانحطاط وامتداداتها في الفكر العربي الحديث والمعاصر[٢١]، اذن فاولى خطوات تلك المنهجية كما يرى الجابري هي ضرورة القطيعة مع الفهم التراثي للتراث، وبذلك استطاع ان يوظف مصطلح القطيعة الابستمولوجية في مجال تاريخ الفلسفة الاسلامية على انها وبحسب منهجه لها كانت قراءات مستقلة متوازية لفلسفات امم معينة (اليونان) ليستنتج من خلالها ان لا تاريخ لهذه الفلسفة – العربية الاسلامية .

والذي دفع الجابري الى ذلك الرأي هو اعتقاده ان قراءة التراث في الفكر العربي عموماً مؤسسة فعلاً على طريقة واحدة في التفكير، الطريقة التي سماها الباحثون العرب القدامى بـ «قياس الغائب على الشاهد» وهي طريقة علمية بلا شك ولكن بشرط الالتزام بمعاييرها وشروطها الصحيحة، لكنها ربما تتحول الى قياس الجديد على القديم عندما لم يتم التقيد بشروطها الصحيحة، واصبحت تشكل الفعل المنتج في نشاط العقل العربي لنتائج خطيرة منها الغاء الزمان والتطور، في الحاضر كل حاضر يقاس على الماضي وكان الماضي والحاضر والمستقبل عبارة عن بساط ممتد لا يتحرك ولا يتموج بل هو عبارة عن زمان راكد ومن هنا تأتي لا تاريخية الفكر العربي، كذلك لم نرى في ذلك كله فصل بين الموضوع والذات فتحول القياس الى آلة ذهنية تمارس بشكل آلي دون استقراء او تحليل او دون فحص او نقد واصبح الشاهد شاهداً باستمرار وحاضراً في العقل والوجدان باستمرار ومن هنا فقد الفكر العربي الموضوعية المطلوبة[٢٢].

وهكذا يذهب الجابري الى ان فقدان الموضوعية هذه هي التي ادت الى قراءة التراث قراءة سلفية تمجد الماضي وتقدسه وتبحث عن الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل، واذا كان هذا الامر ينطبق بشكل واضح على التيارات الدينية فأنه ينطبق ايضاً على التيارات الاخرى، اذ ما عرفنا لكل منها سند سلفي يستنجد به وهكذا يصل الجابري الى ان العرب اقتبسوا جميع مشاريع نهضتهم من الماضي، اما الماضي الاسلامي او الماضي الحاضر الغربي الاوروبي او من التجربة اليسارية الروسية فالمشروع النهضوي العربي بأكمله عبارة عن نشاط ذهني آلي يبحث عن حلول جاهزة لمشاكل مستجدة في اصل ما، وعليه يتطلب الامر الوقوف عليه وتعيينه وفحصه بدقة ونقده بكل قوة قبل الدعوة الى تجديده او تحديثه وهذه العملية لا تتم او تتطلب هدم القديم ونقده نقد شامل وعميق وهذا هو الهدف الذي سعى اليه الجابري وحاول تحقيقه من خلال مشروعه الفكري الجديد الذي تبناه (٢٣) .

نستنتج من اطروحات الجابري الفكرية والفلسفية المختلفة ان التراث العربي الاسلامي يتجسد بشكل واضح في العقيدة والشريعة واللغة والادب وعلم الكلام والفلسفة والتصوف وهو نتاج فترة زمنية من الماضي الذي عاشته الامة وينفصل عن الحاضر بمسافة زمنية ما تشكلت خلال مدة الانفصال هذه هوة حضارية فصلت الامة ولا تزال تفصلها عن الحضارة المعاصرة .

لكن الذي يميز تراث الاسلام هو انه مجموعة عقائد ومعارف وتشريعات ورؤى فضلاً عن اللغة التي تشكل الاطار لذلك كله وقد بدأ هذا التراث في القرنين الثاني والثالث للهجرة (الخامس عشر الميلادي) اي مع انطلاق تكوين النهضة الاوروبية الحديثة، وعليه لابد ان ننظر الى التراث من داخل منظومة مرجعية بانه نقاط اسناد للحضارة الاوروبية من حيث هو انتاج فكري وقيم روحية ودينية واخلاقية وجمالية تقع هناك فعلاً اي خارج الحضارة الحديثة ليس فقط بوصفها منجزات مادية وتقدم علمي وصناعي وانما بوصفها نظماً معرفية وفكرية واخلاقية وجمالية وبما اننا نعيش هذه الحضارة ونحلم بالمشاركة الواعية فيها فاننا نزداد بذلك بعداً عن تراثنا كلما اقتربنا اكثر من هذه الحضارة والمسافة بين هنا وهناك قد تزداد اتساعاً وعمقاً، مما يخلق شعور لدى البعض هو الحنين اليه وفي الوقت نفسه يولد رغبة عند البعض الآخر للقطيعة عنه (٢٤) .

وبناء على ذلك يقرر الجابري انه من المستحيل ان ترى الامة العربية الاسلامية نهضة معاصرة مالم تنطلق اساساً من تراثها او تنتظم داخل تراث غيرها .

وعليه لا بد من قراءة تراثنا بأدوات ووسائل جديدة وبعقلية معاصرة نستقرء من خلالها تفصيلات تراثنا كمرجع لنا وتاريخ لمحاربة التخلف ومواجهة الاستعمار الاوروبي وبالتالي تشيد ثقافة عربية اصيلة مستقبلية تكون لنا ارضية صلبة للانطلاق نحو المستقبل، فبممارسة العقلانية النقدية في تراثنا وبمعطيات منهجية لعصرنا نستطيع ان نكون ثقافتنا بروح نقدية ورؤى عقلانية وهما شرطان ضروريان لكل نهضة، إذاً لا بد من مقاطعة الفهم التراثي للتراث وتحقيق الموضوعية والاستمرارية في القراءة لهذا التراث والاعتماد على رؤية منهجية قائمة على وحدة الفكر ووحدة الاشكالية والانطلاق من تاريخية الفكر برصد الحقل المعرفي والمضمون الايديولوجي عندما نتعامل مع قضية التراث والمعاصرة في الفكر العربي الاسلامي .

* **الهوامش:**

(١) الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص١٥ .
(٢) المصدر نفسه، ص١٨ .
(٣) الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي، ص١٩ .
(٤) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص ٨ .
(٥) الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ص٥ .
(٦) مبارك، محمد، الجابري واضطرابه بين طروحات لالاند وجان بياجيه، مفهوم العقلانية بحث منشور في مجلة الرواد، بغداد، ٢٠٠٠، ص٣٣ .
(٧) الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩، ص٥٦٤ .
(٨) ابي ذر، نابلة، التراث والمنهج بين اركون والجابري، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢٥٥ .
(٩) ٤-آل جعفر، وثاب خالد، نقد العقل بين محمد عابد الجابري ومحمد اركون، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠١٣، ص٧٥ .
(١٠) الآلوسي، حسام الدين، الفلسفة والانسان، بغداد، ١٩٩٠، ص٩١.
(١١) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص٦٤ .
(١٢) الجابري، محمد عابد، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، بيروت، ٢٠٠٠، ص٢٩٩١.
(٣١) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص١٠٤ .
(١٤) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٦ .
(١٥) الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٣ .
(١٦) الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، ص١٥ .
(١٧) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، ص١٠ .
(١٨) الجابري، المشروع النهضوي العربي، مركز دراسات الوحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩، ص١٢٤ .
(١٩) الجابري، نحن والتراث، ص١٢ .
(٢٠) المصدر نفسه ن ص١٣ .
(٢١) الجابري، التراث والحداثة، ص٢٦٢ .
(٢٢) الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، ص١٦ .
(٢٣) آل جعفر، وثاب خالد، مصدر سابق، ص٦٣ .
(٢٤) الادريسي، حسين، محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص٢٦٨

* **مصادر البحث:**

١- الآلوسي، حسام الدين، الفلسفة والانسان، بغداد، ١٩٩٠ .
٢- آل جعفر، وثاب خالد، نقد العقل بين محمد عابد الجابري ومحمد اركون، بغداد، ٢٠١٣ .
٣- ابي ذر، نايلة، التراث والمنهج بين اركون والجابري، بيروت، ٢٠٠٨ .
٤- مبارك، محمد، الجابري واضطرابه بين طروحات لالاند وجان بياجيه، مفهوم العقلانية، مجلة الرواد، ٢٠٠٠ .
٥- الجابري، محمد عابد، حفريات في الذاكرة من بعيد، بيروت، ١٩٩٧ .
٦- الفقيه، شبر، الفكر الفلسفي المعاصر، اشكالية التأويل، بيروت، ٢٠٠٩ .
٧- الجابري، محمد عابد، اشكالية الفكر العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٠ .
٨- الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، بيروت،١٩٩١ .
٩- الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩ .
١٠- ولداياه، السيد، اعلام الفكر العربي، مدخل الى خارطة الفكر العربي الراهنة، بيروت، ٢٠١٠ .
١١- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، بيروت، ١٩٨٩ .
١٢- الجابري، محمد عابد، العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، بيروت، ٢٠٠٠ .
١٣- الجابري، محمد عابد، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، بيروت، ٢٠٠٦.
١٤- الجابري، الخطاب العربي المعاصر، بيروت، ١٩٩٩ .
١٥- الجابري، محمد عابد، المشروع النهضوي العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
١٦- الادريسي، حسين، محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي، بيروت، ٢٠١٠.

The conception of Dr. Mohammad Abid Al-Jabiry between heritage and contemporary

By: Dr. Majeed Mukhlif Tarrad 

Abstract

Dr. Mohammad Abid Al-Jabiry is a thinker, Arabic philosopher, from Morocco , he is related with civil , intellectual projects in the Arabic contemporary area ,it is concentrated on the problematic between heritage and contemporary that could not Imposing itself not only through Al-Jabiry thought but, on the Arabic thought in general . he wrote many books and the most important one is heritage , modernism , we and heritage and making the Arabic brain and others. He discovered the speech on heritage carried it Implied or explicit . Al-Jabiry had considered the criticism of Arabic brain as a fundamental part of developing project who talked about brain as an instrument of thinking and must be reviewed to conceptions , inceptions , he treated heritage as courageous power in Arabic memories this means that Islam is still playing the generator role to Arabic history in various seconds tried to discover roots of heritage through searching the fundamental contents and on the brain mechanism by depending on the critic program indicating to ways of treating with it and to clarify Strengths and creativity in it.



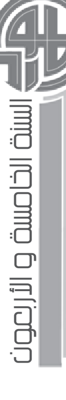
جعفر عباس حميدي (مؤرخاً)

م.م. مازن قاسم مهلهل *

● تمهيد:

شهدت حركة درس التاريخ في العراق، في النصف الاخير من القرن العشرين، تقدماً ملموساً واهتماماً عاماً من المثقفين، تعود اسبابه، بالدرجة الاساسية الى انشاء كليات جامعة بغداد، والجامعات الأُخرى، بما تضمه من اقسام متخصصه في دراسة التاريخ، وتخرج اولئك الذين بُعثوا الى الجامعات الاوروبية والامريكية ليعودوا الى وطنهم، فيقودوا من خلال الاقسام العلمية المتفتحة لطلبتهم باتجاه دراسة هذا العلم واستكشافه آفاقه، على وفق المنهج الذي تعلموه، ومن ناحية اخرى، فان نمو الشعور الوطني والقومي، الذي كان يدعو الى استلهام الماضي في تصحيح مسار الحاضر، او في الأقل فهم الماضي بما يقدم الاجابات على اسئلة كان يطرحها الحاضر، بإخفاقاته المتكررة، وآماله المحتملة، كان مسؤولا هو أيضاً عن تنشيط الاذهان نحو البحث في الماضي، أياً كان اتجاه ذلك البحث والغاية التي سينتهي اليها. وفي الواقع، فان ما شهده العراق والوطن العربي، بل العالم، في تلك الحقبة من تغييرات سياسية، شملت أنظمة الحكم، وظهور تيارات فكرية جديدة، وسياسات عمدت الى ايجاد مواضع وطنية بعيدة عن التكتلات الدولية، مما ادى الى ان تأخذ الدراسات التاريخية منحىً ينسجم مع ظروف تلك المرحلة.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



وكان لكتابات عباس العـزاوي[١]، ومحمد مهدي البصـير[٢]، ومحمـد طاهـر العمـري[٣]، وعبـد الـرزاق الحسـني[٤]، ومجيد خـدوري[٥]، وزكي صالـح[٦]، أثر واضح في القاء الضـوء على تاريخ العراق المعاصر ابان عقد الثلاثينات والاربعينات، وشـجعت نفراً من الباحثين الشـباب للتخصص بتاريـخ العراق المعاصر، ولعـل كان في طليعتهم، الاستاذ الدكتور جعفر عباس حميدي.

الـذي التحق عـام ١٩٧١، بجامعة بغـداد/ كلية الآداب، ليناقـش رسـالة الماجسـتير (التطـورات السياسـية في العـراق: ١٩٤١-١٩٥٣) ثـم لحقها بعد سـنوات، بأطروحة للدكتوراه عن (التطورات والاتجاهات الداخلية في العراق: ١٩٥٣-١٩٥٨)[٧].

وفي خلال عقد السبعينات، كان زملاء له قد تخرجوا من جامعات عراقية او عربية او غيرها متخصصون بجوانب من تاريخ العراق في الحقبة نفسها. وهكذا ظهر جيـل جديد مـن المؤرخين العراقيـين الذين سـيكون لهم شأن في قيادة الدراسات التاريخية في العراق، بل امتد دورهم في التأثير في هذه الدراسات في دول عربية شتى، بحكم تدريسهم طلبة عديدين من تلك الدول، واشرافهم على رسائلهم واطاريحهم الجامعية، ولا شـك في ان من يقـرأ مؤلفات المؤرخ (جعفر عباس حميدي) سيرى امامه زاداً وافراً من شـأنه ان يولد رغبـة ملحة لإنعـام النظر فيما هو معروض امامه، والموضوعات المتنوعة التي تناولها في كتبه وبحثه، هي بلا شـك تدخل في نطاق الفكر من اوسـع ابوابه، ورسـم صورة المـاضي القريب ببنيته الفكرية، متداخلة مع لحظة الحاضر، تحفز، او تستشرف في الاقل، لحظة المستقبل الآتية، ليرسم بذلك لوحة تاريخية تتحدث عن حقبة شاء القدر ان ينيط بمؤرخنا مسؤولية التدوين لها.

مثلت الحقبة التي شـهدت البناء الفكري للدكتور جعفر، مرحلة صراع سـياسي وفكري بين عدد من التيارات السياسـية في البلاد، وهي في الوقت نفسه، مثلت باكورة النهضة الثقافية في العراق.

ينسـب د. جعفـر التطـور في الكتابـة التاريخية في العـراق إلى ما أسـماه (الرعيـل الأول)، واعتقد المترجم لـه إن زكي صالح[٨] الرائد الأول في كتابة التاريخ الحديث والمعاصر وان أطروحته الموسوعة (مقدمة في دراسة العراق المعاصر)[٩].

على الرغم من إن عنوانها يشـير إلى تاريخ العراق المعـاصر، غـير إن الحقيقة إن الدراسـة تبحث في منشأ النفوذ البريطاني في الخليج العربي.

تأثر مؤرخنا كثيراً بأستاذه زكي صالح، ويبدو ذلك واضحاً من خلال التأكيد على الأسـلوب التاريخي في البحـث Historical Method قواعد محكمة، وتعاليـم مفصلة، نمـت بمرور الزمـن على أيدي جمهرة من المؤرخين المحدثين، حتى إنها أصبحت علماً قائمـاً بذاته، مدونـاً في تصانيف قيمة، وإلى جانب ذلـك توجد علوم أخـرى ذات علاقة وثيقة بأعـداد المؤرخين، نذكـر منها ما يعـرف بتاريخ التاريـخ History of History الذي نلاحظ فيه نمو الكتابـات التاريخية وتطورهـا عند مختلف الدول وفي شتى المواضيع[١٠].

اعتقـد المترجـم له «إن التاريخ جزء أسـاس من عقل المـرء الراقي المهذب، ودرجـة تهذيب المرء لا يظهرهـا شيء أكثر ممـا يظهرها التاريخ، لأن قـراءة التاريخ تلقن الناس دروسـاً في الحكمة، التاريخ شيء لا يسهل تعريفه، ولكن يبدو له إن سـجل الحياة المجتمعات الإنسـانية، وللتغييرات التـي اجتازتهـا تلك المجتمعـات، وللأفكار التي تحكمـت في توجيـه تلك المجتمعـات، وللظروف المادية التي سـاعدت أو أعاقت تطورها. وعليه، فالتاريـخ علـم اجتماعـي، تكمـن فيـه المرونة والتنـوع والاسـتنارة، يتناول الجنـس البشري بكل مـا أنطـوى عليـه مـن التعقيـد والتنوع، والتاريـخ دائـم الحيويـة وفي وسـعه أن يهـز المشـاعر، وعليـه فالتاريـخ هو تاريـخ المجتمع بصفة شـاملة، ووصف المجتمع كامل من شـتى الوجوه- كبيئته الجغرافية وأساسـه الاقتصادي

ونظـام الأرض والصناعـة والأحداث السياسـية والحيـاة الاجتماعيـة والدينيـة والثقافيـة، إنـه يصور حيـاة المجتمع كله؛ بحركاتـه ومنازعاته وأخطائه ومآثره وعشائره.
ولابـد لي مـن العقـول إن السياسـة تتبـؤا مركزاً ممتازاً، وعليه ينبغي أن يكون التاريخ هو العمود الفقري للتاريخ(١١).
ويذهـب د. جعفـر في تفسـير التاريـخ مذهـب شـيخه زكي صالـح في إعانـة المطلـق بالتوازن بـين العوامل الجغرافيـة والاقتصاديـة والدينية والعوامل الأخرى في مجرى التاريخ. ويقول: «إن للتوابع من الناس أثرهم البليغ في شؤون الناس، وللمصالـح الاقتصاديـة أيضـاً فعلهـا البليـغ، وهنالك غير هؤلاء من الذين يشـيرون إلى انهماك المرء في أمر معايشـة، ممـن لهم آراء في الموضوع لا تخلـو مـن الصواب، مثـل الاعتـداد بالعوامل النفسـية، باعتبـار إن العواطـف والغرائـز وما إليها من القوى الكامنة في الإنسـان هي ذات آثر فعال في حياة الأفراد والجماعات». ويختم علامة بالقـول: «إذا ما كان الاتـزان ضرورياً في تقدير العوامـل المؤثـرة في حيـاة البـشر، فـإن لبعض العوامل أرجحية عـلى البعض الآخر في عصر من العصور أو في قطر من الأقطار» (١٢).
إن مصـادر الرعيـل الأول محـدودة، ووصـول الكتـب مـن خـارج العـراق بطـيء لصعوبـة المواصـلات وتخلفهـا فضـلاً عـن تحريم بعض الكتـب في بعـض الأوقـات من جانب السـلطات الحكوميـة، ولكـن مؤرخـي الجيـل الأول امتاز بقلة إنتاجاته.
أما الرعيـل الثاني من مؤرخي العـراق، فيقف في طليعتهم، الأستاذ الدكتور عبد الأمير محمد أمين- على وفق رؤية د. جعفر عباس حميدي.
نسـتنتج من السيرة العلمية لمؤرخي الجيلين الأول والثاني، انهم جميعاً قد حصلوا على شهاداتهم العليا في التاريخ (الماجسـتير والدكتـوراه) من جامعات غربيـة، لعدم وجود مثل هذه الدراسـات في العراق وقتـذاك. إذ كانت خطـة التعليم العـالي في العراق قبل تأسـيس جامعـة في العراق تقوم على إرسـال البعثات العلميـة إلى الدول الغربيـة، فهذه الخطة كما تؤكد تلك السياسـة (أفيد بكثير)(١٣)، واستمر العمل بإرسال البعثات العلمية قبل تأسيس جامعة بغداد. وقد ساعد هذا النوع من الدراسة في التعرف على فلسـفات ومناهـج البحث الغربية في دراسـة التاريخ، وكان لهذا الواقع تأثيره الواضح في كتابات هؤلاء المؤرخين من حيث المنهج، ومجالات التأليف، والرؤى العامة(١٤).
امتاز الجيلان الأول والثاني على وفق اعتقاد المترجم له، بالتزمت ولم يقبل فتح دراسـات عليا في جامعة بغداد، لعدم توفر شروطها حسـب رأيهم، وأهمها إجادة لغتين أجنبيتـين، وكانوا يعتقدون إن الإيفاد خارج العراق أجدى وأنفع(١٥).
آمن أبناء هذا الجيل «إن لا قيمة للعمل الأكاديمي- تدريـس، بحث علمـي، خدمة المجتمـع- من دون الاتقان والتعميم والاهتمـام، وان العمل الأكاديمي نشاط إنسـاني وان الجسر بين الخبرة وعدم الجدة هو الجودة في الأداء(١٦).
وقد أشـار مؤرخنا بأن أ. د. كمال مظهر أحمد و أ. د هاشـم صالـح التكريتـي يقفـون في مقدمة الرعيـل الثالـث للمؤرخين العراقيـين في التاريخ الحديث.
إمتـاز د. كمـال مظهر أحمد باهتمامـه المميز بما كتبه المسـتشرقين، واهتم بكتاباتهـم ومناهجهم، فهو يرى إن موضوع الاسـتشراق من الموضوعات المعممة، ويعد الاسـتشراق في نظر كمال، من أروع العلوم، مستشـهداً بما يقدمـه من خدمات جليلة، مشـيراً إلى المقولـة الرومانية. (التاريـخ هو تعليم الحكمـة بالأمثـال). وعـلى الرغم مـن إن الدكتور كمال يحذر من الانتباه إلى ما يمكن خلف سـطور كتب المسـتشرقين من نيات ومآرب، فهو يؤكد على أهميتها، بوصف من كتبهـا يعدون من المفكرين،

ولابد من الاسترشـاد بطروحاتهم ومناقشـاتها، بـل والاسـتفادة مـن مناهجهـم في التعامل مع الطروحات والأحداث التاريخية، لاسيما وان جل تلك الكتابات، تحليلية مسـتندة إلى إدراك لحركة التاريـخ. وإلى ذلك نجده مهتمـاً بتوثيق جوانب مهمـة من التاريـخ الكردي الحديـث. ومع ذلك وعـلى الرغم من الـزام نفسـه بمنهجية صارمة في تقديـم مادتـه التاريخية تلك، فإنـه لم يجيد عما وجد أقرانه مـن المؤرخين، مما اعتادوا عليه مـن آليات في طـرح الموضوعات، حـين راح يهيأ لموضوعـة الكتـاب الذي يروم إصـداره، بمدخل معرفي يمهد مـن خلاله ذهنية القـاري للدخول بإنسيابية إلى محور الموضوع، بل وجدناه يعمد إلى إثـراء الكتاب بهوامش تعريفيـة لما يصادفه من الأعلام والأماكن، مما يشـكل التعريف فائدة تتعلق بمجال موضوعة البحث.

ومن ذلـك، نقـول إن للدكتـور (كمـال مظهر) أسـلوب كتابه، لا يشـعر القـارئ معهـا بالملل، لبسـاطته ولتماسـك رواياتـه التـي لا يكتنفهـا الغموض. ولعـل ما يجعله سلسـاً في مادته، هو مـا يتمتع به مـن دراية ومن خـبرة في التعاطي مع الروايـة التاريخية بحيث لا يتيح المجال أمام المتطلـع لقراءها، أن يغفـل بعضها ، بل ويجعل منـه منتظراً لما يليها من طرح، يعد بمثابة إجابة عليها وبياناً لمعانيها. ولعل ما أضفى من جمالية عـلى لغة كمـال وأسـلوبه، إنه لم يفـرق كتاباته بمصطلحات يجعل القـارئ متحيراً حيالها، كما يفعل بعض الباحثين ظناً منهم إن هذه الوسـيلة ستضفي على كتاباتهم نوع من الأهمية، في الوقت الذي سـتؤدي فيه هذه المصطلحات إلى أثقال أو تعثـر في فهـم النـص، لاسـيما إذا كان بالإمكان الاسـتغناء عنها، أو التقليل من اسـتخدامها، إلا إذا دعت الحاجة إليها[١٧].

في حـين عـرف الأسـتاذ الدكتور هاشـم صالح التكريتي الـذي يضعه مؤرخنا في الرعيل الثالث مـن المؤرخين، بعلميته ودقتـه ورصانة البحوث والدراسـات التـي أنجزها ونشرهـا، آمن بفكرة التقدم، ولأنه معروف بخلفيته اليسـارية حارب التخلـف والاسـتبداد ونـادى بالحريـة، وكـره التعصب، وهاجم التعصـب ودعا إلى «المزيد من دراسة الاسـتعمار والتعمق فيه لإظهار حقيقته البشـعة التي يحاول المدافعون عنه تمويهها على المستعمرين»[١٨].

امتـازت رؤيـة الأسـتاذ الدكتـور التكريتـي بالوضوح نحـو التاريخ، واعتمـدت تلك الرؤية على إن وظيفة المؤرخ تقتصر على إعادة تشـكيل الحديـث كمـا وقع ومـن هنا فهـو يحرص على الموضوعية قـدر الإمكان لكن هذا لا يمنع من أن يكـون المؤرخ أداة فاعلة في دفـع حركة مجتمعه إلى الأمام وذلك من خلال تأشير الحالات السلبية والمظلمة بهدف تجاوزها[١٩].

أمـا الجيل الرابع فيقـف في مقدمتهم أ. د. جعفر عبـاس حميدي وأ. د. صالـح العابد وأ. د. طارق نافع الحمداني وأ.د. يقظان سـعدون العامر و أ. د. سـيار الجميل وأ. د. صادق السوداني وأ. د. عمـاد أحمـد الجواهـري وأ. د. فـلاح الأسدي وأ. د. نوري العاني وأ. د. محمد مظفر الأدهمي وأ. د. سامي القيسي وأ. د. حميد أحمد حمـدان التميمـي وأ. د. عـلاء نـورس[٢٠].

امتاز مؤرخـو تلك الحقبة بالتأصيـل التاريخي، والملاحظ عـلى الجيل الرابع فإن أغلبهم أفاد كثيراً مـن ملازمـة الجيلـين الأول والثانـي، وتمكن أن يكون لنفسـه ثقافة ومنهجيـة تاريخية واضحة، وقـدر لهـذا الجيل خلق جيل جديـد على يده، من خريجـي الجامعات العراقيـة، إذ لم تتح الفرصة للجيـل الجديد- الجيل الخامس[٢١]- للدراسـة في الجامعات الأجنبية بسبب ظروف الحرب العراقية الإيرانيـة ١٩٨٠- ١٩٨٨، وظـروف الحصـار الاقتصادي الذي مر به العراق في تسعينات القرن العشرين لغاية ٢٠٠٣.

● **المنهج الأكاديمي لدى د. جعفر عباس حميدي:**

اختلف المؤرخون العراقيون في حقيقة تبلور مدرسة تاريخية عراقية، والحق إن هناك عوامل اجتماعية وسياسية أسهمت إلى حد كبير في تخلف المدرسة التاريخية العراقية بالقياس إلى المدارس التاريخية العالمية، لذا لجأ المؤرخ العراقي إلى حماية نفسه أولاً باللجوء للاستعانة بالمدارس الأخرى، وحتى لا تظلم المؤرخ العراقي ولبيان حالة خلال المدة التي حكم خلالها صدام حسين على سبيل المثال لا الحصر، أرى من المفيد أن نستشهد بما قاله المؤرخ العراقي المعروف الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد، وهو يتحدث عن الظروف الاستثنائية، فيما يخص غياب حرية الرأي بأنه: «ليس لك قول ما تشاء وكتابه ما تشاء، بل ليس لك التفكير بما نشاء». وإذا لم يكن بمقدوره المؤرخ حتى أن يفكر بما يشاء فعلينا أن نفكر بالخسارة التي تلحق بالحقائق والحياد العلمي.

وللكتابة التاريخية Historiography بمعناها المنهجي والابستمولوجي، دور مهم في إعادة بناء الوعي الجماعي وإعادة تشكيل الذاكرة التاريخية وتنشيطها التي تسهم عموماً في إعادة بناء المجتمع وفقاً لسياقات وأنساق جديدة ربما تكون مغايرة على نحو ضمني أو كلي عن الأنساق القديمة التي ربما قادت الأمم سابقاً إلى الويلات والحروب ودمرت البنى الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فإعادة قراءة التاريخ وتجديد مناهجه وأدواته أسهمت بالنسبة لشعوب كثيرة في جعل التاريخ وقبله المؤرخين عاملاً مساعداً في إعادة البناء وتشكيل المجتمع، وبالتالي مفهوم الأمة والدولة. وفقاً لرؤية جديدة يكون دور التاريخ فيها فاعلاً . انشغل الكثير من المؤرخين في البحث عن أسباب النكوص والانحدار، ومحاولات استنباط هذه الأسباب من دراسة التاريخ ، وربما تشكل محاولة المؤرخ البارع أرنولد توينبي Arnold Toynbee في كتابه الموسوعي (دراسة للتاريخ)، بأجزائها المتعددة، مثالاً واضحاً على مدى محاولة المؤرخين لبحث في أسباب العلل بالبحث في جذورها التاريخية[٢٢].

ومما يدعو للأسف، عدم رعاية الدولة العراقية للنشاطات الفكرية بشكل عام، والتاريخية على وجه الخصوص وان «الذاكرة الثقافية التي حاولت الدولة تشكيلها في العراق عبر تاريخه الحديث والمعاصر أسهمت في التأثير سلباً على تشكيل هوية وطنية جماعية»[٢٣].

ليس القول إن الأستاذ الدكتور جعفر عباس حميدي مؤرخ من الطراز الأول ابتعاداً عن الحقيقة، إذ كان من ضمن الذين شاركوا في تأسيس ملامح مدرسة تاريخية.

وفي ضوء دراسة نتاجات مؤرخنا، فقد نهج المترجم له المنهج الأكاديمي الحديث الذي يعتمد على التحليل واستنباط المصادر وتحليل الوثائق، على إن أهم مزايا د. جعفر الوضوح في عرض المادة، ولكنها من جانب آخر تحت نحو الجدية، لأن معظمها إن لم نقل كلها دراسات وثائقية اعتمدت على الوثائق العراقية وعلى الصحف والمذكرات الشخصية.

وحين سألنا مؤرخنا الجليل عن رؤيته في وجود مدرسة تاريخية عراقية، تحفظ على وجود مثل تلك المدرسة على أساس إن المؤرخين العراقيين يمثلون انعكاسات لثقافات ومناهج الدول التي درسوا فيها لاسيما الولايات المتحدة، وبريطانيا ، والاتحاد السوفيتي، وفرنسا ومصر.

فضلاً عن عدم تبلور رؤى خاصة بالمؤرخين العراقيين وعدم وجود اتجاهات فكرية واضحة[٢٤].

ويعزو عدم تبلور مدرسة تاريخية عراقية بانعدام حرية الفكر والرأي في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية وليومنا الحاضر، زد على ذلك، لم تهتم الدولة العراقية بالبحث العلمي، ولا توجد

مؤسسات علمية كبيرة ترعى النشاط الثقافي والتاريخي في البلاد. وانغلاق بعض الباحثين على أنفسهم أو هجرتهم[٢٥].

ونوه مؤرخنا بدور العديد من المؤرخين غير المتخصصين بدراسة التاريخ، وفضلهم على الكتابات التاريخية، وخص بالذكر الشيخ محمد رضا الشبيبي والمحامي عباس العزاوي، يوسف رزق الله غنيمة ومحمد بهجة الأثري وعلي الوردي والأب بطرس حداد، ومحمود شكري الآلوسي، والضابط المعروف محمود شيت خطاب، وأمين المميز وسليمان فيضي وعلي ظريف الأعظمي وعبد الفتاح إبراهيم، وكاظم الدجيلي وحسان البازركان وعبد الرزاق الحصان والمحامي جواد الظاهر والشيخ وداي العطية وأحمد سوسة ومير بصري ويعقوب سركيس.

وحين سألنا المترجم له عن تأثير منهج البحث التاريخي في الدراسات التاريخية. شكا الدكتور جعفر من قلة الاهتمام بمنهج البحث التاريخي، وأشار إلى الاهتمام به تمحور حول كيفية الإفادة من ضبط هوامش الدراسة التاريخية، وترتيب قائمة مصادرها ومراجعها، وطريقة الإحالة على هذه المصادر، الأمر الذي جعل من منهج البحث التاريخي منهجاً نظرياً بعيداً عن التطبيق العملي غالباً. ويبدو إن أقسام التاريخ في كليات الآداب والتربية في جامعتنا أهملت منهجية البحث التاريخي، إذ لا يتم تدريسه غالباً للمختصين في التاريخ سواء في مرحلة الدراسة الجامعية الأولية، ولا تخصص له جامعتنا سوى أقل من ٢٪ من الساعات المطلوبة لمرحلة البكالوريوس وأحياناً تدرس مادة منهج البحث التاريخي لفصل واحد فقط في مرحلة الدراسات العليا بوصفها مادة دراسية من بين ما لا يقل عن خمس وعشرين مادة مقررة لتلك المرحلة.

ويؤكد مؤرخنا إن المتخصصين في التاريخ الذين يحصلون على شهاداتهم العليا سواء الماجستير أو الدكتوراه يكتسبون موضوع تخصصهم ويمارسوه نتيجة لذلك عن طريق المحاكاة والتقليد لا على أساس إنه علم له قواعد وأصول ينبغي أن تحدق وتطبق على الدراسات التي يعالجها هذا الموضوع.

اعتقد المترجم له إن النقد التاريخي لا يثبت الحقيقة التاريخية، بل يساعد في بلوغها، ويؤدي إلى احتمال الصدق فيها. وصحيح إنه ينبذ جانباً الأخبار التي يثبت كذبها أو الخطأ فيها ولكنه لا يضع مكانها بديلاً. وبذلك تكون النتائج الثابتة المؤكدة هي نتائج سلبية، والنتائج الإيجابية كلها تكون موضع الشد، ويوجد الاحتمال في صدقها .

*** الهوامش:**

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد جاسم كاظم، عباس العزاوي وتاريخ العشائر العراقية، مجلة الانوار، العدد ٥، ص٤٣.

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر: مهدية شاكر حسين وعباس هاني الجراخ، محمد مهدي البصير: شاعراً وباحثاً، مجلة جامعة بابل/ العلوم الانسانية، العدد٢، ٢٠٠٧، ص١٤٦

(٣) محمد طاهر العمري: ان المؤرخ الحقيقي هو محمد امين العمري، لكنه اصدر كتابا باسم اخيه محمد طاهر، وقد ذكر ذلك د. فاضل حينها وقال ان السبب يرجع الى ظروفه كعسكري، وقتئذٍ كانت لا تسمح له بإصدار كتب ذات طابع سياسي. والكتاب هو (تاريخ مقدرات العراق السياسية) والذي صدر في بغداد عام ١٩٢٥. ينظر: د. جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر (الموصل، ٩٨٩)، ص ٢٣٩.

(٤) ينظر: زكية المزوري، الساعات الاخيرة لشيخ المؤرخين عبد الرزاق الحسني، جريدة المدى، ٢١ حزيران ٢٠١٥.

(٥) ينظر: احمد ناجي نعمة، مجيد خدوري: حياته، اثاره، منهجه، اطروحة دكتوراه، غير (منشورة)، كلية التربية/ ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

(٦) ينظر: ابراهيم خليل العلاف، المؤرخ زكي صالح، ١٩٠٨-١٩٨٦، مجلة علوم انسانية (الكترونية) ، هولندا .

(٧) ينظر: وإبراهيم خليل العلاف، موسوعة المؤرخين العراقيين المعاصرين، ج١، دار بن الأثير للطباعة والنشر (الموصل، ٢٠١١).

(٨) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي، بغداد، صالح العابد، زكي صالح، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد ٥٦، ١٩٩٨.

(٩) جعفر عباس حميد. مقابلة شخصية

١٠) إبراهيم خليل العلاف، المؤرخ الدكتور زكي صالح ١٩٠٨- ١٩٨٦ والبواكير الأولى، ينظر الموقع www.UlLUM.nl.

(١١) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي، بغداد.

(١٢) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي.

(١٣) طارق نافع الحمداني، الدكتور عبد العزيز الدوري والمؤرخون العراقيون المعاصرون من كتاب حيدر قاسم التميمي (إعداد وتقديم)، عبد العزيز الدوري مفكراً ومؤرخاً (بغداد، ٢٠١١)، ص٦٣.

(١٤) مقابلة د. جعفر عباس حميدي، بغداد.

(١٥) علي عجيل منهل، الدكتور عبد الأمير محمد أمين، والكفاءات المظلومة في العراق الحديث، الحوار المتحدث، تاريخ الزيارة ٢٨ تموز ٢٠١٥.

(١٦) احمد ناجي، الدكتور كمال مظهر أحمد: دراسة تاريخية، مجلة كلية التربية، جامعة الكوفة، العدد الرابع، ٢٠١٤، حرص ١٢٥-١٢٨.

(١٧) هاشم صالح التكريتي، الاستعمار أشكاله، وتطوراته، وأساليبه، دار الشؤون الثقافية (بغداد، ١٩٨٩)، ص٣.

(١٨) إبراهيم خليل العلاف، موسوعة المؤرخين العراقيين، ص٤.

(١٩) هذا رأي الباحثين : ينظر: طارق نافع الحمداني، مصدر سابق، ص٧٢- ص٧٥.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) أريك دافيس ، الخمسينات فترة ذهبية في تاريخ العراق المعاصر، منشورات الحزب الشيوعي العراقي (بغداد، ٢٠٠٨)، ص١.

(٢٢) محمود عبد الواحد محمود، مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ: محاولة للتأصيل في الفهم العراقي، دار ومكتبة عدنان، (دمشق، ٢٠١٣)، ص١٧.

(٢٣) أريك دافيس، مذكرات دولة: السياسة والتاريخ والهوية الجماعية في العراق الحديث، ترجمة حاتم عبد الهادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ٢٠٠٦)، ص١٣.

(٢٤) مقابلة مع د. جعفر عباس حميدي، بغداد.

(٢٥) المصدر نفسه.

Jafar Abbas Hamidi

(Historian)

By: Mazen Kassem Mahlhal 

Abstract

This research deals with one of the Iraqi academics who have had a good and noble effort to lay down the methodologies of the historical lesson that has been learned from the achievements of previous generations of prominent Iraqi academics in this field. Dr. Jaafar Abbas Hamidi, who belongs to a new generation of Iraqi historians, As in the leadership of historical studies in Iraq, but extended their role in influencing these studies in various Arab countries, by virtue of teaching many students from these countries, and supervision of their letters and university degrees, no doubt that those who read the works of the historian will see in front of him abundant supplies that would Generates an urgent desire to look at what is before him, of the various topics and historical ideas that he dealt with in his books and research, is undoubtedly within the scope of thought from the widest door.

In his studies, Dr. Hamidi has adopted a modern academic approach that relies on analyzing sources and documents and devising a scientific vision. The most important advantages of his work are the most important advantages of his scientific achievements in the presentation of the article, but on the other hand keen on the seriousness of the accuracy and accuracy, because most of the sources, if not transferred all documentary studies relied on Iraqi documents and newspapers and personal memoirs.



العلامات المائية في المخطوطات الإسلامية



د. محمد عزيز الوحيد*

- **مقدمة:**

لم تحظ العلامات المائية الموجودة على الورق الأوروبي، الذي كانت الدول الإسلامية تستورده لكتابة المخطوطات، إلا بقليل من الاهتمام، على الرغم من أهميتها الكبيرة في معرفة تاريخ نسخ المخطوطات غير المؤرخة، وفي كشف حالات الغش والتزوير في المخطوطات .

لقد تطرقنا في بحثنا إلى تعريف العلامة المائية وتاريخ نشوئها وتطورها وأشكالها وأهميتها في مجال المخطوطات الإسلامية وكيفية تسجيلها وقدمنا نماذج لها، نرجو ان نكون وفقنا لذلك.

- **تعريف العلامة المائية:**

عرفت العلامة المائية Watermark بتعاريف عدة لا تختلف في المضمون منها:

- انها تصميم يمكن رؤيته في الورق عند النظر اليه في مواجهة الضوء، يتكون في أثناء صنع الفرخ الرطب على السلك بواسطة نمط محفور أو بارز[1].

- العلامة المائية هي صورة أو نص أو حرف يتم تضمينها في ألياف الورق خلال عملية التصنيع والتحضير والإزاحة في ألياف الورق مما يؤدي إلى سماكة متفاوتة في الورق.

- هي عبارة عن تصاميم أو أنماط توضع على الورق أثناء إنتاجها، تصنع رقيقة (خط أو سلك العلامات المائية) أو سميكة (ظل العلامات المائية) على عجينة لب الورق وهي ما تزال مبتلة.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

- هي تصاميم أو أنماط أو أشكال تُخفى في الورق في أماكن معينة كعلامة تجارية تبين اسم الصانع أو المصنع أو البلد المنتج لهذا الورق، وقد تساعد في التثبت من نسبة المخطوط لصاحبه وتحديد الفترة التي كُتب فيها ولو بشكل تقريبي.

- وهي العلامة التي وضعت في صنع الكاغد الأوروبي لتميزه عن الكاغد العربي الذي يخلو من هذه العلامة [٢].

- تصميم شبه شفاف، يظهر في أفراخ الورق عند تعريضها لمصدر قوي ومباشر للضوء، ارتبطت فكرتها بالتطورات التي شدتها طريقة صناعة الورق بعد انتقال أسرار تلك الصناعة من الشرق العربي إلى الغرب الأوروبي، واعتمدت بالأساس على تشكيل الأسلاك النحاسية المكونة لسطح قالب صناعة الورق الأوروبي، بحيث تكون شكلا معينا يترك انطباعه بفرخ الورق وهو ما يزال رطبا خلال عملية التصنيع، وقد اتسعت تصميماتها، وغطت أشكالا متنوعة ومتعددة، منها على سبيل المثال: الخطوط الرأسية والأفقية، والصور الأدمية، والنباتات والزهور، والحيوانات والطيور والأسماك، والفواكه، والأدوات المنزلية، والأدوات الزراعية، والسفن، وبعض الملابس التي يستخدمها الإنسان، والتيجان، والأهلة، والصلبان، والنجوم، والكواكب.... وغيرها كثير[٣].

● **صناعة الورق :**

عرف المسلمون الورق كمادة جيدة للكتابة حيث كان الورق الصيني يستورده التجار العرب الذين كانوا على اتصال تجاري قديم ببلاد الشرق الأقصى[٤]. وازداد استخدام الورق بعد انتصار المسلمين على حاكم كوشا الصيني في ذي الحجة سنة (١٣٣هـ) على ضفاف نهر طراز(طلس) في آسيا الوسطى (جنوب كازخستان الحالية) فقد كلف الصينيون الماهرون في صناعة الورق الذين وقعوا الأسر، بإقامة مصانع للورق في سمرقند[٥]. وتزايدت الحاجة للورق فأنشأ أول مصنع للورق ببغداد سنة ١٧٨هـ. وانتشرت صناعة الورق بعد ذلك في كل أنحاء العالم الإسلامي فأنشأ مصنع للورق في دمشق ومصر والمغرب، ويذكر انه كان في فاس (١٠٤) معمل الكاغد أيام يوسف بن تاشفين(ت ٥٠٠هـ)، وفي أيام يعقوب بن المنصور(ت ٦٨٥هـ) كان في فاس وحدها (٤٠٠) معمل لإنتاج الورق[٦]

● **طريقة صناعة الورق المشرقي اليدوي:**

وصف الصنهاجي طريقة صناعة الورق قائلا:«تأخذ القنب الجيد الأبيض، فتنقيه من قصبه وتبله وتسرحه بمشط حتى يلين، ثم تأخذ الجير فتنقع فيه ليلة إلى الصباح، ثم يفرك باليد، ويبسط في الشمس حتى يجف نهاره كله، ثم يعاد في ماء الجير، غير الماء الأول الليلة المقبلة إلى الصباح، ثم تفركه كفركك الأول، ليلة ويبسط في الشمس. إفعل به ذلك ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة. وإن بدلت ماء الجير كل يوم مرتين كان أجود فإذا تناهى بياضه قطعته بالمقراض

صغارا صغارا، ثم انقعه سبعة أيام في ماء عذب أيضا، وتبدل له الماء كل يوم فإذا ذهب منه الجير دققته في الهاون دقا ناعما، وهو ندي، فإذا لان ولم يبق فيه شيء من العقد أخذت له ماء آخر في إناء نظيف، فحللته حتى يصير مثل الحريرة، ثم تعمد إلى قوالب على قدر ما تريد وتكون معمولة من السل السامان والمسمار، وتكون مفتوحة الحيطان، ثم تعمد اليها فتنصب تحتها قصرية فارغة، وتضرب ذلك القنب بيدك ضربا شديدا حتى يختلط، ثم تقذفه بيدك وتطرحه في القالب، وتعدله لئلا يكون ثخينا في موضع، رقيقا في موضع، فإذا استوى وصفى ماؤه قمته منصوبا بقالبه، فإذا أتيت على ما تريد منه نقضته على لوح، ثم أخذته بيدك و ألصقته على مشرح ثم عدله بيدك واتركه حتى يجف ويبدي ويسقط، ثم خذ له الدقيق الناعم النقي الحواري والنشاء نصفين، فيهرس له الدقيق والنشاء في الماء البارد، حتى لا يبقى فيه ثخن، ثم يغلى بماء، حتى يفور، فإذا فار، صفيته على ذلك الدقيق، وحركته حتى يسكن ويرق، ثم تعمد إلى ذلك الورق فتطليها بيدك، ثم تلقيها على قصبة فإذا طليت جميع الورق، وجفت الورقة، طليتها من الوجه الآخر، ورددته على لوح ورششت عليها الماء رشا رقيقا، ثم تجمعه وترزمه وتصقله كما تصقل الثوب وتكتب فيه»(٧).

- **الخطوط المائية في الورق الشرقي:**

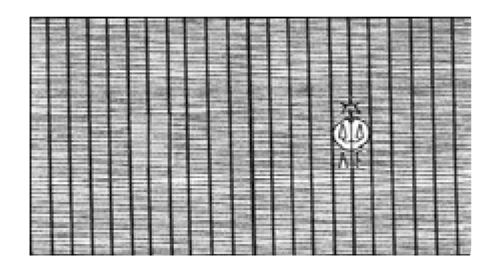
كانت الخطوط المائية نتاجا طبيعيا للأسلوب والطريقة المتبعة خلال عملية صناعة الورق اليدوي المشرقي الخالي من العلامات المائية التي كانت تتم باستخدام قوالب يدوية متحركة، وتتكون في الأساس من اطار خشبي مستطيل تتخلله أعواد رفيعة من شقاقات الخيزران، والتي تربط معا باستخدام خيوط الحرير أو شعر الحصان أو الجمل، وهذا الغطاء المكون لسطح قالب الورق كان يثبت على الضلوع الجانبية لاطار القالب، وبعد هذا يكون جاهزا لاستقبال العجينة المستخدمة لصناعة الورق، وبعد ان تصب عجينة الورق الرطبة في القالب وتتم تسويتها وتوزيعها بطريقة متساوية في أنحاء القالب من خلال هزه باليد، تبدأ الألياف المكونة منها العجينة في الاستواء على سطح القالب، وتتخلل الشقوق الرفيعة الواقعة بين أعواد الخيزران، الأمر الذي ينتج منه نوع من الخطوط المائية الممددة تسمى Laid Lines ويؤدي انطباع العجينة الرطبة فوق الرباطات المكونة من خيوط الحرير أو شعر الخيل إلى ظهور نوع من الخطوط المائية المسلسلة تسمى Chain lines (٨).

وكانت بعض الكواغد الشامية التي تصنع في طرابلس وحماة وربما في غيرهما، تظهر فيها الخطوط المائية البدائية الثنائية أو الثلاثية المتقاربة المسافات، ولا تظهر هذه الخطوط في الورق البغدادي أو المغربي أو اليمني أو الفاسي، وقد بدأت هذه الخطوط

بالظهور فيها في حدود سنة ٧٢٠هـ[٩]. وذكر قاسم السامرائي انه خلال فهرسته لكثير من المخطوطات عثر على كاغد مشرقي شامي تظهر فيه الخطوط البدائية المتوازية الضيقة. وأضاف: وهذا دليل على ان هذا النوع من الكاغد المشرقي الحاوي على الخطوط المتوازية بدأ بالظهور في بداية القرن الثامن للهجرة، ومنها تعلمها الأوروبيون، والمخطوطة مؤرخة بدمشق سنة ٧٣٤هـ[١٠].

● الورق الأوروبي:

لقد ادخل المسلمون صناعة الورق إلى الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، وأنشئ في عام ١٢٧٦م أول طاحون لصناعة الورق. كانت هذه الطواحين تسير بقوة اندفاع التيار المائي، وذلك بجعل العجلة المندفعة بقوة التيار المائي تحرك بضعة مطارق ثقيلة تفتت المواد الأولية كالأقمشة البالية والخرق القطنية والحبال وغيرها، حتى تحولها إلى محلول رائق هو عجينة الورق، وكانت هذه العجينة توضع بعد ذلك في وعاء، ثم تغمس في شبكة على هيئة اطار خشبي مشدود به أسلاك من النحاس الأصفر، ثم ترفع الشبكة بعد أن تتعلق بها بعض العجينة الورقية، ثم تجفف هذه الطبقة وتتحول بذلك إلى ورق الكتابة، ثم يجفف الماء، وذلك بضغط هذه الأوراق بين طبقات الجوخ، ثم تطلى بطبقة من الصمغ الخفيف لكي يكتسب الورق صلابة كافية عند الكتابة عليه. وكانت أسلاك النحاس الأصفر المشدود إلى الاطار تطبع على الورق خطوطا يمكن رؤيتها بوضوح اذا ما وضعت قبالة الضوء. وما لبثت ان طرأت فكرة إضاءة بعض الأسلاك بحيث تكون شكلا هو العلامة المائية التي حوت أحيانا الحروف الأولى أو اسم الصانع [١١].



قالب ورق غربي ذو علامة مائية على شكل

(مرساة السفينة)

● العلامات المائية وتطورها :

بدأ ظهور العلامات المائية اعتبارا من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري وان اقدم إنموذج يرجع تاريخه إلى عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م ، غير ان هذه العلامات قد ظلت حتى القرن التالي غير مهذبة، ثم بدأ رسمها يتحسن بعد ذلك[١٢]، كعلامة تجارية أو علامة شخصية للمصنع التي تنتجه. ثم تطورت بمرور الوقت واتساع صناعة الورق انتشر بالتالي استخدام العلامة المائية هذه وتنوعت أشكالها تنوعا كبيرا[١٣].

● العلامة الفرعية :

لقد ظهرت العلامات الفرعية للمرة الأولى في فرنسا في منتصف القرن العاشر الهجري / السادس



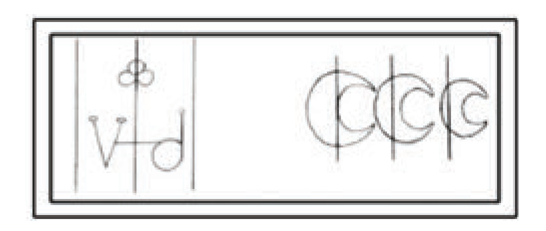
عشر الميلادي وهي علامة صغيرة الحجم مرسومة في إحدى زوايا منتصف الورقة، حيث لا يوجد الفيلغران(العلامة المائية) الأساس، فيها حروف أولية تمكن من التمييز بين مختلف الصناع المستعملين لنوع الفيلغران نفسه [١٤]، وتتشكل على هيئة حروف منفصلة تكتب بشكل مزدوج وتتخذ شكلا زخرفيا أحيانا، وتشير تلك الأحرف إلى اسم صاحب المصنع أو اسم المصنع نفسه، وقد يصاحب تلك الحروف رمز أو شعار معين، لإضفاء مزيد من الخصوصية على تلك الأحرف[١٥].

- **مواضع العلامات المائية :**

قد تتفاوت المواضع التي كانت تظهر فيها العلامات المائية على سطح افرخ الورق، ففي البدايات الباكرة لصناعة الورق، وظهور فكرة العلامات المائية في أوروبا كانت تلك العلامات توضع في أي مكان على سطح القالب المستخدم في صناعة الورق، وابتداء من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بدأت توضع في مركز احد نصفي القالب، لهذا عندما يتم طي فرخ الورق إلى النصف مرة واحدة كما في حجم الفوليو folio فإن العلامة تظهر في مركز إحدى الورقتين. وعلى الرغم من انه خلال القرنين العاشر والحادي عشر / السادس عشر والسابع عشر للميلادي كان المكان الطبيعي للعلامات المائية هو منتصف أحد نصفي الفرخ، الا أنها تظهر أحيانا قريبة من المنتصف، ومن ثم لا نستطيع أن نجزم بأنها كانت تظهر في المنتصف تماما في كل الأحوال[١٦].

- **موضع العلامة الفرعية :**

ظهرت العلامات المائية الفرعية في البدايات الأولى لها إلى جانب العلامة المائية الرئيسة أو بوصفها جزءاً منها، أي إنها تتخذ موضع العلامة الرئيسة أو تشغل حيزا قريبا منها. وبمرور الوقت بدأت تلك العلامات تظهر بوصفها علامة إضافية مستقلة تماما عن العلامة المائية، حيث اتخذت موضعا لها في منتصف النصف الآخر من فرخ الورق، بحيث تكون مقابلة للعلامة المائية الرئيسة، وقد تظهر العلامات الفرعية في مواضع أخرى من النصف الآخر للفرخ أيضا مثل أحدى زواياه أو أطرافه. وثمة علاقة مباشرة بين حجم المخطوط الذي يترتب بناء عليه قطع الورق المناسب له، وبين الموضع الذي تظهر به العلامة المائية، حيث ان المخطوطات ذات القطع الصغير، تظهر في أوراقها العلامة المائية بشكل غير مكتمل[١٧].



العلامة المائية والعلامة الفرعية المصاحبة

- **انتقال الورق الأوروبي إلى الدول الإسلامية :**

أدت التقنية التي استخدمت في فابريانو بإيطاليا ابتداء من سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م إلى ثورة متنامية في صناعة الورق، وأصبحت إيطاليا مصدرة للورق وأنشئت مصانع للورق مستمدة من

الإنموذج الإيطــالي في مختلف بلاد أوروبا وانتشر إنتاجهــا بسرعــة لان هــذا الــورق كان منخفض الســعر. واصبح مــا يميز هذا الــورق هو وجود علامــة معدنيــة تســمح بتحديد مــكان الصنع. واســتخدمت الأوراق الأوروبيــة ذات العلامــات المائيــة في المغــرب في مخطوطــات منــذ منتصف القرن الثامــن الهجري / الرابــع عشر الميلادي. كما يدل عليــه مخطوط الخزانــة العامة الرباط رقم ٥٢٩ D المؤرخ سنة ٧٥٠هــ / ١٣٤٩م [١٨]. وتعاقب الورق الأوروبي والورق غير ذي العلامة المائيــة المتســاوي تقريبا في الدولــة العثمانية في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

لقــد كتبت اغلب المخطوطــات في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة/ الســابع عشر والثامن عشر للميلاد في تركيا ومصر والشــام والمغرب على أوراق ذات علامات مائية، وكان الورق البندقي ذو علامة (مرساة السفينة) هو الأكثر تداولا في نهاية القرن العاشر الهجري / الســادس عشر الميلادي، وحتى نحو سنة ١٠٦٠هــ / ١٦٥٠م، وفي النصف الثانــي للقــرن الثانــي عــشر الهجــري / الثامن الميلادي نافســته أنواع أخرى مــن الورق الفرنسي أو الإمبراطــوري ذي الأهلة الثلاثــة ولا نجد أوراقاً أوروبيــة كثيرة في فارس والهند قبــل نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وحتى قبل سنة ١٢٣٢هــ / ١٨١٥م، وقد أحضر إلى بلاد فارس ورق روسي وإنجليزي أو نمساوي – مجري، مع ميل قوي إلى الورق الملون بالزرقة. وساد الورق ذو الجودة العالية المنتج في الدكن، في أسواق الهند ، ولا يظهر الورق الفرنسي ثم الإنجليزي الا مصادفة في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي. واذا كان المغرب الإسلامي قد اعتمد مبكرا جدا الورق المســتورد مــن أوروبا (القــرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، فقد استمر إنتاج الورق غير ذي العلامة المائية في الشرق حتى مطلع القــرن الرابع عشر الهجــري / العشرين الميلادي. ويكفي ان نذكر صناعة الوراقة المزدهرة في آســيا الوسطى (بخارى وسمرقند وفرغانة) [١٩].

وعندما دخل الكاغد الأوروبي إلى البلدان الإسلامية، أثــير لغط لــدى العامــة، عــن الحكــم الشرعي في اســتعمال هذا الورق، فقد ســئل محمــد بن احمد بن محمد بن احمــد بن محمد بن أبي بكر مرزوق العجيــسي، المتوفى ســنة ٨٤٢هــ، وهــو من فقهاء المالكية عــن الكاغد الرومي هل يجوز اســتعماله والنسخ فيه أم لا ؟ لان بعض الناس قال انه نجس يعملونه بأيديهم المبلولة النجســة... وقال آخر ان أهــل المشرق شــاع عندهم انه لا ينســخ فيه، وهل ترك النســخ من باب الفقه أو مــن باب الورع[٢٠] . فكتب رســالة في ٣٢ ورقة في سنة ٨١٢هــ اسماها (تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغــد الروم)، وتطرق في رســالته عن الورق الذي يحمل علامة الصليب وقال: ونظير هذا الســؤال في هــذه الكواغد المذكورة فيه قبل هذا الســؤال بزمن قريــب بأن قيل في هذه الكواغيــد الرومي أنواع، في بعض أنواعه صورة صليب أو صورة غيره، تكون تلك الصــورة هي القالــب الذي يقاس بــه مقدار الورق فيرســم مثلها في الورق، الا انه لا يخفى على الناظريــن الا من امعــن النظر فيهــا فأنها تظهر له. قال واســتعماله لها للنســخ فيه ترفيع لما فيه

التماثيل، قال أيضا وكيف يكتب اسم الله فيما فيه شبه الصنم ؟. قلت بل النسخ فيه أولى، لان فيه إذهاب تلك الصورة، لأنه اذا كتب فيه لم تظهر بالكلية وإنما اذا كان ابيض بعد الجهد بمقابلة المضيء بالورق ونحو ذلك [٢١]. وقد أثير الاعتراض نفسه الخاص بجواز استخدام الكاغد الرومي في المشرق الإسلامي أيضا وظهرت بعض المؤلفات التي ناقشت هذا الأمر، فقد ذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في ترجمة محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن المحب، ان له كتاب (الدليل الواضح المعلوم على طهارة ورق الروم)[٢٢].

● مصانع الورق الإسلامي :

عرف العالم العربي والإسلامي تقنية استخدام العلامات المائية بعد ان تطورت في أوروبا وانتشرت بشكل واسع، حيث انتقلت تلك التقنية إلى الشرق. يقول سفند دال: ومن أوربا انتشر بعد ذلك استعمال العلامات المائية إلى الشرق الذي أخذت عنه أوروبا صناعة الورق[٢٣] وأنشأت في بعض البلدان الإسلامية مصانع للورق استوردت مكائنها من أوروبا مثل مصر والهند وايران وغيرهم، وكانت هذه المصانع تنتج ورقا ذا علامة مائية وقد رصد الباحثون بعضا من هذه العلامات:

- ورق مصري الصنع أسمر اللون تظهر فيه العلامة المائية (ورق خديوي عال) وبعدها صورة الخديوي توفيق أو إسماعيل[٢٤].
- ورق مصري اسمر اللون تظهر فيه العلامات المائية وهي على شكل هلالين تشع منهما حزم أشعة وفي داخلهما نجمتان ذواتا رؤوس ثمانية تشع منها أيضا حزم الأشعة، وفي داخل النجمتين حرفا S.M [٢٥].
- ورق مصري الصنع اسمر اللون تظهر فيه العلامة المائية باللغة الإنكليزية (الحكومة المصرية) وصورة هلال وتاج [٢٦].
- ورق مصري الصنع ابيض صقيل تظهر فيه العلامة المائية وهي على شكل هلال يحيط بثلاث نجمات خماسية الرؤوس مع تاريخ الصنع بالتاريخين الهجري والميلادي (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) وفوقها عبارة (الحكومة المصرية) [٢٧].
- ورق مصري الصنع كانت الكاغد خانه الخديوية المصرية تنتجه أثناء الاحتلال الإنكليزي لمصر، وتظهر فيه العلامة المائية وهي هلال وأمامه نجمة خماسية وأحاطت بهما كتابة بالإنكليزية هي الحكومة المصرية [٢٨].
- ورق مصري به علامة مائية على شكل هلال يتجه إلى اعلى وكتب بين طرفيه مصر بشكل مزدوج مع تشكيل حروفها، واسفل الهلال كتبت سنة ١٢٨٨ بشل مزدوج أيضا[٢٩].
- ورق مصري العلامة المائية به على شكل هلال داخله نجمة خماسية وتعلوه عبارة الحكومة المصرية بشكل مقوس[٣٠] .
- ورق مصري من انتاج مصنع الدائرة السنية وكانت على شكل هلال يتجه بطرفيه إلى الأعلى وتتوسطه نجمة خماسية، ويظهر كإضافة لهذا الشعار عن يساره هلالان أصغر حجما يتجه أحدهما إلى الأعلى والآخر إلى الأسفل، ويتوسط كل منهما ثلاث نجوم صغيرة، وتظهر عبارة مدونة باللغة الفرنسية وهي بحروف مزدوجة [٣١].

ورصـدت بعض العلامات المائية التي كانت تنتج في المصانع الهندية:

- ورق هنـدي الصنـع والعلامـة المائيـة عـلى شـكل قوس له قاعدة، ورسـم داخـل القوس رأس فيـل [٣٢].

- ورق هندي الصنع تظهر فيه الخطوط المتوازية والعلامة المائية بالحروف الإفرنجية شـيخ احمد شيخ داود[٣٣].

● **أهمية العلامة المائية :**

ان كثيراً من المخطوطات لا يوجد فيها تاريخ النسخ، الذي تكتب عادة في حـرد المتن، فالعلامة المائية أو الخطـوط المائيـة التي تـرد في المخطوطات تعيننا وترشـدنا إلى تاريخ النسـخ أو تحديد القرن الذي كتبـت فيه المخطوطة، وتعيين مـكان انتاج الورق الحامل لها والمسـتخدم في المخطوطـات وتاريخه. وهذه العلامات تفيـد المفهرس في حالة عدم وجود التاريخ حيث تساعد في تحديد الزمن الذي نسخت فيه المخطوطة، أو وجود شـك في تاريخ النسخ لأنه يمكن التأكد مـن تاريخ العلامة المائية من مصادر مخصصه لهذا الغرض وبالرجوع إلى الكتب المؤلفة في ذلـك نسـتطيع تحديد تاريخ العلامـات المائية وبالتالي ترشدنا إلى تاريخ نسخ المخطوط، فالعلامة المائية ذات أشـكال متعددة ومتنوعة، بعضها على شـكل أهلة وبعضها على شـكل أزهـار وحيوانات وطيـور ودروع وغير ذلك. وكل علامـة عبارة عن شـعار مصنـع الـورق[٣٤]. كما تسـاعدنا العلامة المائية في كشف تزوير تواريخ المخطوطات وظاهرة التزوير في بعض تواريخ نسخ المخطوطات معروفة للباحثـين والمحققـين، حيث نجد حـالات التلاعب بالتواريخ المكتوبة في نهاية المخطوط، فقد يحرف الناسخ التاريخ ليظهر ان عمر المخطوط أقدم من تاريخه الحقيقي، واغلب حالات التزوير وقعت في القرون المتأخرة لأسباب عديدة، وبملاحظة العلامة المائية الموجودة في أوراق المخطوطة يمكننا كشف التزوير وتحديد التاريخ الحقيقي للنسخ والكشف عـن أخطاء أو أوهام النسـاخ، فقـد يعمد بعض النسـاخ إلى نقل كل المعلومات الواردة في نسـخة الأصل الذي نسخ منها نسخته ومنها تاريخ نسخ المخطوطـة الأول ويغفل تاريخ انتهائه من نسـخ مخطوطته اما سـهوا أو تعمـدا مما يوقع البعض في مشكلة ان النسـخة قديمة، مثل المخطوط رقم (١٠٤٢) من مخطوطات المكتبة المركزية للأوقاف بعنوان الرسالة القشيرية في التصوف، لمؤلفها عبد الكريـم بن هوازن القشـيري (ت ٤٦٥هـ)، جاء في حـرد المتن لهـذا المخطوط: «وقـد أنجزنا إملاء هذه الرسـالة في أول ثمـان وثلاثين وأربعمائة..». وقرر مفهرس النسـخة، ان النسخة بخط المؤلف، وان تاريـخ النسـخ هو سـنة ٤٣٧هــــ، وان هذه النسـخة نـادرة. ومن خـلال فحـص أوراق هذا المخطوط تبـين وجود علامة مائيـة في كل أوراقه وهـذا يعني ان المخطوط كتب عـلى ورق أوروبي يتضمن علامة مائية، ومن المعروف ان أقدم علامة مائية ظهرت في وثيقة من بولونيا يرجع تاريخها إلى عـام ٦٧١هــ/ ١٢٨٢م. وعليه فـان ما كتبه المفهرس غير صحيح [٣٥]. وتسهم العلامات المائية بـدور كبير إلى التعرف على ما يمكـن ان يكون قد طرأ على الحالة المادية لمخطوط معين عبر العصور، حيث تساعد على تحديد الأوراق أو الكراسات التي

ليست من اصل المخطوط، والتي تمت إضافتها اليه بعد الانتهاء من نسخه بفترة زمنية، بسبب فقدان بعض أوراقه، ومحاولة استكمال متن المخطوط، وذلك بإضافة أوراق جديدة تحمل صفات أخرى مغايرة لصفات الأوراق الأصلية، وقد يكون من بين تلك الصفات علامة مائية مختلفة عن العلامة التي تظهر في الأوراق الأصلية للمخطوط [٣٦]. ومن الممكن ان تؤدي العلامات المائية دورا مهما بالنسبة إلى المخطوطات التي تقع في اكثر من مجلد، فقد تكون المجلدات التي يتكون منها المخطوط قد تفرقت بمرور الزمن، وتم تجميعها بعد ذلك بفترة على أساس غير منضبط من نسخ أخرى مختلفة تحمل البيانات الببلوجرافية نفسها، وهنا يمكن للعلامات المائية ان تسهم في عملية الربط بين تلك المجلدات، والكشف عن الحالات التي تمت فيها عمليات تلفيق للمجلدات التي تنتمي إلى فترات زمنية مختلفة، والتي تم تجميعها معا بشكل عشوائي بغرض استكمال النص[٣٧].

● أشكال العلامات المائية :

لقد تنوعت أشكال العلامات المائية أشكالا لا تحصى من هندسية وآدمية وحيوانية ونباتية وأسلحة وغيرها، وسجل منها عشرات الآلاف وهناك سجلات عالمية لها واشهرها عمل شارل بريكيت العالم السويسري الذي حصر ١٦١١٢ علامة منذ ظهورها في القرن الثالث عشر في إيطاليا في أربعة مجلدات [٣٨].

ـ صور البشر: مثل صور العظماء والمشهورين.

ـ صور طيور وأسماك: مثل البومة، الحمام، الديك، الطاووس، الحيتان، الدلافين.

ـ صور حيوانات (حقيقية وخرافية) فقد غلبت على العلامات المائية من القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر، ومن الحيوانات التي ظهرت في العلامات المائية: الأسد، الفهد، النمر، القطة، الكلب، الذئب، النسر، رأس الثور، وحيد القرن وغيرها.

ـ صور دروع وأسلحة: مثل الدروع، السيوف وغيرها.

ـ صور نباتات وزهور وفواكه: فقد استعملت على نطاق واسع جدا، وقد ظهرت الزهور بأشكال مختلفة فرادى أو مصحوبة في مجموعات بساق وبدون ساق وبأوراق وبدون أوراق. وكانت زهرة اللوتس اكثر الزهور التي استخدمت كعلامة مائية وبأشكال مختلفة.

ـ صور أشياء: مثل مرساة السفينة، الملائكة، الميزان، الدائرة وتحمل في رأسها صليب، التاج، المقص، البوق و غيرها.

ـ العلامات مؤرخة: وهي قليلة نسبيا ولم تظهر الا في القرن السابع عشر وما بعده وكانت العلامة ترسم وإلى جوارها التاريخ.

ـ علامات مصحوبة بحروف: مجرد حروف ليس دلالة معينة كمجرد زخرفة.

ـ علامات مصحوبة بأسماء: ربما كانت أسماء أصحاب مصانع الورق أنفسهم، وربما يأتي الاسم مختصرا بحروف، أو مقتصرا على اسم العائلة.

ـ الحروف الهجائية: مثلِ A, B,C,D, E,F, G [٣٩] .

● كيفية استخراج العلامة المائية :

كان تسجيل العلامة المائية يتم سابقا عن طريق النقل اليدوي اذ تعرض الورقة المراد نقل العلامة

المائيـة منها إلى الضـوء فتظهر العلامـة بصورة واضحة ويتم رسمها على ورق معد لهذا الغرض. الا ان هذه الطريقة لا تخلو من مشـاكل التشـابه بين كثير من العلامـات المائية، ومن ثم فان النقل اليـدوي لها لا ينجـح في نقلها بالدقـة التي تميز بينها، كما ان كثيرا من العلامات الآن يغطيها الحبر الكثيف، ووضعها داخل الكتاب قد يمثل مشـكلة أخـرى في نقلها وخاصة عندما تختبئ تحت كعب الكتـاب. ومع تطـور التكنلوجيـا الحديثة، فقد اسـتخدمت تقنيـات عدة في تسـجيل العلامات المائيـة وذلـك باسـتخدام التصويـر بالراديـو المعـروف باسـم بيتـا راديوجرافيـا. فالـورق المطلوب رفـع العلامة من عليه يوضع بين فرخ من (البيرسـبكس) مع كربون ١٤ وفرخ فيلمي ويـترك لبضعة سـاعات فتنطبـع العلامة دون النص عـلى الفيلم مهما كانـت كثافة الحبر على الورقـة[٤٠].

وقدمت آن ريغورد Anne Regourd المسؤولة العلميـة لبرنامـج الحفـاظ عـلى مخطوطـات المكتبـات الخاصـة في زبيـد (المعهـد الفرنسي للآثـار والعلـوم الاجتماعية بصنعـاء) متحف اللوفر، قسم الفنون الإسـلامية، المركز الوطني الفرنـسي للبحـوث العلميـة، الوحـدة البحثيـة ٧١٩٢، (تاريـخ الكتـاب والكتابـة في الـشرق الأدنى في القـرون الوسـطى والحديثة) وصفا دقيقـا عن عملهم في تسـجيل العلامـات المائية لمخطوطات مدينة زبيد في اليمن:



الصـور المقدمـة هنا حققـت انطلاقـاً من صور فوتوغرافيـة، حيـث قمنـا بعمليـة تصوير رقمي للورق ذي العلامات المائية عـلى النحـو الاتـي:

من غـير الممكن إظهار العناصر التي تميز ورقة ذات علامـة مائيـة إلا من خـلال مصدر ضوئي يخترق الورقة بشـكل يزيد أو يقل وفقاً لسـمك الورقـة: حيث توضع في شـكل بارز مع إمكانية تسجيلها من خلال الضوء المنعكس.

اللوحات الضوئية العادية، المكونة من قالب زجاجي موضوع على صندوق يبلغ سمكه عدة سنتيمترات ويحتوي على نظام إضاءة قياسي بواسطة مصباح، ويكونان متطابقين على نحو يمكن من معاينة على انفـراد صفحة من مخطـوط مجلـد، ولا نقوم إلا بعملية ضغط على ظهره. ومن الواضح أن هذا غير ضار، ولا سيما حالما يكون المخطوط قديماً وهشاً أو مخيطاً بشـدة. وتم استخدام آلة تتميز بخصائص دقـة ومرونـة الأليـاف البصرية، وهـي عبارة عن مصدر ضوئـي محصـور في صفيحة مسـتطيلة بسمك أقل من ٢ ملم، وتقريباً بمساحة صفحة A٤، وتوصل بمحول من خلال حزمة من الخيوط المرنة. نقوم أولاً بإدخـال الصفيحة بين أوراق المخطوط، دون المخاطرة بتمزيق التجليد أو الخياط. بعد ذلك يكفي فتح الكتـاب ٩٠ درجة لأخذ صورة عمودية للصفحة المضاءة بشكل معكوس، دون إحداث أي تشويه. عند عدم توفر قاعدة تسمح بالتقاط صور عمودية، نضع الكاميرا على حامل ثلاثي عادي قابل

للتوجيه في جميع الاتجاهات، ووضع المخطوط المراد تصويره على حامل كتب، في وضع منحني وبالتالي من السهل وضع الآلة أمام وفوق الموضوع، ثم حنيها على نحو يجعلها في وضع موازٍ تماماً ويتم تنضيدها وفقاً لمحور عمودي. ومن خلال هذه التركيبة نتحاشى أي تشويه قد ينتج عن الأبعاد. ويمكن التحقق من التوجيه الصحيح للمخطوط وللآلة بسهولة من خلال العين المجردة: فالجوانب الأربعة للمخطوط متعامدة في عين الآلة و في حالة ما تكون المخطوطة ذات حواف غير منتظمة، يجب أن تظهر جوانب حامل المخطوط نفسه متعامدة. وتضبط الصورة وفقاً لحجم المخطوط، بمساعدة عدسة تكبير تكون في الآلة، وبالتالي تقل الحركات على الحامل الثلاثي إلى أدنى حد وبهذا يختصر أيضاً زمن تحضير التقاط الصورة، ولا تلزم أي إضاءة من أجل تصوير الأوراق ذات العلامات المائية، من خارج الآلة الموصوفة أعلاه، بل قد يكون ضاراً، فمصادر الضوء الخارجية قد تعاكس تأثير الضوء الانعكاسي، أما الفلاش فقد يفسدها بشكل كلي. التقطت الصور في زبيد بواسطة كاميرا رقمية حديثة ١٠ ميجا بكسل، ضبطت الكاميرا قبل التقاط الصور لتحسين مردود المعلومة. فقد عطلت معظم الخيارات الأوتوماتيكية، لأنه في الآلات الحالية تحدد معايير جودة الصورة على أساس جمالي معياري لا يتوافق مع عملية توثيق عالية. على سبيل المثال في حالة الضوء المنخفض الذي يتوافق مع الظروف العادية لإلتقاط صورة لورقة ذات علامة مائية فإن الآلة المضبوطة على الوضع الأوتوماتيكي تفعل خاصية الفلاش وقد تختار سرعة الفلم (مثلاً ٤٠٠، ٨٠٠ ISO أو أكثر) يمكن أن تدخل نقاط في الصورة وبالتالي تقليل دقتها. كما أن من المناسب تعطيل خيارات الوضوح المفترضة التي يمكن أن تتسبب في إنتاج ضبابية، أو خيارات تقليص الضوضاء التي يمكن، في المقابل، أن تتسبب في تشويش غير مرغوب به. الضبط التلقائي الذي احتفظنا به كان فقط الضبط الخاص بالخلية الكهروضوئية التي تحدد فتحة السجاف والسرعة، مع الإبقاء على إمكانية ضبطها يدوياً بحسب تباين كل صورة، وكذا الضبط الآلي للآلة. وقد ضُبط خيار سرعة الفيلم يدوياً وحدد على ٨٠ أو ١٠٠ ISO، بهدف ضمان أعلى دقة. وكذلك من المناسب ضبط ميزان الألوان الفاتحة على إضاءة تنجستن (tungstène) اصطناعية، مشعة، شمسية أو بدون حسب الحالة. ووفقاً للون وحالة الورقة ونسبة المناطق الفاتحة والغامقة على كل لقطة، يبدو هذا الضبط أو ذلك لمستخدم الآلة أنه يقدم بشكل أدق اللون الحقيقي للمخطوطة، نظراً لأن آلة الإضاءة العكسية تضيف لون أصفر فاقع. ونذكر أن الفلاش قد عُطل بشكل منتظم، وضُبط حجم الصور على أعلى قدر من البكسل، وكذا أقل ضغط ممكن. وبعد تحميل الصور على الكمبيوتر، تمكنّا من حفظها مباشرة في أرقام تدل على فهرسة المخطوطات ووضعت

في حجم TIFF على أن يتم العمل عليها مرة أخرى من أجل تحسين التباين والألوان كما أُعيد أيضاً تعيين أبعاد الصور بشكل منتظم من أجل الوصول إلى الدرجة ١:١، مع الحرص على حفظ الدقة الأصلية للصورة كي لا تفقد الصور دقتها في حال تصغيرها. ومن أجل تسهيل هذا العمل أُخذت نسختين من كل صورة بنفس المواصفات: نسخة تحتوي على مسطرة مليمترية موضوعة على الورقة تسهل حساب الدرجات. وبمساعدة صورة مزدوجة، يمكننا تأطير إلى أبعد حد ممكن علامات الورق ذي العلامات المائية دون فقدان جزء من سطح الصورة من أجل أن يوضع عليها الدرجة وحفظ أعلى قدر من المعلومات حول العلامة المائية ذاتها. وعند الانتهاء من وضع الدرجات لم تعد حاجة لحفظ الصورة ذات المسطرة ولا تكون عبئاً على ذاكرة الكمبيوتر لا فائدة منه .

***الهوامش :**

(١)الشامي، احمد محمد، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٨م ،ص ١١٨٥.

(٢)بنبين احمد شوقي و مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، المطبعة والوراقة المغربية، ط١(مراكش، ٢٠٠٣م)، ص ١٦٢.

(٣)إبراهيم ،أمير محمد صادق ، الخطوط والعلامات المائية في المخطوطات العربية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ص ٩٠.

(٤)عواد، كوركيس ، الذخائر الشرقية، دار الغرب (ط١،بيروت، ١٩٩٩)،ج٥،ص٢٠١.

(٥)ديرودش ، فرنسوا، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، نقله إلى العربية ايمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي(لندن، ٢٠٠٥)،ص١٠٢.

(٦)المنوني، محمد، تاريخ الوراقة المغربية، ط١(الرباط، ١٩٩١)، ص٢١ و ٣٣.

(٧)الصنهاجي، المعز بن باديس التميمي، ت ٤٥٤هـ، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، حققه وقدم له نجيب مايل الهروي، عصام مكية، ط١ مشهد، ١٤٠٩هـ، ص ٨٩-٩٠.

(٨)ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١٠٠.

(٩) السامرائي، قاسم، علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط٢، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢٨٩.

(١٠)السامرائي، علم الاكتناه، ص ٢٩٦. الا انه لم يذكر عنوان المخطوطة ومكان حفظها.

(١١) طباع، إياد خالد، المخطوطات الدمشقية، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ١٣٧.

(١٢) سفند دال، تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ترجمة محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٨٠.

(١٣) خليفة، شعبان عبد العزيز ، الببليوجرافيا: دراسة في أصول النظرية الببليوجرافية وتطبيقاتها.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧، ص ٤٧١).

(١٤) بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص١٦٣.

(١٥) ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي ،ص ٧٢؛ شعبان عبد العزيز

خليفة. الببليوجرافيا، ص ٤٧٢؛ أمير محمد صادق إبراهيم، الخطوط والعلامات المائية، ص ١١١.

(١٦) أمير محمد صادق إبراهيم، الخطوط والعلامات المائية في المخطوطات العربية، ص ١١٣.

(١٧) لومير، جاك ، مدخل إلى علم المخطوط، ترجمة مصطفى طوبي، ط١،المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م،ص ٦٨؛الخطوط والعلامات المائية، ص ١١٤.

(١٨) فرنسوا ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص١١٢ ؛ وحول انتشار الورق الأوروبي ذي العلامة المائية في المغرب العربي، انظر، الونشريسي، أبي العباس، احمد بن يحيى، ت ٩١٤هـ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد يحيى، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية(، الرباط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م)،ص ٨٥.

(١٩) فرنسوا ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١١٣.

(٢٠) الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، ج١ ص٧٥

(٢١) م. ن، ج١. ص ١٠٦

(٢٢) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٣٢م، ج ٧، ص ٥١.

(٢٣) سفند دال، تاريخ الكتاب من اقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ص ٨٠.

(٢٤) السامرائي، علم الاكتناه، ص٣٠٨.

(٢٥) علم الاكتناه ص ٢٩٤.

(٢٦) علم الاكتناه، ص ٢٩٥.

(٢٧) علم الاكتناه ص٣٠٦.

(٢٨) علم الاكتناه ص ٣٠٨.

(٢٩) الخطوط والعلامات المائية، ص١٢٢.

(٣٠) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٢٣.

(٣١) الخطوط و العلامات المائية، ص ١٢٣.

(٣٢) علم الاكتناه، ص ٣٠٢.

(٣٣) علم الاكتناه، ص ٣٠١.

(٣٤) فرنسوا ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١١٣.

(٣٥) الخطوط و العلامات المائية، ص ١٣٩.

(٣٦) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٤١.

(٣٧) الخطوط والعلامات المائية، ص ١٤٢.

(٣٨) شعبان عبد العزيز خليفة. الببليوجرافيا: دراسة في أصول النظرية الببليوجرافية وتطبيقاتها، ص ٥١٤ ؛ طباع، إياد خالد، المخطوطات الدمشقية، ص ١٤٣.

(٣٩) شعبان عبد العزيزخليفة، الببليوجرافيا: دراسة في أصول النظرية الببليوجرافية وتطبيقاتها ص ٥٠٢.

(٤٠) فرانس ديرودش، المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ص ١١٤ ؛ شعبان عبد العزيز خليفة. الببليوجرافيا، ص ٥١٢

Water marks

in Islamic manuscripts

By: Dr. Mohamed Aziz AL Waheed 

Abstract

The water marks founded in European papers did not take any attention specially those that had found in Islamic manuscript in spite of their importance in discovering the date of copying non dated manuscripts in addition to discover the cheating cases in them .The research sheds light on the definition of water marks and the date of developing their forms and importance and present many samples.



المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ

لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)

(دراسة وتحقيق)



أ.م. د. إيمان صالح مهدي*

• مقدمة:

المؤلف هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي البكري الحنبلي ،المعروف بابن الجوزي .لقبه :جمال الدين ،وكنيته : أبو الفرج [١] ولد في مدينة بغداد، في درب حبيب، ولكن مصادر ترجمته اختلفت في تحديد تاريخ ولادته ،ومنشأ هذا الاختلاف هو ابن الجوزي نفسه الذي لم يتوثق من تاريخ ولادته ، فقد نقل سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبو المظفر يوسف قز اوغلي (ت ٦٥٤هـ) سألته عن مولده غير مرة ،وفي كلها يقول: ما أحققه ولكن يكون تقريبا في سنة ٥١٠هـ) [٢].

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطتين موجودتين في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ،الأولى برقم [٢/ ٢٣٩٧مجاميع] وقد رمزت لها بالحرف (أ) وعددتها الأصل وتقع هذه النسخة في اثنتي عشرة ورقة وخطها النسخ .

والثانية برقم [٥/ ٢٩٤٨مجاميع] وقد رمزت لها بالحرف (ب) وتقع في إحدى عشرة ورقة وخطها حسن واضح ،وقد لاحظت أن ناسخ النسخة (أ) كان يسهل الهمز في (نظاير) وقد أشرت إلى ذلك بالهامش .كما أنه يسقط همزة الألف في نحو (الامر،واخترت، واختصار...) ويهمل النقط في بعض الأحيان . كما أنه لم يكن مأمونا في ضبطه للأعداد وقد أشرت إليها بالهامش وصححتها في محلها .وإن هذه النسخة كثيرة الحواشي والتعليقات والشروح.

أما النسخة (ب) فكانت أخطاؤها أقل من النسخة الأولى ولكن الناسخ يشترك مع النسخة الأولى في عدم ضبطه للأعداد وكأنما ينقل عليه، فضلا عن أنه اسقط اسم (سورة) من بعض السور وقد أشرت إليها بالهامش.

تتفق النسختان في تسمية بعض السور القرآنية على خلاف ماهو مثبت في المصحف الشريف ،وقد نبهت على ذلك وأشرت إليها بالهامش مثال ذلك«سورة سأل » هي في القرآن الكريم «سورة المعارج »، هذا وأرجو أن أكون قد وفقت لخدمة هذا التراث العربي الخالد والله ولي التوفيق.

---

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

● **التحقيق :**

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين(٣)

أما بعد حمد الله ذي العز الرفيع الشامخ والصلاة على رسوله محمد ذي القدر المنيع الباذخ فهذا حاصل التحقيق في علم الناسخ والمنسوخ وقد بالغت في اختصار(٤) لفظه لأحث الراغب على حفظه فالتفت أيها الطالب لهذا العلم إليه ،واعرض عن جنسه تعويلا عليه ،ففيه كفاية .فإن آثرت زيادة بسط أو اخترت الاستظهار لقوة احتجاج أو ملت إلى إسناد فعليك بالكتاب الذي اختصر هذا منه وهو كتاب«عمدة الراسخ» (٥) والله الموفق بعطفه(٦).

باب ذكر فصول تكون كالمقدمة لهذا الكتاب:

فصل: أنكرت اليهود جواز النسخ وقالوا هو البداء والفرق بينهما أن النسخ رفع عبادة قد علم الأمر بها من القرآن للتكليف بها غاية ينتهي إليها ثم يرتفع الإيجاب والبداء هو الانتقال عن المأمور به بأمر حادث لا بعلم سابق .ولا يمتنع جواز النسخ عقلا لوجهين ،أحدهما : أن للآمر أن يأمر بما شاء،والثاني : أن النفس إذا مرنت على أمر ألفته فاذا نقلت عنه إلى غيره شقّ عليها لمكان الاعتياد المألوف فظهر منها بالإذعان والانقياد لطاعة (٧) الأمر .

وقد وقع النسخ شرعاً لأنه قد ثبت من دين آدم عليه السلام وطائفة من أولاده جواز نكاح الأخوات وذوات المحارم والعمل في يوم السبت ثم نسخ ذلك في شريعة موسى عليه السلام .

فصل: والنسخ إنما يقع في الأمر (١ظ) والنهي دون الخبر المحض (ولا يجوز أن يقع في الأخبار المحضة) (٨) والاستثناء ليس بنسخ ولا التخصيص . وأجاز من لا يعتد بخلافه وقوع النسخ في الخبر المحض ويسمى الاستثناء و التخصيص نسخا والفقهاء على خلافه.

فصل: وشروط النسخ خمسة : أحدها (٩) تباين حكم الناسخ والمنسوخ فلا يمكن العمل بهما. والثاني : أن يكون حكم المنسوخ ثابتا قبل ثبوت حكم الناسخ . والثالث : أن يكون حكم المنسوخ ثابتا بالشرع لا بالعادة والعرف ، فانه اذا ثبت بالعادة لم يكن رافعه ناسخا بل يكون ابتداء شرع آخر .والرابع : كون حكم الناسخ مشروعا بطريق النقل كثبوت المنسوخ، فأما ما ليس مشروعا بطريق النقل فلا يجوز أن يكون ناسخا للمنقول، ولهذا إذا ثبت حكم منقول لم يجز نسخه بإجماع ولا بقياس . والخامس كون الطريق الذي ثبت به الناسخ مثل طريق ثبوت المنسوخ أو أقوى منه ولهذا تقول(١٠) لا يجوز نسخ القرآن بالسنة.

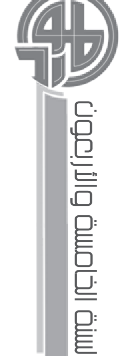
● **فصل في فضل هذا العلم:**

روى أبو عبد الرحمن السلمي(١١)أن عليا (رضي) الله عنه مرّ بقاضٍ فقال : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا . قال(١٢) هلكت وأهلكت . وفي لفظ أنه قال : من أنت ؟ قال: أنا أبو يحيى . قال : بل أنت أبو عرفوني(١٣)

فصل :والمنسوخ في القرآن أضرب : أحدها : ما نسخ رسمه وحكمه ، وقد كان جماعة من الصحابة يحفظون سورا وآيات فشذت عنهم فأخبرهم النبي (صلى الله عليه وسلم) أنها رفعت (٢و) والثاني : ما نسخ رسمه وبقي حكمه كآية الرجم. الثالث : ما نسخ حكمه وبقي رسمه وله وضعنا هذا الكتاب .

باب ذكر آي (١٤) في سورة البقرة

في تلك الآية الأولى قوله تعالى :« ومما رزقناهم ينفقون (١٥) »قال مجاهد (١٦) هي نفقة النقل . وقال آخرون : هي الزكوة (وتحتمل عموم فالآية محكمة)(١٧)وأنه زعم بعضهم أنها نفقة كانت واجبة قبل الزكوة وزعم أنه كان فرض أن يمسك



ممــا في يده قدر كفاية يومــه وليلته ويفرق الباقي على الفقراء ثم نســخ ذلــك بآية الزكــوة [١٨] وهذا بعيد .

الثانيــة : « إن الذين آمنوا والذين هادوا » [١٩]زعم قــوم أنهــا منســوخة [٢٠] بقوله :« ومــن يبتغ غير الإســلام دينا فلن يقبل منه»[٢١]وهذا لا يصح لأنه أشــير [٢٢]إلى من كان في زمن نبي تابعا لنبيّه قبل بعثة نبي آخر فأولئك على الصواب .وإن أشــير إلى مــن كان في زمن نبينا فإن مــن ضرورته أن يؤمن بنبينا عليه الســلام ولا وجه للنســخ ويؤكده أنها خبر و الخبر لا ينسخ[٢٣]

الثالثة :« بلى من كسب سيئةً» [٢٤] الجمهور على أن المراد بها الشرك فلا يتوجه النســخ . وقيل الذنوب دون الشرك فيتوجه النســخ [٢٥]بقوله :« ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » [٢٦]ويمكن حمله على من أتى السيئة مستحلا فلا نسخ.

الرابعة :« وقولوا للناس حسنا » [٢٧]قيل الخطاب لليهود فالتقدير من ســائلكم عن بيان محمد صلى الله عليه وســلم فاصدقوه . وقيــل لنا أي كلموهم بما تحبون أن يقال لكم فعلى هذا الآية محكمة[٢٨] وقيل المراد بذلك مساهلة المشركين في كتمانهم لا إلى الإســلام فالآية (عند هؤلاء) [٢٩]منسوخة [٣٠]بآية الســيف [٣١]وفيــه بعد لأن (٢ظ) لفــظ الناس عام فتخصصه بالكفار [٣٢]يحتاج إلى دليل .

الخامســة :« فــأعفوا واصفحوا حتى يــأتي اللــه بأمره »[٣٣] زعم قوم أنها منسوخة بآية السيف [٣٤] وليس بصحيح لأنه لم يأمــر بالعفو مطلقا بل إلى غاية ومثل هذا لا يدخله [٣٥]في المنسوخ .

الســادســة :« فأينما تولوا فثــم وجه الله» [٣٦] ذهب بعضهم إلى أن هــذه الآية اقتضت جواز التوجه إلى جميع الجهات فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيت المقدس ليتألف أهل الكتاب ثم نسخت بقوله : « فولِّ وجهك شــطر المســجد الحرام »[٣٧]

فإنما يصح القول بنســخها إذا قــدر فيها إضمار تقديره :فولوا وجوهكم في الصلاة أنى شــئتم ثم ينســخ ذلك القــدر . والصحيــح [٣٨]أنها محكمة لأنها أخبرت أن الإنســان اين تــولى فثم وجه الله، ثــم ابتدأ الأمــر بالتوجــه إلى الكعبــة لا على وجه النسخ .الســابعة :« لنا أعمالنا ولكم أعمالكم»[٣٩] قال بعضهم هذا يقتضي نوع مســاهلة الكفار[٤٠] ثم نسخ بآية السيف [٤١] وهو بعيد لأنه من شرطها التنافي ولا تنافي فانه خير.

الثامنــة :« أن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى»[٤٢] زعم بعض من قل فهمه إنها نسخت بالاســتثناء بعدهــا[٤٣] وهذا لا يلتفــت إليه وذلك كلمــا أتى من هــذا الجنس فإن الاســتثناء إخراج بعض ما شــمله اللفظ وليس بناســخ .

التاســعة :«كتــب عليكــم القصــاص في القتــلى الحرّبالحرّ»[٤٤]ذهب بعضهم إلى أن دليل الخطاب (٣و) منسوخ لأنه لما قال : الحر بالحر اقتضى أنه لا يقتل العبد بالحر وكذا لمّا قال الأنثى بالأنثى اقتضى أن لا يقتــل الذكر بالأنثى من جهــة دليل الخطاب فذلك منسوخ بقوله « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفــس »[٤٥]وهذا ليس بشيء يعول عليه لوجهين أحدهمــا : أنه أنما ذكر في المائــدة ما كتبه على أهل التــوراة وذلك لا يلزمنــا ، فإن قيل : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يثبت نسخه وخطابنا بعد خطابهم قد ثبت النســخ فتلك الآية أولى أن تكون منســوخة بهذه من هــذه بتلك . والثانــي : إن دليل الخطاب إنما يكون حجة ما لم يعارضه دليل أقوى منه وقد ثبــت بلفظ الآية أن الحر يوازي الحرة فلأن يوازي العبد أولى .

العــاشرة : « كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت إن تــرك خيرا الوصية »[٤٦]ذهــب كثير من العلماء إلى نســخها بآية الميراث [٤٧] ونــص أحمد [٤٨]على ذلك فقال: الوصية للوالدين منسوخة .

الحادية عشرة [٤٩] :« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »[٥٠] ذهب بعضهم إلى أن الإشارة إلى صفة الصوم وكان قد كتب على قبلنا انه إذا نام أحدهم في الليل لم يجز له الأكل إذا انتبه بالليل ولا الجماع[٥١] فنسخ ذلك عنا بقوله:

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم »[٥٢] والصحيح إن الإشارة إلى نفس الصوم والمعنى كتب على من قبلكم أن يصوموا وليست الإشارة إلى صفة الصوم ولا إلى عدد [٥٣](٣ظ) فالآية على هذا محكمة [٥٤] .

الثانية عشرة :« وعلى الذين يطيقونه فدية »[٥٥] في هذا مضمر تقديره : وعلى الذين يطيقونه ولا يصومونه فدية ثم نسخت بقوله :» فمن شهد منكم الشهر فليصمه» [٥٦]

الثالثة عشرة :« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » [٥٧] قيل المنسوخ منها أولها لأنه اقتضى ان القتال إنما يباح في حق من قاتل من الكفار دون من لم يقاتل ثم نسخ بآية السيف . وهذا القائل إنما أخذه من دليل الخطاب ودليل الخطاب إنما يكون حجة إذا لم [٥٨] يعارضه دليل أقوى منه وقد عارضه ما هو أقوى منه كآية السيف وغيرها . وقال آخرون : المنسوخ منها «ولا تعتدوا» قالوا: والمراد بن ابتداء المشركين بالقتال في الشهر الحرام والحرم ثم نسخ بآية السيف وهذا بعيد والصحيح أحكام جميع الآية [٥٩]

الرابعة عشرة :« ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه»[٦٠] ذهب قوم إلى أن هذا منسوخ بآية السيف [٦١] والصحيح أنه محكم وأنه لا يجوز أن يقال أحد [٦٢]

في المسجد الحرام حتى يقاتلوا وإنما [٦٣] أحل القتال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار وكان ذلك تخصيصا له لا على وجه النسخ .

الخامسة عشرة :« فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم» [٦٤] قال بعضهم :إن انتهوا عن الكفر فعلى هذا الآية محكمة .وقال آخرون : عن قتال المسلمين لا عن الكفر فتوجه النسخ بآية السيف [٦٥].

السادسة عشرة : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير» [٦٦] نسخت الآية بآية السيف [٦٧].

السابعة عشرة :« يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير»[٦٨].

قال جماعة :تضمنت ذم الخمر لا تحريمها ثم نسخها «فاجتنبوه» [٦٩].

الثامنة عشرة :« ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو»[٧٠] قيل المراد بهذا الإنفاق الزكوة. وقيل :صدقة التطوع فالآية محكمة . وزعم آخرون أنه انفاق ما يفضل عن حاجة الإنسان وكان هذا واجبا فنسخ بالزكوة[٧١].

التاسعة عشرة :« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمِنّ» [٧٢] هذا اللفظ عام خصّ منه[٧٣] أهل الكتاب والتخصيص ليس بنسخ وقد غلط من سماه نسخا[٧٤] وكذلك العشرون : وذلك قوله : «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »[٧٥] عام خص منه الحامل والأيس والصغير لا على وجه النسخ [٧٦].

الحادية والعشرون :« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى غير إخراج» [٧٧] قال المفسرون : كانت الجاهلية تمكث زوجة المتوفى في بيته حولا ينفق عليها من ميراثه فأقرهم بهذه الآية على مكث الحول ثم نسخها : « يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشرا» [٧٨].

الثانية والعشرون :« لا إكراه في الدين »[٧٩] اختلفوا فيه فقيل هو من العام إلى المخصوص خص منه أهل الكتاب فعلى هذا هو محكم . وقيل نزلت قبل الأمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف[٨٠].

الثالثة والعشرون :«وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »[٨١]قيل: نسخت بقوله :«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » [٨٢].
وقال ابن عباس[٨٣]نزلت في كتمان الشهادة وإقامتها، وقال مجاهد: [٨٤]في الشك واليقين فعلى هذا الآية محكمة ويؤكد إنها خبر [٨٥].

● **سورة آل عمران** (٤ظ):

الأولى [٨٦]:« وإن تولوا فإنما عليك البلاغ» [٨٧] قالوا : هي منسوخة بآية السيف[٨٨]. وبعضهم يقول:إنها نزلت تسكينا لجأشه صلى الله عليه وسلم فإنه كان يزعم في الحرص على إيمانهم فقيل إنما عليك البلاغ لا أن تشوق[٨٩] قلوبهم إلى الصلاح فالآية على هذا محكمة .

الثانية :« إلّا أن تتقوا منهم تقاة » [٩٠] قيل المراد بالآية اتقاء المشركين أن يوقعوا فتنة أو ما يوجب القتال[٩١]فالفرقة ثم نسخ ذلك بآية السيف [٩٢] وليس هذا بشيء وإنما المراد جواز تقواهم إذا أكرهوا المؤمنين [٩٣]على الكفر بالقول الذي لا يعتقد وهذا الحكم باق غير منسوخ .

الثالثة :« اتقوا الله حق تقاته» [٩٤] ذهب كثير من المفسرين[٩٥]إلى أنها نسخت بقوله :« فاتقوا الله ما استطعتم »[٩٦] والصحيح أنها محكمة [٩٧] وأن « ما استطعتم » بيان الحق تقاته فإن القوم ظنوا أن «حق تقاته» ما لا يطاق فزال الإشكال ولو قال :لا تتقوه حق تقاته كان نسخا .

● **سورة النساء:**

الأولى[٩٨]: «ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف »[٩٩] روى عطاء الخراساني [١٠٠]عن ابن عباس قال: نسخها « إن الذين يأكلون أموال اليتامى[١٠١] ظلما »[١٠٢]وهذا يقتضي قول أبي حنيفة[١٠٣]لأن المشهور عنه أنه لا يجوز للوصي الأخذ من مال اليتيم بحال.

الثانية :« وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه »[١٠٤]ذهب جماعة إلى أحكامها ثم اختلفوا في الأمر فأكثرهم على الاستحباب وهو الصحيح وبعضهم على الوجوب. وقال آخرون : نسختها [١٠٥] آية الميراث [١٠٦].

الثالثة والرابعة :« واللائي يأتين الفاحشة من نسائكم » [١٠٧] وقوله :« واللذان يأتيانها منكم»[١٠٨] (٥ و) فالأولى دلت على أن حد الزانية في ابتداء الإسلام الحبس إلى أن تموت أو يجعل الله لهن سبيلا وهو عام في البكر والثيب . والثانية أقضت [١٠٩] إن حد الزانيين الأذى فنظر من الآيتين أن حد المرأة كان الحبس والأذى جميعا وحد الرجل الأذى فقط ونسخ الحكمان بقوله: « والزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة »[١١٠].

الخامسة :«والذين عاقدت ايمانكم»[١١١] كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل على أن يتوارثا و يتناصرا و يتعاقلا [١١٢]في الجناية فجاءت هذه الآية فقررت ذلك ثم نسخت بالمواريث وهذا قول عامة العلماء . وقال أبو حنيفة [١١٣] هذا الحكم ليس بمنسوخ إلا أنه جعل ذوي الأرحام أولى من المعاقدة فإذا فقد ذوو الأرحام فالعاقد أحق من بيت المال.

السادسة :« لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى» [١١٤] قل المفسرون[١١٥]هذه الآية اقتضت إباحة السكر في غير أوقات الصلوات ثم نسخ ذلك بقوله[١١٦] «فاجتنبوه»[١١٧].

السابعة :« فاعرض عنهم وعظهم »[١١٨] قال المفسرون : فيه تقديم وتأخير تقديره: فعظهم فإن امتنعوا من الإجابة فاعرض عنهم وهذا قبل الأمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف .[١١٩]

الثامنة :« ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا »[١٢٠] زعم قوم أنها نسخت بآية السيف[١٢١] وليس بصحيح لأن ابن عباس

قال في تفسيرها : وما أرسلنا عليهم [١٢٢]رقيبا تؤخذ بهم فعلى هذا لا نسخ .
التاسعة :« فاعرض عنهم وتوكل على الله» .[١٢٣]
قال المفسرون : معنى الكلام اعرض عن عقوبتهم ثم نسخ ذا الإعراض بآية السيف [١٢٤]
العاشرة :« إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق »[١٢٥]. المراد يتوصلون [١٢٦]. يدخلون في عهد قوم (٥ ظ) بينكم وبينهم ميثاق كدخول خزاعة في عهد رسول الله (ص)[١٢٧]،ثم نسخ ذلك بآية السيف[١٢٨].
الحادية عشرة : [١٢٩]«ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم »[١٣٠] ذهب الأكثرون إلى أنها منسوخة بقوله :« ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[١٣١] وقال قوم : هي محكمة ولهم في طريق إحكامها قولان : أحدهما : بأن قاتل المؤمن مخلد في النار وأكدوا هذا بأنها خبر، والثاني : أنها عامة دخلها التخصيص بدليل أنه لو قتل[١٣٢] كافر ثم أسلم سقطت عنه العقوبة في الدنيا والآخرة .فلذا ثبت [١٣٣]كونها من العلم المخصص[١٣٤]أن يكون قد قتله مستحلا لأجل إيمانه[١٣٥]فاستحق التخليد لاستحلاله له [١٣٦]. وذهب قوم إلى أنها مخصوصة في حق من لم يتب وقيل فجزاؤه جهنم إن جازاه،وفيه بعد لقوله: «فغضب الله عليه ولعنه»[١٣٧]

● سورة المائدة:

الآولى[١٣٨]:« لا تحلوا شعائر الله» [١٣٩]ذهب قوم إلى استحكامها[١٤٠]وقالوا[١٤١] لا يجوز استحلال الشعائر ولا الهدي قبل أوان ذبحه .وقال[١٤٢] آخرون : كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم فقيل لا تستحلوا أخذ القلايد [١٤٣]من الحرم ولا تصدوا القاصدين إلى البيت.وذهب آخرون إلى أنها منسوخة ولهم في المنسوخ ثلاثة أقوال: أحدها: «ولا آمين في البيت» [١٤٤] فنسخ في المشركين بقوله: « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا »[١٤٥].
والثاني : الآية [١٤٦] تحرم الشهر الحرام والآمين إذا كانوا مشركين وهدي المشركين ولم يكن لهم أمان .
والثالث :أن جميعها منسوخ هكذا أطلقه جماعة[١٤٧] وليس صحيح[١٤٨] فإن قوله :«وإذا حللتم فاصطادوا وتعاونوا على البر والتقوى»[١٤٩] إلى آخرها فلا وجه لنسخه.
الثانية :« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » [١٥٠] فيها ثلاثة أقوال: أحدها: إنها اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب على الإطلاق وإن علمنا أنهم أهلواعليها بغير اسم الله وأشركوا به غيره . هذا قول الشعبي[١٥١]وآخرين . والثاني : إن ذلك مباحٌ [١٥٢] في أول الإسلام [١٥٣] ثم نسخ بقوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه»[١٥٤]
والثالث: إنما أبيحت ذبايحهم [١٥٥]لأنه الأصل [١٥٦] فمتى علم أنهم قد ذكروا (٦ و) غير اسم الله لم يؤكل فعلى هذا الآية محكمة .
الثالثة :« فاعف عنهم واصفح »[١٥٧]الأكثرون على نسخها بآية السيف .وقال ابن جرير [١٥٨] يجوز أن يعفى[١٥٩] عنهم في عذارة [١٦٠]فعلوها مالم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من أداء الجزية ولا [١٦١] يتوجه النسخ[١٦٢] .
الرابعة : « فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » [١٦٣] اقتضت تخييره [١٦٤]بين الحكم وتركه ثم قيل :ونقل :[١٦٥] هذا التخيير ثابت أم نسخ فيه قولان : أحدهما :[١٦٦]في الحكم إنه نسخ بقوله :«وإن أحكم بينهما بما أنزل الله»[١٦٧] وهذا مذهب ابن عباس وعطاء [١٦٨] وعكرمة [١٦٩] والسدي[١٧٠].
والثاني : أنه ثابت لم ينسخ وإن الإمام ونوابه مخيرون [١٧١] إذا ترافعوا إليهم إن شاءوا [١٧٢] حكموا وإن شاءوا أعرضوا فإن حكموا حكموا بالصواب .

الخامسة :« ما على الرسول إلا البلاغ »[١٧٣] قيل هي محكمة والمراد ماعليه إلا البلاغ لا الهدى . وقيل أنها تتضمن الاقتصار على التبليغ دون الأمر بالقتال ثم نسخت بآية السيف [١٧٤] والأول أصح.

السادسة :« عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »[١٧٥] فيها قولان : أحدهما[١٧٦] :أنها تضمنت الأمر بكف الأيدي عن قتال الضالين فنسخت بآية السيف .

والثاني : إنها محكمة لأنها لا تمنع من قتال [١٧٧] فهو الصحيح .

السابعة :«شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم »[١٧٨] الإشارة بهذا إلى الشاهدين اللذين شهدا على الموصى في السفر . وفي قوله « أو آخران من غيركم » قولان: أحدهما : من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون أيضا فعلى هذه الآية محكمة . والثاني : من غير أهل [١٧٩] ملتكم . وهل هذا الحكم باق عندنا ؟ إنه باق [١٨٠] لم ينسخ وهو قول ابن عباس وابن المسيب [١٨١] وابن جبير [١٨٢] وابن سيرين [١٨٣] والشعبي [١٨٤] والثوري [١٨٥] .

والثاني : أنه منسوخ بقوله :« واشهدوا ذوي عدل منكم »[١٨٦] وإليه مال أبو حنيفة ومالك [١٨٧] والشافعي [١٨٨] . ونحن نقول هذا موضع ضرورة فجاز فيه ما لا يجوز في غيره لقبول الشهادة من النفساء بالنفاس والحيض والاستهلال.

● **سورة الأنعام** (٦ ظ):

الأولى[١٨٩]:« إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم »[١٩٠] زعم بعضهم أنه كان يحث النبي [١٩١] (صلى الله عليه وسلم) [١٩٢] خوف عواقب الذنوب ثم نسخ [١٩٣] بقوله « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر »[١٩٤] الظاهر من هذه المعاصي الشرك لأنها جاءت عقب « ولا تكونن من المشركين »[١٩٥] فإذا قدرنا بالعفو عن ذنب إذا كان لم تقرر [١٩٦] المسامحة في شرك لو تصور ، إلا أنه لمّا لم يجزه [١٩٧] في حقه بقي ذكره على سبيل التهديد والتخويف من عاقبته كقوله :«لئن اشركت ليحبطن عملك» [١٩٨] فعلى هذا الآية محكمة وتوكيده أنها خبرية [١٩٩] والأخبار لا ينسخ[٢٠٠].

الثانية :« قل لست عليكم بوكيل »[٢٠١] فيه قولان : أحدهما : إنه اقتضى الاقتصار[٢٠٢] في حقهم على الإنذار من غير زيادة (ثم نسخ بآية السيف)[٢٠٣]

والثاني : أن معناه : لست عليكم حفيظا إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل بالأسرار فعلى هذا محكم [٢٠٤] وهو الصحيح وتوكيد في أنه خبر[٢٠٥].

الثالثة :« وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم »[٢٠٦] المراد بهذا الخوض التكذيب ويشبه أن يكون الأعراض منسوخا بآية السيف [٢٠٧].

الرابعة :«وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا »[٢٠٨] وفيه قولان : أحدهما : اقتضى [٢٠٩] المسامحة لهم والإعراض عنهم ثم نسخ بآية السيف [٢١٠].

والثاني : إن خرج مخرج التهديد كقوله :« ذرني ومن خلقت وحيدا »[٢١١] فعلى هذا محكم [٢١٢] وهو الصحيح[٢١٣].

الخامسة : « قل الله ثم ذرهم »[٢١٤] فيه قولان : أحدهما : أنه [٢١٥] أمر بالإعراض عنهم ثم نسخ بآية السيف [٢١٦]. والثاني : أنه تهديد فهو محكم وهو الصحيح .

السادسة :« فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ»[٢١٧] قيل تضمن ترك قتال المشركين ثم نسخ بآية السيف [٢١٨] وقيل المعنى لست رقيبا عليكم أحصي أعمالكم فعلى هذا هي محكمة .

السابعة : «واعرض عن المشركين»[٢١٩] قال ابن عباس نسختها آية السيف[٢٢٠].

الثامنة :« وما جعلناك عليهم حفيظا »[٢٢١] قال ابن عباس نسخت بآية السيف [٢٢٢].

وعلى مـا ذكرنا في نظايرها [٢٢٣] تكون محكمة .
التاسـعة :« فذرهم وما يفـترون » [٢٢٤] إن قلنا (٧و) هـذا تهديد فهـو محكم . وإن قلنا أمر بترك قتالهم فمنسـوخ بآية السـيف[٢٢٥].
العاشرة:« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسـم الله عليه» [٢٢٦] ذهب جماعة منهـم الحسـن [٢٢٧]،وعكرمـة[٢٢٨]إلى نسـخها بقوله :« وطعام الذيـن أوتوا الكتاب حل لكم »[٢٢٩]وهذا غلط لأنهم إن أرادوا النسخ حقيقة فليـس نسـخا وإن أرادوا التخصيـص وإنه [٢٣٠] خص بآية المائدة :« وطعام الذين أوتوا (الكتاب)»[٢٣١] فليـس بصحيح لأن أهل الكتاب ذكروا اسـم الله عـلى الذبيحة فحمـل أمرهم على تلك .فـإن تيقنا أنهم تركوه جاز أن يكون من نسـيان والنسـيان لا يمنـع الحل أولا عن نسـيان لـم يجز الأكل فلا وجه للنسـخ [٢٣٢] بعـد قول [٢٣٣]الشـافعي هذه الآيـة محكمة لأنه إمـا أن يراد بها عنـد الميتة أو يكون نهي كراهة .
الحاديـة عـشرة [٢٣٤]:« قـل يا قـوم اعملوا على مكانتكـم إنـي عامـل فسـوف تعملـون »[٢٣٥] للمفسريـن فيـه قـولان : أحدهـا[٢٣٦]أن المـراد بهـا [٢٣٧] ترك قتال الكفار فهي منسـوخة بآية السـيف[٢٣٨] . والثانـي : التهديد فهـي محكمة وهو الأصح.
الثانيـة عشرة : « فذرهم وما يفترون »[٢٣٩] قيل هذا تهديد ووعيـد فهو محكم وقد يقتضى [٢٤٠] قتال المشركين فهو منسـوخ بآية السـيف [٢٤١].
الثالثة عشرة[٢٤٢]:« وآتوا حقه يوم حصاده» [٢٤٣] قال عطية العوفي [٢٤٤]كانوا إذا حصـدوا [٢٤٥]دريس[٢٤٦] وإذا غربل أعطوا منه شيئا فنسخ ذلك العشر ونصف العشر .قلت : وهذا إن كان واجبا صح نسخه بالزكوة وإن قيل مستحب فالحكم باق [٢٤٧].
الرابعـة عـشرة [٢٤٨] :« قـل لا أجـد فيمـا أوحي إلي محرما» [٢٤٩] الآية .
هذه الآية محكمة وفي وجه إحكامها طريقان :
أحدهمـا : إنها إنما [٢٥٠]حـصرت المحرم ولا محرم سواه ،والثاني : إنها اخبرت عن المحرم من جملة ما كانوا يحرمون في الجاهلية وقد إدعى قوم نسـخها بآيـة المائدة [٢٥١] ورد هذا عليهم بأن جميع المذكور في تلـك الآية ميتـة وقد ذكرت الميتـة هاهنا . وزعم بعضهم أنها نسـخت بالسـنة فإنها حرمت لحوم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وهذا لايصح لأن السـنة لا تنسـخ القرآن (٧ ظ) والصـواب أن يقال هذه نزلـت بمكة ولم تكن الفرائـض [٢٥٢] قد تكاملـت ولا المحرمات فأخبرت عـن المحرمات في الحالة الحـاضرة والماضية لا عن المستقبلة[٢٥٣] فيؤكد إحكامها أنها [٢٥٤]خبر.
الخامسة عشرة :« قل انتظروا إنا منتظرون »[٢٥٥] قد سـبق ذكر نظائرها [٢٥٦]قيل هي تهديد فتكون محكمـة أو تتضمـن النهـي عـن قتالهـم فتكون منسوخة بآية السيف [٢٥٧].
السادسـة عشرة :« لسـت منهم في شيء » [٢٥٨]قال السدي : لسـت من قتالهم في شيئ ثم نسخت بآية السيف [٢٥٩].
وقـال عندي[٢٦٠]ليس إليك مـن أمرهم شيء وإنما أمرهـم في الجزاء إلى الله تعـالى فعلى[٢٦١]هذا تكون محكمة [٢٦٢].

● **سـورة الأعراف :**

الأولى[٢٦٣]:«وذروا الذيـن يلحدون في أسـمائه»[٢٦٤] قال زيد [٢٦٥] نسـخها الأمر بالقتال [٢٦٦]وقال غيره :هو تهديد لهم وهذا لا ينسخ [٢٦٧].
الثانية :« خذ العفـو» [٢٦٨]ذهب قوم إلى أنه الزكوة فتكـون محكمة وقال آخرون : هـي صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة ثم نسخت بالزكوة [٢٦٩].
قـال ابن زيـد [٢٧٠]المـراد بذلك مسـاهلة المشركين والعفو عنهم ثم نسـخ بآية السـيف .
وأمـا قوله :« اعرض عـن الجاهلين » [٢٧١]قيل

نسخ بآية السيف .وقيل : المراد واعرض عن مقاتلتهم لسفههم [٢٧٢]وذلك لا يمنع قتالهم فتكون محكمة [٢٧٣].

● **سورة الأنفال:**

(الأولى)[٢٧٤] : «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» [٢٧٥].

قيل نسختها « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » [٢٧٦].

وهذا ليس بصحيح لأن النسخ لا يدخل على الأخبار وإنما يثبت[٢٧٧] الآية الثانية استحقاقهم العذاب فأما الأولى فبينا[٢٧٨] دفعه عنهم لكون الرسول فيهم والمؤمنين [٢٧٩]يستغفرون فلا وجه للنسخ[٢٨٠].

الثانية :« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها»[٢٨١] قال ابن عباس نسخها :« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله» [٢٨٢] وقال مجاهد : آية السيف ،وهي وإن [٢٨٣]قلنا إنها نزلت ترك محاربة أهل الكتاب إذا بذلوا الجزية فهي محكمة [٢٨٤].

الثالثة :« إن يكن منكم عشرون (٨ و) صابرون يغلبوا مائتين»[٢٨٥]، المعنى: يقاتلوا مائتين ولفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر [٢٨٦] ثم نسخ بقوله « الآن خفف الله عنكم »[٢٨٧] الآية .

الرابعة :«والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا» [٢٨٨] قال المفسرون : كانوا يتوارثون بالهجرة وكان المؤمن الذي لم يهاجر لايرث قريبه المهاجر ذلك معنى قوله [٢٨٩]:«ما لكم من ولايتهم من شيء» [٢٩٠] فنسخت بقوله :« وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض»[٢٩١].

● **الهوامش:**

(١) ترجمته في صيد الخاطر: ص٢٣٥ ،ومشيخة ابن الجوزي: صفحات متعددة ،والكامل في التاريخ: ج١٢/ ص٧١،ومرآة الزمان:ج ٨/ص٤٨١_ ٥٠٣ ،والتكملة لوفيات النقلة: ج١/ ص٣٩٤_ ٣٩٥،ومشيخة النعال:١٤٠،والذيل على الروضتين: ٢١،والجامع المختصر: ج٩/ ص٦٥_ ٦٧،ووفيات الأعيان: ج٣/ص١٤٠_ ١٤٢، وتذكرة الحفاظ: ج٤/ ص١٣٤٢_ ١٣٤٨،ودول الإسلام: ج٢/ص٧٩،وسير أعلام النبلاء :ج٢١/ص٣٦٥_ ٣٨٤،والعبر في خبر من عبر :ج٣/ص١١٨_ ١١٩،والمختصر المحتاج إليه: ج٢/ص٢٠٥_ ٢٠٨،والمستفاد:ص٤١٦_ ٤١٨،والبداية والنهاية: ج ١٣/ ص ٢٨_ ٣٠،وعيون التواريخ:ج١٢/ص١٧٤،والذيل على طبقات الحنابلة: ج١/ ص٣٩٩_٤٣٣،والعسجدالمسبوك:ص٢٦٨_ ٢٦٩،وغاية النهاية :ج١/ص ٣٧٥،وشذرات الذهب :ج٤/ص ٣٢٩_ ٣٣١.

(٢) مرآة الزمان :ج٨/القسم الأول :ص ٤٨٣.

(٣) (وبه نستعين) ساقطة من ب.

(٤) في ب (في تحضير).

(٥) من مؤلفات ابن الجوزي .انظر كتاب مؤلفات ابن الجوزي : ص ١٢٤.

(٦) (بعطفه) ساقطة من ب.

(٧) في ب (إلى الطاعة).

(٨) ما بين القوسين .ساقط من ب.

(٩) يقتضيها السياق.

(١٠) في ب (نقول).

(١١) (ينظر: تاريخ بغداد او مدينة السلام :ج٩ص ٤٣٠والمعارف ص ٥٢٨وتذكرة الحفاظ ج١ص ٥٨).

(١٢) ساقطة من ب.

(١٣) في ب (أبو اعرفوي).

(١٤) ساقطة من ب.

(١٥) الآية ٣.

(١٦) (تهذيب التهذيب :ج١ص ٤٢ ،ومعجم الأدباء: ج٦ص٢٤٢،وميزان الاعتدال في نقد الرجال: ج٣ص٤٣٩).

(١٧) مابين القوسين ساقط من ب . وانظر الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة، ص ١١.

(١٨) التوبة ٦٠.
(١٩) الآية :٦٢.
(٢٠) ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامه ص ١١ والنسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٢٨.
(٢١) آل عمران ٨٥.
(٢٢) في ب (لأنه إن أشير).
(٢٣) ينظـر: الناسـخ والمنسـوخ لإبـن سـلامه ص١١ والناسـخ، والمنسـوخ للعتائقي ص٢٨ ،والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٠٦.
(٢٤) الآية ١٨.
(٢٥)(النسخ) ساقطة من ب.
(٢٦) النساء /الآية ٤٨.
(٢٧) ا لآية ٨٣.
(٢٨) ينظـر : النسـخ والمنسـوخ لابـن سـلامة ص١٢، والإيضاح لناسـخ القرآن و منسـوخه ص ١٠٧، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٢٨.
(٢٩) ما بين القوسين ساقط من ب.
(٣٠) معرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص ٣١٩، والناسخ والمنسـوخ للعتائقي، ص ٢٨ ،والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
(٣١) اغلـب الأقوال ان آية السـيف هي الآية ٥ من سـورة التوبة « فإذا انسـلخ الأشـهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهـم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ».
(٣٢) في ب (بالكتاب).
(٣٣) الآية ١٠٩.
(٣٤) ينظر : الناسخ والمنسوخ للعتائقي ص ٢٨ ،والناسخ والمنسوخ، ص٣١٩.
(٣٥) في ب (إلى يدخل).
(٣٦) الآية ١١٥.
(٣٧) الآية ١٤٤.
(٣٨) في ب (فالصحيح).
(٣٩) الآية ١٩.
(٤٠) في ب (للكفار).
(٤١) ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص١٤، والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص٢٦٥.
(٤٢) الآية ١٥٩.
(٤٣) وهي الآية ١٦٠ وينظر: النسـخ والمنسوخ للعتائقي ص٢٩ ،والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص١٤.
(٤٤) الآية ١٧٨.
(٤٥) المائدة/ الآية ٤٥ .ينظر : الناسخ والمنسوخ للعتائقي ص ٣٠ ،والناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٠.
(٤٦) الآية ١٨٠.
(٤٧) النساء / الآية ١١.
(٤٨) (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج١ ص٦٣ ، وطبقات المفسرين ج١ ص٧٠ ،والعبر في خبر عبر ج١ ص٤٣٥).
(٤٩) في النسختين (الحادية عشر) وكذلك في جميع الأعداد المركبة للآيات القرآنية في السور.
(٥٠) الآية ١٨٣.
(٥١) في ب (ولا الجماع).
(٥٢) الآيـة / ١٨٧ ينظـر : الناسـخ والمنسـوخ للعتائقي ص٣٢ ، والنسخ والمنسوخ لابن حزم ص ٣٢١.
(٥٣) في ب (إلى عدده).
(٥٤) ينظر:الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٢٤.
(٥٥) الآية ١٨٤.
(٥٦) الآية ١٨٥ ينظر:الايضاح لناسـخ القرآن ومنسوخه ص ١٢٥،والناسـخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ص٢١.
(٥٧) الآية ١٩٠.
(٥٨) في ب (مالم).
(٥٩) ينظر : الناسـخ والمنسوخ في القرآن الكريم للنحاس ص ٢٦، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص١٩ .
(٦٠) الآية ١٩١.
(٦١) ينظـر: الموجـز في الناسـخ والمنسـوخ لابـن خزيمة الفارسي، ص٢٥٦،والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص١٩.
(٦٢) في ب (أحل).
(٦٣) في ب (فإنما).
(٦٤) الآية ١٩٢.
(٦٥) الناسـخ والمنسـوخ للعتائقـي، ص٣٣، والناسـخ



والمنسوخ لابن حزم، ص٣٢٢.
(٦٦) الآية ٢١٧.
(٦٧) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ٢٠، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٣٤.
(٦٨) الآية ٢١٩
(٦٩) المائدة الآية :٩٠.
(٧٠) الآية ٢١٩ الواردة في الهامش (٦٦).
(٧١) ينظر : الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للنحاس ص٣٥، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٣٥.
(٧٢) الآية ٢٢١.
(٧٣) في ب(هذا لفظ عام خاص منه).
(٧٤) ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٣٢٤، والإيضاح لناسخ القرآن الكريم ومنسوخه، ص١٤٢.
(٧٥) الآية ٢٢٨.
(٧٦) ينظر : النسخ والمنسوخ للعتائقي ص٣٦، والإيضاح لناسخ القرىن ومنسوخه، ص ١٤٨.
(٧٧) الآية ٢٤٠.
(٧٨) الآية ٢٣٤،وينظر: معرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٥، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٢٦.
(٧٩) الآية ٢٥٦.
(٨٠) ينظر:الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ٢٧،والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٣٧.
(٨١) الآية ٢٨٤.
(٨٢) الآية ٢٨٦وينظر : الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٣٨، ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص ٣٢٦.
(٨٣) (العبر في خبر من غبر ،ج١ ،ص ٧٦ ،وطبقات المفسرين ج١ ص ٢٣٢، وتاريخ بغداد ،ج١،ص ١٧٣).
(٨٤) مرت ترجمته في الصفحة ١٤.
(٨٥) في ب (ويؤكده أنه خبر) وينظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٦٧،والناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ٢.
(٨٦) ساقطة من النسختين .ويقتضيها السياق.
(٨٧) الآية ٢٠ وفي النسختين «فإن تولوا» وهو تصحيف .
(٨٨) في ب (منسوخة بالسيف) وينظر : الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٣٨ ،والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٢٩،و الموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
(٨٩) في ب (فسوق).
(٩٠) الآية ٢٨.
(٩١) في ب (القتل).
(٩٢) ينظر: والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٢٩، و الموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص ٢٦٥.
(٩٣) في ب(المؤمن).
(٩٤) الآية ١٠٢.
(٩٥) (من المفسرين) ساقطة من ب.
(٩٦) التغابن /الآية ١٦و ينظر: الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٣٩ والناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ٣٠،و ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٢٧.
(٩٧) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٧١.
(٩٨) يقتضيها السياق.
(٩٩) الآية ٦.
(١٠٠) (المعرف ، ص ٤٤٤، وتذكرة الحفاظ ج١ص٩٨،وتهذيب التهذيب ج٧ ،ص١٩٩).
(١٠١) في ب (الناس).
(١٠٢) الآية ١٠
(١٠٣) (الكنى والألقاب، ج١ ،ص٥٣،وتهذيب التهذيب، ج١ ص٤٤٩،وتاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج١٣ ،ص٣٢٣).
(١٠٤) الآية ٨.
(١٠٥) في ب (نسخها)
(١٠٦)آية الميراث هي الآية ١١ من سورة النساء .
(١٠٧) الآية ١٥.
(١٠٨) الآية ١٦.
(١٠٩) في ب (أفضت).
(١١٠) سورة النور /الآية ٢ وفي النسختين الزان ،وما أثبتناه من المصحف الشريف .
(١١١) الآية ٣٣وفي النسختين « عاقدت « وما أثبتناه من المصحف الشريف.
(١١٢) في ب (يتعاقدا).



(١١٣) مرت ترجمته في الصفحة ٢٦ الهامش رقم ١.
(١١٤) الآية ٤٣.
(١١٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٣٧.
(١١٦) (بقوله) ساقطة من ب.
(١١٧) سورة المائدة / الآية ٩٠ ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٧ .
(١١٨) الآية ١٦.
(١١٩) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٨ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٢، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٤،والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص٢٦٥.
(١٢٠) الآية ٨٠.
(١٢١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٧ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٢، ،والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص٢٦٥.
(١٢٢) في ب(ما أرسلناك رقيبا).
(١٢٣) الآية ٨١.
(١٢٤) ينظر: ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٣ أ،والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٨ ر، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٤.
(١٢٥) الآية ٩٠.
(١٢٦) في ب (يصلون).
(١٢٧) سورة المائدة / الآية ٩٠.
(١٢٨) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٣٨ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٣ ا،ر ر، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٤.
(١٢٩) في النسختين (الحادية عشر).
(١٣٠) الآية ٩٣.
(١٣١) الآية ١١٦ وينظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٣٩ ،ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٣ ا، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٥.
(١٣٢) في ب (لو قتله).
(١٣٣) في ب (فإذا ثبت).
(١٣٤) في ب (من العام المخصص).
(١٣٥) وبعدها :» فأي دليل صلح للتخصيص وجب العمل به ومن أسباب التخصيص أن يكون «
(١٣٦) في ب (لاستحلاله) .
(١٣٧) الآية ٩٣.
(١٣٨) ساقطة من النسختين ،ويقتضيها السياق.
(١٣٩) الآية ٢.
(١٤٠) في ب (إلى إحكامها).
(١٤١) في ب (وقال).
(١٤٢) في ب(فقال).
(١٤٣) في ب (القلائد).
(١٤٤) سورة المائدة / الآية ٢.
(١٤٥) سورة التوبة /الآية ٢٨.
(١٤٦) في ب (آية).
(١٤٧) ينظر:الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٤ ، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٦.
(١٤٨) في ب (وليس بصحيح).
(١٤٩) المائدة / الآية ٢.
(١٥٠) الآية ٥.
(١٥١) (المعارف ص٤٤،وتهذيب التهذيب ج٥ص٦٥،والكنى والألقاب ج٤ص٣٦١).
(١٥٢) في ب (كان مباحا).
(١٥٣) في ب(في أول الأمر).
(١٥٤) سورة الإنعام / الآية ١٢١.
(١٥٥) في ب(ذبائحهم).
(١٥٦) في ب بعدها « إنهم يذكرون اسم الله فمتى...»
(١٥٧) الآية ١٣
(١٥٨) محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التصانيف المشهورة ،مفسر مؤرخ (ت ٣١٠هـ) (البداية والنهاية في التاريخ ،ج١١،ص١٤٥،وطبقات المفسرين، ج٢،ص١٠٦، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج٢،ص١٦٢).
(١٥٩) في ب(يعفو)
(١٦٠) في ب(غدرة)
(١٦١) في ب(فلا)
(١٦٢) ينظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه:ص٢٣٣
(١٦٣) الآية ٤٢.
(١٦٤) في ب(تخييره) .

(١٦٥) في ب(وهل).
(١٦٦) في ب(أحدها).
(١٦٧) سورة المائدة / الآية ٤٩.
(١٦٨) مرت ترجمته في ص ٢٦ الهامش رقم ٩٨.
(١٦٩) (طبقات المفسرين، ج١، ص٣٨٠ ،والعبرفي خبر من عبر، ج١،ص ١٧١ ،وتذكرة الحفاظ ج١ص ٩٥).
(١٧٠).(خلاصة تهذيب الكمال، ص٣٠،والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج١، ص ٣٠٤ ،واللباب في تهذيب الأنساب ، ج١، ص٥٣٧) .
(١٧١) في ب (مخيرون) في آخر الآية .
(١٧٢) في ب(إن شاؤا) والصحيح إن شاءوا.
(١٧٣) الآية ٩٩.
(١٧٤) الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٤٢،والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص ٤٧، والموجز في الناسخ والمنسوخ لابن خزيمة الفارسي، ص٢٦٦.
(١٧٥) الآية ١٥.
(١٧٦) ي ب (أحدهما).
(١٧٧) في ب(من قتال المشركين).
(١٧٨) الآية ١٠٦.
(١٧٩) (أهل) ساقطة من ب.
(١٨٠) (إنه باق) ساقطة من ب.
(١٨١) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أحد فقهاء المدينة السبعة (ت ٩٤هـ) (المعارف ص ٤٣٧،وتذكرة الحفاظ، ج١، ص٥٤، وتهذيب التهذيب، ج١، ص٢٨٤.
(١٨٢) أبو عبد الله الأسدي بالولاء الكوفي حبشي الأصل أعلم التابعين أخذ عن ابن عباس وابن عمر قتله الحجاج بواسط سنة٩٥هـ (المعارف ص٤٤٥، وتذكرة الحفاظ، ج١، ص٧٦، وطبقات المفسرين، ج١، ص١٨١) .
(١٨٣) أبو بكر محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ،اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا (ت ١١٠هـ) (تذكرة الحفاظ ج١ص٧٧ ،والمعارف ص٤٤٢ ،وتهذيب التهذيب، ج٩، ص٢١٤).
(١٨٤) مرت ترجمته في ص ٣٤ الهامش رقم ٤٩.
(١٨٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من أعلام المحدثين راوده المنصور على أن يلي الحكم فأبى وهرب من الكوفة إلى البصرة ومات فيها متخفيا سنة ١٦١هـ (طبقات المفسرين، ج١، ص ١٨٦،وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، ص٢٥٠ وتهذيب التهذيب، ج٤ ،ص١١١).
(١٨٦) سورة الطلاق /الآية ٢.
(١٨٧) أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري أحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب المذهب المالكي له كتاب الموطأ توفي في المدينة سنة ١٧٩هـ (تذكرة الحفاظ، ج١، ص، ٢٠٧ وتهذيب التهذيب، ج١٠، ص ٥ ،وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٦ ، ص ٣١٦).
(١٨٨) (طبقات المفسرين، ج٢، ص٩٨، والوافي بالوفيات ج٢، ص١٧١، و شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٢، ص٩).
(١٨٩) ساقطة من النسختين ،يقتضيها السياق.
(١٩٠) الآية ١٥.
(١٩١)في ب (كان يجب على النبي).
(١٩٢) مابين القوسين زيادة من ب.
(١٩٣) في ب (نسخة).
(١٩٤) سورة الفتح / الآية ٢.
(١٩٥) سورة الأنعام /الآية ١٤.
(١٩٦) في ب (نقدر).
(١٩٧) في ب (نعرفة).
(١٩٨) سورة الزمر /الآية ٦٥.
(١٩٩) في ب (انه خبر).
(٢٠٠) ينظر : الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٩.
(٢٠١) الآية ٦٦.
(٢٠٢) في ب (الاختصار).
(٢٠٣) ما بين القوسين في ب (ناسخ بآية السيف) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص ٤٤،والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٩.
(٢٠٤) في ب (هو محكم).
(٢٠٥) في ب (وتوكيده أنه خبر) وينظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٤٢ .
(٢٠٦) الآية ٦٨.
(٢٠٧) في الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٩ الناسخ

لهــا الجزء الأخير من الآية نفســها وهو قوله «فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين »
(٢٠٨) الآية ٧٠.
(٢٠٩) في ب (أنه اقتضى) .
(٢١٠) ينظر: والناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٤٥ ،والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٩ ، ،ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم ، ص٣٣٦، إن الناســخ للآية الكريمة قوله تعالى « قاتلوا الذيــن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخــر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »التوبة / الآية ٢٩.
(٢١١) سورة المدثر /الآية ١١.
(٢١٢) في ب (هو محكم).
(٢١٣) ينظر: الناســخ والمنسوخ في القرآن الكريم للنحاس ١٣٧.
(٢١٤) الآية ٩١.
(٢١٥) ساقطة من ب.
(٢١٦) ينظــر: الناســخ والمنســوخ لابــن ســلامة، ص٤٥ الناســخ والمنســوخ للعتائقــي، ص٤٩ ، ،ومعرفة الناســخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٧.
(٢١٧) الآية ١٠٤.
(٢١٨) ينظر: الناســخ والمنســوخ لابن ســلامة، ص٤٥،و الناســخ والمنســوخ للعتائقــي، ص٤٩ ومعرفــة الناســخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٧.
(٢١٩) الآية ١٠٦.
(٢٢٠) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٤٩ ،ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٧.
(٢٢١) في النســختين (ومــا أرســلناك) ومــا أثبتنــاه من المصحف الشريف الآية ١٠٧.
(٢٢٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٤٥، و الناســخ والمنســوخ للعتائقي، ص٤٩ ،ومعرفة الناســخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٧.
(٢٢٣) في ب (نظائرها).
(٢٢٤) الآية ١٢١.
(٢٢٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٥٠ ،ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٧.
(٢٢٦) الآية ١٢١.
(٢٢٧)ـ(المعارف ص٤٤٠، وطبقات المفسرين ج١ص١٤٧، وتذكرة الحفاظ ج١ ص٧١).
(٢٢٨) مرت ترجمته في الصفحة ٣٤ الهامش رقم ٦٧
(٢٢٩) ســورة المائدة /الآية ٥ ،وينظر: الناســخ والمنسوخ للعتائقي، ص٥٠ ،ومعرفة الناســخ والمنســوخ لابن حزم، ص٣٣٧.
(٢٣٠) في ب (فإنه).
(٢٣١) مابين القوسين ساقط من أ .
(٢٣٢) ينظر : الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٥٠.
(٢٣٣) في ب (فعلى قول).
(٢٣٤) في أ (الحادي عشر).
(٢٣٥) الآية ١٣٥.
(٢٣٦) في ب (أحدهما).
(٢٣٧) في ب (فيها).
(٢٣٨) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٤٦، و الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٥٠.
(٢٣٩) الآية ١٣٧.
(٢٤٠) في ب (يقتضي ترك قتال).
(٢٤١) ينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ، ص٤٦، و الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٥٠
(١٤٢) في النسختين الثالثة فقط والصحيح (الثالثة عشرة).
(٢٤٣) الآية ١٤١.
(٢٤٤) (تهذيب التهذيب ج٧ص٢٢٤،والأعلام ج٥ص٣٢).
(٢٤٥) في ب (حصد).
(٢٤٦) في ب (أدبس).
(٢٤٧) ينظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٤٧.
(٢٤٨) في نسخة أ (الرابعة) والصحيح (الرابعة عشرة).
(٢٤٩) الآية ١٤٥.
(٢٥٠) في ب (إنها).
(٢٥١) في ب (المائدة).
(٢٥٢) في ب (الفرائض).
(٢٥٣) في ب (المستقبل).
(٣٥٤) في ب (إنه).

(٣٥٥) الآية ١٥٨

(٢٥٦) في ب (نظائرها).

(٢٥٧) (آية السيف) ساقطة من ب ،(السيف) يقتضيها السياق ، ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ،ص٤٦، والناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٥٠ .

(٢٥٨) الآية ١٥٩.

(٢٥٩) ينظر: الناسخ والمنسوخ للعتائقي، ص٥٠ .

(٢٦٠) في ب (غيره).

(٢٦١) ساقطة من ب.

(٢٦٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للنحاس ،ص١٤٦.

(٢٦٣) يقتضيها السياق.

(٢٦٤) الآية ١٨٠.

(٢٦٥) لم أعثر على ترجمة له لعله ابن زيد الذي سيرد اسمه في الكتاب بعد قليل.

(٢٦٦) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص٢٥٢.

(٢٦٧) ينظر: المصدر نفسه .

(٢٦٨) الآية ١٩٩

(٢٦٩) ينظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٤٧

(٢٧٠) (ميزان الاعتدال ص٥٦٤ ،وتهذيب التهذيب، ج٦ ص١٧٧،وطبقات ابن سعد، ج٥، ص ٤١٣).

(٢٧١) في ب (فاعرض)

(٢٧٢) في ب (لسفهم)

(٢٧٣) ينظر : الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص ٢٥٣

(٢٧٤) يقتضيها السياق

(٢٧٥) الآية ٣٣

(٢٧٦) الآية ٣٤

(٢٧٧) في ب (بينت).

(٢٧٨) في ب (فبينت)

(٢٧٩) في ب (والمستغفرين)

(٢٨٠) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ص٢٥٨

(٢٨١) الآية ٦١.

(٢٨٢) سورة التوبة /الآية ٢٩وينظر : الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٤٩ ،ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص٣٣٩ .

(٢٨٣) (وهي وإن) ساقطة من ب .

(٢٨٤) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص٢٥٩.

(٢٨٥) الآية ٦٥.

(٢٨٦) في ب بعدها زيادة (ومعناه الخبر).

(٢٨٧) الآية ٦٦.

(٢٨٨) الآية ٧٢.

(٢٨٩) في ب (تعالى).

(٢٩٠) الآية ٧٢.

(٢٩١) الآية٧٥وينظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة، ص٥٠ ومعرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ص٣٣٩.

Al- Musafa

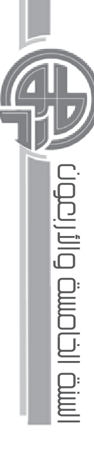
Biakuf Ahl Al- Rusukh

(study and supervision)

By: Dr. Eman Saleh Mahdi 

Abstract

The manuscript (Al- Mustafa Biakf Ahl Al- Rusukh from the sciences Reproducer and Replicator) by Jamal al-Din Abi al-Faraj Ibn al-Jawzi its subject Reproducer and Replicator a branch of the sciences of the Holy Quran First: what copied the drawing and wisdom, and the second : On this last section, Ibn al-Jawzi placed this book and stood in it on the verses that copied its ruling and remained in the Holy Qur'an, and reviewed the words of the scholars in it. Likely to say the previous or contrary to it standing on the verses that dealt with this Not according to the inside of the Quranic verse approves the order of the Holy Quran.



مـخطوطة (امراض المعدة)

مـن كتـاب تقويـم الأبـدان وتدبـير الأنسـان

لابـن جزلـة البغـدادي المتوفـى عـام (٤٧٣هـ)

م.د. نهاد نعمة مجيد*

● **المقدمة**

اقتصرنـا في هـذا البحث على ذكر الامراض الخاصة بالمعدة، والتي صنفها ابن جزلة، واكثر من يصيب بها والمناطق التي تتعرض لها هذه الامراض ومدى تأثيرها على المريض سواء كان شابا اوكهـلا، ومدى خطورتها، وتعليل اسـبابها، واخـيرا علاجها بانواع الادويـة المفردة والمركبة ، المسهلة والمقيئة وبطرق الاستفراغ سواء بالقيئ او الاستفراغ او الدهان فضلا عن هذا العلاج بالغذاء نفسه، كالابتعاد عن اطعمة معينة وتناول اخرى، حتى يتعافى المريض تماما .

● **ما يكثر فيه من الامراض الخاصة في فم المعدة**

ـ برد المرئ:

الامزاج الباردة، الأسنان، الشيوخ: الازمان : الشتاء في البلدان الشمالية، السلامة والخوف : غير مخوف، السـبب دوام اسـتعمال الاشـياء الباردة او الافراط في الدعـة والراحة العلامة قلـة العطش والاندفاع بالأشـياء الحارة ، الاسـتفراغ : تركه إلا يكون ممتلئاً، التدبير الملوكي : مرق فروج أسـفيذباج[١] بشبت ودار صينـي[٢] يتجـرع ماء حاراً، التدبير السـهل الوجود: ماء مغلي فيه مصطكي[٣] وأنيسـون وبزر الرازيانـج[٤].

* كلية التربية للبنات / قسم التاريخ



التدبير الشـامل : ينبغي ان يسقى مرق أسفيذياج حارة بالفعل والقوة ويسقى ماء قد أغلى فيه سنبل الطيب وأنيسون وشبت[٥] مع ميختج ، ويمرخ بين الكتفين بدهـن النرجس أو دهن القسـط ويضمد بالأفسنتين والصبر والمصطكي وسنبل الطيب .

-يبس المرئ

الأمزاج: اليابسة الأسنان: الكهول الأزمان : الخريف البلدان : الشـمالية السـلامة والخوف : غير مخوف السبب : تناول الاشياء اليابسة وكثرة التعب أو قلة تناول الأغذية الرطبة .

العلامة : جفاف في الفم وعطش .الاسـتفراغ : تركه التدبير الملوكي : شراب بنفسـج[٦] ودهن لوز ومرق الدجاج السمين .التدبير السهل الوجود : حسو بلبن حليب او لعاب حب السفرجل.

التدبير الشامل : ينبغي أن يسقي شراب اللينوفر[٧] مع دهن حب القرع والأمراق المعمولة بشـحم البط والخبازي وحساء بدقيق سميذ ولبن حليب ويتجرع لبـن الأتـن[٨] والبقر وهو حار سـاعة حلبه ويمرغ بين كتفيه بدهن حب القرع ودهن البنفسج وشمع ويضمد بـورق الخبازي وورق الخطمـي[٩] ودهن البنفسج[١٠] .

-رطوبة المرئ

الأمـزاج: الرطبة ، الأسـنان : الشـيوخ ، الأزمان : الشتاء البلدان : الجنوبية ، السلامة والخوف : غير مخوف ، السـبب : تناول الاشـياء الرطبة والاكثار منهـا والدعـة أو خلط في المعـدة، العلامة : رطوبة الفم وكثرة البصاق، الاسـتفراغ : بالقيئ إن كان في المعدة خلط

التدبير الملوكي : اسكنجبين أو شراب التفاح المطيب ومصطكـي[١١] ، التدبـير السـهل الوجـود : بكرة كل يـوم يسـتف درهما وردا يابسـا مدقوقا ناعما ويصطنع بالمريء [١٢].

التدبير الشـامل : يسـتعمل الاطريفل الصغير[١٣] والاهليـج[١٤] المر فانه شـديد النفع في ذلك ويمنع من كثـرة شرب الماء والاغذية المرطبة ويسـتعمل الدجـاج والفروج والدراريـج مطبخة بمري ودار صيني[١٥] .

-الورم الحار في المرئ

الامـزاج : الحارة الاسـنان: الصبيـان الازمان : الربيع .البلدان : الشـمالية السـلامة والخوف : إن سـد مجـراه ...السـبب : انصبـاب دم أو صفراء العلامـة : الحمـى والعطـش الشـديد ووجع في الكتفـين ، الاسـتفراغ : فصـد الأكحـل ، التدبـير الملوكي : مـاء الرمان او شراب التوت[١٦] ، التدبير السهل الوجود : ماء بزر بقلة وماء الهندباء[١٧].

التدبير الشامل: ينبغي ان يتجرع ماء بزر بقلة بجلاب قليلا قليلا وماء الشعير بشراب البنفسج ويسقى ماء الهندباء قد مرس فيه خيار شنبر[١٨]مع دهن بنفسج ويضمد بين الكتفين بالصندل[١٩] وماء الهندباء وماء الكزبرة ثم بدقيق شـعير وخطمية وبنفسج ونخالة الحواري وبابونـج [٢٠]واكليل الملك [٢١]فإن بدا الورم يجمع مادته وعلامته ظهور قشـعريرة فيتجرع ماء التين مـع الميختج مفترا ويضـاف الى الضماد دقيق الحلبة[٢٢] ودهن البنفسج وعصير التين ويسقى ماء النخالة مطبوخ بدقيق باقلي وسكر ودهن بنفسج او دهن لوز[٢٣] حلو[٢٤].

- الورم البارد في المعدة

الأمـزاج البـاردة الأسـنان : الكهول والشـيوخ الازمـان : الشـتاء، البلـدان : الباردة ، السـلامة والخـوف : مخـوف ان سـد مجـراه ، السـبب : انصبـاب دم او صفـراء ، العلامـة : ثقـل بـين الكتفين من غير وجع ، الاستفراغ : بالحقن الحارة

التدبير الملوكي : مرق وإسفيداج[٢٥] ودار صيني.
التدبير السهل الوجود : يتجرع ماء قد طبخ فيه شبت وخل ويغتذى بماء حمص.
التدبير الشامل : يمرخ بين كتفيه بدهن الشبت ويضمد بالبابونج والحلبة واكليل الملك[٢٦] وعصير التين ويسقى ماء قد طبخ فيه حلبة وبزر كتان وشبت بميختج ويغتذى بماء حمص حار وأمراق معمولة بكرنب[٢٧] وشبت وأمثاله .

-حرارة فم المعدة

الأمزاج : الحارة ، الاسنان : الشباب ، الازمان : الصيف ...البلدان : الحارة السلامة والخوف : غير مخوف ، .السبب : تناول الاشياء الحارة او التعب الكثير وقلة ما يتناوله ، العلامة : العطش ومرارة يجس بها في فم المعدة والاستلذاذ بشرب الماء البارد ووجعه من خارج على المعدة[٢٨] .

الاستفراغ : تركه ، التدبير الملوكي : رب التفاح وشراب الحصرم وقرص الكافور.
التدبير السهل الوجود : ماء الرمان المر ، .التدبير الشامل: ينبغي ان يتناول من سفوف صفته ورد احمر وبزر بقلة ولب حب القثا والخيار من كل واحد درهم طباشير وصندل ابيض وأنبرياس كزبرة[٢٩] يابسة منقوعة في خل خمر مجففة من كل واحد نصف كافور دانق[٣٠] عود صيني ونصف يدق ناعما ويؤخذ منه مثقال بشراب تفاح وشراب حصرم ويعطى قرص الطباشير الملين بالمخيض او بماء حماض الاترج او رب الحصرم او رب الريباس ويضمد فم المعدة بماء ورق الخس او ماء حي العالم او ماء الهندباء وماء الورد وماء جرادة القرع والصندل والكافور ويسير خل ويغتذى بالفراريج بماء الحصرم وماء الرمان وعيدان البقلة والسمك الهاربي مسكبج[٣١] .

ـ حواشي الورقة الثانية والثلاثين

سوء مزاج المعدة اما ان يكون من كيفية مفردة او مع انصباب مادة والمادة اما صفراوية بلغمية وسوداوية ويبس المعدة ورطوبتها ليس يكاد يستحكم إلا ويحدث عند الرطوبة الاستسقاء وعن اليبس الذبول وهو المرض المسمى الشيخوخة واما اورام المعدة فهي اما حارة او باردة والفرق بين سوء المزاج الكائن في المعدة مع مادة وبين ما هو مفرد النظر الى ما يبرز بالقئ بعد تناول غذاء محمود فإن كان مختلطا ببعض الاخلاط فهو مع مادة وان لم يشبه شيئا من الاخلاط فهو مفرد وبالبراز وبالبول ايضا فانه اذا كان بعد تناول الغذاء المعتدل والماء المعتدل ثخينا [٣٢] غليظا دل على ان سوء المزاج مع مادة وان كان رقيقا صافيا دل على ان سوء المزاج مفرد وبالبراز بعد الاغذية المعتدلة ان كان مختلطا باحد الاخلاط فسوء المزاج مع مادة وان لم يكن فسوء المزاج مفرد بانتفاغ عروق البدن وامتلائها يعتبر[٣٣] ذلك ايضا وتفرق الاتصال يستدل عليه بما ذكرت في نفث الدم وعلاجه مذكور هناك وفساد الشهوة اما بالزيادة فيها او بالنقصان منها او بطلانها او جريانها مجرى منكرا كما يعرض في الوحم وهو زيادة الشهوة في كيفيتها فان زادت في كميتها فهو الجوع الكلبي والوحم كثيرا ما يعرض للحوامل عند اجتماع فضل ردئ في فم المعدة من فضلات دم الطمث (الحيض) الذي يتغذى منه الجنين فانه يصير نفعه غذاء الجنين ومادونه في الجودة يصير الى الثدي فيصير لبنا وأرده يبقى فيصير بعضه الى فم المعدة فيحدث الشهوات الردية ويعرض بالمرارة ذلك في الشهور الثلاثة وينقطع في الرابع لأن الجنين ما دام صغيرا يتغذى بالقليل

مــن هذا الــدم ويبقى كثــيره فاذا كــبر يحتاج الى غــذاء كثير واغتذى باكثر الــدم يبقى منه فضلة يحــدث الوحم فاما قولــه بوليموس فهو الجوع المفــرط للاعضاء فان المعدة اذا اشــتد بردها لم تشــته فــاذا بطلت الشــهوة قل اســتمداد الكبد للغــذاء وطلبت من المعــدة ولم تعطهــا فيكون الجوع للاعضــاء كلها الا فم المعدة والفرق بينه وبين الشــهوة الكلبية[٣٤] ان في هذه العلة تبطل الشــهوة ويهــزل الجســم فتضعــف القــوة وفي الشــهوة الكلبية تكون الشــهوة قوية والاعضاء ممتلية .

- برد المعدة ورطوبتها

الامزاج : الباردة، الاســنان : الشــيوخ ، الازمان : الشــتاء ، البلــدان : الجنوبية ، الســلامة والخوف : غــير مخوف ، الســبب: تنــاول الاشــياء الباردة والاكثار من الطعام والشراب.

العلامة : العطش والانتفاع بوضع الاشــياء الحارة على فم المعدة وتناول الاشياء الباردة .[٣٥]

الاســتفراغ : تركــه ، التدبــير الملوكــي : جلنجبين الطبــبرزد[٣٦] ومــاء ورد قــد أغــلي فيــه عــود ومصطكــي، التدبير الســهل الوجود: ماء قد اغلي فيه مصطكي وانيسون وبزر كرفس وفوتج

التدبير الشــامل: ينبغــي ان يعطى اقراص الورد والجلنجبــين فــان اصلح بذلــك والا فيعطى دواء المســك والترياق الكبير مع ماء مغلي فيه مصطكي ومسك وعود هندي[٣٧] وصبر وافسنتين وزعفران معجون ذلك بماء السفرجل وتطلى المعدة بالقيروطي متخــذا مــن مــاء المرزنجــوش[٣٨] وشــمع ودهــن مصطكي ويغتذى بالــدراج والطيهوج[٣٩] مطجنا او ماء حمص ويستعمل هذا السفوف وصفته عود هندي ومصطكي وســنبل الطيب[٤٠] وجوز من كل واحد درهم مرماموز وانيســون وبزر الكرفس من كل واحد ثلاث دراهم ورد احمر خمســة دراهم يدق وياخذ منه مثقال بشراب التفاح[٤١] .

- برد المعدة من بلغم او سوداء

الامــزاج : البــاردة ، الاســنان: الشــيوخ والكهول ، الازمان : الخريف ، .البلدان : الجنوبية

الســبب : البلغم والســوداء ، .العلامة : ان يجد طعم الحموضه في فمه ، الاستفراغ: بحب الصبر او بحب الذهب فيتقيا بسكنجبين وماء حار وملح جريش بعد اكل الفجــل ، التدبير الملوكي : جلنجبين ومصطكي ومــاء ورد مغــلي[٤٢] فيه عود ومصطكــي ، التدبير السهل الوجود : مصطكي ونعناع يابس وانيسون وبزر كرفس مغلي[٤٣] في الماء ويشرب .

التدبــير الشــامل : بعــد تنظيــف المعــدة يعطى اقراص الــورد والجلنجبــين المغلي فــان نفع والا يعطى مــن المثروديطوس والترياق مع ماء التفاح او ماء النعناع فان كانت ضعيفة فاكتف في علاجه باقــراص الــورد والجلنجبــين وماء الــورد المغلي فيه قرنفــل وعود وتفاح وان كانــت قوية فاعطه المعجونــات الكبار فــاذا حمض الغــذاء في المعدة فيعطى كمون كرمانــي دانق ونصف درهم فلفل قيراط عود هندي دانق ونصف يدق الجميع ناعما ويشرب بميختج وماء فاتر[٤٤] .

-يبس المعدة

الامــزاج : اليابســة الاســنان : الكهــول الازمــان : الخريــف .البلدان: الشــمالية، الســلامة والخوف: مخــوف ، الســبب : تناول الاشــياء اليابســة وقلة الاغذيــة والتعب الشــديد، العلامة : جفــاف الفم وقحــل البدن وذبوله، الاســتفراغ : تركه، التدبير الملوكــي: ذراريــج بقرع واســفاناخ أســفيذباج، التدبير السهل الوجود : تناول اللبن الجيد ، التدبير

الشامل : ينبغي ان يعطي المخيض او لبن النساء او الاتن او المعز الطرية السـن ويستحم بماء قد اغلي فيه بنفسـج ولينوفر وقرع وخس وشـعير مقشر مرضـوض ويغتـذى بفراريـج وقرع واسـفاناج ويضمـد المعدة بقيروطي متخذ من دهن بنفسـج لينوفر ودهن حب القرع وشمع ابيض وماء الخس وماء حـي العالم وبقلة الحمقا او يغتذى بسـمك هاربـي ويجهد في ترطيب مـزاج المعدة لئلا يقعر في الذبول(٤٥).

-الورم الحار في المعدة

الامـزاج الحارة ، الاسـنان : الشـباب، الازمان : الربيع ، البلدان : الشـمالية ، السـلامة والخوف مخوف، السـبب: دم أو صفراء، العلامة : الحمى والضربـان والثقل والعطش والكـرب في الغثيان وغلـظ تحـت اللمـس في موضـع فم المعـدة مع حرارة، الاستفراغ : فصد الاكحل التدبير الملوكي : ماء الشعير بماء الرمان، .التدبير الشامل : في اول الامر سـقي ما ذكرت ويضمـد بالصندل والورد والطـين الارمنـي وحضـض ومامثيـا(٤٦) بمـاء الهندباء وماء الكزبرة (٤٧)الرطبة وماء السفرجل ومـاء البقلة ومـاء الآس(٤٨) وماء الـورد والتفاح وهـذه المياه بشـمع ودهن ورد يـضرب في هاون حتى يستوي ويضاف اليه كافور وصندل ابيض ويغتذى بمزوره إسـفاناج وخبـازي بلباب خبز خشـكار فإذا بدأ الورم بالنضـج فيضمد بدقيق شـعير وخطمية وبابونـج واكليل الملـك وصندل وورد ماء معجون بماء عنب الثعلب(٤٩) ويسـقى الهندبـاء بفلـوس خيار شـنبر ودهن لـوز حلو فـان لم يكن حمى فيغذى بحسـا من ماء النخالة بسـكر طبرزد (٥٠)ودهن لوز ولباب خبز خشكار ويعمـل فيه حريـرة بدهن لوز فـان آل الامر الى النضج فيسـقى بزر مرو وبـزر خطمي باربعة أواقي لبن حليب بكرة وعشـية وان لم يكن هناك حمى فيسـقى مـاء التين اربعـة اواقي ممروس فيـه اربعة دراهـم خمير فانه يفجـر الورم فاذا انفجـر الورم وخرجت المادة فيسـقى ربع رطل لبـن ماعز بشراب الخشـخاش وعناب(٥١) وطين ارمني(٥٢) وصمغ درهم ونصف ويعطي حريرة بنشـا ممروس بلبـن حليب وخشـخاش مدقوق مصفى مع سـكر(٥٣) .

-الورم البارد في المعدة

الأمزاج الباردة ، الاسنان : الشـيوخ والكهول ، الازمـان : الشـتاء والخريف،البلـدان : الغربيـة ، السـلامة والخـوف : مخـوف، .السـبب : بلغـم او سـوداء، العلامة : الثقل والغلظ في موضع فم المعدة من غير حرارة ولا عطش البتة ، الاستفراغ : بالحقن الحارة ونقيع الصبر ، التدبير الملوكي : طيهوج(٥٤) ودراج مطجن بمري وخل وكراويا (٥٥)ودار صيني ، التدبير السـهل الوجود : يغتذى بماء حمص وكمون ودار صيني وشبت ، التدبير الشامل : ان كان الورم رخـوا فيسـقى مـاء مغلي فيـه بـزر الكرفس ورازيانج وزبيب وفلـوس خيار ثم الترياق او المثروديطـوس ويضمـد بضماد متخذ من صبر أسـقوطري وشـمع احمر من كل واحد خمسة دراهم أفسـنتين رومي خمسة دراهم مصطكي وسـنبل الطيب من كل واحـد ثلثة دراهم رماد خشـب الكركـم ثلثـة دراهـم دهن اليلسـمين عشرين درهما يذوب عليه الشـمع ويلقى عليه الادويـة مدقوقة منخولـة ويضمد به وان كان الورم صلـب فيضمد بمرهـم الداخيلون بدهن القسـط ويضـاف اليه زعفران وسـنبل الطيب ولـوز مر دانق مدقوق ناعمـا ويضمد به(٥٦) .

- **الوحم وشهوة الطين**

الامـزاج الباردة ، الاسـنان : الشـباب ، الازمان : الخريـف ، البلدان : الغربية السـلامة والخوف : غير مخوف ، السـبب : خلـط ردئ الكيفية وعفن في معدته ، العلامة : ان يشـتهي الاشياء الحريفة والمالحـة او البطـم او الطـين والجـص والفحم والخـزف وغيره مـن الاشـياء الرديـة الكيفية ، الاسـتفراغ : ان لم تكن حامل فالقي بسـكنجبين وماء الشـبت وملح مـع فجل، التدبـير الملوكي : جوارشن العود.

التدبـير السـهل الوجود : بزر كرفس وانيسـون ونعنـاع يابس مـن كل واحد صنـف درهم بماء حار .

التدبير الشـامل: ان لم تكن حبلى فبالقئ ان كان الخلـط بلغميا جميع ما ذكرت وان كان مالحا او حريفا فبماء حار وسـكنجبين فقط وياخذ بعده مـن هذا الـدواء وصفتـه جفت البلـوط درهمين زبيب منزوع العجم ستة دراهم انيسون واهليج اسـود وبليج واملج من كل واحد خمسـة دراهم يطبخ الجميع برطل سكر او مثلث ونصف رطل مـاء حتى يبلـغ الى النصف ويؤخذ مـن كل يوم اوقية وان كان فسـاد الشـهوة للحامل فلا تتقيأ بـل تأخذ كل يوم من هذا السـفوف مثقالاً بماء حـار وصفته قاقلة وبسباسـة من كل واحد جزء سـكر طبرزد وكمون كرمانـي ونانخواه من كل واحد جزئين يـدق الجميع ويسـتعمل فإذا هاج بهم ذلك فيشمشـمون عظام الفروج وتعطى من الفراخ المشـوية [٥٧].

-ذهاب الشهوة

الامـزاج : الحارة، الاسـنان : الشـباب، الازمان : الصيـف ، البلدان: الجنوبية السـلامة والخوف : مخوف من اسرف أو طال ، السـبب: سـوء مزاج حـار يرقى فم المعدة أو من سـوء مزاج أو خلط مالـح أو خلط لـزج ، العلامة : الجشـأ الدخاني والـذي يشـبه رائحـة الحمـاة والعطـش والتبرم بالاغذية وشـهوة الماء البارد ، الاستفراغ : بالقي ان كان من صفراء وبلغم لزج ، التدبير الملوكي : شراب الحـصرم وشراب التفاح والفراريج بماء الرمان أو بأمبرباريس بثلج ، التدبير السهل الوجود : بالخس والهندباء وبقلة الحمقاء .

التدبـير الشـامل : ان كان مـن سـوء مـزاج حار فبما ذكرت وان كان من سـوء مـزاج بارد فيداوي بالجوارشـن العنـبر العـود وأوقيتين سـكنجبين السـفرجل المعمول من عسل وخل وماء السفرجل بالسـوية ويعطي من هذا السفوف درهم بميختج وصفتـه كمون وبـزر الكرفس وانيسـون وصعتر ونانخـواه وفوتنج ومصطكي مـن كل واحد جزء يـدق الجميـع ويؤخذ منـه عند الحاجـة فأن كان ذهاب الشهوة من صفراء فبما ذكرت في علاج المعدة اذا سخنت من انصباب الصفراء اليها وان كان من بلغم فقد تقـدم ذكره فينبغي ان ياخذ جوارشـن السـفرجل المسـهل ويغتـذى بالفراريـج المطجن بالمرئ والخل والدار صيني والكرويا والخولنجان والزعفران [٥٨].

- **بوليموس**[٥٩]

الامـزاج : الباردة ، الاسـنان : الشـيوخ ، الازمان : الخريـف ، البلدان : الباردة ، السـلامة والخوف : مخوف ، السـبب : فرط سـوء المزاج البارد على فم المعـدة عند لمسـه وسـقوط الشـهوة والامتناع من الغذاء والوجع والغشي .الاستفراغ : اجتنابه وتركه التدبير الملوكي : يغتذى بخبز مبلول بشراب التفاح ومدققات بفراريج ودراريج .

التدبير الشـامل : ان عرض بصاحبها الغشي فرش على وجهه الماء البارد وماء الورد المبرد ويشم الاشياء الطيبة الرائحة كالمسك والاس والسوسن والورد المدقوق وربط اليدين والرجلين ودلكهما وينتف الشعر ويصاح في الاذن وينخس الجسم بشئ يؤلم فاذا افاق يعطى خبز مبلول ثم يغتذى بالمدققات بالطهيوج والدراج بباريز حار والله تعالى شافٍ ومعين[٦٠] .

-الشهوة الكلبية[٦١]

المزاج : الباردة ، الاسنان : الكهول، الازمان : الخريف ، البلدان : الشمالية السلامة والخوف : غير مخوف الا ان يفرط ، السبب : خلط حامض محتقن في المعدة او استفراغ مسرف ، العلامة : الجشأ الحامض عن الخلط وبما تقدم من الاستفراغ ان كان معه ، الاستفراغ : بحب الصبر او حب الايارج ان كان عن بلغم ، التدبير الملوكي : أسفيذباج وجواذب ، التدبير السهل الوجود : البيض .

التدبير الشامل : بعد الاستفراغ يعطي الاغذية الدسمة كالثرائد والجواذيب الأسفيذباجات الدسمة بالتوابل الحادة ويشرب الميختج وابقراط يقول ان من شرب الشراب يشفى من الجوع فانه يسخن المعدة وينقص من الشهوة ولكن اثمه اكبر من نفعه وان كان الغذاء ينحدر عن المعدة بسرعة فالياكل الهرائس واللحوم الغليظة والفالوذج ويجتنب الاشياء الحامضة والقابضة فان لانت الطبيعه فاعطه جوارش بالسفرجل الممسك وان كانت عن الشهوة من قبل الاستفراغ فيعطي الغذاء في اليوم دفعات قليلا قليلا لينهضم ويستحم بالماء البارد ويجلس في المواضع الباردة ويقلل من الحركة البدنية ويمسح البدن بدهن ورد آس ودهن سفرجل[٦٢] .

- سوء الاستمرار عن حرارة

الأمزاج الحارة :الاسنان : الشباب ، الازمان : الصيف ، البلدان : الحارة ، السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : سوء المزاج ، العلامة : الجشأ الدخاني وسهوكة الريق الشبية بالحمأة [٦٣] او برائحة المسك ، الاستفراغ : تركه ، التدبير الملوكي : سكنجبين السفرجل او شراب الليمون بماء الورد ، التدبير السهل الوجود : شراب الرمان .

التدبير الشامل : ينبغي ان يعطي قرص الورد بالطباشير بشراب التفاح وماء بارد ويعطي من سفوف متخذ من ورد منزوع الاقماع وحب الامبريارس كل واحد خمسة دراهم بزر بقلة ولب القثاء والخيار من واحد اربعة دراهم طباشير وعود من كل واحد درهم كزبرة يابسة ثلاثة درهم يدق ناعما ويشرب منه بالغداة درهمين بمخيض البقر واخر النهار درهمين بشراب الرمان او التفاح ويتغذى بالفراريج المطبخة بخل ومرى وكزبرة او ماء الرمان بنعناع او مصوص النعناع ويسير كرفس ويمتص السفرجل والتفاح المر.

- سوء الاستمرار من برد

الامزاج : الباردة، الاسنان: الشيوخ ، الازمان : الخريف ، البلدان : الغربية السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : سوء مزاج بارد يغلب على المعدة ، العلامة : الجشأ الحامض وقلة العطش والانتفاع بالماء الحار ، الاستفراغ : تركه ، .التدبير الملوكي : جوارشن العود وجوارشن العنبر ، التدبير السهل الوجود : كمون ومصطكي ونعناع يابس وانيسون من كل واحد ، نصف درهم يستف بماء ورد ،التدبير الشامل : ابقراط يذكر ان امرأة كانت تشكو وجع فؤادها وكان يسكن بتناول، سويق الشعير وماء الرمان، وينبغي ان يضمد



المعدة بلف الكـرم مدقوق ناعما ولب الخبز او يضمد بماء السـفرجل وماء لسـان الجمل وماء حي العالم[٦٤] مع شـيئي من دهن الورد [٦٥].

- العطش[٦٦]

الامـزاج : الحارة، الاسـنان : الشـباب، الازمان : الصيـف، البلـدان : الجنوبية السـلامة والخوف : غير مخوف، السـبب : الحـرارة او اليبس أو هماً أو خلط مالح ينشـف ويعطش، العلامة : ان كان من الصدر فسكونه باستنشاق الهواء البارد ومن المعدة بشراب الماء البارد ، الاسـتفراغ : بالقيئ ان كان خلط في المعدة .

التدبير السـهل: رب التفـاح ورب الرمان بالثلج، التدبير الشـامل: ينبغـي: ان كان مـن حرارة ان يسـتعمل بعض الربوب المبرد مثـل رب الاجاص ورب التفـاح بمـاء القرع المشـوي والسـكنجبين السـاذج وماء الورد يعطي غدوة وعشـية من هذا القـرص وصفته لـب بزر القرع ولب بـزر القثاء والخيـار وبزر بقلة مـن كل واحـد اربعة دراهم صمغ عربي وكثيرا ونشا وطباشير وصندل ابيض من كل واحد درهمين كافور دانقين يعجن بلعاب بـزر قطونا وبقـرص ويؤخذ منـه مثقال بشراب امبرباريس ومـاء بارد وان كان العطش عن يبس مفرد فيدوى بالماء البارد وماء الشعير وماء القرع ولعاب بزرقطونا واسـبقه بسـويق الشعير ملردا بالثلـج وان كان عـن يبس وحـرارة فبماء القرع وماء البطيخ الهندي وقرص الورد ويمسك في فمه من النسـخة المقـدم ذكرها في القـرص اذا جعل حتمـا [٦٧] ، ويتغـذى بالفراريـج بمـاء الحصرم والرمـان المفتـوت على الثلج فـان كان عن حرارة القلب والرية فبستشـاق الهواء البارد وكشـف الراس والجلوس في الخيـش البارد والباذنجان ومقاطـع الثلج والميـاه البـاردة ويضمد المعدة بالأشـياء الباردة بالفعل[٦٨] .

- سوء الاستمرار عن حرارة [٦٩]

الامزاج : الحارة ، الاسـنان : الشـباب، الازمان : الصيـف ، البلـدان : الغربية السـلامة والخوف : غير مخوف ، السـبب : سوء مزاج بارد يغلب على المعـدة ، العلامة : الجشـأ الحامض وقلة العطش والانتفاع بالماء الحار ، الاسـتفراغ : تركه ، التدبير الملوكـي : جوارشـن العـود وجوارشـن العنبر ، التدبير السهل الوجود : كمون ومصطكي ونعناع يابس وانيسون من كل واحد نصف درهم يستف بمـاء ورد .

التدبـير الشـامل : ينبغي ان يـشرب شراب العود وصفته ماء ورد عرق رطلين يجعل في قدر ويلقى عليه عود هندي ومسـك من كل واحد ثلاثة دراهم قرنفـل ومصطكي وجوزبوا من كل واحد درهمين ويدق جريشـا ويشد في خرقة كتان شدا متخلخلا ويمرس جيدا ويطبخ الى ان ينقص الثلث ثم يخرج منه ويلقى عليه سـكر رطلين ويغلى قوام الجلاب ويجعل فيه دانق سـكر ويشرب منه بكرة كل يوم أوقية وينفع من الجشا القابض جوارشن الفلافل ويغتذى بخبز خشكار ودراج مطجن بخل ومري وياكل الزبيب ويتولع بجوارشـن سكري ويمضخ المصطكـي والعـود الرطـب ويسـتعمل الرياضة والاستحمام قبل الغذاء [٧٠].

- سـوء الاسـتمرار عن خلط صفراوي .

الامـزاج : الحـارة ، الاسـنان : الشـباب ، الازمان : الصيف، البلدان : الجنوبية، السلامة والخوف : غير مخوف ، السبب : خلط صفراوي، العلامة : سهوكة الريـق والجشـأ الدخاني وخروج مـرارة بالبصاق والقيـئ بعد غذاء جيد ، الاسـتفراغ : شراب الورد

المكـور بسـكنجبين وملـح اومطبـوخ الاهليج ، التدبـير الملوكـي : سـكنجبين السـفرجل وشراب الحـصرم ، التدبير السـهل الوجود : مـاء الرمان اغلي فيه نعناع ، التدبير الشـامل : ان كان الزمان خريفـا فينبغي ان يسـهل طبعـه وان كان صيفا فبالقـيء ويعطي نقوع الصبر فـاذا نقيت المعدة يسـتعمل اقراص الورد بالطباشير مع سكنجبين والسـفرجل او شراب الرمان ويغتـذى بفراريج بماء حـصرم وجميع ماذكر في مداوة سـوء مزاج من حرارة [٧١] .

- سوء الاستمرار عن خلط بلغمي

الامـزاج : الباردة ، الاسـنان : الشـيوخ ، الازمان : الشتاء ، .البلدان : الغربية السلامة والخوف : غير مخوف ، العلامة : الجشأ الحامض ونقصان شهوة الطعـام وقذف البلغـم ونزفه عند تنـاول الغذاء، الاستفراغ : حب الأيارج وحب القوقاي .

التدبـير الملوكي : مصطكي وعود هندي مسـحوق بجلنجبـين الطـبرزد ، وبعده ورد مـاء مغلي فيه انيسـون، التدبـير السـهل الوجـود: ما اغـلي فيه انيسون وبزر الكرفس ونانخواه .

التدبير الشامل: بعد الاستفراغ يعطي اقراص الورد ودرهم مصطكي وعود هندي مسـحوق ناعما من كل دانق بخمسة دراهم جلنجبين الطبرزد ويشرب بعده ماء ورد قد اغلي فيه انيسـون وبزر الكرفس وان كان قـد شرب خمل المعدة هذا الخلط فيعطي حـب الذهـب وحـب الصبر ، ثـم يعطـي اقراص الكوكب نصف درهم بشراب التفاح المطيب وياخذ جوارشـن السـفرجل المسـهل ويغتذى بفروج او دراج مطجن او مرق اسفيذباج [٧٢] .

❋ الهوامش:

(١) أسـفيذباج : يـدر البـول ، ويقوي المعـدة ، ويهضم الطعام ويفتح سـدد الكبد . ابن البيطار ، ضياء الدين عبد اللـه بن احمد الاندلسي (ت٦٤٦هــ / ١٢٤٨م) ،الجامع لمفـردات الأدويـة والأغذيـة ، مكتبـة المثنـى ، بغـداد ، ١١٥٨م ، ص٢٢٢ .

(٢) دار صيني : ومعناه في الفارسية (شجرة الصين) يجلـو ظلمة البـصر ويقلع البثـور النيـة والكلف وإذا لطخ به العسـل ، وينفع من السـعال المزمن والنزلات ، وعـسر البول ، ويلطف الأغذيـة الغليظة ويعدها للهضم وينفع لأوجاع المعدة .

ينفـع الجراحـات المتعفنة لقـوة تجفيفه .الرازي ، ابو بكـر محمد بن زكريـا (ت٣٢٠هـ/ ٩٢٥م) ،الحاوي في الطب ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٥م ، ج٢٢ ،ص٢٠ ؛ الشمري ، تاريخ الطب ، ص٢٩٧ .

(٣) المصطكـي: أو مـا يقـال المصطـكاء، وهـو صمغ شـجرة يعلـك، يفيد لاسـتطلاق البطـن، يطيـب المعدة، يفتق شـهوتها ، محلل لرطوبتها، وهو مقوٍّ لها، ومسكن للامغـاص العارضة لـه . القيرواني ، ابـو جعفر احمد بـن ابراهيـم الجـزار (ت٣٥٠هـ/ ٩١١م)،الاعتماد في الادويـة المفـردة ، مخطوطة محفوظـة في مركز احياء الـتراث العلمـي العربـي في جامعـة بغـداد تحت رقم (١١) .ورقـة ٤٠ ؛ الغسـاني ، الملـك المظفر يوسـف بن عمـر (ت٦٩٤هــ/ ١٢٩٤م) ، المعتمـد في الادوية المفـردة ، ط٣ ، صححه وفهرسـه : مصطفى السـقا ، بـيروت ، ١٩٧٥م ، ج ١، ص ٢٣١ .

(٤) بزر الرازيانج : يسـمى الحبة الحلوة،ابن سينا ، ابو علي الحسـين بن عبد الله (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ،القانون في الطـب ، بـيروت ، لا . ت .،ج ١، ص ٢٤٧ ؛ القيروانـي، الاعتماد، ورقة ١٢٥.

(٥) الشـبت : جيـد للصـداع ، ودهنـه مفيـد لوجـع المفاصـل . للمزيـد ينظر الرازي : الحاوي في الطب ، ج ١ ، ص١٤٨ ،ص ١٤٤ ،ص ١٦٤ .

(٦) البنفسـج : هـو نبـات له ورق أصغر طيـب الرائحة ، وينبت في المواضع الظليلة يستخدم كضماد مع دقيق الشعير يسـكن الأورام وقد يوضع أيضاً على فـم المعدة ، وينفع من التهـاب المعـدة والأورام الحارة العارضة في العين وسـائر الأورام الحـارة ونتـوء المقعدة . ابن حبيـب القرطبي، عبد الملك السـلمي (٢٣٨هـــ/٨٥٢م) ، ٤٣مختصر في الطب (العـلاج بالأغذية والاعشـاب في بلاد المغـرب) ، تحقيق: محمـد امـين الظنـاوي ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص٤٠ ، ص٧٤ .

(٧) اللينوفـر : ويسـمى اوسـبيد، وهو حـار يابس ، يحل الريـاح الغليظـة ، ويذهب برطوبات المعـدة . ابن البيطار ، الجامع ، ص٩٣ .

(٨) لبـن الأتـن : لبن يخـرج من الحمـام ، نافع من عسر البـول ، والتهـاب الرئة وكل امراض الصـدر ، جيد للكلية ، التمضمض به يشد الاسنان واللثة . الرازي ، الحاوي ، ج٦، ص٣٦٤ . ابن سينا ، القانون في الطب ،ج٢ ص٥٢٤ .

(٩) الخطمـي : هو شـجرة القريناء عند اهـل اليمن وهو يشـبه الملوخيـا ويعرف بـورد الحمـار ينفـع للامراض الصدرية ، غسـوله ينقي الـراس . الرازي ، الحاوي ، ج٢، ص٢٧٩، ٣٨٨، ٤٢٤.

(١٠) الورقة ٣١.

(١١) المصطكـي: أو مـا يقـال المصطـكاء، وهو صمغ شـجره يعلـك، يفيـد لاسـتطلاق البطن، يطيـب المعدة، يفتق شـهوتها ، محلل لرطوبتها، وهو مقوٍّ لها، ومسكن للامغـاص العارضة لها. القيروانـي، الاعتماد، ورقة ٤ ؛ الغسـاني، المعتمد ، ج ١، ص ٥٠١.

(١٢) ويغتذى بدل ويصطنع .

(١٣) الاطريفـل : يقطع اللعاب ويقوي المعـدة ، وينفع من الناسـور . ينظر الـرازي : الحـاوي ، ج٧،ص٥١٢ ؛ ، ابن سينا ، القانون في الطب ، ج١ ، ص١٥٧.

(١٤) الإهليج Myrobalans : ويسـمى اهليج وهو أربعة أصنـاف أصفر واسـود هندي وكابلي : ومنه دقيق يسـمى (الصيني) وأحسـنه الأصفر الشـديد الصفرة الضارب إلى الخضرة وهو يذهب الإسـهال ، ويقوي المعدة ، أما الأسـود فيقبـض البطن وينفع البواسـيروالمربى منـه يقوي المعدة ويهضم الطعام وهو يشـد اللثة ويقوي . الشـمري ، نهاد نعمـة مجيـد ، تاريـخ الطـب في قرطبـة الاسـلامية من سـنة (٩٢هـ-٧١١م) الى (٦٣٣هـ-١٢٣٦م) ، رسـالة ماجسـتير مقدمة الى جامعة بغـداد كلية التربية للبنات – قسـم التاريخ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٢-٢١٣ .

(١٥) الورقة ٣١.

(١٦) نافعـة جـدًا لأدواء الفم وليـس في الناس أحد لا يعرفـه وكذا أيضـاً قد علم النـاس أن رب التوت يصلح لأشـياء أخر كثيرة ممـا يحتاج فيها إلى القبض اليسـير وأمـا التـوت فيلـين البطن ويفسـد المعـدة سريعاً وهو رديء للمعـدة وعصارتـه أيضـاً تفعـل مثـل مـا يفعل الثمـر وإذا طبخـت في إنـاء من نحاس أو شمسـت فيه كانـت أشـد قبضاً وإن خلط بها شيء يسـير من عسـل كان صالحـاً وقـشر أصل التوت إذا طبـخ بالماء وشرب أسـهل البطن . ابن البيطـار ، الجامـع ، ج ١،ص٢٧٨.

(١٧) الهندبـاء: زهـر الهندباء، ولهـا أصل أبيض كثير الشـعب إذا شرب عصير هـذا النبات أبرأ مـن النفخ ويدر الاستسـقاء وضعف الكبد والطحال وعصارته يكتحل بها لبياض العين. الجامع لمفردات الاغذية ،ج٢، ص٤٠٥ .

(١٨) خيـار شـنبر : صالـح للمعـدة ، يفتق الشـهوة ، وينفـع من القـروح والجرب ، مه دهن الـورد يعالج الصـداع ، الغرغـرة به يعالج مشـاكل الفـم . الرازي ، الحـاوي في الطـب ،ج٦،ص١٤٨-١٤٩-١٥٠.

(١٩) الصنـدل : أصنـاف ، منـه الابيـض والاصفـر والاحمـر أفضلها الأصفر الدسـم ويطلى به على الأورام الحـارة الأدوية وفي ضمادات الكبد والمعدة . ابن سـينا . القانـون في الطـب ، ج٣،ص٤٧٧ .

(٢٠) البابونـج : مـن الأدوية المفـردة البابونج قريب

مـن الورد ، مقو للدمـاغ نافع من الصداع. ابن سـينا ، القانون في الطب ،ص٤٨٤.

(٢١) اكليل الملك : هي حشيشة ذات ورق مدرهم أخضر غض وأغصان دقاق جداً، ولها زهر أصفر صغير . مخفف لالتهاب العين، ومن اسـمائه التي عرف بها «الحنثم ، والنفل، وغصن البان، والكركمان، والحندقوقه «.ينظر: الرازي، المنصوري في الطب ، ص ٥٨٣. ، ابن البيطار : الجامع ، ص١٠١.

(٢٢) الحلبـة اليابسـة منها تسـمى قـرن الثور وقرن العنز ، وإذا أكلت مع المري قبل الطعام لينت البطن وكثيراً ما تصدع وربما غثت وإذا أكلت مع الخبز قل تليينها للبطن ولـم تصدع ولم تغث، وأما الحلبـة المطبوخة إذا شربت مع العسـل تطلـق البطـن وتخرج مـا في الأمعاء مـن الأخلاط الرديئة . ابن البيطار ، الجامع ، ص٤١٤.

(٢٣) اللوز الحلو يجلو الأعضـاء الباطنة وينقيها ويعين على قـذف الرطوبـات ، و يلـين الحلق وهـو ثقيل طويل الوقوف في المعدة غير أنه لا يسـدد بل يفتح السدد ويسكن حرقة البول . الرازي ، الحاوي ، ج١،ص٣٧٧. ابن البيطار ، الجامع ، ج٣،ص٢٦٥.

(٢٤) الورقة ٣١.

(٢٥) الأسـفيداج : يصلح لبيـاض عيون الحيوان الحادث عن الأوجاع وينفع القروح التي تكون فيها إذا خلط بنظيره مـن الأدوية وينفع الجـراح إذا صنعت منـه المراهم ويأكل اللحم المتغير وينبت اللحـم الجيد وينفع من حرق النار إذا طلي ببعض الأدهـان ولا يكاد موضع الحرق يسـتحيل إلى البياض. ابن البيطار ، الجامع ، ج١، ص٦٧.

(٢٦) اكليـل الملـك : وهـو شـجرة الحب ومن اسـمائه التـي عـرف بهـا (الحنثـم ، والنفـل ، وغصـن البان ، والكركمـان ، والحندقوقه.واسـمه بالبربريـة (تيرازن) وهـو نوعان منه شيء له قلوب، يشـبه أذنـاب العقارب ويعـرف بإكليل الملك المعقرب، وهو دواء محلل منضج ، وفيه قوة رادعة وكذلك يسـتعمل محلولاً مخففاً لالتهاب العـين . .ينظر: الرازي، المنصوري في الطب ، ص ٥٨٣.

(٢٧) الكرنب: عند أهل الأندلس يسمى بقلة الانصار وعند أهل المـشرق القنبيط، ماؤه يذيب الحصـاة في المثانة، بزره يقتـل الدود وأكله يسـهل البطن، مع الخـل ينفع من وجع المفاصل، ورقه إذا أكل منه أحسـن لون . الشـمري ، تاريخ الطب ، ص٩٧ .

(٢٨) الورقة ٣١.

(٢٩) كزبـرة : لـه زهر شـبيه بزهر الشـبت وبزر طيب الرائحة أصفر من بزر البنج. وهو نبات حار وتبلغ حرارته إلى أنه يدر البول. والبزر مسـخن مدر للبول يخرج المشيمة ويصلـح لوجـع الطحال والـكلي والمثانـة ، والمعـدة ، ابن البيطار، ج١،ص٢٥٠.

(٣٠) دانـق : ذكـر بعـض العلمـاء أنـه جزء مـن أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في بعض البلاد في الإسلام، وجزء من أربعة وعشرين في بلاد الشـام، وهو عند الروم جزء من اربعـة وعشرين مـن أجزاء شيء. وهو مـن أصل رومي هو «Keration»، ويظهـر أن وزنـه لم يكن ثابتـاً، بل اختلف باختلاف البلدان . علي ، جواد .

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، طبع بمساعدة جامعـة بغـداد ، مكتبـة النهضـة ، بغـداد ، ودار العلـم للملايـين ، بـيروت ، ١٩٧١م .، ج١٤، ص٣٤٠.

(٣١) الورقة ٣١.

(٣٢) بجشأ.

(٣٣) بغير بدل يعتبر.

(٣٤) تحدث هذه العلة عن كيموس وهو حامض متجمع، محتقن بالمعدة أو بسـبب اسـتفراغ مفرط يحدث في جميع البـدن ، وعلامتهـا الاحسـاس الدائـم بالجـوع . وأن أكل صاحبها أثقل من الطعام حتى يتقيأ . ابن رشـد القرطبي، الكليات في الطب ، ص ٦٤٩ من الملحق.

(٣٥) الورقة ٣٢.

(٣٦) هـو نبـات يشـبه البلـوط ، ويسـمى الـزوان او الشسـت ، ينبت في السـهول ، يعمل منه مربى بالعسل او السـكر ، مع السـكنجبين مفيد لامراض المعدة .

ابن سـينا ، القانون في الطب ، ج٣،ص٧٢ ، ابن البيطار، الجامـع ، ص٢٢٨ .

(٣٧) عـود هندي : وهو سـعوط لبخر الانف ، هريسـه ينفـع من النقرس . الـرازي ، الحـاوي ،ج٧ ، ص٢٨٧ .
(٣٨) المرزنجـوش : يفيـد الاورام البلغميـة ودهنـه ينفـع مـن الفالج ، اذا طلي بـه الراس نفع مـن الصداع والشـقيقة ، والمغص ، مع الخل يفيد من لسعة العقرب . ابـن البيطـار ، الجامـع ، ص٧٩، ١٦٣ ، ٢٥٥ .
(٣٩) والطيهـوج : طائـر صغير يشـبه الدراج ، اجوده السـمين الرطـب الخريفـي ، يعقـل البطن . ابن سـينا ، القانـون ،ج٢ ، ص٢٣٦ .
(٤٠) هـو السـنبل الهندي ، ويسـمى شـجرة العرس، شرب مـاء طبيخـه ينفـع من الحصـا ، وينفـع لامراض المعـدة ،ابـن البيطـار،الجامـع،ج٤،ص٤٨٥.
(٤١) الورقـة ٣٢.
(٤٢) قـداغـلي فيـه / الورقـة ٣٢.
(٤٣) قـداغـلي فيـه / الورقـة ٣٢.
(٤٤) الورقـة ٣٢.
(٤٥) الورقـة ٢٣.
(٤٦) مامثيـا : نبـات ورقـه شـبيه بورق الخشـخاش وهو قريب مـن الارض ثقيل الرائحة مر الطعم كثير الماء ولونـه شـبيه بلون الزعفـران ، ينفع من الاسـهال وحبه يسـمن جدا مـع الخل ينفع مـن الصـداع عصارته تنفع للعـين . عقيل ، محسـن ، معجم الاعشـاب ، منشـورات مؤسسـة الاعلمـي ، بيروت ، لبنـان ، ٢٠٠٣ ، ص٥٠٠-٥٠١.
(٤٧) قـال أبقـراط: الكزبرة الرطبة حـارة تعقل البطن وتسـكن الجشاء الحامض إن أكلت في آخر الطعام وتجلب النوم.وعصـارة الكزبرة إذا قطـرت في العين مع لبن امرأة نفعت، والكزبرة الرطبة تمنع الطعام من النزول في المعدة وتوقفـه زمانـاً طويلاً فتنفـع لذلك أصحاب زلـق الأمعاء والإسـهال ومـن لا تحتـوي معدته على الطعـام، وخاصة إذا أكلت مع الخل والسـماق، وأما الكزبرة اليابسـة فإنها تطيل لبث الطعام في المعدة حتى تجيد هضمه.
ابن البيطار ، الجامع ، ج٣،ص١٨٣.
(٤٨) الاس : هـذا النبات وثمـره إذا شربا بالشراب أدرا البـول وفتتا الحصاة وأدرا الطمث ونفعا من الحصى الذي في المثانـة . م. ن ، ج١،ص٥٩.
(٤٩) ثمرتـه تدر البول، ولذلك قـد تخلط هذه الثمرة وهي حب الكاكنج في أدوية كثيرة تصلح للكبد والكليتين والمثانة. حبيش: الكاكنج صنفان جبلي وبسـتاني، والجبلي أفضل في العلاج وأشبه بعنب الثعلب البستاني. ابن سينا ، القانون في الطب ، ج١ ، ص٢٥٨.
(٥٠) سكر طبرزد يفيد إذا كانت الطبيعة غير لينة و ينفع من خشـونة الحلق وينفـع صاحب الريح مـن يبس جميع الأعضاء الباطنة . القرطبي ،مختصر في الطب ، ص٥٠ .
(٥١) العناب حار رطب وهو نافع من السعال والربو ووجع الكليتـين والمثانة ووجع الصدر والمختـار منه ما عظم حبه، وإن أكل قبـل الطعام فهـو أجود. و ينفع حـدة الدم الحار وأظـن أن ذلـك لتغليظه الـدم وتلزيجه إياه وغذاؤه يسـير وهضمه عسير . ابن البيطار ، ج٢ ، ص٤٨١ .
(٥٢) طـين لونه أحمر إلى السـواد طيـب الرائحة ومذاقته ترابيـة وله تعلق باللسـان وهـو بارد يابـس في الأولى ينفع أصحـاب الطواعين إذا شرب منـه أو طلي عليها. وبدله وزنه من الطين الحجازي المسـمى بالأندلس الإنجبار. الدمشقي: يخـرج من المقعدة قشـور البواسـير ويجبر الكسر. غيره: أجـوده المورد الناعم والطين اللامي قريب منه في الفعل وهو نافع من كسر العظـام، مقوٍّ لفم المعدة يذهب بالغثي. وقال في كتـاب دفع مضار الأغذية: الطين النيسـابوري المتنقل به يسـكن القيء ويذهب بوخامة الأطعمة الحلوة والدسـمة إذا أخذ منه بعد الطعام شيء يسير ولا سيما إن كان مربى . ابن سـينا ، القانون في الطـب ، ج٢،ص٨٧ ؛ الرازي ، الحاوي في الطـب ، ج٢، ص٨٢، ابن البيطـار ، الجامع ،ج٢،ص٤٩٢-٤٩٤ .

(٥٣) الورقــة ٣٢.

(٥٤) هــو طائــر معــروف بالأندلــس بالضريــس وضاده مضمومة معجمة وراؤه مهملة مفتوحة مشددة والياء ساكنة منقوطة باثنتين من تحتها والســين مهملــة. علي بن محمد: هو طائر شبيه بالحجل الصغير غير أن عنقه أحمر ومنقاره ورجله أحمران مثل الحجل وما تحت جناحه أسود وأبيض. الخــوز: هو خفيف مثــل الدراج ينفع من إســهال البطن إذا جعل مصوصاً بخل. المنهاج: أجوده السمين الرطب الخريفي وهو معتدل الحر يعقل البطن وينفع الناقهين ولا يصلح لمن يعالــج الأثقال ولا ينبغي أن يدمن عليــه الأصحاء خصوصاً أصحــاب الرياضة وينبغي أن يطبخ لهؤلاء هريســة ليغلظ غذاؤه . ابن البيطار ، الجامع ، ج٢، ٤١٦-٤١٧ .

(٥٥) كراويا: هي القرنباد والقرنقار أيضاً ، وهو بزر صغير الحبــة معروف وفيها حرافة معتدلة يدر البول لا بزره فقط بل جميعه طيب الرائحة مسخن جيد للمعدة يهضم الطعام ، طارد للرياح يلطــف الأغذية الغليظة مذهبة للتخم ، ينفع لوجع المعدة ، ويهضم الطعام . ابن سينا ، القانون في الطب ، ج٢،ص١٠٨؛ ابن البيطار ، الجامع ،ج٣،ص١٧٣ .

(٥٦) الورقة ٣٢.

(٥٧) الورقة ٣٢.

(٥٨) الورقة ٣٢.

(٥٩) بوليمــوس : هو غشي يعرض بعد الجوع وهو لايدوم كثيرا . الرازي ، الحاوي ، ج٢ ، ص٢٣٢ .

(٦٠) الورقــة ٣٢.

(٦١) الشــهوة الكلبيــة : هو زيادة الشــهوة واشــتدادها والحــرص على المأكولات كمــا في طبع الــكلاب . الهروي ، محمــد بــن يوســف الطبيــب الشــافعي (كان حياً ســنة ٩٣٨هــ/ ١٥٣٤م) ، بحر الجواهــر في مصطلحات علماء المواليد الاوائل والاواخر ، ص٢٢٧.

(٦٢) الورقــة ٣٢.

(٦٣) الرخو وسهولة الريق بدل الدخاني وسهولة الريق الشبيهة بالحماة.

(٦٤) حــي العالم : شرابه يخرج ديــدان البطن ، ودهنه ضمــادٌ يعالج الاورام وهو جيد للنقــرس ، عصارته نافعة من الاســهال ، وهو جيد لقرحة المعــدة . الرازي الحاوي ، ج٢ ، ص ، ٣٧٦ ٤٢٠ ،ج٣ ، ص٣٨ .

(٦٥) الورقــة ٣٢.

(٦٦) الورقة الثالثة والثلاثون.

(٦٧) ويمســك في فمــه مــن النســخة المقــدم ذكرهــا في القرص اذا جعل حتما .

(٦٨) الورقة ٣٢.

(٦٩) الورقة الثالثة والثلاثون .

(٧٠) الورقة الثلاثة والثلاثون.

(٧١) الورقة الثالثة والثلاثون.

(٧٢) الورقة الثالثة والثلاثون.



(diseases of the stomach)

from the book
(evaluation of the perpetuation and management of diseases and knowledge of the causes and symptoms)

by Abi Zakaria Yahya Bin Jazla

By: Dr. Nihad Neama Majeed 

Abstract

The research deals with an important part of the manuscript (evaluation of the perpetuation and management of diseases and knowledge of the causes and symptoms) by Abi Zakaria Yahya Bin Jazla He died in 493 AH. This part is related to the diseases of the stomach and how to prevent them, and then if urged to infection, what is the means of treatment and drugs and drugs useful in it. And his author is (Yahya bin Issa bin Jazlah al-Baghdadi) and his nickname of the best Christians of Baghdad and the most famous doctors of the Abbasid era, even counting in front of medicine in his time.

And a book (evaluation of the perpetuation and management of diseases and knowledge of the causes and symptoms), Manuscripts of many of them in the global libraries, including in the Royal Library in Egypt and the Library of the Jesuit Fathers Beirut Perhaps the manuscript found by Ahmed Zaki Pasha Bastimbol oldest manuscripts of this book as the date of cloning to the year 596 e after the death of Ibn Jizla hundred years.

As for the reason for Ibn Jazla's writing of the manuscript, Qablah makes it clear: "Man is created to work for his children and his family, and he can not do so until he is healthy and healthy after health, and health management is not the end, but the means for doing the work. Except that he has a medicine, but the medicine. "Knowledge of the pathology, its causes, its signs, and the ways of its moderation is one of the essentials of doing the medication".

Putting the book in a new and innovative style to dispense with it from prolonging the doctors in their books to be small in size and large work arranged so that it makes it easier for the reader to have a sense and knowledge guaranteed, and like any book had an introduction and indexing and conclusion.



مخطوطة (المثانة والكلى)

من كتاب (تقويم الأبدان وتدبير الأمراض ومعرفة الأسباب والأعراض)

لأبي زكريا يحيى بن جزلة (ت ٤٩٣ هـ)

م. د. سندس زيدان خلف الشجيري*

- **القسم الاول/ الدراسة**

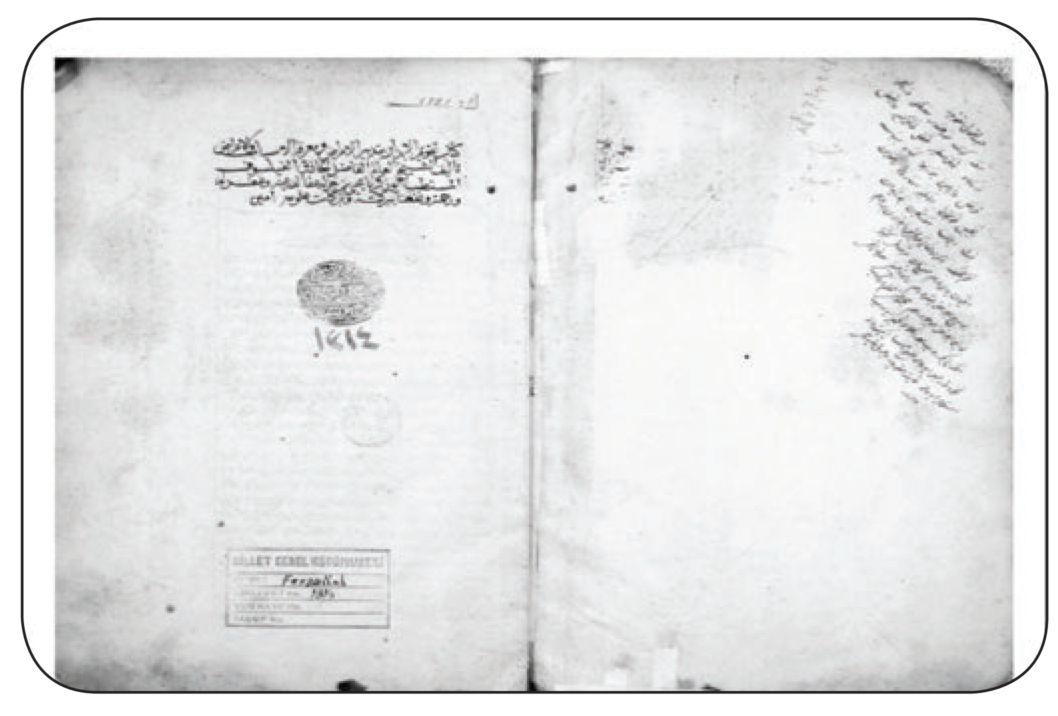
ـ المؤلف

هـو يحيـى بن عيسى بـن جزلة البغدادي وكنيته المحسـن وابـو زكريا وأبو عـلي من نصارى بغداد[١]، عاش في أيام الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ) ثم في خلافة المقتدي بأمر الله (٤٦٧هـ-٤٨٧هـ)[٢] ذكر أن وفاته سنة ٤٩٣هـ[٣] حينذاك يكون ابن جزلة قد أدرك الخليفة الثامـن والعشرون وهو المسـتظهر باللـه (٤٨٧ـ ٥١٢هـ)[٤]، ألا أن المعلـوم أن ابن جزلة قد اتصـل بالخليفـة المقتدي بأمـر الله ولم يتصل بخليفـة غيره، وقد بلغ في خلافته شـأوا كبيرا وصنف له عدة كتب، ويعد ابن جزلة إمام الطب في عصره[٥].

- **وصف المخطوط**

لكتـاب (تقويم الابـدان في تدبير الامـراض ومعرفة الاسـباب والاعراض)، مخطوطـات كثيرة منها في المكتبـات العالميـة ومنها في المكتبة الملكية بمـصر واخرى بمكتبة الاباء اليسـوعيين بيروت وربما تكون المخطوطة التي عثر عليها احمد زكي باشـا باسـطنبول اقدم مخطوطات هذا الكتاب اذ يرجع تاريخ استنسـاخها الى سـنة (٥٩٦هــ) اي بعـد وفـاة ابـن جزلـة بمائـة عـام[٦].

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



وتوجد منه نسـخة خطية في المدرسة الاحمدية في الموصل كتبت سنة (٦٥١هـ)[٧].

كمـا توجـد نسـخة قديمـة مجدولة في مدرسـة الحجيـات في الموصل[٨] ونسـخة رابعـة في مكتبة عبـد الله الجلبي[٩] وتوجد نسـخة منـه في المكتبة القادريـة في بغـداد[١٠] الا ان الباحثة لم تسـتطع الحصول على هذه النسـخ لـذا اضطرت للاعتماد على نسخه واحدة في التحقيق وهي نسخة مصورة عن مايكرو فيلم موجودة في مدرسـة يحيى باشا الجليلي بالموصل رقم الفيلم ٣٠ ورقم الكتاب ١٨ وهو موجـود في مكتبـة المجمع العلمـي العراقي تحت رقم ١٩/ طب - صيدلة[١١].

وتـاريخ النسخ فيها هو (القرن ٦ هـ/ ١٢م)، وعدد الاسطر ٣٠ ـ ٣١ سطراً ، أما قياس المخطوط فهو: ٢٠,٦ × ٣٠,٨ سم، عدد أوراق المخطوط : ١١٦ ورقة.

● **بداية المخطوط:** «الحمد لله الذي خلق فسوى والـذي قدر فهـدى، وأمرض وشـفى .. من عرف أن الله رسـخه بكماله الـذي هو صلاح ماله ضن بعمره أن يغبن في أيامه وتدبيره».. [١٢].

● **نهاية المخطوط:** «.. قال بالثاني وهوأنه كان صالحاً ثـم زالت تلـك المصلحة بتغـير الأمزجة والأزمـان، فقـد تقـدم تفصيـل ذلـك، والكلام عليه وفسـاد طريقه إليه، واللـه تعالى يعين على العلم»[١٣].

● **القسم الثاني- تحقيق النص**

ـ حواشي الورقة الثامنة والثلاثين

امـراض المثانـة الحصـاة المتولـد فيهـا والـورم والقـروح وتقطـير البـول وقرحتـه[١٤] وعـسرة وخروجه بغير ارادة فاما الحصاة فعلامتة الوجع في المثانـة واذى فيها وحكة القضيب وتوتر احيانا واسترخاؤه لغير شهوه وفجاجة[١٥] البول ورقتة

وبياضة وعسرة والرمل الخارج معه فان لم يتبين ان في المثانــة حصــاة ودام عسر البول فيســتلقي العليل على ظهره ويرفع رجلية ويحركهما حركة شــديدة وينطل الماء الحار عــلى المثانة مع تمرخ بالدهــن الى فوق لترتفع الحصاة الى فوق فان بال جيدا والا فادفع الحصاة بالقثاطير[١٦] فانها تزول ويبــول بعد ذلك فــاذا كان كذلك علمت ان حصاة المثانة والورم يكون معه وجع المثانة وظهور الورم وعسر البول الشديد وتحبس الطبيعة وتخرج المدة مــن قروح المثانة اكثر مما تخــرج من قروح الكلى وتقطيرة اما من ضعف القوة الدافعة عند استرخاء المثانة عن الانضمام الى البول وعسرة ويستدل على ذلــك ان يســتلقي العليل على ظهــره ويصر المثانة فــان اندفع البــول فهو عن ورم في رقبــة المثانة او عضلهــا او خلط لزج ملجلــج[١٧] في مجرى البول فيحدث سدة ويستدل على ذلك بما تقدم من الاغذية الغليظة اللزجة او عن مدة او دم جامد او خلط حاد لذاع ويســتدل علية بحمرة البول وحرقتة فيطرف القضيــب واما خروج البول لغــير ارادة كمن يبول في فراشــة فهو لاســترخاء العضلــة المحيطة بعنق المثانة وعف القوة الماسكة لرطوبة الاعضاء او زوال القفــازة المحاذية[١٨] للمثانــة ومرض الصفاق[١٩] الفتق والخرق الذي يعرض معه خروج الثرب[٢٠] والامعــاء الى خارج الصفاق ويكون مما يلي السرة او مادونهــا او في ناحية الحالبين ا والى الأنثيين[٢١] وحــدث بغير حركة مفرطــة او خلط غليظ وريح نافخة البطن الما او رطوبة لزجة تزلق معها الامعاء والفرق بين هذه وبين الورم ان يســتلقي المريض ويغمز[٢٢] الموضع الناتــي[٢٣] الى داخل باليد فان عــاد الى موضعة وغاب النتوء فهــو فتق وان بقي على حالة فهو ورم وما كان منه فوق السرة بيسير يكــون مؤذيا مؤلما وما كان فــوق السره بكثيرغير مؤلم وهو الســدة فان كان عن ريح كان ملمســة لينــا وان كان النتوء عن لحم ضان كان صلبا وان كان عــن انخراق شريان كان لونة بنفســجيا وان كان عــن رطوبة كان ملمســه رطبــا وان لم يؤلم عند الغمــز وان كان لخروج المعا كان معه قرقرة يندفــع عند غمزه باليــد وتعظم السرة عند دخول الحمــام وامراض اعضاء التناســل امــا ان تكون في الانثيــين او في القضيــب او في الرحم وامراض الانثيــين اما في نفســها او في صفاقها او فيما بين صفاقها وبين جلدتها او في عروقها او في جلدتها امــا الــذي يحــدث في نفســها فــالاورام وذهاب شــهوة الجماع او كثرتة وســيلان المني واورامها اما حــارة او باردة والباردة ســوداوية اوبلغمية والحارة صفراوية او دموية[٢٤] واسترخاء الرحم اذا خــرج منه رطوبة يســيرة وعــرض في البطن فيكون خروجها من اســفل.

امراض الــكلى الاورام والقروح والحصى والرمل وبول الدم وبول المدة[٢٥] وذيابيطس[٢٦] وسلس البول ويســمى المــرض الدولابي والــبركاري لان المشروب يخــرج بسرعه كالدولاب الدائر واورامة اما حــارة او باردة والقروح يخرج منها قشــور ومدة تشــبة فتــات اللحم لتــاكل لحــم الكليتين ويكــون البــول مــن غــير عــسر معتــدل القوام والحصى والرمل يحدثان من شدة حرارة الكلى او من خلط غليظ تنشــفة الحرارة يستحجر على مر الايــام خاصة اذا كانت المجــاري ضيقة فيصفى رقيــق البــول ويخــرج ويبقــى غليظــة فيصلب ويجــري ذلك مجــرى تولد الحجــارة والرمل في قــدور الحمامــات وقد تتولــد الحــصى في المثانة والمعــا وفي المفاصل والكبد وذكــر جــالينوس[٢٧]

انــه راى رجــلا كان به ســعال فنفــث[٢٨] حجرا فســكن ســعاله وحكى عن بعــض الجراحين انة اخــرج من وجــه رجل ســلعة[٢٩] وكانــت حجرا وانــه اخرج من ظهر كف اخــر حجرا وقد تعظم الحجــارة فيخــرج منهــا شيء عظيم وقــد رايت في البيمارســتان العضدي[٣٠]حجــرا اخــرج من امراه كان وزنة خمســة عشر مثقالا بعد اخراجه بثلاثــة ايام وقد نشــف وذكر من اثــق بقوله انه وزنة يوم خروجــة فكان وزنة نيفــا[٣١] وثلاثين درهما والــوان الرمل الخارج اما اصفر متشــبع او لــون الزرنيخ[٣٢] او لون الرماد فاما بول الدم فيكون اما بســبب من خارج كضربة او ســقطة او بســبب من داخــل ويكون اما لضعــف القوة المغيرة التي في الكلى او لضعف القوة الماســكة[٣٣] التــي في العروق[٣٤] فــلا يصيبها الــدم فيخرج مــع البول ولا يكــون معه في هــذه الاحوال وجع وان كان فيســير والمــدة اما ان تكــون من قرحة الــكلى او في المثانــة فاعرف ذلك من تورم لحمتها او القشــعريرة[٣٥] الحادثة عند تولد المدة وتعرض حميات[٣٦] مختلفة الادوار.

● **الورقة الثامنة والثلاثون**

مايكثر فيه من امراض المثانة والكلى، ســوء المزاج البارد في الكلى/الامزاج: البارد/

الاســنان:الكهول/الازمان:الخريف/البلدان: الغربيــة الســلامة والخوف:غــير مخــوف الا ان يفرط[٣٧] /الســبب: تناول الاشياء الباردة او غلبة الخلــط الســوداوي[٣٨] /العلامة: كمــودة[٣٩] لون البــدن او خضرتة وقلة العطش او حموضة الفم/ الاســتفراغ[٤٠]: مطبــوخ الافتيمــون[٤١] او مطبوخ كابــلي[٤٢] /التدبــير الملوكــي: لــوز الصنوبــر[٤٣] والفانيــذ[٤٤] والســكنجبين[٤٥]/ التدبــير الســهل الوجود: اكل السلق[٤٦] بخل وخردل[٤٧] مرى[٤٨].

التدبــير الشــامل :تكمــد الــكلى على الريــق بخل خمــر[٤٩] مــع نخالــة[٥٠] وســذاب[٥١] ثلثــة ايام فــان احتــاج الى اســهال فيعطــى هــذا المطبوخ وصفته: اهليلج اســود وشــاهترج[٥٢] ونعناع[٥٣] وماء ورد وغافت[٥٤] وانيســون[٥٥] ورازيانج[٥٦] ويطبــخ باربعــة ارطــال[٥٧] ماء حتــى يعود الى الخمس ويضــاف اليه غاريقيــون[٥٨] وتربد[٥٩] واياريج[٦٠] من كل واحد نصف درهم[٦١] ويشرب ســحرا[٦٢] ويغتذى بالطواهيج[٦٣] والدراريج[٦٤] بخــل ومرى وكراويــا[٦٥] ودار صينــي[٦٦] بخبز خشــكار[٦٧] مختمر ويشرب الشراب ويتنقل علية بحبــة الخــضراء[٦٨] او لــوز مر وحــب الصنوبر ويجتنــب الهرايــس[٦٩] والارز بلبــن والزلابيه[٧٠] والقطايف[٧١] والحبوب.

● **الورم البارد في الكلى**

الامزاج:الباردة/الاســنان:الكهول/الازمان: الخريف/البلدان :الباردة /السلامة والخوف:غير مخوف/الســبب: بلغم[٧٢] او سوداء[٧٣]/العلامة: كمودة اللون مع صلابة الورم السوداوي وبياض اللــون وتفــاوة البلغــم /الاســتفراغ: مطبــوخ الافتيمون .

التدبــير الملوكي: ســكنجبين البــزور[٧٤] /التدبير الســهل الوجود :خردل معجون بعسل يضع على الكلى بقرطاس[٧٥].

التدبير الشامل: ينبغي ان يعطى قرص من الكبر[٧٦] مع ســكنجبين ويعطى ماء الجبن[٧٧] المســتخرج بســكنجبين ويضمد عليــه وبزر كتــان[٧٨] ودقيق شــعير وباقلي[٧٩] واكليل الملك[٨٠] واشــنة[٨١] وبعر المعــز[٨٢] وبورق[٨٣] واصل الكــبر وعشر تبنات[٨٤] ســود منقع في الخل ممــروس[٨٥] مصفى فان كان

من ريح فيعطى سفوفا[٨٦] من حرف[٨٧] منقع في خل خمر يوما وليلة ثم يجفف ويسحق ويعجن بدقيق بشعير ويخبز في تنور هاديء حتى ينضج ويؤخذ منه جزء وقشور اصل الكبر جزء وسنبل[٨٨] نصف جزء ويؤخذ منة ثلاثة دراهم بسكنجبين.

● الحصاة والرمل في الكلى :

الامزاج: الحارة /الاسنان: الشيوخ /الازمان: الخريف /البلدان: الغربية/السلامة والخوف: مخوف اذا عسر خروج بول/ السبب: حرارة تنشف خلط غليظا في الكلى فيتحجر/العلامة : خروج البول قليلا بحرقة وفية رمل ووجع في الخاصرة والقطن والعجز /الاستفراغ: القيء بسكنجبين منقع فيه فجل وبحب مسهل/التدبيرالملوكي: يجعل في اللوزينج[٨٩] من رماد العقارب[٩٠] وزجاج محرق[٩١] في كل يوم منه قيراط[٩٢].

التدبير السهل الوجود: رماد العقارب المحرقه مع صمغ الاجاص[٩٣].

التدبير الشامل: يجتنب الاغذية الغليظة ويستعمل الاغذية السريعة الانهضام المحمودة الغذاء كالفراريج اسفيدباج وزيرباج[٩٤] بخبز خشكار مختمر ويتناول القثا والخيار والبطيخ و الاكشوت[٩٥] والرياضة قبل الغذاء والحمام والجلوس في ماء مغلي فية بابونج واكليل الملك ومرزنجوش[٩٦] وورق الخطمية وبرسياوشان[٩٧] ويمرخ[٩٨] بدهن الشبت ويتناول بعد ذلك سفوف صفته بذرالقثا والخيار والقرع والبطيخ في كل واحد ثلثة دراهم رازيانج نصف درهم تجمع وتدق ويشرب بسكنجبين ماء ورد وياخذ مايفتت الحصاة كحجر اليهودي[٩٩] ورماد العقارب اذا اخذ منة بماء الرازيانج وياخذ من سفوف صفته زجاج محرق وزنجبيل[١٠٠] من كل واحد ثلاثة دراهم جنطيانا[١٠١] درهم رماد العقارب درهمين يدق الجميع ويؤخذ منه نصف درهم بماء مغلى فيه حمص اسود[١٠٢] ويمرخ الموضع بدهن العقارب[١٠٣] ويكمد بنخالة الجاروس[١٠٤] بماء فاتر فان لم يسكن الالم فتجذب الحصاة بان توضع المحاجم[١٠٥] على الموضع الفارغ من موضع الحصاة ويمص قليلا قليلا وينقل المحجمة الى نحو المثانة الى ان تحصل الحصاة في المثانة وتخرج من القضيب[١٠٦] برفق فان بقيت في المثانة او في القضيب فيجلس في ماء مغلي فيه حلبة وبزر كتان وخبازي وخطمية ويمرخ بدهن البنفسج[١٠٧] او الشيرج[١٠٨] المطبوخ حلبة وشحم البط ثم يعاد استعمال الدواء المفتة للحصاة.

● الورم الصلب في الكلية

الامزاج: الحارة /الاسنان :الشباب /الازمان: الربيع/ البلدان: الجنوبية /السلامة والخوف: مخوف / السبب: دم او صفراء /العلامة: وجع وثقل والتهاب وعطش وحمى وسعال وسهر وقيء وعسر البول /الاستفراغ: بفصد الباسليق[١٠٩] التدبيرالملوكي: ماء الشعير بشراب البنفسج /التدبير السهل الوجود كلعاب بزر قطونا[١١٠] وبزربقلة[١١١] وجلاب[١١٢].

التدبير الشامل: ينبغي ان يضمد ببزر كتان وحلبة[١١٣] من كل واحد خمسة دراهم بزر خطمي[١١٤] وخبازي[١١٥] وشبت[١١٦] وبابونج[١١٧] من كل يوم واحد ونصف درهم واشق[١١٨] وعلك البطم[١١٩] من كل واحد ثلاثة دراهم تحل الصموغ بماء حار ويدق الباقي ويعجن ويضمد به فان كان هناك حرارة



فاجتنب الصموغ ويصفى لب بزر القثا[١٢٠] والخيار والقرع وبزر خطمي وخبازي بالسوية يدق ويؤخذ منه ثلاثة دراهم بشراب البنفسج او جلاب وغتذى بمرق القنابر[١٢١] اسفيذباج[١٢٢] بدهن لوز حلو هذا في معالجة الاورام الصلبة في الكلى والذي بعده في معالجة الاورام الرخوة في الكلى.

- **الورم الرخو في الكلى**

الامزاج: البارده /الاسنان: الكهول /الازمان: الخريف /البلدان: الغربية /السلامة والخوف:غير مخوف/السبب: بلغم وسوداء/ العلامة: ثقل في البطن من غير وجع/الاستفراغ: مطبوخ الافتيمون/التدبير الملوكي: يضمد بمرهم الداخيلون[١٢٣] /التدبير السهل الوجود: يمرخ الموضع بمخ ساق البقر وشحم الدجاج وراتنج[١٢٤] محلول بماء حار.

التدبير الشامل :يضمد بدقيق شعير وخطمي وصندل[١٢٥] وأشياف ما مثيا[١٢٦] ومغاث[١٢٧] وماء الهندباء[١٢٨] وجرادة[١٢٩] القرع ودهن بنفسج اوبالخرق المبردة بماء الهندباء وماء حي العالم[١٣٠] ودهن بنفسج وورد وماء ويسير خل خمر ويعطي في أول النهار لب بزر القثا والخيار والقرع والبطيخ والبقلة من كل واحد درهم بجلاب وماء بارد وبعده ماء الشعير[١٣١] بشراب الخشخاش[١٣٢] والبنفسج وبعده لعاب بزر قطونا وماء بزربقلة والخيار والبطنج ولب البنفسج واذا بدأ بالنضج يضمد بدقيق الشعيروخطيمية واكليل الملك وحلبة وبزر كتان وبنفسج يابس مع تين يابس مطبوخ بدهن بنفسج وينطل على الموضع الماء الحار المطبوخ فيه ورق الخطمي والبنفسج والحلبة فاذا نضج الورم يشرب ساذق البذور[١٣٣] وشراب الخشخاش فان حال انفجار المدة بقرص الكالبخ[١٣٤] بشراب البنفسج جلاب الخشخاش وشراب اللينوفر[١٣٥] وشراب الرمان.

ـ بول الدم

الامزاج: الحارة /الاسنان: الشباب /الازمان: الربيع/البلدان: الحارة /السلامة والخوف: مخوف اذا خرج فتات اللحم /السبب: جرح او ضعف القوة الماسكة[١٣٦] او بسبب من خارج / العلامة: معروفه /الاستفراغ: فصد الباسليق / التدبير الملوكي: قرص الكهربا[١٣٧] ماء ورد / التدبير السهل الوجود: نشا وطين ارمني[١٣٨] بماء السماق[١٣٩] وماء البقلة.

التدبيرالشامل :ينبغي ان يدبر بتدبير من ينفث الدم[١٤٠] ويعطي قرصا متخذا من بزر البقلة والقثا والخيار من كل واحد خمسة دراهم نشا وكثيرا من كل واحد اربعة دراهم ثم كهربا مثقال[١٤١] قاقيا[١٤٢] فطين ارمني من كل واحد درهمين[١٤٣] يدق الجميع ناعما ويضاف الية خمسة دراهم بزر قطونا ويعجن بلعاب بزر قطونا ويقرص ويؤخذ منه مثقال بماء لسان الحمل[١٤٤] او ماء عصا الراعي[١٤٥] وماء العليق[١٤٦] او ماء بزر بقلة مع ماء الرجلة[١٤٧] المعتصر ويغتذى بفراريج بسماق او زرشك او انبرباريس[١٤٨] او صفر البيض النيمبرشت[١٤٩] قد جعل عليه سماق.

ـ بول المدة:

الامزاج: الحارة /الاسنان: الشباب / الازمان: الربيع /البلدان: الحارة / السلامة والخوف: مخوف اذا افرط وخرج فتات اللحم /السبب: ورم متقدم في المثانة والكلى.

العلامة: وجع في البطن ان كان في الكلى ومعة قشعريرة /الاستفراغ: قرص الكاكنج[١٥٠] بلبن الاتن[١٥١] /التدبير الملوكي: فراريج اسفيذباج او حسا متخذ بدقيق سميد[١٥٢] ونشا وسكر ودهن اللوز/ التدبيرالسهل الوجود: مزورة اسفاناخ[١٥٣] او وخبازي او ماش[١٥٤] او عدس او البيض النيمبرشت التدبير الشامل: يعطى هذا السفوف[١٥٥] وصفتة بزر قثا وخيار وبزر كتان من كل واحد ثلثة دراهم نشا وطين ارمني من كل واحد درهمين خشخاش اربعة دراهم يدق الجميع ويؤخذ منه ثلثة دراهم بشراب الخشخاش فان لم تنق[١٥٦] المدة فباقراص خشخاش ولبن الاتن ولبن النساء مع ثلثة دراهم من هذا السفوف وصفتة لب بزر قثاء وخيار وقرع وبطيخ من كل واحد اربعة دراهم نشا وصمغ عربي[١٥٧] من كل واحد درهمين حب الكالبخ الجبلي اربعة دراهم خشخاش ابيض واسود من كل واحد ثلثة دراهم يدق الجميع ناعما ويؤخذ منه ثلثة دراهم فان تطال[١٥٨] ذلك فقرص الكالبخ ولبن الاتن والغذاء مزورة ماش بدهن لوز وسكر وخشخاش.

ـ سلس البول وهو البركارية :

الامزاج :الحارة /الاسنان: الشباب والكهول/ الازمان:الشتاء/البلدان:الغربية/السلامة والخوف: مخوف ان افرط/السبب :حرارة الكلى في شدة حدتها الى المثانة/العلامة :شدة العطش من غير حمى وخروج البول الدائم من غير حرقة مع رقتة وبياضة الشبية بالماء/الاستفراغ/ تركه التدبير الملوكي :سماقية[١٥٩] او زرشكية[١٦٠] وحصرمية[١٦١] بلحوم الجدا والحملان والخوخ والكمثري والسفرجل/التدبيرالسهل الوجود: البيض النيمبرشت واكل الخلال والانغماس في الماء البارد ان كان صيفا .

التدبير الشامل :يسقى ماء شعير وشراب الخشخاش وماء الرمان الحلو وقرص الطباشير[١٦٢] الحابسة[١٦٣] بماء التفاح وشراب الريباس[١٦٤] والسفرجل وربهما[١٦٥]ولعاب بزر قطونا وجلاب وقرص الكافور[١٦٦] وان كانت الحرارة اشد فبماء الرمان ويغتذى بالامراق الموسمية الكثيرة للغداء كادمغة الحملان والجبن الطري والسمك الطري وياكل بسر[١٦٧] حلوان وجمار[١٦٨] وطلع[١٦٩] وقثا وخيار وبطيخ ويضمد الكلى بصندل وكافور وورد وبزر قطونا وطين ارمني وجلنار ويدق الجميع ويبل بماء ورق الخس وماء ورد ويسقى من هذا القرص وصفتة طباشير وبزر بقلة من كل واحد خمسة دراهم بزر حماض[١٧٠] وكسفرة يابسة[١٧١] ورد طين ارمني من كل واحد ثلثة دراهم صندل ابيض وجلنار وسماق من كل واحد درهمين كافورنصف درهم يعجن بماء البقلة ويقرص ويؤخذ منه مثقال بشراب الحصرم[١٧٢] وماء الرمان المر.

*** الهوامش:**

(١) القفطي،جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت٧٧٤هـ)، تاريخ الحكماء،(ليبسك-١٣٣٠هـ) ص٣٦٥.

(٢) ابن كثير،عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن مكرم الجزري(ت٦٣٦هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: ابو الفدا عبد الله القاضي،ج ١٢، دار الكتب العلمية،(لا.م-١٩٨٧م)، ص١٥٩، ١٧٧.

(٣) ابن خلكان، احمد بن محمد بن ابي بكر(ت٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،ج٦، دار صادر،(بيروت-١٩٧٢م)، ص٢٦٧.

(٤) الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، ج١٩، مؤسسة الرسالة،(لا.م-٢٠٠١م)، ص٣٩٨.

(٥) ابـن تغـري بردي،جمـال الديـن ابـي المحاسـن (ت٨٧٤هــ)،النجــوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج٥، دار الكتب،(مصر-١٩٦٣م) ص١٦٦.

(٦)الســامرائي،كمال، مختصرتاريخ الطـب العربي،ج٢، دار النضـال للطباعـة والنـشر والتوزيـع(لا.م-لا.ت)، ص٥٧٨.

(٧)احمد، ســالم عبـد الرزاق، فهـرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامــة في الموصل،ج٢، وزارة الاوقاف والشـؤون الدينية، (العراق-١٩٨٢م)، ص٣٢.

(٨) احمد، مخطوطات الموصل،ج١، ص١٠٨.

(٩) مخطوطات الموصل،ج١، ص١٩٣.

(١٠) الـزركلي، الأعـلام، ج٨، ص١٦١؛ رؤوف،عبـد السـلام،الاثار الخطيـة في المكتبـة المكتبـة القادريـة،ج٥، دار الرسـالة للطباعـة، (بغـداد-١٩٧٤م)، ص٤٢٣-٤٢٤؛ الدوسري،هيـا، فهـرس المخطوطـات الطبيـة المصورة،م١٣،الامانـة العامـة للاحتفـال بمائـة عام على تأسـيس المملكة،(لا.م-١٩٨٤م)، ص٥٨؛ سركيس، معجم المطبوعات، ص٦٤.

(١١) عـواد، ميخائيـل، مخطوطـات المجمـع العلمـي العراقـي،ج٢، مطبعـة المجمـع العلمـي العراقي،(بغداد-١٩٧٣م)، ص١٢٢.

(١٢) ابـن جزلـة: ابـو زكريـا يحـى بن عيسى بـن جزلة البغـدادي (ت٤٩٣هـــ)، مخطوطـة كتاب تقويـم الابدان بتدبيرالامراض ومعرفة الاسباب واللاعراض، ورقة ١-٢.

(١٣) ابـن جزلـة، مخطوطة كتـاب تقويم الابـدان، ورقة ١١٦.

(١٤) قرحـة: الجمع قرحات واقـراح وقروح، وهو جرح بطيءالاندمـال يصيب الجلـد والانسـجة العميقة وتطول مدة شـفائة لتقيـح فية او لضعـف الـدوره الدموية،كما يصيب غشـاء الانسـجه الداخلية نتيجة التهاب موضعي. مجمـع اللغة العربيـة، المعجم الوسـيط، مكتبـة الشروق الدولية،(لا.م-٢٠٠٤م)، ص١٢٠.

(١٥) فجاجـة: جمل ازهر متفـاخ اراد انة مخضب في ماء وشـجر، فهو لايزال يبول لكثرة اكلـة وشربة. ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هــ)، لسان العرب،ج٦، دار صادر،(لا.م-٢٠٠٣هــ)، ص٢٣٣.

(١٦) القثاطير:هـو انبـوب لـين يتـم ادخالة عـن طريق الاحليل وصولا الى مثانة المريض ويسـمح القثطار بانشاء معـبر لخروج عـسر البـول، والقثاطـير نوعـان دائمة او وقتية يسـتخدم الانبـوب لمرة واحـدة ويـزال بعدها، ابن البيطار،الجامع لمفردات الادوية، ص٢١٣.

(١٧) ملجج:عن ابي زيد يقال الحق ابلج والباطل لجج أي يـردد من غيران ينفذ. الزبيـدي، محمد بن محمد المرتضى، تـاج العـروس مـن جواهـر القاموس،ج٣٥،(الكويـت-٢٠٠٨م)، ص١٤٣.

(١٨) القفـازة المحاذيـة: لـم اجد لـه أي ترجمـه في كتب معاجم اللغة او الاعشاب.

(١٩) الصفاق:غشاء رقيق مشـابهة للحرير يبطن الجدار البطني من الداخل ويغطي معظم الاعظاء البطنية ويكون مرضة عبارة عن التهاب بكتيري او فطري يصيب الغشاء. ابن البيطار ،الجامع، ص٨٧.

(٢٠) الثرب: غشاء شحمي يغطي الكرش والامعاء والجمع ثـروب واثـرب. مجمع اللغـة العربيـة، المعجم الوسـيط، ص٦٧.

(٢١) الانثيـين: همـا الخصيتـان .الرازي ،محمـد بن ابي بكر بـن عبد القادر(ت٦١٦هــ)، مختـار الصحاح، مكتبة لبنان،(بيروت-٢٠١٠م)، ص٢٣.

(٢٢) يغمز: وفي حديث الغسـل:»اغمزي قرونك«أي اكبسي ظفائرشـعرك عند الغسـل. الزبيدي ،تاج العروس، ج٣٨، ص٩٨.

(٢٣) الناتـيء: الجمـع نواتيء، اسـم فاعل مـن نتا تعني بارز، به نتوء. الرازي، مختار الصحاح، ص١٨٨.

(٢٤) سـوداوية، بلغميـة، صفراويـة، دموية:الاخـلاط الاربعة ناتجة عن اختلاف انواع الاغذية المسـتهلكة من قبل الانسـان ولكل من هـذه الاخلاط امزجة واعـراض معينة. ابـن القيم الجوزية، شـمس الدين محمد بـن ابي بكر بن ايـوب الزرعـي الدمشـقي(ت٧٥١هــ)، الطـب النبـوي، مراجعـة وتحقيق:عبد الغني عبد الخالـق، وضع التعاليق الطبيه:عـادل الازهري،خـرج الاحاديـث، محمـود فـرج العقدة، دار الفكر،(بيروت-لا.ت)، ص ١٨٩.

(٢٥) المدة: جمع مدد: قيح، ضغط على الدمل بشدة حتى خرجت منه المدة. عمر، احمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصر،عالم الكتب،(القاهرة-٢٠٠٨م)، ص١٨٥.

(٢٦) ذيا بيطس: كلمة لاتينية تعني داء البول السكري. ابن البيطار، الجامع لمفردات الادوية، ص١٥٥.

(٢٧) جالينوس: طبيب وفيلسوف يوناني وهو احد اعظم الاطباء في العصور القديمة اثر جالينوس على تطور فروع علوم عدة ومنها علم التشريع علم الامراض علم الادوية علم الاعصاب فضلا عن الفلسفة والمنطق ابن ابي اصيبعة،عيون الانباء، ص٥٤.

(٢٨) نفث: نفث البصاق من الفم: رميه او رمى بة، نفث الجرح الدم المنزوف من الرئتين او الشعب. عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص٣٠٢.

(٢٩) سلعه: زيادة تحدث في الجسد في العنق وغير وتكون قدر الحمصة او اكبر. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص١٦٧.

(٣٠) البيمارستان العضدي: (البيمارستان) كلمة فارسية تعني المشفى او دار المرضى، بناها ابو شجاع فناخسرو عضد الدولة بن ركن الدولة البويهي ثاني ملوك بني بويه سنة (٣٧١هـ/١٩٢م)في الجانب الغربي في بغداد. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٥٦.

(٣١) نيفا:عدد من الواحد الى الثلاثة. مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ص٢٨٥.

(٣٢) الزرنيخ: عنصر كيميائي وهو من اشباه الفلزات لونة رمادي معدني. ويعتبر من اشد المواد السمية ويستخدم في صنع الكثيرمنانواع المبيدات ويستعمل قليل من مركبات الزنيخ العضوية في الطب، عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص١٤٢.

(٣٣) القوة الماسكة هي احدى القوة الباطنية التي تمسك بالغذاء ريثما تتصرففيه القوه المغيرة ،الفراسه، ابن البيطار، الجامع، ص١٠٧.

(٣٤) العروق: هي الشرايين والشعيرات الدموية التي تنتشر في الجسد وتسيل الدماء من خلالها ابن سينا، ابو علي الحسين بن علي (ت٤٢٨هـ)،القانون في الطب، تحقيق: محمد امين الضناوي،م١، دار الكتب العلمية،(بيروت-١٩٩٩م)،١٣٥.

(٣٥) القشعريرة: نتوات تظهر في جلد الانسان تنشا لاراديا عندما يتعرض الانسان لدجات الحرارة المنخفضة اومشاعر قويه مثل الخوف، الحنين، السعادة، الرعب، الاعجاب. عون، احمد محمد، موسوعة الاعشاب الطبية، سلسلة العلم والحياة،ع٩٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة -لا.ت)، ص٥٤.

(٣٦) حميات: جمع حمى وهي تقسم الى قسمين عرضية ومرضية وما يعنينا النوع الثاني وهي ثلاثة انواع وهي لاتكون الافي مادة اولى فان كنت مبدا تعلقها بالروح سميت حمى يوم، وان كان مبدا تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي اربعة اصناف: صفراوية، سوداوية بلغمية، دموية. وان كان مبدا تعلقها بالاعضاء سمت دق وتحت هذه الانواع اصناف كثيره. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي(ت٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، مؤسسة الرسالة،(بيروت-٢٠٠٩م)، ص١٦٥.

(٣٧) يفرط: افرط الشخص جاوز الحد في قول او فعل. عمر،اللغة العربية المعاصرة، ص٣٣٣.

(٣٨) الخلط السوداوي: احد انواع الاخلاط وهي ناتجة عن رطوبة سائلة وعن تحولات الاغذية ويرجع سببها لاطعمة واشربة غليظة وقلة الرطوبة ناتج عنه عنه ترسب ثقل وضعف عمليات تفكيك السموم وزيادة الاملاح. ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص١٣٤.

(٣٩) كمودة: كمد يكمد كمدا كمودا ،كمد لونة تغير ذهب صفاؤه وبقاء اثره .ابن، منظور، لسان العرب،ج٨، ص٢٦٧.

(٤٠) الاستفراغ: مصدراستفرغ، استفرغ ما في البطن التقيء. مجمع اللغة،الوسيط، ص٢٣.

(٤١) الافتيمون: من التركيبات المسهلة، وهو عبارة عن بذور وزهور وقضبان صغار متهشمة يسكن النفخ ويذهب امراض السوداء وينفع من التشنج وهو حاد حريف الطعم احمر. موسوعة الاعشاب الطبية. مجمع اللغة،الوسيط، ص٤٥.

(٤٢) كابلي:هو نوع من الاهليج والفج منة يسمى اهليج

اسود او اللالوب او الشعيرالهندي او تمرالعبيد او اللوز الهندي وهي شجرة نفضية يصل ارتفاعها الى ٣٠ م وجذع يصل عرضة الى ١م تتبع لجنس ترمناليا للشجرة استخدامات طبية عديدة. عقيل، محسن، معجم الاعشاب المصور، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،ط١، (لا.م-٢٠٠٣م)، ص١٧٩.
(٤٣) لوز الصنوبر: هي بذور الصنوبرالصالحة للاكل ولها عدة استخدامات طبية. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص١٩٠.
(٤٤) الفانيد: ويعرف ايضا بالفانيد السجزي بالسين والزاء منسوب الى سجستان وفانافساسقلينوس وعلى هذا صنف النبات من الزوفرا. ابن البيطار، الجامع لمفردات الادويه والاغذية،ص٢٠٦.
(٤٥) السكنجبين: وهي لفظة فارسية معناها: خل وعسل وقد عربت الى (سكنجبين) وهو شراب يراد بة حاو وحامض عقدا بالطبخ.ابي الفداء، محمد عزت محمد عارف، الـ١٠٠٠وصفة ذهبية في العلاج بالاعشاب الطبية، تصحيح ومراجعة: محمود القيعي، دار الفضيلة ،(لا.م-٢٠١٢م)، ص٩٧.
(٤٦) السلق: نوع من البقل له ساق طويل واصل ذاهب في الارض، وورقه غض طري يؤكل مطبوخا. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص٨٦.
(٤٧) خردل: نبات ينتمي الى جنس الكرنب ويستخدم منه البذور وهي غير مؤذية عندما تكون جافة الانها تطلق مادة مهيجة عندما تطحن مع الماء، عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص٦٧.
(٤٨) مرى: مسح ضرع الناقه لتدر، امرت هي: در لبنها .المصطوفي،حسن، التحقيق في كلمات القران الكريم،ج١١، مؤسسة الطباعة والنشر، ط١،(لا.م-١٤١٦هـ)، ص٧٨.
(٤٩) خل خمر: معنى ذلك انه كان خمرا وحول خلا.ابن منظور ،لسان العرب،م٨،ص٣٤.
(٥٠) نخالة:او الردة هي الطبقة الخارجية الصلبة من الحبوب ، مجمع اللغة ،الوسيط،ص٣١٤.
(٥١) سذاب:نبات اخضريميل الى الزرقة ،يصل ارتفاعه الى المتر ويعرف بـ(فيجن حزاء ،فيجل ،الخفت)وهو نبات عشبي معمر وله فوائد طبية عديدة. عقيل، معجم الاعشاب المصور ،ص١٠٣.
(٥٢) شاهترج: بقلة الملك اوالشاهترج او حميرا او ساتراج او شاترج او القسيس او العيسوف من اشهرالنباتات الطبية وهي عشبة حولية ضعيفة والجزء المستخدم طبيا النبتة المزهرة .الحلو، سميراسماعيل، القاموس الجديد للنباتات الطبية، دار المنارة للنشر والتوزيع،(لا.م-١٩٩٩م)، ص١٥٤.
(٥٣) نعناع: او النعنع هو جنس من النباتات الفصلية الشتوية، وهي عشبة معمره ذاترائحة نفاذة وله انواع كثيرة منها الايلي، البري، التيفي، المائي، المدبب، الهش.عيسى، احمد، معجم اسماء النبات، ط١،المطبعة الاميرية،(القاهرة-١٣٤٩هـ)، ص٢٧٧.
(٥٤) اغافت: عشبة معمرة من الفصيلة الوردية طولها يصل الى ٢-٣اقدام وهي عشبة لها فوائد طبية عديده منها: زامة ومقلصة طاردة للريح مضادة للالتهابات وغيرها من الامراض. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص١٨.
(٥٥) انيسون: وهو عشب ينتمي الى عائلة الكرفس وله اسماء عديدة منها اليانسون والنيكون والتقده والكمون الحلو والحبة الحلوة وبذورة تاخذ الشكل البيضاوي ويكون طولها ٣-٤ملم ولونها رمادي مائل الى البني وله رائحة مقبولة ومذاق حسن. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص٢٢.
(٥٦) رازيانج:اوالشمر او السنوت او البسباس او الشمر الحلو وهو نبات عطري وهو من الفصيلة الخيميه ويستعمل النبات لاغراض طبية منها التهاب الفم ولطرد الغازات وتسكين الالام والسعال وكثير من الامراض. ابن البيطار، الجامع، ص٨٦.
(٥٧) ارطال: جمع رطل وهو معيار يوزن به او يكال، يختلف باختلاف البلاد، وهو في مصر اثنا عشر اوقية والاوقية اثنا عشر درهما أي يساوي ٤٥٠غم. هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان ومايعادلها في الاوزان النظام المتري، ترجمة وتحقيق: كامل العسل، منشورات روائع المجدلاوي، (لا.م-٢٠٠٣م)، ص١٨.
(٥٨) غاريقون: جنس من الفطريات وله انواع عديده

منه١٩ سامة ومنها صالحه للاكل وهو على شكل كتل اسفنجية ليفية غير منتظمة الشكل ولونة بني من الخارج وطعمة في اولة حلاوة وفي اخرة مرارة يستعمل كمسهل شديد. عقيل، معجم الاعشاب المصور، ص١٩٧.

(٥٩) تربد: هو نبات يشبه ورق اللبلاب له ثمر كالسنة العصافيرله استعمالات طبية عديدة منها عرق النسا ووجع الورك وينقي البدن ويخلص من السعال وغيرها من الامراض، ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص٣٥.

(٦٠) ايارج: تركيب من مجموعة اعشاب تفيد في تطهير الجسم وخاصة الاعصاب والدماغ وتطهيرة من السموم ويستعمل كملين. ابن البيطار،الجامع، ص٢٥.

(٦١) درهم:هو وزن بمقدار ٤٨ شعيرة أي ٣,١٢٥غم. مبارك،علي باشا، الميزان في الاقيسة والاوزان، ج٧٤، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد –لا.ت)، ص٣٨١.

(٦٢) سحرا: وهو الوقت الذي يسبق طلوع الفجر، الجمع اسحار وهو اخر الليل قبيل الفجرابن منظور، لسان العرب، م٨، ص١٥٥.

(٦٣) الطواهيج: الابل النجيبة السريعة الجري التي تصبرعلى شدتة، مفردها سوهاج. العبودي ،محمد بن ناصر، معجم الحيوان عند العامة،ج٢، مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثانية ،(لا.م-لا.ت)، ص٤٩٢.

(٦٤) الدراريج: طائر بري في ساقية طول وبعظهم يسمية الحجل وبعظهم يمية دورجان .العبودي، معجم الحيوان،ج١، ص٣٣٣.

(٦٥) كراويا: عشب ثنائي الحول من الفصيلة الخيمية له جذر وتدي وساق قائمة متفرعة ثمرتة من الافاوية، ويتخذ منه شراب منبه. عون، موسوعة الاعشاب الطبية،ع٩٥، ص١٣٤.

(٦٦) دار صيني: هو لحاء لشجر دائمة الخضره استوائية كثيفة موطنها جنوب شرق اسيا وهذه القشور ت تحتوي على زيوت طيارة له العديد من الاسماء منها الدون، قرفة، الدارسين ويستخدم في كثيرمن العلاجات الطبية، عيسى، معجم اسماء النبات، ص٦٧.

(٦٧) خبز خشكار: كلمة فارسية تعني الدقيق الذي لم تنزع نخالته أي هو الخبز الاسمر غير النقي. مجمع اللغة العربة، المعجم الوسيط، ص٩٨.

(٦٨) حبه الخضراء: هي ثمرة شجرة البطم ضخمة معمرةيصل ارتفاعها٢٠م وعرضها اكثر من ام ولهذه الشجره رائحة طيبة ولثمرتها فوائد طبية عديدة. عون، موسوعة الاعشاب الطبية،ع٩٥، ص٦٥.

(٦٩) الهرايس: وهي جمع كلمة الهريسة وتعني الحب الدقوق بالمهراس من قبل ان يطبخ وتعني ايضا الطعام الذي يطبخ من القمح مع اللحم ابن منظور، لسان العرب، م١٣، ص٢٣.

(٧٠) الزلابية: حلواء تصنع من عجين رقيق تصب في زيت وتقلى ثم تعقد بالدبس. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٨٨.

(٧١) القطايف:هي من اشهر الحلويات العربية الشعبية عبارة عن فطيرة مكونة من عجينة سائلة محشوة بالمكسرات وسميت بالقطايف لان الضيوف كانوا يتقاطفونها بشدة للذتها. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،ص٢٠١.

(٧٢) بلغم: اللعاب المختلطة بالمخاط الخارج من المسالك التنفسية. معجم المعاني الجامع.

(٧٣) سوداء: هو مرض عقلي ويسمى ايضا الملنخوليا وينشا من تغلب احد الاخلاط الاربعة .البعلبكي، منير، موسوعة الموردالعربية، اعداد: رمزي البعلبكي، دار العلم للملايين،(بيروت-٢٠١٣م)، ص٢٥٤.

(٧٤) البزور: مجموعة من الاعشاب تضاف الى الاسكنجبين وهي (اصول الرازيانج والكرفس والهندباء) من كل اواق مرضوضه ويطبخ ويضاف بالحلو والحامض. داود الانطاكي، التذكرة، ص٣٥.

(٧٥) قرطاس: ورقة تلف على هيئة القمح ليوضح فيها الحب ونحوه والجمع قراطيس. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص١٠٦.

(٧٦) الكبر: القباراو الشفلح او الاصف هي شجرة تنتمي للفصيلة القبارية تعيش في حوض البحر المتوسط هي شجرة معمرة شائكة لها فوائد طبية عديدة. ابن البيطار، ابو محمد عبد الله بن احمد ضياء الدين المالقي الاندلسي(ت١٢٤٨م)، تفسيركتاب دياسقوريدس في الادوية المفردة، تحقيق: ابراهيم بن مراد، بيت الحكمة،(لا.م-١٩٩٠م)، ص٢٥٦-٢٦٦.



(٧٧) مـاء الجبن:هـو المصـل المتبقي من صناعـة الجبن. مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ص٢٩٦.
(٧٨) بـزر كتان: نبـات حولي من المحاصيـل الزيتية وهو نبات معمر والاجزاء المسـتخدمة في النبـات الزيت والبذور ولهمـا اسـتخدامات طبية عديـدة، عيسى، معجم اسـماء النبات، ص٢٧.
(٧٩) باقـلي: جمع والاقلي الفول وواحدتة باقلاة او باقلاء، وهو نبات عشـبي حولي من الفصيلـة القرنية توكل قرونة مطبوخـة وكذلك بـذورة. ابن منظور، لسـان العرب، م٢، ص٦٥-٦٧.
(٨٠) اكليـل الملـك: او الحندقوق وهو نبـات من الفصيلة البقولية ويسـتعمل كعلف للحيوانات وفي علاج العديد من الامـراض منها طرد الريح والبلغم وغيرها وشرابة يسـاعد على الهضم .مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ص١٢.
(٨١) اشـنة: او شـيبة العجـوز ومجموعهـا الاشـن وهي فطريات ارضية متعايشـة مـع طحالـب مجهرية وحيدة الخليـة خيطية الشـكل او عـلى هيئة قشـوراو صفائح لا زهرية تنمـو على الصخـور او الاحجاراوتتعلـق باغصان الاشجار. مسعود، جبران، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين،(بيروت-١٩٩٢م)، ص١٣.
(٨٢) بعـر المعـز: رجيـع ذوات الخـف وذوات الظلـق الاالبقرالاهلي.عمر، اللغة العربية المعاصرة، ص٢٥.
(٨٣) بـورق: الملـح الصوديومي لحمـض البوريك يذوب بسـهولة في الماء الدافيء وبصعوبة في الماء البارد .مسـعود، الرائد، ص٣٦.
(٨٤) تبنات: مفردها تبن وهو ما تهشم من سيقان القمح والشعير بعد درسة من تعلفة الماشية. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٧٦.
(٨٥) ممروس: مرس الدواء والخبز في الماء يمرسـة مرسـا انقعة، والمرس مصدر مرس التمر يمرسة ومرتة يمرتة اذا دلكة في الماء يمرسة مرسا انقعتة ويقال للثريد المريس لان الخبز يمات.ابن منظور، لسان العرب،م١٣، ص١٧٨.
(٨٦)سفوفا:كل دواء يؤخذ يابسا، وغير معجون .عمر،اللغة العربية المعاصرة، ص١٤٢.
(٨٧) حـرف: او الحزف او الكاردامين جنس نباتي ينتمي الى الفصيلة الصليبية وهو عشـبة حولية معمرة ولها اكثر من١٥٠نوع له فوائد طبية عديدة.عون، موسوعة الاعشاب الطبية، ص٨٦.
(٨٨) سـنبل: الجمع سـنابل وهو جزء النبات الذي يتكون فية الحب.ابن منظور، لسان العرب،م٩، ص١٩٤.
(٨٩) اللوزينج: من الحلوى شـبية بالقطائف يؤدم بدهن اللوز. مجمع اللغة، المعجم الوسيط، ص١٩٥.
(٩٠) رماد العقارب: عشبة حولية توجد في الاماكن الرطبة اوراقها متقابلة بسيطة ذات ازهار وردية تعيش في حوض البحر المتوسـط تنبت هذه العشبة في الخريف ولارائحة لها مذاقها شـديد المرارة ولهـا فوائد طبية عديـدة، ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص١٢٤.
(٩١) زجـاج المحـرق: او حشيشـة الرمـل او حبقالـة او عوميا وهو نبات عشـبي حـولي يرتفع عن الارض في حدود المترتقريبـا، الاوراق خـضراء غامقـة ازهارهـا مخـضرة والبـذور صغـيرة غامقـة اللون عقيـل، معجم الاعشـاب، ص٨١.
(٩٢) قيراط: مقياس يستخدم لقياس كتل الاحجار الكريمة والالماس واللؤلؤ ويسـاوي حوالي ٢٠٠ ملغم أي الغرام الواحد يساوي ٥ قيراط، مبارك،الميزان في الاقيسة، ج٧٤، ص٣٠١.
(٩٣) صمغ الاجاص: يلزق الجروح ويغري ويفتت الحصى وله فوائد طبية عديدة واجود انواعة الصافي النقي الحديث وهو حار رطب،ابن البيطار، تفسير دياسقوريدس،ص٢٥٥.
(٩٤) زيرباج: هي المرقة التي تتخذ من الخل والفواكه اليابسة وتطيب بالزعفران ويطرح فيها الكمون ويحلى ببعض الاشياء الحلوة. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوارالجامعة لدرر الائمة الاطهار،ج٥٩، مؤسسة الوفاء،(بيروت-لا.ت)، ص٣٤٢.
(٩٥) الاكشوت: نبات متسلق على شكل خيوط رفيعة جدا ثمرتة دائرية ازهاره منها ذات لون ابيض وردي والخليط السوداوي وله عدة اسماء منها كشـوت، شكثا، افتيمون، صعتيره، نافع لعدد من الامراض،عون، موسوعة الاعشاب، ص١٧.
(٩٦) مرزنجـوش: او البردقوش ومردقوش او مردقوش بري مردكوش مرزنجوش، سمق وهو نبات معمر يتراوح ارتفاعة مابين٣٠-٦٠سـم سـاقة صلبة مضلعة تكسـوها شعيرات دقيقة واوراقة تشبة اللسان وازهارها مجموعات مغزلية لونها

احمـر فاتح ولهـا رائحة عطرية وللنبات اسـتخدامات طبية عديدة،عقيل،معجم النباتات،ص٣١٢.
(٩٧) برسياوشـان: من اسـماء الكزبرة وهي كلمة فارسـية وتاويلة دواء الصدر ويكثـر هذا النبات في الاماكن الرطبة وله فوائد طبية عديدة.عيسى، معجم اسماء النبات، ص٢٥.
(٩٨) يمرخ: من مرخ جسدة: دهنه بالمروخ، مرخة بالدهن يمرخة ورجل مرخ ومريخ كثيرالادهان. ابن منظور، لسان العرب، م١٦، ص١٤٤.
(٩٩) حجـر اليهـود: او الزيتون الاسرائيلي او عشـبة بني اسرائيل،حصى بني اسرائيل ،بذور بني اسرائيل وهي عبارة عن احجار او صخوراو حصى صغيره ناعمة جدا ذات لون اسـود وبـة خطوط ذهبيـة متقاطعة تتكـون في الجبال في فلسطين، ويفيد هذا الحجر في تفتيت حصى المجاري البولية والكلى والمثانة والتخلص من اعراض النقرس،ابن البيطار، الجامع، ص٩٨.
(١٠٠) زنجبيل:احـد نباتـات المناطـق الحـارة تسـتعمل جذاميرة النامية تحت التربة وتحتوي على زيوت طيارة لها رائحة نفاذة وطعم لاذع لونها سنجابي او ابيض مصفرله اسـتخدامات طبيـة عديدة. عيـسى، معجم اسـماء النبات، ص٤٥.
(١٠١) جنطيانـا: او كف الذئب، الجذرالمرن العشـبة المرة، عشـبة المرارة لهـا حوالي١٨٠نـوع ازهارها مابـين الاحمر والازرق والاصفر وسبب تسـميتها يرجع الى الملك جنتيوس الذي حكم مدينة اليريا والذي اكتشـف فوائد النبتة كمضاد للسـموم ومطهـر للجروح وهو نبات معمـر يصل طولة ام تقريبـا ويحمـل اوراق متبادلـة النسـق فوق سـاق واحدة ويستخدم منة الجذر في الاستخدامات الطبية.عون، موسوعة الاعشاب، ص١٠٣.
(١٠٢) حمص اسود: نوع من النباتات يتبع جنس الحمص من فصيلة البقوليات وهو نوع من النباتات القصيرة الطول يوجـد في الغالب في المناطق الاسـتوائية وشـبة الاسـتوائية وتعتبر بذورة مـن المصادر الممتـازة للبروتين ويحتوي على نسـبة عالية من الالياف وله فوائد طبية عديـدة، ابي الفدا، الـ١٠٠٠وصفة، ص١٣٥.
(١٠٣) دهـن العقارب: وهـو الدهن الذي تلقى العقرب فيه وتترك حتى ياخـذ الدهن منها ويجتـذب قواها ويكون هذا الدهـن مذهبا للاورام الغليظه. ابن عبد ربة، احمد بن محمد الاندلـسي (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريـد، تحقيق: مفيد محمد قميحة،ج٢، دار الكتب العلمية،(بيروت-١٩٨٣م) ،ص٤٨٤.
(١٠٤) الجـاروس: نبات حب كحب الارز. مسـعود، الرائد، ص٧٦.
(١٠٥) محاجـم: جمع محجم وهي اداة الحجم، وهو عبارة عن قدح او انبوب زجاجي منتفخ يوضع على جسـم شخص مريـض ويفرغ من الهـواء ليحث تحولا موضعيـا في الدم. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٣٥٤.
(١٠٦) القضيـب: العضو التناسـلي للذكر. ابـو العزم،عبد الغني،الغنين(لا.م-٢٠١١م)، ص١٥٦.
(١٠٧) البنفسـج: نبـات معمر ينتـج ازهار بنفسـجية او بيضـاء اللـون ويوجـد منها٤٠٠-٥٠٠نـوع وتسـتخدم الازهـار في علاجات طبيـة عديدة. السـعدي، محمد، خفايا واسرارالنباتات الطبية والعقاقير في الطب القديم والحديث، دار البازوري،(عمان-٢٠٠٦)، ص٤٥.
(١٠٨) الشـيرج: زيـت السمسـم. مجمـع اللغـة العربية، المعجم الوسيط، ص١٢٦.
(١٠٩) فصد الباسـليق: وهو احد العروق الوسـطى التي تفصد في الذراع في الجانب مما يلي الابط. اما الفصد فيقصد بـه احداث شـق او قطـع في الوريد واسـالة الـدم منه ابن البيطار، الجامع، ص٣٤.
(١١٠) قطونـا: او لسـان الحمـل او حشيشـة البراغيـث، وهو نبات سـنوي ذو ساق عشبي له ازهار بيضاء صغيرة وتسـتعمل البـذور والقـشرة لاحتوائهـا على مـاد هلامية ودهنية. عقيل، معجم الاعشاب، ص٧٧.
(١١١) بقلة: بربينيا،الفرفاحينا، حمقة، رجلة، فرفح، بقله حمقاء، ارغليـم. وهو نبات اوراقة خـضراء ناعمة تحتوي سـائلا هلاميـا حامض الطعـم اغصانة ناعمـة بنية اللون سريعـة الكسرذا بذور سـوداء.عون، موسـوعة الاعشـاب، ص٣٤.
(١١٢) جلاب:عشـبة طبيـة لها اسـتخدامات طبية عديدة منهـا: مسـهل قـوي منشـط للجهـاز الهضمـي طعمها حلـو في البداية ثم يتحـول الى لاذع ورائحتة فضة قاسـية

القوام،عيسى معجم اسماء النبات، ص٤٠.
(١١٣) حلبة: نبات عشبي من الفصيلة البقولية لها ساق جوفاء ازهارة صفراء صغيرة تتحول الى ثمار على شكل قرون معقوفة طول كل قرن١٠سم وفيها بذور تشبة شكلها الكلية ذا لون اصفر مائل الى الخضار وللبذور فوائد طبية عديدة .السعدي، خفايا واسرار، ص٥٦.
(١١٤) بزر خطمي: نبات ينسب الى الفصيلة الخبازية وهو مخاطي ويسمى ختمية وله استطبابات طبية عديدة منها التهاب وحموضة المعدة، السعال خراج الاسنان وغيرها، عقيل ،معجم الاعشاب، ص٢١.
(١١٥) الخبازي: نبات اخضر من الفصيلة الخبازيه فيها انواع بعضها يطهى ورقة وبعضها يستعمل كعلاج .ابن البيطار، الجامع، ص٨٣ .
(١١٦) شبت: نبات عشبي حولي لونة اخضر فاتح وازهاره صفراء زكي الرائحة، يستخدم في العديد من الاطعمه وفي مداواة العديد من الامراض،عون، موسوعة الاعشاب الطبية، ص١١٣ .
(١١٧) بابونج: احدى النباتات العشبية التي تطلق على زهرة الاقحوان ذات اللون الابيض والاصفرله رائحة قوية مميزة يستخدم للتداوي لكثيرمن الامراض.عيسى، معجم اسماء النبات، ص٢٧.
(١١٨) اشق: صمغ طبي يستخرج من نوع من النباتات من جنس البروله من الفصيلة الخيمية ،ويعرف بالكلخاو علك الكلخ. مجمع اللغة العربة، المعجم الوسيط، ص١٧.
(١١٩)علك البطم: صمغ يستخرج من شجرة معمرة ساقطة الاوراق ارتفاعها من ٤-١٠م وله استخدامات طبية عديدة، ابن القيم الجوزية،الطب النبوي، ص١٥٦.
(١٢٠) بزر القثا: نبات ينتمي الى جنس القثد وهو نبات عشبي حولي زاحف ازهاره صفراء وثمارة طويلة تشبة الخيار له عدة اسماء منها: القشعر المفتى الفتي لثمارة وبذورة استعمالات طبية عديدة. عيسى، معجم اسماء النبات، ص٣٠.
(١٢١) قنابر: مفردها قنبرة قبرة، طائرمن فصيلة االقبريات يقتات من الحشرات والبذور البرية وهو صغير القد مستطيل الجناحين دائم التغريد يعيش في معظم البلاد الحارة والمعتدلة. عقيل ،معجم الاعشاب، ص١٦٣.
(١٢٢) اسفيدباج: وهو نوع من الفراريج الرخيصة المسنة .ابن سينا ،القانون،م١، ص٧٣.
(١٢٣) الدخيلون :لفظه سريانية معناها اللعاب يصنع من بزر خطمي وقطونا ومر وحلبة وكتان ينقع كل واحد على حدته ثلاثة اياميؤخذ من لعابها بعد عصرها بالصوف اربع اواق ثم يؤخذ مرداسنج اربع اواق يطبخ برطل ونصف زيتا حتى ينحل فيسقى اللعاب شيئا فشيئاحتى يستوعب فينعقد فينزل ويلقى علية زفت ورماد عدم من كل خمسة صدا حديد مثقال ويضرب ويرفع :ينفع في سائر الاورام الحارة وعدد من الامراض .ابن داود الانطاكي، التذكرة،ج١،ص٩٧.
(١٢٤) راتنج: صمغ وهو افراز عضوي ناتج من اشجارالصنوبر له استخدامات طبية وصناعية عديدة. البعلبكي، المورد، ص٩٨٦.
(١٢٥) صندل: شجرة يتراوح ارتفاعها ٨١-١٠م يتطفل على الاشجار القريبة فيتعلق عليها ولها استعمالات طبية عديدة .السعدي، خفايا واسرار، ص٢٣١.
(١٢٦) ما ميثا: كلمة ذات اصل سرياني وهو نبات من فصيلة الخشخاش. ابن البيطار، تفسيرديا سقوريدس، ص٣٦٧.
(١٢٧) مغاث: نبات عشبي يستعمل منه الجذور وهو قليل الارتفاع لايزيد على المتر مغطى باهداب كالشعر، ويؤخذ اللون الابيض من الجذر بعد تقشيرة ويجفف في مكان نظيف معرض للشمس والهواء مع التقليب له ويستعمل كمشروب منشط لاجهزة الجسم وله استعمالات طبية اخرى ويستعمل كتوابل،عون، موسوعة الاعشاب، ص٣١١.
(١٢٨) الهندباء: الهندب،الطرخشون،السريس، نبات عشبي حولي ينمو في الاراضي الجافة وله استعمالات طبية عديدة.ابن سينا، القانون، م٣، ص١٧٨.
(١٢٩) جرادة: ما يقشر من الشيء. مجمع اللغة العربة،المعجم الوسيط، ص٩١.
(١٣٠) حي العالم: نبات معمر تموت اجزاؤه الخضرية في الشتاء ويعاود النمو في الربيع ازهاره زهرية اللون صغيرة القامة نافع لتصلب الشرايين وللاكزما وعدد من الامراض. عقيل ،معجم الاعشاب، ص٦٣.

(١٣١) ماء الشعير:هو ماء الشعير المغلي وهو نافع لعدد من الامــراض ووصفتة ان يؤخذ من الشـعير الجيد المرضوض بمقدار من الماء الصافي العذب خمســة امثاله ويلقى في قدر نظيـف ويطبــخ بنار معتدلــة وان يبقى خمســاه ويصفى ويســتعمل منه مقـدار الحاجة. ابن القيـم الجوزية ،الطب النبوي، ص٣٢١.

(١٣٢) الخشــخاش: نبــات حولي او نصف حــولي ارتفاعه بين ٥٠-١٥٠ســم لونه بين الاخضر الشامي والرمادي يميل الى الزرقــة غصونه الرئيســية ملســاء اوراقة كبــيرة ازهارة بالــوان مختلفة منها البنفســجي الاحمــر والازرق والابيض والوان اخرى وله اســتخدامات طبية عديدة واعداد انواع من الاطعمه،عقيل، معجم الاعشاب، ص٨٩.

(١٣٣) ســاذق البذور: لــم اجد له ترجمــة في معاجم اللغة اوالاعشاب.

(١٣٤) الكالبخ: وهي من النباتات الربيعية والورود الشتوية، له فوائد طبية عديدة .عيسى، معجم اسماء النبات، ص١٦٤.

(١٣٥)اللينوفر: اســم فارسي معناة النيــلي الاجنحة ومعناة النيلي الاجنحة ويســمى كرنب المــاء وهو نبات ينبتفي الاجام والمياه الراكدة ومنه ما يكون داخل الماء وله ورق كثير من اصل واحد وزهر ابيض شــبيه بالسوســن زعفراني اللون .للنبات فوائد طبية عديدة. السعدي ،خفايا واسرار ،ص١٥٥.

(١٣٦) القــوة الماســكة: وهــي التي تمســك الغــذاء ريثما تتصرف فيه القوة المغيرة. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحســين (ت٦٠٦هــ)، الفراسة دليل معرفة اخلاق النــاس وطبائعهــم وكانهم كتاب مفتــوح، تحقيق: مصطفى عاشور، مكتبة القران (القاهرة-لا.ت)، ص٤٣.

(١٣٧) الكهربا: هو المايــل، او كاربا قاربا، فهربا، مصابيح الروم، وتعني جاذب التين، وهو صمغ الجوز الرومي،عيسى، معجم اسماء النبات، ص٩٧.

(١٣٨) الطــين الرومي:كان يؤتى به مــن ارمينيا وهو طين يابس جدا يقرب لونه الى الصفره. ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص١٦٥.

(١٣٩) الســماق: مــن اســمائة الاخــرى التمتم،العربــوب، العــترب، ســماق الدباغين، شــجرتة تشــبة شــجرة الرمان وثمارة تشــبة حبــات العدس البنــي بداخلها بــذرة واحدة ذات مــذاق حمضي له فوائد طبيــة منها: مضاد للالتهابات، مضاد للصفراء، للاسهال وغيرها من الامراض. عقيل، معجم الاعشاب، ص١٥٧.

(١٤٠) ينفث الدم: نفث الجرح الدم اظهره، اخرجه. مجمع اللغة العربة، المعجم الوسيط، ص٣٨١.

(١٤١) مثقال:هي وحدة قياس وزن تعادل ٤,٢٥غم تقريبا لكن يتم معادلته بوزن ٥غم ويستخدم عادة لقياس الذهب. مبارك الميزان في الاقيسة والاوزان، ج٧٤،، ص٣٩١.

(١٤٢) قاقيا: دب القرط وهي ثمرة الشوكة المصرية المعروفة بالسنط.عقيل، معجم الاعشاب ،ص١٢٠.

(١٤٣) درهمــين: مفردها درهم وهــي وحدة وزن جزء من اثنا عشر من الاوقية. هنتس، المكاييل والاوزان، ص٥٤.

(١٤٤) لســان الحمل: لســان الخروف، برد وســلام، ذنب الفــار، المصاصة،هو من الاعشــاب الشــائعة التي تنبت في المــروج ويحتوي على العديد من الاحمــاض الامينية وينفع في عــلاج العديد من الامــراض منها كاتم للجــروح، ترياق مضاد للسموم، ينفع في علاج الحمى والالتهابات والامراض الجلدية. ابن البيطار، تفسير دياسقوريدس، ص١٢٢.

(١٤٥) عصــا الراعــي:او البطباط،عصــا هــارون، بفاط، زنجبيل الــكلاب، ظرنة، اقتضــاب، ام العقد ،جنجر، وهي من النباتــات المعمرة ثنائية الحــول ينمو ويزحف على كل شيء يصادفــة، يــتراوح طولة مابــين١-٢م ويتميز باوراق سهمية الشــكل خضراء له ازهار وثمارة تشبة شكل سنابل اســطوانية للنبات اســتخدامات طبية عديدة. عقيل، معجم الاعشاب، ص١١٥.

(١٤٦) العليق: شــجرة شائكة متسلــقة يصل ارتفاعها ٤م لها اوراق راحية الشكل ذاتى ٣-٥ فصوص وله استخدامات طبية عديدة ويســتخدم في صنع الطعام والشراب له اسماء عــدة منها الصلندة، دركة، كبش اســود، وحــب الدبس ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص٢٢٥.

(١٤٧) الرجلة: هي تســمية اخرى للبقلــة وقد تم تعريفها بهامش رقم٩٨.

(١٤٨) زرشــك او انبرباريس:هو جنس مــن النباتات يتبع الفصيلة البرباريسية وهو اسم لعدد من الشجيرات الشوكية الواطئة لها اوراق حمراء وثمارة زاهية في الخريف على شكل

ثمار لحمية كعناقيد وتستعمل هذه النبتة للزينة ويستخدم هـذا النبات في عـلاج كثير من الامـراض وله انـواع عديدة. لينيوس، كارلوس،عون، موسوعة الاعشاب، ص٣٣٠.

(١٤٩) النيمبرشت: البيض المنضج نصف انضاج وهي كلمة فارسية تتكون من مقطعين (من نيم بمعنى نصف، وبرشت بمعنى الشي او القلي،او السـلق). العبودي، معجم الحيوان، ص١١٢.

(١٥٠) الكاكنج:اوعنب الثعلب او جوز المرج او كرز الشتاء او ربـرق او الكشـمش الاسـود اوعنـب الذئـب، وهو نبات كثيرالاغصان وورقة لونة الى السـواد، ويسـتخدم النبات في عمل المربيات والصلصات ويستخدم ايضا في علاج الكثيرمن الامراض. السعدي، خفايا واسرار، ص١٠٦.

(١٥١) لبن الاتن: وهو حليب انثى الحمار الاتان، الاتان هي الحمارة الانثى خاصة، يمتاز بنسبة دهون اقل.ابن منظور، لسان العرب م١، ص٢٥٤.

(١٥٢) سـميد: هـو لباب الدقيق نوع مـن الطحين الابيض الخشـن يسـتخدم في صناعة المعكرونة .عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص٨٥.

(١٥٣) مزورة اسـفاناخ: حسـاء يصنع من للمريض ولكن دون لحم، اما الاسفاناخ فهو معرب عن فارسية هو اسباناخ وباليونانية سرماخيوس. الانطاكي، التذكرة،ج١، ص٢٤.

(١٥٤) مـاش: نبـات زراعـي مـن البقـول ازرق اللون لمع براق شـجرتة كشـجرة اللوبياء يسـتخدم في صنع الطعام وهو نافع ومقوي. التيفاشي، ابو العباس احمد بن يوسـف (ت٦٥١هـ)، الشـفاء في الطب عن المصطفى صلى الله علية وسـلم، هذبة:محمد بـن جلال الديـن مكرم ابـن منظور، تحقيق: احسان عباس،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١،(بيروت –١٩٨٠م)، ص١٠.

(١٥٥) السـفوف: كل دواء يابس غيرمعجون .مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ص١٨٥.

(١٥٦) تنق: تخرج او تنبثـق. مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط ص٥٦.

(١٥٧) صمغ عربي:هو عصيرعشـبة السنغال، وهو صمغ طبيعـي لالون له ولا رائحه ،يذوب في الماء الحار يسـتخدم في الكثـير من الصناعـات الغذائية ويسـتخدم لعلاج عدد مـن الامـراض يذوب في المـاء الحار يسـتخدم في الكثيرمن الصناعات الغذائية. ابي الفدا، الـ١٠٠٠ وصفه، ص١٨٩.

(١٥٨) تطال: طال بـه الزمن مر عليه زمن طويل. مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ص٤٣.

(١٥٩) سـماقية: اكلة قديمة يدخل فيها السـماق كعنصر اسـاس وتتكـون مـن البصل والسـلق واللحـم والحمص والدقيق عقيل، معجم الاعشاب، ص١٧٩.

(١٦٠) زركشية: لم اجد له ترجمة في كتب المعاجم اللغوية ومعاجم الاعشاب.

(١٦١)حصرمية: اكلة قديمة عبارة عن عصيدة مكونة من الدقيـق الابيض والاسـمر مع الهيل والزيـت. ابن البيطار، الجامع، ص١٠٤.

(١٦٢) الطباشـير: مـادة جيريـة بيضاء قليلـة الصلابة. مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط، ص ١٥٠.

(١٦٣)الحابسة: ممسك للماء. مسعود، الرائد، ص٤٧.

(١٦٤) الريباس: نبات معمر ينبت في البلاد الباردة والجبال ذات الثلوج يؤكل ويعصر منه شراب الريباس. عقيل، معجم الاعشاب، ص٧٥.

(١٦٥) ربهمـا: لـم اجد له ترجمة في كتـب المعاجم اللغوية ومعاجم الاعشاب

(١٦٦) الكافور: شجرة دائمة الخضرة يصل ارتفاعها الى ٥٠ م خشبها شديد البياض يستعمل في غسل الميت وكدواء لعدد كبير من الامراض. عقيل، معجم الاعشاب، ص٢٠٤.

(١٦٧) بسر: بـسر النخل ثمره قبل ان يرطب. ابن منظور، لسان العرب، م٢، ص١٦٦.

(١٦٨) جمار: وهو قلب النخل واحدتة: جمارة. ابن منظور، لسان العرب، م٥، ص٢٦٥.

(١٦٩) طلع: طلع النخل مادة اخصابة تجمع في غلاف يشبة الكوز ينفتح عن حب منضود .مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص٢٨٧.

(١٧٠) حماض: او الكزبل نوع من الاعشاب الحولية وثنائية الحـول والمعمرة، له انـواع عديدة ،يسـتعمل النبات لعلاج العديد من الامراض. ابن البيطار، الجامع، ص٧٤.

(١٧١) كسـفرة يابسـة: البرشاوشان، شـعر الكلاب، ساق الاسـود، بقلة البئر، جعدة القنا، شـعر الارض، نبات معمر

ينتمـي الى عائلـة السرخسـيات ورقة اخضر لامع متشـقق الاطراف ومستديرة نوعا ما ولها رائحة عطرية اما اغصانها فدقيقة وسوداء اللون وقاسية للنبات فوائد طبية عديدة. ابن البيطار، الجامع، ص١٧٩.

(١٧٢)الحـصرم: هو الثمـر قبل النضج،حـصرم التمر، لم ينضج . ابن منظور، لسان العرب، م٦، ص١٣٥.

● **المصادر**

ابـن الاثـير ،عـز الديـن ابـي الحسـن عـلي بـن محمـد الجزري(ت٦٣٩هـ)

الكامـل في التاريخ،تحقيق:ابو الفدا عبـد الله القاضي ،دار الكتب العلمية ،(لا.م-١٩٨٧م)

ابن ابي اصيبعه ،ابو العباس موفق الدين احمد بن القاسـم بن خليفة بن يونس الخزرجي(ت٦٦٨هـ)

عيـون الانباء في طبقات الاطباء ،دار مكتبة الحياة ،(بيروت-لا.ت)

الانطاكي ،داوود بن عمر(ت١٠٠٨هـ)

تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب ،تحقيق:احمد شمس ، دار الكتب العلمية ،(بيروت- لا.ت)

البغدادي،اسماعيل باشا

ايضـاح المكنـون في الذيـل كشـف الظنـون ، دار احيـاء التراث،(بيروت -٢٠٠٨م)

ابـن البيطـار ، ابو محمد عبـد الله بن احمـد ضياء الدين المالقي الاندلسي(ت١٢٤٨م)

تفسـير كتـاب دياسـقوريدس في الادويـة المفردة،تحقيق:ابراهيـم بـن مراد،بيـت الحكمـة،(لا.م-١٩٩٠م)

الجامـع لمفردات الادوية والاغذيـة ،ط١،دار الكتب العلمية ،(بيروت -لا.ت)

ابن تغري بردي،جمال الدين ابي المحاسن (ت٨٧٤هـ)

النجـوم الزاهـرة في ملـوك مـصر والقاهـرة ،دار الكتـب ،(مصر-١٩٦٣م)

التيفاشي ،ابو العباس احمد بن يوسف (ت٦٥١هـ)

الشفاء في الطب عن المصطفى صلى الله علية وسلم ، هذبة :محمد بن جلال الدين مكرم ابن منظور ،تحقيق:احسـان عباس ،المؤسسـة العربية للدراسـات والنشر، ط١،(بيروت -١٩٨٠م)

ابـن الجوزي ،ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي(ت٥٩٧هـ)

المنتظـم في تاريـخ الملوك والامم،دراسـة وتحقيـق :محمد عبـد القـادر عطا ومصطفـى عبـد القـادر عطا،مراجعة وتصحيح:نعيـم زرزور ،دار الكتـب العلميـة ،(بـيروت-١٩٩٥م)

حاجـي خليفـة، مصطفـى بـن عبـد اللـه القسطنطيني(ت١٠٦٨هـ).

كشـف الظنون عن اسـامي الكتب والفنون،تحقيق :محمد شرف الدين يالتقايا ،دار احياء التراث ،(بيروت-٢٠٠٨م)

ابن خلكان ،احمد بن محمد بن ابي بكر(ت٦٨١هـ)

وفيـات الاعيان وانباء ابنـاء الزمـان ،دار صادر،(بيروت-١٩٧٢م).

الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)

سير اعلام النبلاء ،مؤسسة الرسالة ،(لا.م-٢٠٠١م)

الـرازي ،فخـر الديـن محمـد بـن عمـر بـن الحسـن بن الحسين(ت٦٠٦هـ)

الفراسـة دليـل معرفة اخلاق النـاس وطبائعهـم وكانهم كتـاب مفتوح ،تحقيـق :مصطفى عاشـور ،مكتبة القران (القاهرة-لا.ت)

الرازي ،محمد بن ابي بكر بن عبد القادر(ت٦١٦هـ)

مختار الصحاح ،مكتبة لبنان،(بيروت-٢٠١٠م)

الزبيدي ،محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى

تاج العروس من جواهر القاموس ،(الكويت-٢٠٠٨م)

ابن سينا ،ابو علي الحسين بن علي(ت٤٢٨هـ)

القانون في الطب ،تحقيق:محمد امين الضناوي ،دار الكتب العلمية ،(بيروت-١٩٩٩م)



ابن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ)
الفخري في الاداب السلطانية ، دار صادر،(بيروت-٢٠١٢م)
ابن عبد ربة،احمد بن محمد الاندلسي(ت٣٢٨هـ)
العقد الفريد، تحقيق:مفيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية،(بيروت-١٩٨٣م)
ابي الفدا ،عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد (ت٧٣١هـ)
المختصر في اخبار البشر ،المطبعة المصرية الحسينية ،(لا.م-٢٠١٠م)
القفطي ،جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ)
تاريخ الحكماء ،(ليبسك-١٣٣٠هـ).
ابن القيم الجوزية،شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي(ت٧٥١هـ)
زاد المعاد في هدي خير العباد،تحقيق:شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط،مؤسسة الرسالة ،(بيروت-٢٠٠٩م)
الطب النبوي، مراجعة وتحقيق:عبد الغني عبد الخالق،وضع التعاليق الطبيه :عادل الازهري،خرج الاحاديث،محمود فرج العقدة،دار الفكر،(بيروت-لا.ت)
ابن كثير،عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن مكرم الجزري(ت٦٣٦هـ)
البداية والنهاية ،تحقيق:ابو الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ،(لا.م-١٩٨٧م)
المجلسي ،محمد باقر
بحار الانوارالجامعة لدرر الائمة الاطهار ،مؤسسة الوفاء ،(بيروت-لا.ت)
ابن منظور ،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)
لسان العرب ، دار صادر ،(لا.م-٢٠٠٣هـ)
ابن الوردي،زين الدين بن عمر بن المظفر (ت٧٤٩هـ)
تتمة المختصر في اخبار البشر ،دار الكتب العلمية ،(بيروت-١٩٩٦م)

المراجع

احمد ،سالم عبد الرزاق
فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ،وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ،(العراق-١٩٨٢م)
البعلبكي ،منير
موسوعة المورادالعربية،اعداد :رمزي البعلبكي،دار العلم للملايين،(بيروت-٢٠١٣م) .
الحلو، سميراسماعيل
القاموس الجديد للنباتات الطبية،دار المنارة للنشر والتوزيع،(لا.م-١٩٩٩م)
الدوري،عبد العزيز
دراسات في العصور العباسية المتاخرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ،(لا.م-٢٠١١م)
الدوسري،هيا
فهرس المخطوطات الطبية المصورة، الامانة العامة للاحتفار بمائة عام على تأسيس الملكة،(لا.م-١٩٨٤م)
رؤوف،عبد السلام
الاثار الخطية في المكتبة المكتبة القادرية، دار الرسالة للطباعة،(بغداد-١٩٧٤م)
الزبيدي ،محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى
تاج العروس من جواهر القاموس ،(الكويت-٢٠٠٨م)
الزركلي،خير الدين
الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،ط١٥،دار العلم للملايين،(بيروت -٢٠٠٢م)
زيدان ،جرجي
تاريخ التمدن الاسلامي ،منشورات دار مكتبة الحياة،(بيروت -لا.ت)
السامرائي،كمال
مختصرتاريخ الطب العربي ،دار النضال للطباعة والنشر

والتوزيع(لا.م-لا.ت)
سركيس ،يوسف اليان
معجم المطبوعات العربية والمعربة ،مكتبة الثقافة الدينية ،(القاهرة-لا.ت)
السعدي،محمد
خفايا واسرارالنباتات الطبية والعقاقير في الطب القديم والحديث ،دار البازوري ،(عمان-٢٠٠٦).
العبودي ،محمد بن ناصر
معجم الحيوان عند العامة ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،السلسلة الثانية ،(لا.م-لا.ت)
عقيل،محسن
معجم الاعشاب المصور ،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١،(لا.م-٢٠٠٣م)
عمر،احمد مختار
معجم اللغة العربية المعاصر،عالم الكتب،(القاهرة-٢٠٠٨م)
عواد،ميخائيل
مخطوطات المجمع العلمي العراقي ،مطبعة المجمع العلمي العراقي،(بغداد-١٩٧٣م)
عون،احمد محمد
موسوعة الاعشاب الطبية،سلسلة العلم والحياة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة-لا.ت)
عيسى ،احمد
معجم اسماء النبات،ط١،المطبعة الاميرية ،(القاهرة-١٣٤٩هـ)
ابي الفداء ،محمد عزت محمد عارف
الـ١٠٠٠ وصفة ذهبية في العلاج بالاعشاب الطبية،تصحيح ومراجعة :محمود القيعي،دار الفضيلة ،(لا.م-٢٠١٢م)
فهد،بدري محمد
العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري،مطبعة الارشاد،(بغداد-١٩٦٧م)
كحالة،عمر رضا
معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ،مؤسسة الرسالة ،(لا.م-١٩١٩م)
مبارك ،علي باشا
الميزان في الاقيسة والاوزان ،مكتبة الثقافة الدينية ،(بور سعيد –لا.ت)
متز،ادم
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ،ترجمة :محمد عبد الهادي ابو ريدة دار الكتاب العربي، (بيروت –لا.ت)
مجمع اللغة العربية
المعجم الوسيط ،مكتبة الشروق الدولية،(لا.م-٢٠٠٤م)
مسعود ،جبران
الرائد معجم لغوي عصري،دار العلم للملايين،(بيروت-١٩٩٢م)
المصطوفي ،حسن
التحقيق في كلمات القران الكريم ،مؤسسة الطباعة والنشر ،ط١،(لا.م-١٤١٦هـ)
الناصري ،محمد باقر
معالم الفكر السياسي في الاسلام ،مؤسسة الاعلمي ،ط١،(بيروت- ١٤٠٨هـ)
هنتس،فالتر
المكاييل والاوزان ومايعادلها في الاوزان النظام المتري،ترجمة وتحقيق:كامل العسل،منشورات روائع المجدلاوي،(لا.م-٢٠٠٣م)

Manuscript:

(bladder and kidney)

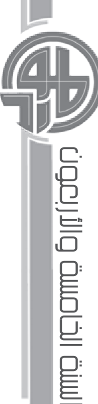
By: Dr.Sundas Zeidan Khalaf Al-Shughairi 

Abstract

The manuscript (bladder and kidney) of the book (takwem al abdian wa tidbeer aliamrad wa mareafit alasbab wa alaarath), attributed to Abu Zakaria Yahya bin Isa bin Jazla al-Baghdadi which is mentioned in the first paper of the manuscript.

The manuscript carries a number of medicines and herbs that specialize in diseases of bladder and kidney, in addition to the types of food and drink suitable for each member, and the causes and symptoms of each disease, and how to avoid this disease or others with a statement of the country in which it is spread and the age to be infected.

The study included three main axes: the mention of the conditions that accompanied the life of Ibn Jazla, the author of the manuscript, a profile of his life and his origins, and then the study of the manuscript through the description and the copy of the manuscript, and finally the manuscript, by clarifying the names of the herbs and the statement of authenticity and comparing it with sources.



بشار عواد

ومنهجه في تحقيق كتاب التكملة لوفيات النقلة لـ زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦هـ)

أ.م. د. زينب كامل كريم*

● مقدمة:

ولد الدكتور بشار عواد[١] في الاعظمية في يوم الاربعاء غرة شعبان سنة ١٤٥٩هـ الموافق للرابع من ايلول سنة ١٩٤٠ م كما وجده مقيدا بخط والده وهو المدون في سيرته الذاتية واخبرني به مشافهة[٢].

وكان عمه الدكتور ناجي معروف من ابرز المؤرخين العراقيين واثرى المكتبة بمؤلفات قيمة جاوزت الاربعين كتاباً وأبحاثٍ قاربت المئة بحث اكثرها في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية دافع بها عن العروبة والاسلام .وتأثر فيه ابن اخيه الدكتور بشار تأثرا بينا بل انه اختار مسار التاريخ في دراسته بسبب تأثره بعمه[٣].

التحق الدكتور بشار بكلية الآداب بجامعة بغداد/ قسم التاريخ وكان ذلك عن حب لهذا التخصص، وتخرج في صيف ١٩٦٤م وكان ترتيبه الاول على القسم في السنوات الاربع التي قضاها فيه[٤].

وفي السنة نفسها قدم طلبا للالتحاق بدراسة الماجستير بجامعة بغداد وكان الدكتور في هذه المدة قد اتصل اتصالا قويا بأستاذه العلامة مصطفى جواد، وبدأ يدرس عليه علم تحقيق المخطوطات، لاسيما في كتب التراجم. وكان ان اتفقا على اختيار كتاب التكملة لوفيات النقلة للحافظ المنذري دراسةً وتحقيقاً ليكون الرسالة التي يتقدم بها لنيل الماجستير[٥] .

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



وهـو موضـع بحثنا هـذا، وكتاب التكملـة كتاب كبير يتكون من سـتين جزءا حديثيا ومخطوطاته مبعثرة في خزائن الخافقين - كما سـيأتينا ذلك في ثنايـا البحث – ومـن الجدير بالذكـر ان الدكتور بشـار لم يعثر على الجـزء الأول من الكتاب يومئذ وفيه المقدمة ووفيات سنة ٥٨١هـ وبعض من سنة ٥٨٣هـ وهي خمسـون ترجمة وقد عثر عليه بعد ذلك بسنوات بفضل صديقه العلامة محمد المنوفي خـازن كتب الملك الحسـن حيث أخـبره بوجودها ضمن تركـة الكتاني التي اهديـت الى الملك وحين ألقى د. بشار الدرس أمام الملك الحسن في رمضان سـنة ١٩٨٦م طلب صورة عن هذه النسخة فأمر الملك بذلك وهي معدة للنشر وستظهر قريبا [٦].

امـا اطروحتـه للدكتواه فقـد كانت عـن الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسـلام باشراف الدكتور جعفر حسـين خصبـاك، وفي ربيع سـنة ١٩٧٦م نوقشـت الاطروحة واجيزت من غير اي تعديلات عليها[٧].

وهي دراسة متميزة حتى قال عنها عبد الفتاح ابو غدة في تقديمه لرسـالة الذهبي فمن اراد التوسـع في معرفـة الامـام الذهبي فليرجـع الى هذا الكتاب النفيس[٨].

● **نهج العمل في التحقيق :**

قدم الدكتور عواد لتحقيق كتاب التكملة بدراسـة وكانت في خمسين صفحة.

وفي مقدمـة تحقيقه للكتاب أخـذ يطرح رؤيته في منهجية التحقيق وسـبل تناول الكتاب المخطوط وأي رؤيـة يراهـا هـي الأصـوب بعـد أن يناقش الاسـباب التـي تسـتدعي اختيار المنهـج المفضل لديـه[٩] يقـول: يسـود عالـم المحققـين رأيـان متضاربان حـول الطريقة التي يجب اتباعها عند نشر الـتراث العربـي، الاول: يـرى الاقتصار على اخراج النص مصححـا مجردا من كل تعليق وقد أخذت به كثرة كاثرة المتخصصين في هذا الفن.

والثانـي يـرى أن مـن الواجـب توضيـح النص بالهوامـش والتعليقـات واثبـات الاختلافـات والتعريـف بالمبهم الوارد فيـه ولم يأخذ به الا قلة من المحققين نسبيا لما فيه من الوعورة والصعوبة ومـا يحتاج اليـه من وقت وجهـد في وقت قل من يتمتـع بالنفـس الطويـل والصبر عـلى مثل هذه الامور.

وأقـام الفريق الاول رأيـه على جملة امور منها : ان الغايـة من التحقيق هو اخراج ما يسـمى (بالنص الصحيـح)فلا حاجة بعد هذا الى اثقاله بالهوامش والتعليقات من ترجمة للاعلام الواردة فيه والاشارة الى المبهم من الاصطلاحات واسماء البلدان والمواضع ومـا الى ذلك، وقد فاتهم ان هذه الاشـياء كلها هي الطريق الى سلامة النص وصحته.

وينحاز معروف الى اصحاب الرأي الثاني لاسباب هو يشير اليها منها :

١- ان الطريقـة الاولى يمكـن اتباعهـا وخاصـة اذا توافـرت اكثر النسـخ الصحيحـة الخالية من التصحيـف والتحريف لكن هـذه الطريقة لاتنفع مع المخطوطات التي تكثر فيها المعلومات والاخبار والمواقـع والمواضـع والتراجـم وغيرهـا وغالبيـة مخطوطاتنا من هذا اللون، نراه يقول «ومع كل هذا وذاك كثرت الاخطاء في الكتب التي اعتمد ناشروها عـلى نسـخ سـليمة لعـدم مراجعتهـم نصوصها

ومقارنـة كل نوع من المادة الواردة فيها بالمؤلفات المعنيـة بها فانظر مثـلا الى الجزء الرابع من كتاب العبر في خبر من غبر لشـمس الديـن الذهبي الذي حققـه الاسـتاذ الدكتور صلاح الديـن المنجد تجد فيـه كثيرا مـن الاخطاء التي تأتي عـن اهمال مثل هذه الامـور فقد قيد لفظ (المعدل) بتشـديد الدال وكسرهـا على صيغة اسـم الفاعـل في كل المواضع التـي ورد فيها من هذا الكتاب مع ان الصحيح هو الفتـح اي على صيغة اسـم المفعـول كما نص على ذلك السمعاني في الانساب وتابعه في ذلك ابن الاثير في اللباب قال السـمعاني: بضم الميـم وفتح العين والدال المشددة المهملتين وفي اخرها اللام، وهذ اسم لمن عدل وزكي وقبلت شـهادته عند القضاة » هذه الامثلة وغيرها لمـا يقع من تصحيف وتحريف عند التحقيق تحتـاج الى المحقق الحذق المطلع صاحب علمية واسـعة القادر على تمييز الخطأ وتصحيحه يقـول: «ولو راجعت تعليقاتنا على التكملة لوجدت عـشرات الامثلة لما وقع مـن تصحيف وتحريف في هـذا الكتاب أشرنا اليها في مواضعها، كما نبهنا الى مـا وقع من اخطاء كثيرة في الكتب المعتمدة كثيرا لا سيما (معجم البلدان)».

٢- ان هذه الطريقـة المثلى في التحقيق لان جمهرة كبـيرة من الكتاب المسـلمين لا ينفطون ما يكتبون وحتى ان وجد فالتنقيط لا يعتمد عليه اذ ان الكاتب يعتمـد على ما للقارئ من معرفة في الموضوع الذي يقرؤه خاصـة في تواريخ الرجال ويصبح مثل هذا الامر على اشـده خطـورة عند تشـابه الحروف في الرسـم كالحاء والخاء والجيم والبـاء والتاء والثاء والياء وغيرها .

٣- هذه الطريقة تيسر الافادة من الكتاب الى اقصى حدودها حتى لا تكون قاصرة على القلة القليلة من العلماء وانما تتجاوزهـم الى عدد اكبر من العلماء والباحثين والدارسـين ممن لايتسنى لهم الرجوع الى ما رجعنا اليه من امهات المخطوطات المشتتة في خزائن الكتب في انحاء العالم، فليس احد بأقدرمن المحقق على سـبر اغوار النص واجلاء غموضه لانه خبر الكتـاب مع طـول معاناته لـه وللكتب التي اعتمدها في اخراجه.

٤- يقول الاستاذ الدكتور شكري فيصل (ان الاصل في اخـراج النص ان ينظر المحقـق فيه وفيما حوله، وان يكتشـف اثاراته وان يبين عن اشاراته وان يدل على المنازع التي صـدر عنها، ومثل هذا الجهد الذي لابد منـه في التحقيق لابد منه بعد ذلك في الدراسـة، فمن الخـير اذا ان يندمج هذان الجهدان معا فيتولى محققو النصوص بالذات عمليات الشروح الاولى هذه لكي تصبح جاهزة للبحث الادبي الصرف او للبحث التاريخي الصرف او لهما معا وذلك كله يتيح للباحث ان ينطلق بعد ذلك عنها دون ان يضطر الى معاودة الجهد الذي بذله المحققون.

● منهج تحقيق كتاب التكملة لوفيات النقلة للمنذري :

كمـا تقدم الحديث ان كتـاب التكملة كتاب ضخم يتكون من سـتين جزءا في تراجم علم الرجال، وفي الكتـاب(٣١٦٤) ثلاثة آلاف ومئة وأربع وسـتون ترجمـة ممـن توفـوا بـين (٥٨٢هـ - ٦٤٢هـ) وأغلبهم من نقلة الحديث النبوي الشريف.

سار الدكتور بشار عواد وكما اختار المنهج العلمي الدقيـق وخطـوة بخطـوة كمـا هو معـروف عن

خطوات التحقيق فبدأ الكتاب :

١- مفاتح الكتاب[١٠] :

قـدم الدكتـور بشـار لتحقيقـه بعـض الرمـوز والمختـصرات التـي اسـتعملها في التحقيق يقول «قد اسـتعملنا في هذا الكتاب كثيرا من المختصرات للدلالـة على ما قد يطول ذكره واجتهدنا ان تكون هذه المختـصرات اخصر من غيرهـا شرط وفائها بالمـراد» ومن هـذه المختصرات (م مجلـد، ا.هـ، انتهى، كذا ورد في الاصل وهو غير صحيح،باريس دار الكتـب الوطنيـة في باريس، الاوقـاف مكتبة الاوقـاف ببغداد،شـهيد عـلي مكتبة الشـهيد علي باسطنبول وغيرها من الرموز.

٢- تقديم تحت عـنوان محقق التكملة وتحقيقها كتـب التقديـم لهـذا التحقيـق العلامـة الدكتور مصطفـى جـواد [١١] وخلـد الدكتـور المحقق في بيتـين كانا خير ما افتتح به العلامة حديثه في هذا التقديم قائلاً:

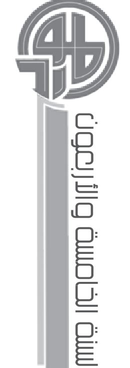
بشـار حقق في التاريخ تكملة
للمنذري فنـعم المـرء بشـــار
كانت مفرقة غفـلا فجمـعــها
وزادها وسم ارشاد لمن حاروا

كانـت التقديـم في شـقين الاول في التأصيل لعلم التأليـف في التراجـم وخصوصا تراجـم الوفيات والشق الثاني في التأصيل لعمل المحقق.

انتقـل الدكتور جـواد في الشـق الاول الى بدايات الكتابـة في السـير والتراجـم وعد الكتابـة في هذا الباب هو اصل الكتابة في التاريخ فالتاريخ عندهم هـو تراجم كما ترى في تسـمية تاريـخ البخاري ويسترسـل الدكتور في ذكر الامثلـة ممن كتبوا في ذلك ثم بدا بالتأصيل لنوع اخر من التراجم يقول «ومـن فنون التاريـخ اعني فن التراجـم الوفيات وهـي تواريخ تذكر الاعيان مـن المحدثين وغيرهم عـلى حسـب سـني وفياتهـم وشـهورها وايامها احيانـا» واول من بـدأ ابوسـليمان الحافظ الذي جمع الوفيات الى سـنة ٣٨٨ وسماه وفيات النقلة وبعدها الذيول التي اضيفت عليه جمعها الدكتور بالذكر واضاف الى ان هذا اللون بدأ بجمع وفيات نقلـة الحديث لكن تكملة المنـذري لم تقتصر على ذلـك وانما شـملت عدة طبقات سـواء مـن ادباء وشـعراء وكتاب ووزراء وملوك وسلاطين وخلفاء ثـم يسترسـل الدكتـور في وصف فضائـل كتاب التكملـة واهميتـه في عصره وما بعـده لما يحتويه من معلومـات واخبار وبذلك اصبـح هذا الكتاب من امهات كتب التاريخ لما احتوته من تراجم كان بعضـا منها نـادرة لا يجدها الباحـث في غير هذا الكتاب.

اما الشـق الثاني فقد اشاد الشيخ الدكتور بألمعية تلميذه وألمعية عمله حتى قال فيه.

وهيأ اللـه تعالى لها شـابا المعيا مولعـا بالتراجم دؤوبـا عـلى التحقيـق والتدنيـق والتدقيق فوي الحافظـة أيـد الذاكرة بـارع البحـث عالما بكتب التاريـخ والمؤرخـين (و)ولقي نصبـا فوق نصب بذلك الحشد والجمع فضلا عن بذل وافر المال مع عدم تحمل الحال وأقبل على تحريرها واصلاح ما طرأ عليها من غلط النساخ والتعليق على تراجمهم بفرائـد الفوائـد من ذكـر المظان والاسـتدراكات والتنبيهـات ومـن حبـك تراجمهـا والاشـارة الى مناجمها حتى ظهرت بهذه الهيأة الادبية العلمية



الرائعة وهذه الصفة البارعة النافعة فكأنها نسيج تراجم محكم السدى واللحمة نسجه عبقري بلغ من فنه أطواراً ولم يترك امرا يؤخذ عليه وحق لمن يتقن عماه الادبي هذا الاتقان.

٣- المقدمة :واشتملت المقدمة على التحقيق في حياة المؤلف الذي هو زكي الدين ابومحمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعيد بن المنذري الشامي ثم ذكر مؤلفاته وجمعها وتصنيفها في الحديث اولا وبلغت ثمانية عشر مؤلفا، والفقه ثانيا وبلغت مؤلفين اثنين والتاريخ ثالثا وبلغت خمسة مؤلفات ثم انتقل الى تلامذته ثم مكانته واخيرا وفاته وكان في كل ذلك متابعا ومنقبا بما لديه من معلومات وبعد التنقير الطويل في المظان المختلفة على حد قوله استطاع الوصول الى هذه الدراسه والجمع لمؤلفاته ولطرف من اخبار حياته الا انه لم يفرد لنا عنوانا لشيوخه الذين اخذ عنهم العلم واكتفى الدكتور عواد بالاشارة لذلك في ثنايا حديثه عن حياة المنذري يقول « واجاز له طائفة كبيرة من مختلف البلدان الاسلامية ويكفي هنا ان نشير الى ان معجم شيوخه الذي خرجه لنفسه بلغ ثمانية عشر جزءا حديثيا ولم يقتصر على الرجال بل سمع من النساء وكتب عنهن وكتبن له الاجازات».

وبعد ان انهى الدكتور بشار عواد التحقيق في حياة المؤلف انتقل الى الكتاب وافرد عنوانا وهو (كتاب التكملة لوفيات النقلة وأهميته) بين في هذا العنوان ماهية الكتاب والذي هو تذييل لكتاب شيخه وهو وفيات النقلة للمقدسي والذي وصل فيه لسنة ٥٨١هـ وكان الذيل لسنة ٦٤٢هـ ثم وصف الكتاب وعدد اجزائه وكان في ٦٠ جزءا الا ان الجزء الاول لم يتوصل اليه في حينها[١٢]، ويسترسل الدكتور في وصف الاجزاء وما وصل الينا منها بأي ترجمة بدأت وبأيها انتهت ومع ذكر الترتيب الذي اتبعه المنذري في ايراد التراجم والتي كانت بحسب الوفيات ايضا باليوم والشهر والسنة ويقول د. بشار ودقق في ذلك تدقيقا كبيرا لانه كان اساس كتابه فحفظ لنا تواريخ وفياة جماعة ضخمة من الرواة لانجد لها مثيلا في غيره من الكتب.

كما ورصد المحقق التراجم التي اضيفت بين عامي (٥٨١هـ – ٦٤٢ هـ) فكانت اكثر من ثلاثة الآف ومئتي ترجمة على حد قوله.

واشار الى ان المنذري ضبط تاريخ الوفاة بنسب المترجم والقابه ومكان وفاته ومحل دفنه ومولده ودراسته وشيوخه وتحديثه او تدريسه او تآليفه وابدى رأيه فيها.

ثم تناول نسخ الكتاب[١٣] التي اعتمدها في التحقيق ودرس كل نسخة بعد ان رمز لكل منها بحرف ووصف كل نسخة الوصف العلمي من حيث الاجزاء والخط وعدد الصفحات وعدد الاسطر في الورقة الواحدة وعدد الكلمات في السطر الواحد كما وأعطى وصفا دقيقا لنوع الخط من حيث الصعوبة او الوضوح يقول عن نسخة أيا صوفيا «اما الخط فدقيق ضبطت كثير من كلماته بالشكل الا انه صعب القراءة جدا وكاتب هذا القسم وصاحبه احد تلامذة المنذري وهو... ابو بكر الموصلي الدمشقي الشافعي» وعن نسخة الاسكندرية يقول «وجاءت بداية التراجم بخط

عريـض اما الخط فهو اعتيـادي فيه بعض ملامح الخط المغربي» ويذكر اذا ماتغير نوع الخط في بعض اجـزاء المخطـوط وكما ذكـر ما اصاب النسـخ من طمس اوتلف او ترميم غير علمي وقد اضر بالنسخة وذكر السـماعات والتملكات والاجـازات المثبتة على النسـخ وقد ذكر الاسـتاذ بشار نسـخة دار الكتب المصرية ورمز لها بالحرف (د) وهي من اكتشـافه اذ لم يعرف مفهرسـو الدار او غيرهم انها جزء من التكملة اذ ورد في فهرس الدار انها رسالة تشتمل على بعض من توفى من المحدثين في سنة ٦١٢ هـ تأليف احد علماء القرن السابع الهجري .

وهـذا جهد علمـي واضح جهد المتمكن مـن ادواته في علم التحقيـق ومن أدلة علميته وتفانيه أنه جمع خمس نسـخ للكتاب وتفانيه في البحث الطويل عن الجـزء الاول الـذي لم يوفـق لايجاده قـال الدكتور مصطفـى جواد في ذلـك «ولولا ان الجـزء الاول من الكتاب لم يقف عليه ولم يتوصل اليه مع استغراقه الطاقة في البحث واستنفاده البحث في الفحص لتمت فوائده .... ولكن ماله ذنب ولاتقصير فيما فعل الدهر بنفائس المخطوطات العربية وبدائع الآثار الأدبية.

● نهج العمل في التحقيق :

يتميز منهج الدكتور بشار عواد بالخطوات الآتية :

١- وضع المحقق لكل ترجمة رقما ليسـهل تسلسل التراجـم والرجوع اليهـا بكل سـهولة ويسر وقام بتخريج كل ترجمة أصلية من مظانها الاصلية الا انه اهمل بعض الكتب التي أكثرت النقل عنه مثل كتب الذهبي وطبقات الشافعية للسبكي لأنها قلما تركت ترجمـة من هذه التراجم من غـير ان تنقل فيها عن المنذري .

٢- ضبـط النـص وتقييـد الفاظه بمـا يفيد فهم معانيـه، ووضـع الفواصـل والفـوارز والنقـاط وعلامات التعجب والاسـتفهام ومما هو مألوف في طرائق الكتابة الحديثة (٢٩)

٣- تخريج الآيات القرآنيـة من المصحف الشريف بذكر اسم السورة والآية.

٤- تخريـج الاحاديث النبوية مـن الكتب المعتمدة في الحديث النبوي ولاسـيما الكتب الستة المشهورة (صحيح البخاري وصحيح مسـلم وسنن الترمذي وسنن ابي داوود وسنن ابن ماجة وسنن النسائي).

٥- تخريج الاشـعار من دواوين الشعر حصرا ان كانت منسوبة لشـاعر بعينه ان كان له ديوان وان لم يكن له ديوان مطبوع تخرج الابيات من امهات كتب الادب العربي.

٦- متابعـة النصـوص المنقولـة مـن مصادرهـا بالرجوع الى تلك المصـادر ومقابلتها مع نصوص التكملة لوفيات النقلة وتدوين الاختلافات اذا كانت كثـيرة وإذا لم توجد اختلافات في النص اشـار الى الجـزء والصفحة من ذلك المصـدر من غير تعليق، فالتحقيـق العلمي السـليم يجعل مـن الضروري العـودة الى النصوص في مظانها الأصلية كلما وجد المحقق الى ذلك سبيلا،ومما يجعل هذا الامر في الغاية من الاهمية ان النسخ التي وقع عليها الدكتور فيها الكثير من مشاكل النسخ والسقط والطمس وما الى ذلك مـن الامور، وتبعا لذلك وضع الدكتور بشـار منهجا متشـددا في طريقة التحقيق، مثلا يقول في الترجمة ص١١١ في الهامـش(١٠) انظر ترجمته في ابـن الاثير : الكامـل ص ١٢-٢٥، ابن الدبيثي : التاريخ الورقة ١٢٤ باريس ٥٩٢١.

٧- تخريج ترجمة المترجم له من مصادر عدة قريبة من على الترتيب الزمني لوفيات مؤلفي تلك المصادر الاقدم فالاقدم، تدوين الاختلافات الظاهرة في الاسم وأسماء آباء المترجم وكنيته ولقبه ونسبه وشهرته، وما سقط من تلك الاسماء والاحالة الى المصادر التي ثبتت تلك الاختلافات، نراه يقول في المقدمة « فجمعت نسخ الكتاب المبعثرة في خزائن الكتب العلمية ودرستها وقمت بمقارنتها وأثبت الاختلافات في الهوامش بعد ما ثبت ما بدا لي صحيحا ولم أشر الى الاخطاء الواضحة جدا والواقعة في بعض النسخ كما لم أثبت الاختلافات الحاصلة من جراء الاختلافات في النقط لان تنقيط الناسخ لا يتخذ اساسا خاصة في مثل هذه الكتب بل رجعت الى الكتب المختصة بهذ الفن وحذفت عناوين الاجزاء وما جاء معها من ذكر اسم المؤلف وما الى ذلك واكتفيت بذكر الجزء فقط»[١٦].

٨- جعل تراجم لمن يرد ذكره من اسماء الرجال في ثنايا الترجمة التي يترجم لها المنذري، مثلا يقول ووالده الكمال ابن الشهرزوري[١٧] يضع هامشا ويترجم للكمال يقول هو قاضي القضاة كمال الدين وبعد ان يترجم ويذكر مصادر الترجمة التي اختصرها في سطرين يثبت مصادر ترجمته بالمؤلف وعنوان الكتاب بالمختصر مثلا يقول الصفدي : الوافي ج٣/ص٣٣١.

٩- التعريف بالكتب التي ذكرها المؤلف والاشارة الى المخطوط منها والمطبوع وان لم يكن ذلك في جميع أجزاء الكتاب مثلا يقول في ترجمة ابو البركات محمد بن الموفق الحبوشاني الصوفي « ووضع في المذهب كتابا » يعلق د. بشار في الهامش فيقول «هو كتاب تحقيق المحيط» ويقع في ١٦ مجلدة كما في طبقات السبكي[١٨].

١٠- التعريف بالمواضع والاماكن بتعريفات موجزة دالة على المقصود من التعريف دون التوسع في ذلك، وربما ترك التعريف لتعريف االمؤلف المنذري ببعض المواضع والاماكن في نهاية الترجمة واكتفى به، يقول عن اول ترجمة في الكتاب (ودفن من الغد بالجبل[١٩] يذكر د. بشار يعني جبل قاسيون بدمشق وكانت فيه مقبرة عظيمة،ياقوت : معجم البلدان١٣/١٤٤ والتخريج هاهنا في موضعه لان كلام المؤلف غير معلوم عن اي جبل يتحدث، اما اذا كانت المعلومة واضحة فهي لاتحتاج لتوضيح وان وضح اختصر بما يفيد بايجاز دون اقتضاب او استرسال وكأنه يزن المعلومة ويضعها في حجمها وقياسها من مثل ذلك تعليقه على موضع كلواذى يعلق في الهامش ما نصه : انظر ياقوت : معجم البلدان ٤/٣٠١-٣٠٢ قال اخره الف تكتب ياء مقصورة .. وهي الآن خراب أثرها باق بينها وبين بغداد فرسخ[٢٠].

١١- تخريج الامثال العربية من مصادرها الاساسية وهي قليلة جدا ومع هذا لم يهملها المحقق لقلتها .

١٢- كثيرا مايضبط المنذري في كتابه (التكملة لوفيات النقل) أنساب المترجمين وألقابهم أو شهرتهم، وذلك بالرجوع الى كتاب الانساب للسمعاني واللباب في الانساب لابن الأثير الجزري وغيرهما من الكتب المعنية بهذا الشأن[٢١].

١٣- للتأكد من صحة ضبط المنذري لعدد من اسماء المترجمين وشهرتهم ولاسيما الأسماء الغريبة او التي تلتبس مع غيرها او تشتبه بمثيلاتها وذلك

بالرجوع الى كتب المشتبه في اسماء الرجال للذهبي وشرحيه لابن ناصر الدين وسماه توضيح المشتبه وتبصير المشتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني، وتكملة اكمال الكمال للصابوني وغيرها[٢٢].

١٤- اهتم د. بشار بالمقارنات زيادة في التثبت والتي من المؤكد أغنت التحقيق وجعلته متينا يقول « وقارنت النص بما اطلعت عليه من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن النديم » الذي ضمن كتابه معظم الحلبيين الواردين في التكملة[٢٣].

كما وقارنت تراجم الأندلسيين بكتاب (التكملة لكتاب الصلة لابن الابار وثبت الاختلافات والواقع أنني لم اترك تاريخا محليا تناول هذا العصر الا وقارنته بنص التكملة ..) وتستمر قائمة مصادر المقارنات عند الدكتور وكل ذلك يبين عن قدرته الفائقة وحبه الجم للعمل في هذا الفن المضني الا انه ينجز كل ذلك برغبة صادقة واضحة في تحقيقاته كلها، كما امتدت مقارناته بكتب القراء والمفسرين مثل طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي والكتب التي اعتنيت بالأدباء مثل ارشاد الأريب الى معرفة الأديب للحموي وكتب النحاة واللغويين مثل كتاب انباه الرواة على انباه النحاة للقفطي واعتمدت ايضا معاجم شيوخ المحدثين ومشايختهم وهي من الكتب الدقيقة في مادتها لان مؤلفيها يكتبون عن شيوخ لهم عارفين بأخبارهم وسيرهم العلمية منها مشيخة النعال البغدادي .

١٥- تميز بتعليقاته ومناقشاته لآراء علماء وهذه الامكانية المنطلقة من خبرته الواسعة وتعمقه الدقيق في علم الرجال[٢٤]، يقول عن أبي الفتح محمود في الهامش : هو جد المؤرخ المحدث جمال الدين ابي حامد محمد بن علي بن محمود المحمود المعروف بابن الصابوني صاحب تكملة الاكمال المشهور نسب ابو القتح بالمحمودي لاتصاله بالسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي توفى سنة ٥٨١هـ انظر ابا شامة الروضتين :ج٢/ص٦٨.

١٦- تميز باضافاته المجزية الملتزمة بالخط الذي اتبعه المؤلف، فمثلا يقول في الهامش الاول من الصفحة (١٣٦) ما بين العضادتين اضافة من عندي، وهو على الرسم الذي وضعه المؤلف والاضافة هي بقية ست وثمانين وخمسة مئة

١٧-صنع الفهارس المتعددة في نهاية الكتاب بحيث اصبح المجلد الرابع هو المجلد الخاص بالفهارس التي اشتملت على فهارس الآيات القرآنية والاحايث الشريفة والاشعار والامثال والمترجمين على سني الوفيات والمترجمين على نسق حروف المعجم العربي وفهرس الكتب وفهرس المواضع والاماكن وفهرس الالفاظ التي قيدها المنذري وفهرس المصادر والمراجع الذي رتبه على المخطوطات اولا ثم المطبوعات .

١٨- قدم المحقق للكتاب بمقدمة جميلة قسمت على قسمين الاول دراسة المؤلف المنذري، والثاني : دراسة الكتاب والحق بدراسة الكتاب وصف النسخ الخطية وطريقة الناسخ في الكتابة ومنهج العمل في تحقيق الكتاب .

*** الهوامش :**

(١) د. احمد دودين، سيرة علمية مختصرة للعلامة الاستاذ الدكتور بشار عواد معروف ص١: وما بعدها، د. بشار عواد، برنامج صفحات من حياتي، نشر على صفحات الانترنت.

(٢) المصدر نفسه : ص٢.

(٣) وليد الأعظمي، تاريخ الاعظمية : ص٢٣١، هاشم الدباغ، الاعظمية والاعظميون :ص ١٩٧ .

(٤) احمد دودين،السيرة العلمية : ص٦ وما بعدها.

(٥) د. بشار عواد، برنامج صفحات من حياتي.

(٦) المصدر نفسه :ص ١٤ .

(٧) د. بشار عواد،مقدمة تاريخ الاسلام للذهبي: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م

(٨) د. احمد دودين : ص ٣١.

(٩) المنذري،التكملة لوفيات النقلة، تح : د. بشار عواد،مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨١م : ص٣٢ وما بعدها

(١٠)المنذري، التكملة : ص٩ .

(١١)المصدر السابق : ص١١.

(١٢)ومن الجدير بالذكر ان الدكتور بشار لم يعثر على الجزء الأول من الكتاب يومئذ وفيه المقدمة ووفيات سنة ٥٨١هـ وبعض من سنة (٥٨٣هـ) وهي خمسون ترجمة وقد عثر عليه بعد ذلك بسنوات بفضل صديقه العلامة محمد المنوني خازن كتب الملك الحسن حيث أخبره بوجودها ضمن تركة الكتاني التي اهديت الى الملك وحين ألقى د. بشار الدرس أمام الملك الحسن في رمضان سنة ١٩٨٦ م طلب صورة عن هذه النسخة فأمر الملك بذلك وهي معدة للنشر وستظهر قريبا.

(١٣)المنذري : التكملة : ص ٢٤ وما بعدها .

(١٤) ينظر في سبيل المثال ج ١/ص٢٣٧-٢٣٩-٢٦٣.. الخ .

(١٥) ينظر المنذري، التكملة :ج١/ص١٣٦.

(١٦)ينظر مقدمة المحقق : ج١/ص٣٥.

(١٧)ينظر التكملة ،ج١/ص١٣٧.

(١٨)ينظر ،ج١/ص١٦٢.

(١٩)ينظر المصدر السابق،ج١/ص٥٥.

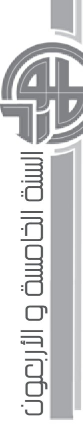
(٢٠) ينظر المصدر السابق : هامش٦ ،ج١/ص٧٥ .

(٢١)ينظر،ج١/ص١٥٩.

(٢٢) ينظر المقدمة ،ج١/ص١٥٩.

(٢٣) ينظر الترجمة ١٨١ من التكملة وانظر بغية الطلب : م١/ص٧٣-٧٦-٧٨-٩٤-٩٥.

(٢٤) ينظر محاورته ومناقشته لمسالة ولادة الفقيه ابو الحسن علي ابن محمد بن علي المقرئ الضرير هامش ٨، ج١ /ص١٣١ والتي ختمها بقوله ((وهذا ايضا ضرب من التخمين فضلا عن ان ابن النجار)) نقل عن ابن الجوزي وابن مشق انه ولد سنة ٤٨٦ هـ فتأمل ذلك جيدا.



Bashar Awad

and his methodology in investigation book (Al- Takmela)

By: Dr. Zainab Kamel Karim 

Abstract

This research is to study the big investigator Bashar Awad and his methodology in investigation and especially in his book (Al takmela lewafiat al nakla) , the first topic includes:The life of investigator, his name, his family and every think of his scientific activities with his membership in committees.

Then the researcher studied his researches and investigation in history science and Hadith science and his books in investigation and methodology , like this book (Tahkik alnosos bain al moaalefen wa eslah al rowat wa alnussak wa al muhakiken) In the other hand . the second topic was includes an analytic study to his methodology in investigation of the book (Altakmela lewafiat al nakla) and befor entering to that subject I present to th most important known methodology in investigation.

I proved that Bashar Awad was one off those of the school that say it must explain the texts with margins , comments , and improve the difference and definition to the unclear that contain in it , he never take till little of investigators as a percent to what it has difficulties and what it need of time and efforts in a time we found little persons whom have a long spirit and patience on this matters then I finished the research with abstract and margins.



النتاجات العلمية والأدبية

في كتاب الفوائد البهية للكنوي (ت ١٣٠٤هـ)

(دراسة تحليلية)

أ.د. فاطمة زبار عنيزان*

● المقدمة:

تهـدف هذه الدراسـة إلى الكشـف عن حياة اللكنوي ومؤلفاتـه وعلميته ومنهجه في هذا الكتاب، وتأتي أهمية الموضوع من كون اللكنوي واحدا من المفكرين الذين نبغوا في مجالات عـدة كالحديـث والفقه والتاريـخ وغيرها من العلـوم،وكان لكتابه هذا أهميـة في التاريخ الإسلامي من كونه خاصا بالسير والتراجم ومن اشهر مؤلفاته فهو جامع للتراجم لطبقة من أعيان عصره.

مؤلـف هذا السـفر هو: عبـد الحي محمد بن عبد الحليم بن أمـين الله بن محمد اكبر بن احمـد أبي الرحم بن محمد بن يعقوب بن عبد العزيز بن محمد بن الشـيخ الشـهير قطب الدين الأنصاري السـهالوي اللكنوي الهندي(١)،وكنيته التي اشـتهر بها هي أبو الحسـنات التي كناه بها والده، كما يقول عن نفسه «كناني به والدي بعد بلوغي»(م.ن،ص١٥). ولد في بلدة «باندا» في السادس والعشرين من ذي القعدة يوم الثلاثاء من السنة الرابعة والستين بعد الألف والمائتين(م.ن،١٥،٣٠).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



● **نشأته:**

نشأ اللكنوي في بيت والده محمد بن عبد الحليم صاحب التصانيف الشهيرة والمكانة العلمية والدينية المعروفة، كما يقول عنه «الذي كان يفتخر بوجوده أفاضل الهند والعرب والعجم، ويستند به أماثل العالم، الفائق على أقرانه وسابقيه في حسن التدريس والتأليف ،البارع السابق على أهل عصره ومن سبقه في قبول التصنيف»(م.ن،ص١٥)، وتلقى تربية دينية قائمة على أساس التعلم والاكتساب لمختلف العلوم والمعارف، ويظهر إن أولاد هذا البيت كانوا يوجهون منذ نعومة أظفارهم لمثل هذا الاتجاه، وذلك عن طريق ملازمة الأبناء لآبائهم ،وهذا تماما ماعرف به اللكنوي، إذ تلقى علومه الأولى على يد والده الذي كان مدرسا في بلدته (باندا) في مدرسة النواب ذي الفقار الدولة[٢]،

● **مؤلفاته:**

حصل اللكنوي على شهرة واسعة لكونه واحدا من المصنفين الذين عرفوا بغزارة النتاج العلمي،اذ صنف عددا كبيرا من المؤلفات التي نالت ثناء واستحسان العلماء من محدثين وفقهاء جعلت منه مؤلفا يشار له بالبنان،وقد وصفت مؤلفاته بأنها ذات طبيعة خاصة حملت بصمات ثقافية فقد عالجت موضوعات متعددة ومتنوعة ،إلا إن السائد منها جاء في علم الفقه والسير والحديث متطابقا وميوله فقد كان محدثا وحفظ من الحديث ماتفوق به أهل عصره وتشير بعض الدراسات إلى أن مؤلفاته تجاوزت المائة مؤلف في علوم عدة منها في علم الصرف والنحو والمنطق والحكمة والمناظرة والتاريخ وعلم الفقه والسير والحديث[٣]. توفي اللكنوي لليلة بقيت من ربيع الأول سنة ١٣٠٤هـ ،ودفن بمقبرة أسلافه [٤].

● **النتاج العلمي والأدبي في كتاب الفوائد البهية:**

أولى اللكنوي ذكر المؤلفات التي ألفها أصحاب التراجم من العلماء وغيرهم عناية كبيرة حتى حصلت لديه نتيجة لذلك ثروة كبيرة من المؤلفات في شتى فروع العلم والمعرفة ،تصلح أن تستل وتوضع في مؤلف منفرد،وعلى الرغم من انه أشار في اغلب الأحيان إلى ابرز المؤلفات عدا المصنفات التي أشار إليها ولم يسميها، نحو قوله في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل الصفار «وله التصانيف»[٥]، واحمد بن إبراهيم السروجي«وصنف التصانيف المقبولة»(م.ن.ص١٣)، واحمد بن سلمان الرومي «وله تصانيف كثيرة معتبرة» (م.ن، ص٢٢،١٠٧،١٢٤،١٥٦)، واحمد بن محمد الطحاوي «وله تصانيف جليلة معتبرة.» (م.ن،ص٣٢،ص٣٤)، وعبد الرحمن بن احمد « وله تصانيف كثيرة »(م.ن.ص٨٦،ص١٢٣)، وعبد الرحيم أبو الفتح «صاحب الفصول الاستروشينة»(م.ن,ص٩٣)، واحمد بن حفص « صاحب الصحيح البخاري»(م.ن،ص١٨)، وعبد العزيز بن نصر بن احمد« وصنف التصانيف » (م . ن ، ص ٩٦) ، و « و صنف تصانيف كثيرة»(م.ن،١٠٧)،و«وله تصانيف حسنة»(م.ن،ص١٥٠)، و«له التصانيف التي سارت بها الركبان»(م.ن،ص١٤٨).

ـ عدد المصنفات :

كان اللكنوي في بعض الأحيان يشر إلى عدد مصنفات المترجم له بالعدد أو الكمية وهذا جزء من منهجه الذي سار عليه من خلال تعامله مع النصوص الواردة إليه من غير أن يوضح اتجاهه هذا ،نحو قوله في ترجمة احمد بن محمد البغدادي« وصنف التجريد في سبعة أسفار»(م.ن،ص٣٠)، واحمد بن



محمد «ينسب إليه كتاب اللؤلؤيات وهو مجلد ضخم»(م.ن،ص٤٠)، و«وقيل انه صنف قريبا من مائة مصنف»(م.ن،ص١٥)، و«لقد وقفت بمصر على تأليف لرجل من عظماء هراه من بلاد خراسان»(م.ن،ص١٣٧)، و«ويقال إن مصنفاته زادت على خمسين»(م.ن،ص١٣٣)، و«صنف تسعمائة وتسعين كتابا»(م.ن،ص١٤٨)، و«رسائل كثيرة في فنون عديدة لعلها تزيد على ثلاثمائة»(م.ن،ص٢٢).

ـ إشارته إلى المصنفات التي لم تكتمل:

وفي أحيان أخرى نراه يثبت مصنفات المترجم له التي لم تكتمل بعد من غير أن يوضح سبب هذا من قبل المترجم له ،نحو قوله في ترجمة احمد بن إبراهيم السروجي«. . . وضع كتابا على الهداية سماه الغاية ولم يكمله وبلغني انه بلغ فيه إلى الإيمان في ستة مجلدات. . .» (م.ن،ص١٣)، واحمد بن سلمان الرومي. «. . وله تفسير القرآن وحواش على الكشاف وحواش على أوائل البيضاوي وشرح الهداية ولم يكمل. . . (م.ن،ص٢٢)،»واحمد بن عثمان الماريني«. . . وصنف في الفقه والأصلين والحديث والعربية والعروض والهيأة وغالبها لم يكمل»(م.ن،ص٢٦)، واحمد بن علي الدمشقي «المختار في الفقه وسماه التحرير وعلق عليه شرحا ولم يكمله»(م.ن،ص٢٩).

وكان يشير في كتابه (الفوائد البهية) إلى شهرة المترجم له العلمية من خلال تصانيفه من حيث انتشار علمه وانفراده في نشر العلم في إحدى الجهات وكان إماما في انتشار تصانيفه في البلاد واشتهار تصانيفه في فنون مختلفة وان تصانيفه كانت بحر لايماثل له احد،نحو قوله في ترجمة احمد بن اسحاق «وكثرت تصانيفه وانتشر علمه بها»(م.ن،ص١٤)، واحمد بن سلمان الرومي« وكان في كثرة التأليف وسعة الاطلاع في الديار الرومية كاالجلال السيوطي في الديار المصرية»(م.ن،ص٢٢)، وجعفر بن محمد النسفي «صنف التصانيف لم يكن بما وراء النهر في عصره من يجري مجراه في التصنيف»(م.ن،ص٥٧)، وغيرها من الأمثلة التي يمكن إيرادها على هذا النحو،منها قوله «كان إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق ملأ الكون بتصانيفه»(م.ن،ص١٢٢)، و«تقدم في الفنون واشتهر بذلك وطار صيته وانتفع الناس بتصانيفه»(م.ن،ص١٣٦)، و «وكل تصانيفه تنادى على انه بحر بلا ساحل وحبر بلا مماثل» (م.ن،ص١٣٧).

● رأي اللكنوي في مصنفات مترجميه:

وأسهب اللكنوي في عرض مؤلفات مترجميه مظهرا آراءه فيها من خلال اطلاعه عليها إذ أشار صراحة إلى هذا الأمر الذي يعزز من دقة روايته في هذا الباب أي مابين الإعجاب في بعض الأحيان مستعملا ألفاظا وعبارات دالة على ذلك كل حسب منهجه فيها منها مفيدة، أو نفيسة، أو مطرية في بابها، أو جليلة، أو صغيرة في حجمها عظيمة في علمها، نحو قوله في ترجمة احمد بن سلمان «وله تصانيف كثيرة معتبرة»(م.ن،ص٢٢)، واحمد بن علي بن تغلب». . . وله مصنفات في الفقه وأصوله وفي الأدب مفيدة»(م.ن،ص٢٧)، واحمد بن محمد الطحاوي«قد طالعت من تصانيفه معاني الآثار وقد سمي شرح معاني الآثار فوجدته مجمعا للفوائد النفيسة والفرائد الشريفة »(م.ن،ص٣٢-٣٣)، وقوله «وله كتاب مفيد»(م.ن،ص٢٨)، و« وقد طالعت من تصانيفه. . كلها نفيسة مشتملة على فوائد مطرية»(م.ن،ص٣٨)، و«وقد طالعت تأليفه المقدمة وهو مصغر حجما

مكبر علما»(م.ن،ص٤٠)، و«وهو تصنيف لطيف»(م.ن،ص١٢٣)، و«وله التصانيف الجليلة»(م.ن،ص١٣٠)، و«. . . قد طالعت من تصانيفه جملة في فنون عديدة وكلها مقبولة متداولة تنادى على شدة ذكائه وإصابة رأسه. . . »(م.ن).

وفي أحيان أخرى كان يوجه نقده لبعض المصنفات التي اطلع عليها مستعملا ألفاظا وعبارات دالة على ذلك منها له مخالفة ،أو النقل من الكتب المتداولة،أو الغلط في بعض الأحيان وغيرها ،نحو قوله في ترجمة احمد بن محمد «قد طالعت من تصانيفه معاني الآثار وقد سمي بشرح معاني الآثار فوجدته مجمعا للفوائد النفيسة والفرائد الشريفة ينطق بفضل مؤلفه وينادى بجهارة مصنفه قد سلك فيه مسلك الإنصاف وتجنب عن طريق الاعتساف إلا في بعض المواضع»(م.ن،ص٣٣)، والياس بن يحيى «قد طالعت من تصانيفه التبين وغاية البيان فوجدته كما قال الكفوي شديد التعصب في مذهبه بسيط اللسان على مخالفه»(م.ن،ص٥٠)، وطاهر بن إسلام الخوارزمي «قدم الروم ثم عاد إلى مصر فألفه فيها ناقلا من الكتب المتداولة»(م.ن،ص٨٤-٨٥)، وعبد الغفور بن لقمان «فلا يكاد يصح أن يضيف أبو المفاخر على الاخسيكني شرحا»(م.ن،ص٩٨)، و«وصنف التصانيف . . . وطالعت مجموعاته في الحديث ورأيت فيها الغلط وتغير الأسماء وإسقاط بعضها شيئا كثيرا»(م.ن،ص١٥٠).

وفي بعض الأحيان يكون موقفه محايدا في عرض مصنفات المترجم له وهذا جزء من منهجه الذي اختطه لنفسه في هذا الاتجاه،نحو قوله في ترجمة احمد بن محمد«. . . قد طالعت من تصانيفه شرح الزيادات وانتفعت به وهو مختصر ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل»(م.ن،ص٣٦)، و«ولم أصنف شيئا للمؤاخذين على المصنفين»(م.ن،١٢١).

● المصنفات العلمية:

كان للمصنفات في العلوم أهمية كبيرة عند اللكنوي إذ كان يشير إلى تلك المصنفات في بعض الأحيان بصورة عامة من غير أن يحدد نوع العلم ،نحو قوله في ترجمة عبد الغفور بن لقمان «طلب العلم وروى الكثير وصنف الكتب في أبواب العلم وكان ثقة مأمونا حجة »(م.ن،ص١٠٤)، و«كان مصنفا في العلوم »(م.ن،ص١٨٣)، و«. . . له تصانيف في العلوم. . . »(م.ن)، و«وله تصانيف جلية واجل مصنفاته مفتاح العلوم المشتمل على اثنتي عشر علما»(م.ن،ص٢٣١)، و«كان بارعا في العلوم وقل مايوجد من الأول فيه مصنف أو مصنفات »(م.ن،ص٢٢).

● دوافع التأليف:

وفي بعض الأحيان كان يشير إلى دوافع تأليف الكتاب بغض النظر عن الحالة العلمية التي كان عليها المترجم له كان تكون بأمر من الخليفة،نحو قوله في ترجمة احمد بن عمر الخصاف الذي ألف كتابه للخليفة المهتدي «وصنف للمهتدي بالله كتاب الخراج »(م.ن،ص٢٩)، أو كان التأليف دافعا لتنفيذ أمر السلطان كما هو الحال في ترجمة علي عمران الطوسي «ولما فتح محمد خان بن مراد خان قسطنطينا. . . أمر المولى الطوسي والمولى خواجة زادة مصلح الدين مصطفى أن يصنف كتابا محاكمة بين تهافت الفلاسفة للغزالي وبين الحكماء فكتبه خواجة زادة في أربعة أشهر وكتبه الطوسي في ستة أشهر وسمى كتابه بالذخيرة فأعطى السلطان لكل منهما عشرة آلاف درهم وزاد خواجة بغلة نفيسة»(م.ن،ص١٤٥)، أو صنف مصنفاته

لأجل والده، نحو قوله في ترجمة محمد بن محمد بن فخر الدين جمال الدين الاقصرائي «كان للإمام فخر الدين الرازي ولد اسمه محمد ولأجله صنف أكثر مصنفاته وذكر اسمه فيها»(م.ن،ص١٩٢).

● **التأليف إثناء الرحلة:**

وأشار أيضا إلى رحلة المترجم له إلى بلاد ما وتأليفه المصنفات في إثناء تلك الرحلة،نحو قوله في ترجمة طاهر بن إسلام الخوارزمي «وله جواهر الفقه كتاب لطيف صنفه في بلاد الروم»[٦]. و«وشرع في تصنيف حبيب السير في شهور سنة سبع وعشرين وتسعمائة وانتقل في شوال سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة من هراه إلى قندهار ثم سافر إلى الهند سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة»(م.ن،ص١٣)، و«انتقل إلى سمرقند وألف في تلك البلاد شرح المصابيح وغيره»(م.ن،ص٤٠)، و«أقام بماردين ودرس وصنف وأفتى إلى أن مات بها في رمضان سنة ٧٢١هـ»(م.ن،ص١٧٥)، و«ثم ارتحل سنة ثمان وأربعين وثمانمائة إلى ممالك الروم وصنف هناك سنة خمسين وثمانمائة شرح مصابيح البغوي»(م.ن،ص٩٣).

● **النتاجات المبكرة:**

وفي بعض الأحيان يظهر اهتماما ملفتا للنظر في التنويه بالنتاجات المبكرة للمترجم له أو فراغه منها أو عدم تصنيف المترجم له للمصنفات رغم شهرته العلمية العالية، نحو قوله في ترجمة طاهر بن إسلام «... وفرغ منه بغرة رمضان سنة إحدى وسبعين وسبعمائة...»(م.ن،ص١٥)، وعبد الرحيم أبو الفتح «... وفرغ من تأليف الفصول العمادية في شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة بسمرقند...»(م.ن،ص٩٣)، و«فرغ من تصنيفه سنة ست وثمانمائة وكان شرحا لطيفا وتصنيفا تعيسا...»(م.ن،ص١١٣)، و«... وفرغ من تصنيف شرح الزنجاني حين بلغ عمره ست عشرة سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وشرح التلخيص المطول في صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بهراه ومن اختصاره سنة ست وخمسين وسبعمائة بغجد ومن شرح الرسالة الشمسية في جمادى الأخرى سنة سبع وخمسين وسبعمائة بمزار حام...»(م.ن،ص١٣٧)، وكان يشير إلى بداية شروع المترجم له في التصنيف ،نحو قوله«وشرع في تصنيف حبيب السير سنة سبع وعشرين وتسعمائة...»(م.ن،ص١٣٣).

● **أمور متفرقة:**

ـ عدم التصنيف:

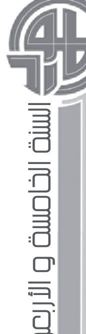
على الرغم من علمية بعض مترجميه العالية إلا انه لم يصنف ولم يشتغل في هذا المجال من غير أن يوضح سبب ذلك ،نحو قوله في ترجمة مصطفى بن أوحد الدين قراعلي محمد«.. انه كان فاضلا في العلوم كلها قد اعترف العلماء بفضله لكنه لم يشتغل بالتصنيف ولذلك كانت مؤلفاته قليلة...»(م.ن،ص٢١٣)،وترجمة سعد الدين بن شمس الدين الديري«... ولم يشتغل بالتصنيف مع كثرة اطلاعه»(م.ن،ص٨٠).

ـ السبق في التصنيف :

كما أشار إلى من كان له السبق في التصنيف في بلد ما ،نحو قوله في ترجمة يحيى بن زكريا بن أبي رائدة الكوفي«... انه اول من صنف الكتب بالكوفة...»(م.ن،ص٢٢٤).

ـ الرزق في التصنيف:

وأشار إلى من كان يرتزق من التصنيف فضلا عن الأسباب والدوافع الأخرى التي دفعته إلى هذا الاتجاه،نحو قوله في ترجمة عمر بن محمد بن احمد بن إسماعيل «... وكان مرزوقا في الجمع والتصنيف ...»(م.ن،ص١٥).



ـ أعطاء صورة مختصرة لمصنفات المترجم له:

وفي بعض الأحيان كان اللكنوي في كتابه «الفوائد البهية»، يعطي صورة مختصرة لمؤلفات المترجم له، نحو قوله في ترجمة إبراهيم بن علي «وصنف الفتاوى»(م.ن،ص١٠)، واحمد بن علي بن ثعلب «. . . وله مصنفات في الفقه وأصوله وفي الأدب مفيدة. . . »(م.ن،ص٢٧)، و«. . . صنف كتبا في النحو بالفارسية ثم في العلوم العقلية والنقلية »(م.ن،ص١٢٥-١٢٦)، و«. . . صنف التصانيف في الفقه والحديث»(م.ن،ص١٥٠).

ـ عدم تأثر المترجم له بالناحية المذهبية:

وكان أيضا يشير إلى عدم تأثر مترجمه بالناحية المذهبية في تصنيف كتبهم وسلوكهم مسلك الإنصاف وعدم التأثر،نحو قوله في ترجمة علي بن محمد الجرجاني «. . . من كبار علماء الشافعية ومع ذلك له آثار جليلة في أصول الحنفية وكان من محاسن الزمان. . . »(م.ن،ص١٣٥)، ومحمد بن عبد الواحد السيواسي «. . . وقد سلك في أكثر تصانيفه لاسيما في فتح القدير مسلك الإنصاف متجنبا عن التعصب المذهبي والاعتساف»(م.ن،ص١٨١).

ـ تصحيح النتاجات:

كما نجد إن اللكنوي كان وبدافع علمه يصحح بعض نتاجات أو مصنفات المترجم التي تسببت بالغلط لغيرهم وهذا جزء من منهجه النقدي على النصوص التي اطلع عليها مظهرا رأيه فيها ،نحو قوله في ترجمة احمد بن عمران « صنف كتابا يقال له الحجيج والمشهور إن الحجيج من تصنيف عيسى ابن إبان لكن لامانع من الجمع»(م.ن،ص١٤).

ـ إعارة المصنفات:

وأورد اللكنوي في كتابه (الفوائد البهية)، إلى من كان من مترجميه يعير مصنفاته لغيره لسبب أو لآخر،نحو قوله في ترجمة احمد بن أبي حفص النسفي«. . . وكان يعير الكتب والأجزاء»(م.ن،ص٢٣).

* الهوامش:

(١)ـ عبد الحي بن محمد بن عبد الحليم (ت١٣٠٤هـ)، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ،حققه عبد الفتاح أبو غدة، ط٢(حلب، المطبوعات الإسلامية ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص١٥،٣٠والفوائد البهية في تراجم الحنفية ،عني بتصحيحه وتعليق الزوائد عليه السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني (بيروت،دار المعرفة للطباعة والنشر ، د.ت)،ص ٢٤٨ حاشية رقم ٢.

(٢) – اللكنوي:الفوائد البهية ،ص ٢٤٨ حاشية رقم ٢؛ السيوطي:عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت ٩١١هـ)، لب اللباب في تحرير الأنساب، (مكتبة المثنى،د.ت)، ص٢٥٢.

(٣)ـ البغدادي اسماعيل باشا محمد البابانـي (ت١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى،١٣٧٨ هـ)، ج٣/ص١١٤؛ وهدية العارفين– أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول، وكالة المعارف، ١٩٥٥م)، ج٦/ ص٣٨٥؛ الصالح: صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، (دمشق، جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، ص٩٤؛ سركيس: يوسف آليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة، سركيس، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م)، ص ١٥٩٥-١٥٩٧؛ الأنيس: عبد السميع محمد، الحافظ السخاوي ومنهجه في كتابه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، (جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص٢٧٢-٢٧٣. يوسف آليان، معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة، سركيس، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م)، ص ١٥٩٥-١٥٩٧؛

الأنيس: عبد السميع محمد، الحافظ السخاوي ومنهجه في كتابه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، (جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص٢٧٢-٢٧٣.

٤- اللكنوي: الرفع والتكميل، ص٣٤.

٥- اللكنوي: الفوائد البهية، ص٩.

٦- م.ن،٨٤- ٨٥ ،وانظر أيضا الشهرزوري (ت٦٤٣هـ) أبو عمر عثمان،علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر (بيروت، المكتبة العلمية، د.ت)، ص٢٢٢؛ الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر ، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص١٦ وما بعدها؛ السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق محمد حامد الفقي، تقديم الدكتور طه حسين ، (القاهرة، السنة المحمدية، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)،٣/٨٨.

*** ثبت المصادر والمراجع:**

• الأنيس ،عبد السميع:
الحافظ السخاوي ومنهجه في كتابه فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية،١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

•البغدادي، اسماعيل باشا محمد البابااني (ت١٣٣٩هـ): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٣٧٨ هـ).
هدية العارفين- أسماء المؤلفين وآثارالمصنفين، (اسطنبول،وكالة المعارف،١٩٥٥م).

•الخطيب البغدادي:أبو بكر احمد بن علي(٤٦٣هـ)
الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

•سركيس:يوسف آليان
معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة، سركيس،١٣٤٦هـ/١٩٢٨م).

•السخاوي:شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق محمد حامد الفقي، تقديم الدكتور طه حسين، (القاهرة، السنة المحمدية، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).

•السيوطي:عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت٩١١هـ)، لب اللباب في تحرير الأنساب، (بغداد ، مكتبة المثنى، د.ت).

•الصالح:صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، (دمشق، جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).

•ابن الصلاح:ابوعمر عثمان الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ت).

•اللكنوي،عبد الحي بن محمد بن عبد الحليم (ت١٣٠٤هـ) :
•الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، حققه عبد الفتاح أبو غدة، ط٢(حلب، المطبوعات الإسلامية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
•الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق الزوائد عليه أبو فراس النعساني، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر،د.ت).

Scientific and literary productions in the book Benefits Gorgeous for Conway

By: Dr. Fatima Zubar Aneesan 

Abstrsct

This study tagged aimed ((scientific and literary productions in the book benefits Gorgeous for conway"Die. 1304 AH" / analytical study)), to reveal the life and writings and scientific Allknua and approach in this book, and the importance of the subject from the fact that Allknua one of the thinkers who Nbgua in Mhalat several Kalhadit and jurisprudence, history and other sciences, and had a book of this importance in Islamic history of being a special walk and translations and buy his books is inclusive of translations of a layer of notables of his time, here it is, the study of this trend has had a post in the historical and intellectual construction of curriculum writers, especially that he works his translations are careful and detailed somewhat, and this represents an important historical fact have an impact to participate in the study of intellectual life in this era in which it emerged many scientists and authors in various branches of science and knowledge.



تحليل منهج وموارد طبقات المفسرين

للسيوطي (ت٩١١هـ)

أ. م. د. الاء نافع جاسم*

- **تقديم:**

صاحب الكتاب هو: أبو الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ هُمام الدين الهمام الخُضيري الاسيوطي[١]. وحول لقب «الخُضيري» يقول السيوطي في كتابه طبقات المفسرين «...وأما نسبتنا الخُضيري فلا أعلم مايكون إليه هذه النسبة الا ان الخُضيرية محلة ببغداد وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي رحمهُ الله يذكر أن جدهُ الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة»[٢]

- **منهجه:**

لقد حظيت كتب الطبقات خلال العصور السابقة باهتمام كبير نظراً لأهمية هذا النوع من الدراسة التي تلقى الأضواء على ترجمة مشاهير العلماء، والباحثين، والأدباء، والمفسرين ووضعهم في إطار يتضمن البارعين الذين يسر الله لهم.

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

وإنّ ظهـور التأليـف عـلى الطبقات قديـم يعود تاريخـه إلى ظهور تاريـخ التدويـن والتصنيف، وهناك العديد من ألف كتب الطبقات منهم: محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ) في كتابِهِ (الطبقات الكبرى)، وأبو زكريا يحيى بن معين (ت٢٣٣هـ)، وخليفة بن خياط شباب العصفري (ت٢٤٠هـ) في كتابهِ (الطبقـات)، والشـيرازي (ت٤٧٦هـ) في كتابهِ (طبقات الفقهاء)، وأبي يعلى الفراء (ت٥٢٦هـ) في كتابـِ للحنابلة (طبقات أبـي يعلى)، والقاضي عيـاض (ت٥٤٤هـ) في كتابـِهِ (ترتيـب المدارك وتقريب المسـالك إلى معرفة أصحاب مالك) الذي تناول فيه تراجم للمالكية، والسبكي (ت٧٧١هـ) في كتابهِ (طبقات الشافعية الكبرى)، وعبد القادر بـن أبـي الوفـاء القـرشي (ت٧٧٥هـ) في كتابهِ (طبقات الحنفية)، وابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ) في كتابهِ (طبقات ابن قاضي شهبة).

والفائـدة مـن كتـب الطبقـات لتسـهيل التمييز بـين الصحابة والتابعـين وأتبـاع التابعين، وذلك لمعرفـة الحديث المرسـل أو المنقطـع وتمييزهُ عن الحديـث المُسـند وفي التمييز بين الأسـماء المتفقة والمتشابهة[٣].

ـ أتبع السـيوطي منهجاً كغـيرهِ من المؤرخين في ترتيب تراجمه مرتبـاً على الأحرف الأبجدية ذاكراً فيهِ الأسم والكنية واللقب والشهرة كقولهِ بترجمة «ابراهيـم بن أحمد بن محمـد بن أحمد أبو طاهر السّـلماس الواعـظ»[٤]، وقولـِهِ بترجمـة «علي بن عبدالله بـن موهب الجُذامي أبو الحسـن»(م. ن، ص٢٤) أي إنه يذكر أسم الجد الخامس والسادس آحياناً كقولهِ بترجمة «الحسن بن عبدالله بن سهل بن سـعيد بن يحيى بن مهران اللغوي الأديب أبو هلال العسـكري»(م. ن، ص١٠)، وقولهِ بترجمة «عبدالكريم بن هـوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد الإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري»(م. ن، ص٢١) واحيانـاً اخرى يصل إلى الجد الرابع عشر حسـب أهميـة الشـخصيات التـي تناول ترجمتهـا كقولـِهِ بترجمة «عمر بـن ابراهيم بن محمـد بن أحمد بن علي بن الحسـين بن علي بن حمـزة بـن يحيى بن الحسـين بن زيـد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طالـب أبو البركات الحسين الكوفي الحنفي الزيدي»(م. ن، ص٢٦).

ـ إن تناول السيوطي الأعلام المشهورين بالتفسير يكـون بدقـة وبشـكل مختـصر من خـلال ذكر سماعاتهم، وشيوخهم، وتلاميذهم، ومصنفاتهم، ومهنهـم، ورحلاتهم، وولادتهم، ووفاتهم كقولهِ بترجمة «أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسـحاق النيسابوري الثُعلبي»(م. ن ، ص٥٥) يقول «روى عن أبي طاهـر محمد بن الفضل بن خُزيمة وأبي محمـد المخلـدي»، وقولهِ بترجمـة «أحمد بن علي بن أحمـد بن يحيى بـن أفلح بن زرقـون...»(م. ن،ص٤٣) يقـول «... سـمع مـن أبـي عبداللـه بـن الفـرج الطلاعي، وأبـي علي الغسـاني وأخذ القراءات عن أبي الحسـن بن الجرار الضرير...»، وقولـهِ أيضـاً بترجمـة «أحمـد بن اسـماعيل بن يوسـف أبو الخير الطالقاني»(م. ن، ص٣) يقول «ودرس ببلـدة ويينـذاو، وحدث بالكتـب الكبار وولى تدريـس النظاميـة». وفي بعـض الأحيـان يذكر السـيوطي مكان سـماع صاحـب الترجمة لشـيوخهِ أثناء رحلاتهِ كقولـِهِ بترجمة «أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى بن يحيى بن عمر المعافري»(م. ن، ص٥) يقول «... أخذ القراءة عن أبـن غليون، وأخـذ بمصر عن أبي بكـر الأدفوي، وأبي القاسـم الجوهري، وبافريقيّـة عن أبن أبي زيـد» ، وقولـِهِ بترجمة «بقى بـن مُخلد بن يزيد»(م. ن، ص٩) يقـول «أخـذ عن بـن يحيى الليثي ورحـل إلى المـشرق ولقى الكبار يسـمع بالحجاز أبـا مُصعب الزهري وابراهيم بـن المُنذر الحزامي

وبمــصر يحيى بــن بكير وأبا الطاهــر أبن السرح وبدمشــق هشــام بن عمار وببغداد أبن أحمد بن حنبـل، وبالكوفة يحيى بــن عبدالحميد الحِمّاني، وأبــا بكر بن أبي طيبــة..»، وأحياناً لايذكر تلاميذ صاحــب الترجمة بل يقتصر على ذكــرهِ «متزاحم عليــه الطلبة وتخرجــوا بهِ وأنتــشرت تلامذتهُ في الآفاق..» (م. ن، ص١٨).

ـ أما بالنســبة لمصنفات صاحب الترجمة فأحياناً يذكر مصنفاتهِ كقولــهِ بترجمة « أحمد بن فارس بــن زكرياء اللغوي صاحب المُجمل»(م. ن، ص٤) يقــول «... ولهُ مــن التصانيف جامــع التأويل في تفسير القرآن أربع مجلدات كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وســلم، كتاب المُجمل في اللغــة، كتاب فقه اللغات، كتــاب غريب أعراب القرآن، كتــاب دارات العرب، كتاب الليل والنهار....»، وقولهِ بترجمة «أحمد بن عمّار أبو العباس المنهــدوي»(م. ن، ص٥) يقول «ألف كُتباً مفيدة» وقولــهِ أيضاً بترجمة «عمر بن أحمد بن أســماعيل بن محمد بن لقمان النسّــفي ثــم الســمرقندي»(م.ن، ص٢٧) يقــول «وبلغت تصانيفه المائة..».

ـ وتطرق السيوطي أيضاً إلى الأجازة التي يمنحها صاحب الترجمة لغيرهِ كقولهِ بترجمة «عبدالجليل بــن موسى بن عبدالجليل ..»(م. ن، ص٢١) يقول «وأجاز لأبــي محمد بن حوط اللــه ..» وقولهِ «... كان مجازفاً مُتســاهلاً كتــب إليَّ بالأجازة»(م. ن، ص٣٦)، وكمــا هو في ترجمــة «عبدالله بن محمد بــن علي بــن محمد بــن أحمــد..»(م. ن، ص١٥) يقــول «روى عنهُ أبــو الوقت عبــد الأول وخلائق أحدهم بالأجازة أبو الفتح..».

ـ وأشــار السـيوطي في كتابــهِ إلى مجالس الأملاء والقراءات لبعض تراجمهِ كقولهِ بترجمة « اسماعيل بن محمد بــن الفضل بن علي بــن أحمد بن طاهر الحافــظ »(م. ن، ص٣١) يقــول «.. وكان يحضر مجلس إملائهِ الأئمة والحفاظ والمُسدون وبلغ عدد اماليهِ نحوا من ثلاثة الآف وخمســمائة مجلس ..» وقولــهِ بترجمة «محمد بن الحســن بــن موسى أبو عبدالرحمن السّلمي الدمشقي»(م.ن،ص٢٩) يقول «وحدّث أكثر من أربعين ســنة إملاء وقراءة» وقولهِ أيضاً بترجمة «علي بن محمد بن عبدالصمد العلامة علــم الدين أبو الحســن الهمداني الســخاوي»(م. ن،ص٢٥) يقــول «...وقرأ القراءات على الإمام أبو القاســم الشاطبي وأبي الحســين الكندي وجماعة وتصدر للإقراء بجامع دمشق وإزدحم عليه الطلبة وقصدوهُ من البلاد وكان يفتي على مذهب الشافعي أخــذ عنهُ القــراء جماعة لاتُحصى ولاأعلــم أحداً في الدنيا من القراء أكثر اصحاباً منهُ».

ـ أما بالنســبة إلى الجرح والتعديل قلما يستعملهُ الســيوطي لتراجمــهِ لربمــا يرجــع إلى إختيــارهِ الجيــد للمفسريــن الذين تناول ســيرهم كما جاء قولــهِ بترجمة « علي بن المســلم بــن محمد بن علي بن الفتح أبو الحســن السّــلمي الدمشــقي الفقيه الشــافعي الفــرضي»(م. ن، ص٢٦) يقول «وكان ثقة ثبتاً موفقاً في الفتاوي ...».

ـ وحــول الــولادة والوفــاة لصاحــب الترجمــة فبعضها يحددهُ الســيوطي كغــيرهِ من المؤرخين بالســنة فقط والبعض الآخر بالشــهر والسنة أو إســتعمالهِ لبعض الألفاظ عند عدم تأكدهِ للسنة التــي ورد ذكرها كقولهِ « ولد ســنة أثنتي عشرة وخمســمائة »(م. ن، ص٣) وقولــهِ «ولــد في ولد في حــدود الســبعين وأربعمائــة»(م. ن، ص٤) وقولــهِ أيضــاً «ولد تقريباً ســنة ثمــان أو عشرة وخمسمائة»(م. ن، ص٨).

وكمــا هو الحــال لوفــاة صاحب الترجمــة يقول «ومــات بنحــوي في جمــادي الآخرة ســنة ســت وتســعين وأربعمائــة» (م. ن، ص٣)، وفي الآحيان

يحدد الوقت والشهر والسنة والعمر كقولهِ «مات ساجداً في صلاة الفجر في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة»(م. ن، ص٢٦) وقولهِ «ومات عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة وأجتمع في جنازتهِ خلق لايحصُون وصلى على قبرهِ عدة شهود ورثاهُ خلق..» (م. ن، ص٣٠)، وجاء قولهِ أيضاً «مات في محرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وهو في عشر التسعين»(م. ن، ص١٨).

ـ ولسعة إطلاع السيوطي وتبحرهِ بالشعر إنهُ سار على نهج غيرهِ من المؤرخين الذين سبقوهُ للأستشهاد بالشعر والذي أعتبر صفة ملازمة لأكثر المؤلفات التاريخية التي غالباً مايُقرن الحدث بالأستشهاد بالشعر ، ومنها يكون الشعر لصاحب الترجمة أو يكون مُستقى من أحد المصادر التي أعتمد عليها السيوطي مع ذكر بحورهِ الشعرية كقولهِ بترجمة «أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي»(م. ن، ص١٠) يقول:

يَارب، إنَّ ذنُوبي قد أُحطت بها
عِلمنا وَبي وبَاعلاني وإسراري
أنَــا آلمـوُحد لكنّــي المُــقِر بها
فَهب ذُنُوبي بتوحيدي وإقراري

وقولهِ بترجمة «اسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن اسماعيل أبو عثمان الصابوني النيسابوري «يقول» ورثاهُ الإمام أبو الحسن الدّاوودي»(م. ن، ص٧) بقولهِ(الكامل)

أودى الإمامُ الحبرُ إسماعيل
لهفي عليهِ ليس منهُ بَديلُ
أعدِ يآئى التي سَقطت مِن إسمي
فيلي في الحساب يُعَدُ عشرا

وفضلاً عن ذلك أستشهد السيوطي بأبيات شعرية لصاحب الترجمة من المصادر التي أستقى منها كقولهِ بترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب أبو القاسم النيسابوري»(م. ن، ص٢٨) يقول «شعر أوردهُ ياقوت» (الوافر)

رِضى بالدهر كيف جَرى وصَبره
ففي أيامهِ جَمع وعيدُ
ولم تخشى عليك قُضيت عُودّ
من الأيام إلاّ لأن عَردُ

وقولهِ أيضاً بترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري..»(م. ن، ص٢٠) يقول «ورثاهُ خلق في ذلك قول أبي سعيد بن الأعرابي» يقول (الخفيف)

حدَثُ مُفظعُ وخَطبُ جليلُ
دُق عن مثلهِ أصطبارُ الصبُورِ
قامَ نّاعر العُلومِ أجمَعَ لمَا
قامَ نَاعر محمدٍ بن جريرِ

ـ وأختلفت التراجم في كتاب السيوطي من حيث الحجم فهناك تراجم من بضعة أسطر ولايخوض التفاصيل عنهم، بل يشير إلى إسمهِ ووفاتهِ كقولهِ بترجمة «محمد بن عبدالله بن عمر وأبو جعفر الهروى الفقيه صاحب التفسير... مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة»(م. ن، ص٣٧)، وهناك تراجم يذكر فيها تفاصيل أكثر كقولهِ بترجمة «محمد بن علي بن اسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي المعروف بالقفال الكبير..»(م. ن، ص٣٦).

ـ وحول الأحالة لم نستدل إلى وجود الإحالة وإنما يكتفي السيوطي بنقل المعلومات فقط .

ـ وبالنسبة إلى أرائهِ ونقدهِ للروايات لم نستدل إلى وجود نقد، وإنما يكتفي بنقل المعلومات فقط .

ـ وأشار السيوطي أيضاً عند إستقائهِ للمعلومات لغيرهِ من المصادر كان إسلوبهُ كغيرهِ من المؤرخين فاحياناً يذكر أسم المؤلف والكتاب كقولهِ «قال الدارقطني في كتاب التصحيف»(م. ن، ص٣٠) وهذا يسهل على الباحث عند تخريجهِ للنص،

وأحياناً آخرى يذكر أسـم المؤلـف فقط كقولهِ «قـال ياقـوت»(م. ن، ص٤)، و «قـال ابـن حـزم»(م. ن، ص٩)، وهذا يصعب على الباحث في إخراجهِ النص.

وفضلاً عن تراجـم المفسرين الذين ذكرهم، إلاّ إنّ السـيوطي ذكر في نهايـة كتابهِ ترجمة لسـيرتهِ، ولمؤلفاتهِ مُعللاً لذلك بقولهِ «وإنما ذكرتُ ترجمتي في هذا الكتـاب آقتداءاً بالمُحدثين فقلّ أن ألف أحد منهم تاريخـاً إلاّ وذكر ترجمتهِ فيهِ وممن وقع لهُ ذلك الإمام عبدالغافر الفارسي في تاريخ نيسابور، وياقوت الحموي في معجم الأدباء، ولسان الدين بن الخطيب في تاريخ غرناطـة، والحافظ تقي الدين الفـاسي، في تاريخ مكة، والحافـظ أبو الفضل بن حجر في قُضاة مصر، وأبو شـامة في الروضتين..» (م. ن، ص٤).

● مـواردهُ:

تختلـف نوعيـة المـوارد التـي يعتمـد عليهـا المؤرخـون في كتابة تواريخهم، فكل مؤرخ يحدد مواردهُ ومصـادرهُ التي منها يسـتقي معلوماتهِ ورواياتهِ سـواء أكانت هـذه المعلومات مدونة أو غير مدونة كنقل الروايات شفاهةً من الأشخاص أو قد يكون المؤرخ شـاهد عيـان لعصرهِ فعندئذٍ تكـون رواياتـهِ لهذه الأحداث على قـدر كبير من الوثوقيـة والصـدق[٥]، وهنـاك عدد ليـس بقليل مـن المؤرخين ممن لم يعـاصر أو يواكب مايكتب بل نقلـت إليهِ الأحداث أما عن طريق شـيوخهِ أو إعتمـادهِ على المصادر المتوفـرة في عصرهِ، وجلال الدين السيوطي واحد من هؤلاء المؤرخين.

وممـا زاد في أهميـة (طبقات المفسريـن) وقيمته العلميـة هو إنّ جلال الدين السـيوطي إعتمد على مصـادر موثوقـة وذات قيمة وإنّ ما اسـتقاهُ من مـادة تتعلق بكتب الفضائـل أو الأدب أو التاريخ والسـير والتراجـم وغيرهـا مـن أفضـل المصادر وأوفاهـا، وإنّ كثـرة الكتـب إن دلّ عـلى شيء فأنما يدل على سـعة إطلاعهِ عـلى مصادر الثقافة العربية الاسـلامية، وتميزهُ بالدقة العلمية في نقلهِ للنصوص والروايات والأخبار. وذلك لكتابة كتابهِ (طبقات المفسرين)، ذكر فيهِ المفسرين والصحابة والتابعـين وتابعـي التابعـين، ولكنهُ لـم يتناول جميع المفسرين والتابعين.

ويكـون إسـناد الأخبار عند السـيوطي في ذكرهِ للخـبر والروايـة إنهُ أعتمد على كثـير من المصادر التي أسـتقى منهـا معلوماتـهِ إلاّ إنـهُ كغيرهِ من المؤرخين لم يلتزم بمنهجية واحدة كالآتي:

ـ الأسـناد إلى المصـدر مصرحـاً بأسـم المؤلف من دون تسـمية كتابه كقولـهِ بترجمة «علي بن المسـلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسـن السّـلمي الدمشـقي الفقيـه الشـافعي الفرضي جمال الإسـلام» يقول «قال ابن عساكر» وقولهِ «وحكـى إن الغزالي قـال..» وقولـهِ أيضاً «قال الذهبي»[٦].

أي إنّ السـيوطي يعتمـد بأسـتقاء معلوماتـهِ أحيانـاً للترجمـة الواحـدة على أكثر من إسـناد وذلـك لتكون أكثر توثيق. ولربما لمكانة صاحب الترجمـة يجعلهُ الأعتماد على أكثر مـن إسـناد.

وقوله بترجمة «اسـماعيل بن محمد بن الفضل بـن علي بـن أحمد بـن طاهر» يقـول «قال ابن السـمعاني» وقولـهِ «قـال السـلفي...» وقولهِ أيضـاً «قال أبو مـوسى في معجمـهِ ...» (م. ن، ص٨).

وهكـذا كانت إشـارات السـيوطي إلى المصادر قد إنحصرت في ذكر أسم المؤلف، وهي الأكثر إستعمالاً، ولكـن دون ذكر عنـوان كتابهِ وقـد أحصيت عدد الإشـارات الواردة عن مصـادر المعلومات في كتابهِ بدون ذكر اسم الكتاب أي ذكر اسم المؤلف.

وأحيانـاً آخرى يكون الأسـناد إلى المصدر مصرحاً

بإسم المؤلف مع تسمية اسم كتابهِ كقولهِ بترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب أبو القاسم النيسابوري الواعظ المفسر» يقول «وقال البيهقي في شعب الأثمان ...»(م. ن، ص١٢)، وقولهِ بترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كُثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر» يقول «..كما ذكرهُ العلماء قاطبةً منهم النووي في تهذيبهِ «(م. ن، ص٣٠)، وقولهِ أيضاً بترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي ثم البغدادي...» يقول «وقال الدارقطني في كتاب التصحيف»(م. ن، ص٢٢)، وقولهِ بترجمة «علي بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم التجيبي» يقول «... مات سنة سبع وثلاثين وستمائة هذا كلام الذهبي في تاريخهِ وذكرهُ في الميزان...» (م. ن، ص٢٦).

لذا فالإشارات التي ذكر فيها السيوطي اسم الكتاب والمؤلف قد بلغت (٦نصوص).

وأما بالنسبة إلى طريقة الإقتباس من المصادر المعتمدة في الكتاب فأن الإشارة إليها كانت قليلة ومتباينة هذا من جهة ومن جهة أخرى لما كان جلال الدين السيوطي يعتمد في إقتباسهِ للنصوص على الإشارة للمؤلف غالباً فسوف أتناول طريقة الإقتباس وحجمهِ عن طريق أسماء المؤلفين مراعية في ترتيبهم تسلسل سنوات الوفيات لكل واحد منهم.

١ـ الحميدي:

عبد الله بن الزبير بن عيسى أبو بكر الأزدي المكي (ت٢١٩هـ ،٨٣٤م)[٧]، من المحدثين قال عنهُ أبن سعد: «هو ثقة كثير الحديث» (م. ن).

أخذ السيوطي عنهُ (نصين)[٨] بصيغة (قال) دون الأشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأندلسي أبو حفص الكاتب»(م. ن، ص٦) بقولهِ «قال الحميدي: مليح الشعر بليغ الكتابة من أهل بيت أدب»، وتناول ترجمة «القاسم بن الفتح بن يوسف أبو محمد بن الردولي الأندلسي»(م. ن، ص٢٨) بقولهِ «قال الحميدي: هو فقيه مشهور عالم زاهد يتفقه بالحديث».

٢ـ أبن خُزيمة:

محمد بن اسحاق بن خُزيمة أبن مُغيرة بن صالح بن بكر السّلمي أبو بكر النيسابوري (ت٣١١هـ ، ٩٢٣م)[٩]، الحافظ الكبير الثبت شيخ الاسلام الفقيه. قال عنهُ إبن حبان: مارأيتُ على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها، لهُ «المسائل المصنفة»[١٠].

أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[١١] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر»(م. ن) بقولهِ «...ما أعلم على اديم الأرض..».

٣ـ أبن يونس:

أبو سعيد أبن يونس عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبدالأعلى الصدفي المصري (ت٣٤٧هـ ، ٩٥٨م)[١٢]، الحافظ الثبت صاحب «تاريخ مصر»(م.ن).

أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[١٣] بصيغة (قال) مصرحاً باسم كتابه تناول ترجمة «محمد بن موسى أبو علي الواسطي»(م.ن) بقولهِ «قال أبن يونس في تاريخ مصر كان عائماً بالفقه والتفسير ويتفقه على مذهب أهل الظاهر..».

٤ـ أبن درستويه:

أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسي (ت٣٤٧هـ ، ٩٥٨م)[١٤] كان عالماً نحوياً راوياً للأحاديث، وتصانيفهُ في غاية

الجودة والأتقان(م. ن).
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[١٥] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن عبدالوهاب بن سلام أبو علي الجُبائي البصري»(م. ن) بقولهِ «إجتمعتُ مع أبي هاشم فألقى عليّ ثمانين مَسألة من غريب النحو ما كنتُ أحفظ..».

٥ـ أبو محمد الفرغاني:

عبدالله بن أحمد بن جعفر بن خُذيان التركي (ت٣٦٢هـ ،٩٧٢م)[١٦] مؤرخ ومحدث حدث بدمشق عن أبن جرير وغيرهِ ، ومن أثارهِ التاريخ المذيل على تاريخ محمد بن جرير.(م. ن)
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد) [١٧] بصيغة (قال) دون الأشارة إلى أسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الطبري»(م. ن) بقولهِ «قال أبو محمد الفرغاني كان بن جرير ممن لاتأخذهُ في الله لومة لائم..».

٦ـ الدارقطني:

أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي (٣٨٥هـ ،٩٩٥م)[١٨] شيخ الإسلام حافظ الزمان الشهير، قال عنهُ الخطيب: كان فريد عصره، وإمام وقته وأنتهى إليهِ علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقة صاحب «السنن والعلل والأفراد»(م. ن)
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[١٩] بصيغة (قال) مع الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون» (م. ن) بقولهِ «قال الدارقطني في كتاب التصحيف..».

٧ـ أبن الفرضي:

أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر القرطبي (ت٤٠٣هـ ـ ١٠١٢م)[٢٠] كان فقيهاً عالماً في فنون العلم والحديث والرجال ومؤرخ وحافظ أندلسي، وقد ألف عدداً من الكتب منها «تاريخ علماء الأندلس والمؤتلف والمختلف»(م. ن).
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٢١] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم الكتاب، حين تناول ترجمة «يحيى بن مُجاهد بن عوانة أبو بكر الفراري الأندلسي الألبيري»(م. ن) بقولهِ «قال أبن الفرضي عني بعلم القراءات والتفسير وأخذ نصيباً..».

٨ـ الحاكم:

أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري (ت٤٠٥هـ ، ١٠١٤م)، الحافظ الكبير، إمام المحدثين وإمام عصرهِ في الحديث، العارف بهِ حق معرفتهِ الحديث صالحاً ثقة «صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والأكليل»[٢٢] .
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٢٣] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى أسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن علي بن اسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه »(م. ن) بقولهِ «قال الحاكم كان أعلم ماوراء النهر بالأصول وأكثرهم».

٩ـ أبو حامد الأسفرائيني:

أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الأسفرائيني الفقيه الشافعي (ت٤٠٦هـ ،١٠١٥م) الذي كان من علماء بغداد في الأدب والدين، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه.[٢٤]
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٢٥] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر»(م. ن) بقولهِ «قال الشيخ أبو حامد الأسفرائيني شيخ الشافعية..».

١٠ـ البرقاني:

أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي (ت٤٢٥هـ ، ١٠٣٣م)[٢٦] الحافظ شيخ الفقهاء والمحدثين . قال عنهُ الخطيب البغدادي «كان ثقة ورعاً ثابتاً لن نرَ في شيوخنا أثبت منهُ عارفاً

بالفقه كثير الحديث»[٢٧].
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٢٨] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي ثُم البغدادي»(م. ن) بقولهِ «قال البرقاني في كل حديث النقاش منكر..»

١١ـ الداني:

أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي(ت٤٤٤هـ، ١٠٥٢م)[٢٩] الإمام الحافظ المقرىء الحاذق عالم الأندلس لهُ عدد كبير من المصنفات في علوم شتى«التيسير في القراءات السبع وجامع البيان في القراءات السبع »وغيرها(م. ن) أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٣٠] بصيغة (قال) دون ذكر أسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج الشّنبوذي»(م. ن) بقولهِ «قال الداني مشهور ضابط نبيل حافظ ماهر».

١٢ـ أبن حزم:

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الفارسي الأصل اليزيدي الأموي (ت٤٥٧هـ، ١٠٦٤م)[٣١] العلامة الحافظ الفقيه، كان صاحب فنون وورع وزهد لهُ «المجلي في الفقه والملل والنحل»(م. ن) .
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٣٢] بصيغة (قال) دون ذكر اسم كتابهِ تناول ترجمة «بقى بن مُخلد بن يزيد»(م. ن) بقولهِ «قال أبن حزم أقطع إنهُ لم يؤلف في الإسلام».

١٣ـ البيهقي:

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي (ت٤٥٨هـ، ١٠٦٥م)[٣٣] الحافظ العلامة شيخ خراسان، كتب الحديث وحفظهُ من صباه وبرع وأخذ في الأصول، وأنفرد بالأتقان والضبط والحفظ من مصنفاتهِ «السنن الكبرى والسنن الصغرى»(م. ن) .

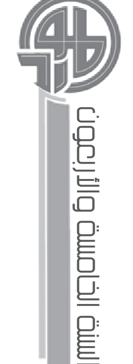
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٣٤] بصيغة (قال) مع ذكر اسم كتابهِ تناول ترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب»(م. ن) بقولهِ «قال البيهقي في شعب الأثمان: أنشدنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيبة في تفسيرهِ ..».

١٤ـ الخطيب البغدادي:

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي (ت٤٦٣هـ، ١٠٧٠م) [٣٥]، الحافظ الكبير محدث الشام والعراق من كبار الشافعية آخر الأعيان، معرفة وحفظاً وإتقاناً وضبطاً للحديث وتفنناً في عللهِ وأسانيده ومن مصنفاتهِ «التاريخ والجامع» وغيرها.(م. ن)
أخذ السيوطي عنهُ (٣نصوص)(م. ن) بصيغة (قال) دون الأشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة « محمد بن الحسن»(م. ن، ص٣١) بقولهِ « قال الخطيب: في حديثهِ مناكير بأسانيد مشهورة » وترجمة «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر»(م. ن، ص٣٧) بقولهِ « قال الخطيب: لم أرَ مثلهُ في معناه إلاّ أنهُ لم يتمه ..» وترجمة «محمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الفرج الشنبوذي»[٣٦] بقولهِ «قال الخطيب: تكلم الناس في روايتهِ وسألتُ عنهُ..».

١٥ـ أبو إسحاق الشيرازي:

أبو إسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف (ت٤٧٦هـ، ١٩٨٣م)(م. ن) شيخ الإسلام ومدار العلماء الأعلام في زمانهِ صنف التصانيف المفيدة منها «طبقات الفقهاء والمهذب في المذهب»(م. ن)، أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٣٧] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن علي بن اسماعيل الإمام أبو بكر الشاشي الفقيه»(م. ن) بقولهِ «قال أبو إسحاق الشيرازي لهُ مصنفات كثيرة ليس لها مثيل..»



١٦ـ الغزالي:

أبـو حامـد محمد بن محمـد بن محمد بـن أحمد الملقب حجة الإسـلام زين الدين الطوسي الشافعي (ت٥٠٥هـــ ،١١١١م).[٣٨] أشـتغل في مبـدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني، وجد في الإشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان(م. ن).

أخـذ السـيوطي عنـهُ (نـص واحـد)[٣٩] بصيغة (حُكي) دون الإشـارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «علي بن المسـلم بـن محمد بن علي بـن الفتح أبو الحسن السّـلمي الدمشقي»(م. ن) بقولهِ «وحُكي إن الغزالي قال خلّفت بالشام شاباً إن عاش كان لهُ شأن فكان كذلك».

١٧ـ أبو الغنائم النرسي:

أبـو الغنائم محمـد بن علي بن ميمـون بن محمد النرسي الكوفي (ت٥١٠هــ ـ ١١١٦م)[٤٠] المقرىء مُحـدث أهل الكوفـة الملقب بأبي النـرسي لجودة قراءتهِ(م. ن).

أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٤١] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «عمر بن ابراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسـن بن عـلي بن حمزة بـن يحيى بن الحسـين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو البركات الحسـيني الكوفي الحنفي الزيدي»(م. ن) بقولهِ « قـال الحافظ أبو الغنائم النّرسي وهو جارودي الم ذهب..».

١٨ـ السمعاني:

أبو بكر محمد بن أبي المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي (ت٥١٠هـ ،١١١٦م)[٤٢]، الحافظ الأوحد برع في الأدب والفقه وزاد على أقرانهِ بعلم الحديث، ومعرفة الرجال، والأنسـاب، والتاريخ.(م, ن)، أخذ السيوطي عنهُ (٧ نصوص)[٤٣] بصيغة (قال السمعاني) وبلغت (٧) نصوص، دون الأشـارة إلى أسـم كتابهِ تناول ترجمة «أحمد بـن علي بـن أبي جعفـر صالح الأمـام أبو جعفر البيهقـي »(م. ن، ص٤) بقولـهِ «قال السـمعاني كان إمامـاً في القراءة والتفسـير والنحو واللغة لهُ مصنفات المشـهورة منها كتاب تـاج المصادر..»، وترجمة«عبداللـه بن عبدالكريم بـن هوازن »(م. ن، ص١١) بقولـه «قـال السـمعاني كان رضيع أبيه في الطريقة وفخر ذويه» وترجمة «عبد السلام بـن محمد بن يوسـف بن بنـدار»(م. ن، ص٢٦) بقوله «قال السمعاني كان أحد المعمرين والفضلاء المقدمـين » وترجمة عمر بـن ابراهم بن محمد بن احمـد بن علي بن الحسـين بن علي بـن حمزة بن يحيى بن الحسـين بن زيد بن علي بن الحسين بن أبـي طالب أبو البركات الحسـيني الكوفي الحنفي الزيـدي» (م. ن، ص٢٧) بقوله « قال السـمعاني شيخ كبير فاضل له معرفة بالفقه والحديث واللغة والتفسـير والنحو» وترجمة «عمر بـن عثمان بن الحسـين بن شـعيب أبو حفص الجنزي الاديب» (م. ن، ص٣٦) بقولـه « قال السـمعاني لازم أبا المظفـر الابيوردي مـدة وذاكر الفضـلاء وبرع في العلم» وترجمة «محمـد بن عبد الرحمن بن احمد العلامة أبـو عبد اللـه البخـاري»(م. ن، ص١٤) بقولـه» قال السـمعاني كان إمامـا مفننا قيل انه صنف في التفسير» وترجمة «الحسن بن محمد بن حبيـب»(م. ن، ص١١) بقولـهِ «كان أولاً كرا من المذهب ثم تحول شافعياً»

١٩ـ عبد الغافر:

عبـد الغافـر بـن اسـماعيل بـن أبـي الحسـين عبـد الغافـر بـن محمـد أبـو الحسـن الفارسي النيسـابوري (ت٥٢٩هـ ، ١١٣٤م)[٤٤] الحافظ المفيد اللغوي، كان من أعيان المحدثين لهُ «تاريخ نيسـابور»(م.ن).

أخذ السـيوطي عنـهُ (نصـين)[٤٥] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «الحسن



بـن حبيب» (م. ن، ص١٥) بقولِهِ «قال عبدالغافر إمام عصرهِ في معاني القرآن وعلومهِ ..»، وترجمة «عبـد اللـه بن محمد بـن علي بن محمـد»(م. ن، ص١٥) بقولـهِ «قال عبدالغافـر كان إماماً كاملاً في التفسير..».

٢٠ـ أبن السمعاني:

أبو سـعد السـمعاني عبدالكريم أبن معين الدين أبـي بكـر محمد بـن المظفـر منصور بـن محمد بـن عبدالجبـار التميمـي المـروزي (ت٥٦٢هـ ، ١١٦٦م) [٤٦]، الحافظ البارع العلامة تاج الإسلام لـهُ مصنفات كثيرة، مـن كتبهِ « الأنسـاب والذيل وتاج مرو»(م. ن).

أخذ السـيوطي عنهُ (٨ نصوص)[٤٧] بصيغة (قال) دون الإشـارة إلى أسم كتابهِ تناول ترجمة «اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر»(م. ن، ص٨) بقولهِ (قال أبن السـمعاني هو أستاذي في الحديث..»، وترجمة «عبدالكريم بن هـوازن»(م. ن، ص٢١) بقولهِ «قال أبن السمعاني لم يرَ أبو القاسم مثل نفسه في كمالهِ..»، وترجمة «عبدالله بن ابراهيم بن أبي بكر الإمام أبو بكر»(م. ن، ص٢٢) بقولهِ «قال ابن السـمعاني كان إماماً مفنناً مفسـراً مُحدثاً»، وترجمـة «عمـر بن محمـد بن أحمد بن اسـماعيل بـن محمد بن لقمان النسّـفي ثُم السـمرقندي»(م. ن، ص٢٦) بقولـهِ «قـال ابن السـمعاني كان إماماً فاضـلاً مبرزاً متقناً..»، وترجمـة «محمد بن علي بن اسماعيل»(م. ن، ص٢٧) بقولهِ «قال أبن السمعاني مـن مصنفاتـهِ دلائل النبـوة ومحاسـن الشريعة»، وترجمة «محمود بن أحمد بن الفرج الإمام أبو المحامد السّمرقندي السّـغدي السـاغرجي»(م. ن، ص٣٦) بقولـهِ «إمام بـارع مبّرز في أنواع الفصل والتفسـير والحديـث والأصـول..»، وترجمة «محمـود بن عمر بن محمد بـن عمر العلامة أبو القاسـم الزمخشري الخوارزمي»(م.ن,ص٤١) بقولهِ«قال ابن السمعاني كان ممن برع في الأدب والنحو واللغة لقى الكبار ..».

٢١ـ أبن عساكر:

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين الدمشـقي الشـافعي (ت٥٧١هــ ـ ١١٧٥م)[٤٨] حافظ الشـام بل حافظ الدنيـا الثقة الثبت الحجة ثقـة الديـن لـهُ «تاريخ دمشـق وأطراف السـنن الأربعة» (م. ن).

أخذ السيوطي عنهُ (٣نصوص) [٤٩] بصيغة (قال) دون الإشـارة إلى اسـم كتابهِ تنـاول ترجمة «بقى بن مُخلـد بن يزيـد»(م. ن, ص١٠) بقولـهِ «قال ابن عسـاكر لم يقع إلى حديث مسـند من حديثهِ» وتناول ترجمة «علي بن مسـلم بـن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسـن السّلمي الدمشـقي»(م. ن، ص٢٦) بقولهِ «قال أبن عساكر كان عالماً بالتفسير والأصول والفقـه والتذكير والفرائـض»، وترجمة «عمر بن ابراهيم «(م. ن) بقولهِ «قال أبن عسـاكر سُئل عن مذهبهِ في الفتوى».

٢٢ـ السلفي:

أبـو طاهـر عمـاد الدين أحمـد بـن محمد بن أحمـد بـن ابراهيـم الأصبهانـي (ت٥٧٦هـ ، ١١٨٠م)[٥٠]، الحافظ العلامة شـيخ الإسـلام، كان حافظـاً ناقداً متقناً دينـاً، خيراً إنتهى إليهِ علّو الأسـناد لهُ «معجم شيوخ أصبهان ومعجم شـيوخ بغداد» (م. ن) .

أخـذ السـيوطي عنهُ (نـص واحـد)[٥١] بصيغة (قال) دون الإشـارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة « اسـماعيل بن محمد بن الفضل «(م. ن) بقولهِ «قال السـلفي كان فاضـلاً في العربيـة ومعرفة الرجال حافظا للحديث..»

٢٣ـ أبن الآبار:

أبـو عبدالله محمد بـن عبدالله بن أبـي بكر بن عبداللـه بن عبدالرحمـن بن أحمد بـن أبي بكر القضاعـي الأندلسي البلنـسي الكاتب المُنشىء (ت ٦٥٨هــ ، ١٢٥٩م)[٥٢]، مُحـدث بـارع حافـظ وكاتـب بليـغ وأديب وأعتنـى بالروايـة متقناً في

الحديث والآداب.(م. ن)
أخذ السيوطي عنه (٣ نصوص)[٥٣] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة « عبد السلام بن عبدالرحمن بن أبي الرحال..»(م. ن, ص٢٠) بقولهِ «قال أبن الآبار: كان من أهل المعرفة بالقراآت والحديث والكلام..» وتناول ترجمة «عبد الصمد بن عبدالرحمن بن أبي رجا»(م. ن) بقولهِ «قال أبن الآبار: كان راوية مُكثراً واعظاً عالماً بالقراآت»، وتناول ترجمة «عبدالكبير بن محمد بن عيسى»[٥٤] بقولهِ « قال أبن الآبار: كان فقيهاً حافظاً مشاركاً في الحديث».

٢٤ـ ياقوت الحموي:

أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله البغدادي المنشأ (ت٦٢٦ـ ٨٤٠م)(م. ن) الرومي الأصل الحموي المولى ويدعى مولاهُ عسكرا.[٥٥]

أخذ السيوطي عنهُ (٧نصوص)(م. ن، ص٤) بصيغة (قال، وأوردهُ، وذكره) تارةً يذكر السيوطي اسم كتابهِ وتارةً أخرى لايذكرهُ كماهوفي ترجمة «أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي»(م. ن، ص٤) بقولهِ «قال في معجمهِ ذكرهُ السّلفي في (شرح مقدمة معالم السّنن للخطابي)»(م. ن، ص٤) وقولهِ أيضاً «قال ياقوت: وهو كتاب جليل لم يصنف مثلهُ» (م. ن، ص٢٤) وقولهِ أيضاً «قال ياقوت: وقال قبل وفاتهِ بيومين»، وتناول ترجمة «علي بن عبدالله بن موهب الجُذامي أبو الحسن»(م. ن، ص٣٢) بقولهِ «قال ياقوت: لهُ تأليف عظيم في تفسير القرآن»، وتناول ترجمة «محمد بن عبدالله بن سليمان أبو سليمان السّعدي»(م. ن، ص٣٣) بقولهِ «قال ياقوت: ذُكر في كتاب الشام وقال هو المفسّر» وتناول ترجمة «محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل المرسي أبو عبدالله»(م. ن، ص٣٥) بقولهِ «قال ياقوت: أحد أدباء عصرنا ومن أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب» وتناول ترجمة «محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين العلامة جاه الدين أبو عبدالله البلخي»[٥٦] بقولهِ «وذكرهُ ياقوت: فقال أبو المحامد الملقب شمس العارفين ترجمهُ البيهقي في الوشاح وأورد لهُ».

٢٥ـ أبن أبي طي:

يحيى بن حميد بن ظافر بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن سعيد بن أبي الخير الطائي الغساني الحلبي أبو الفضل (ت٦٣٠هـ، ١٢٢٣م)(م. ن) عالم من أهل حلب، وكان فقيهاً نحوياً مؤرخاً، عارفاً بأخبار الصحابة والعرب وغيرهم، أديباً مؤلفاً ومن مؤلفاتهِ «طبقات العلماء وحوادث الزمان ومختار تاريخ المغرب»[٥٧].

أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)(م. ن) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن علي بن شهراسُرب بن أبي نصر أبو جعفر السّهروري المارندراني»[٥٨] بقولهِ «وقال ابن أبي طي: مازال الناس تخلب..».

٢٦ـ أبن نقطة :

أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن أبي نصر البغدادي الحنبلي (ت٦٢٩هـ ، ١٢٣١م)(٥٩) الإمام العالم الحافظ المتقن الرحال وصنف كتاب «التقييد في معرفة رواة الكتب والمسانيد»(م. ن)، أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٦٠] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله أبو بكر الطائي الحاتمي»(م. ن) بقولهِ «قال أبن نقطة لهُ كلام وشعر غير إنه لايعجبني..».

٢٧ـ أبن الدبيثي:

أبو عبدالله محمد بن أبي المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج الواسطي الشافعي (ت٦٣٧هـ ، ١٢٣٩م)[٦١]، الثقة المقرىء مؤرخ العراق ، لهُ معرفة بالحديث ولهُ «تاريخ واسط و تاريخ بغداد»(م. ن) . أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)(م. ن) بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «أحمد بن اسماعيل بن يوسف أبو الخير»[٦٢].

٢٨ـ أبن النجار:
محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي (ت٦٤٣هـ ، ١٢٤٥م)(م. ن)، الحافظ البارع مؤرخ العصر مفيد العراق، ولهُ كتاب «التاريخ المجدد لمدينة السلام والدرة الثمينة في أخبار المدينة »[٦٣]، أخذ السيوطي عنهُ (٥ نصوص)(م. ن، ص٣) بصيغة (قال وذكرهُ) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «أحمد بن اسماعيل بن يوسف أبو الخير الطالقاني القزويني الشافعي «(م. ن، ص١٩) وتناول ترجمة «عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار»(م. ن، ص٣٢) بقولهِ «قال أبن النجار: كان طويل اللسان ولم يكن محققاً..»، وتناول ترجمة «محمد بن علي بن يحيى بن يونس بن الحسين بن محمد بن عبيدالله بن هبيرة أبو الرضى النسفي»(م. ن، ص٣٩) بقولهِ «مات في محرم سنة عشروخمسمائة ذكره ابن النجار»، وتناول ترجمة «مسعود بن محمود بن أحمد بن عبدالمنعم «(م. ن، ص٤٩) بقولهِ « قال ابن النجار: كان إماماً حافظاً قيماً بالمذهب والخلاف والتفسير»، وتناول ترجمة «محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله الإمام فخر الدين أبو عبدالله بن تيمية الحراني»[٦٤] بقولهِ «... وتيمية أم جدة محمد كانت واعظة فنسب إليها وعُرف بها قال أبن النجار».

٢٩ـ القفطي:
جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالواحد بن موسى بن أحمد بن محمد الشيباني (ت٦٤٦هـ ، ١٢٤٨م) (م. ن)، كان وزيراً واحد الكتاب المبرزين في النثر والنظم، وكان عارفاً باللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والحكمة والنجوم والهندسة والتاريخ.[٦٥]
أخذ السيوطي عنهُ ((نص واحد)(م. ن) بصيغة (ذكرهُ) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين العلامة جمال الدين أبو عبدالله البلخي»[٦٦] بقولهِ «...لهُ تفسير حسن وكتاب علل القراءات وكتاب الوقف والإبتداء ذكرهُ القفطي مُختصراً وقال في وسط المائة».

٣٠ـ أبن مُسدّى :
أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف الأزي الهلبي الأندلسي الغرناطي(ت٦٦٣هـ،١٢٦٤م) (م.ن) الحافظ العلامة الرحال كان من بحور العلم ومن كبار الحُفاظ.[٦٧]
أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٦٨] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله أبو بكر الطائي الحاتمي»(م. ن) بقولهِ «وقال ابن مُسدّى لهُ كلام مُريب وكان ظاهري».

٣١ـ أبو شامة:
شهاب الدين أبو القاسم عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي (ت٦٦٥هـ ،١٢٦٦م)[٦٩] ، الدمشقي العلامة ذو الفنون المقرىء النحوي الفقيه المحدث.(م. ن)،أخذ السيوطي عنهُ (نص واحد)[٧٠] بصيغة (قال) دون الإشارة إلى اسم كتابهِ تناول ترجمة «يحيى بن الربيع بن سليمان بن حرار العلامة مجد الدين»(م. ن) بقولهِ «قال أبو شامة: كان إماماً عالماً بالمذهب الشافعي والخلاف والحديث والتفسير».

٣٢ـ أبن خلكان :
شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبراهيم بن أبي بكر البرمكي الأربلي (ت٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م) [٧١] قاضي قضاة الشام، ومن بيت معروف بالعلم من ذوي المناصب الدينية قال عنهُ اليونيني «كان فقيهاً إماماً عالماً بارعاً متقناً، معدوم النظير في علوم شتى، حجة فيما نقلهُ،

محققاً لما يورده، متفرداً في علم الأدب والتاريخ» (م. ن, ص ٣٩).
أخذ السيوطي عنهُ (نصين)(م. ن، ص٤١) بصيغة (قال) دون ذكر اسم كتابهِ تناول ترجمة «محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري»[٧٢] بقولهِ «قال أبن خلكان : فيهِ فريد عصرهِ ونسيج وحده شهرتهُ تغنى..» وتناول ترجمة « محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري»(م. ن) بقولهِ «قال ابن خلكان: كان إمام عصره وكان متظاهراً بالإعتزال داعية».

٣٣ـ الذهبي:

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني ثُم الدمشقي المقرىء (ت٧٤٨هـ، ١٣٤٧م)[٧٣]، الحافظ محدث العصر، وخاتمة الحُفاظ، ومؤرخ الإسلام، ولهُ مصنفات «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، وسير أعلام النبلاء»(م. ن، ص٣).
أخذ السيوطي عنهُ (٢١نص)(م. ن، ص٤) بصيغة (قال وذكرهُ) فأحياناً يشير إلى اسم كتابهِ وأحياناً أخرى لايشير إليه وهي الغالبة في نقولات السيوطي تناول ترجمة «أحمد بن اسماعيل بن يوسف أبو الخير الطالقاني»(م. ن، ص٨) وتناول ترجمة «أحمد بن فارس بن زكرياء»(م. ن، ص١١) بقولهِ
«مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة» وتناول ترجمة «اسماعيل بن محمد بن الفضل»(م. ن، ص١٧) بقولهِ «...ولهذا تكلف زايد بن أبي موسى فأنهُ لم يشتهر ...» وتناول ترجمة «الحسن بن محمد بن حبيب»(م. ن، ص٢٢) بقولهِ «سمع أبا حيّان وجماعة وروى»، وتناول ترجمة «عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله»(م. ن، ص٢٥) بقولهِ « كان مّبرزاً في التفسير وفي الوعظ وفي التاريخ ...»، وتناول ترجمة «علي بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم التجيبي»(م. ن، ص٢٦) بقولهِ «...مات سنة سبع وثلاثين وستمائة هذا كلام الذهبي في تاريخهِ وذكرهُ في الميزان..»، وتناول ترجمة « علي بن محمد بن عبدالصمد العلامة علم الدين أبو الحسن الهمداني السخاوي المصري»(م. ن، ص٢٧)، بقولهِ «قال الذهبي: كان إماماً علامة مقرئاً محققاً بصيراً..»، وتناول الترجمة «علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح أبو الحسن السلمي الدمشقي»(م. ن، ص٢٧) بقولهِ «قال الذهبي : سمع أبن عبدالعزيز الكناني والفقيه نصر وجماعة «، وتناول ترجمة «عمر بن عثمان بن الحسين بن شُعيب..»(م. ن، ص٢٨) بقولهِ «القاسم بن الفتح بن يوسف أبو محمد بن الردولي الأندلسي»(م. ن، ص٣٠) بقولهِ «قال الذهبي: كان عالماً بالحديث عارفاً باختلاف الأئمة..»، وتناول ترجمة « محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبدالله القرطبي»(م. ن، ص٣١) بقولهِ «قال الذهبي: إمام متفنن متبّحر في العلم لهُ تصانيف..»، وتناول ترجمة «محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون»(م. ن، ص٣٢) بقولهِ «قال الذهبي: متروك ليس بثقة على جلالتهِ ..»محمد بن الحسن بن موسى أبو عبدالرحمن السّلمي»(م. ن، ص٣٨) بقولهِ «قال الذهبي: في تاريخهِ كتابهِ حقائق التفسير ليتهُ لم يصنفهُ فأنهُ تحريف..»، وتناول ترجمة «محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله الإمام فخر الدين أبو عبدالله بن تيمية الحراني»(م. ن،ص٣٨) بقولهِ «قال الذهبي: كان إماماً في التفسير إماماً في الفقه إماماً في اللغة..»، وتناول ترجمة «محمد بن علي بن أحمد الإمام أبو بكر الأدفوي»(م. ن، ص٣٨) بقولهِ «قال الذهبي: منهُ نسخة بمصر توقف القاضي الفاضل..»، وتناول ترجمة «محمد بن الفضل أبو بكر المفسر ..»(م. ن، ص٣٨) بقولهِ «كذا ذكرهُ الذهبي ثم قال بعد ذلك محمد بن الفضل بن محمد ..»،

وتنــاول ترجمة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بــن عبدالله أبــو بكر الطائــي الحاتمــي «(م. ن، ص٣٨) بقولــهِ «قال الذهبي: ولد في رمضان ســنة ســتين وخمســمائة بمرســية » ، وتناول ترجمة « محمد بــن علي بن محمد بن أحمد بــن عبدالله أبو بكر الطائي الحاتمــي»(م. ن، ص٤٢) بقولهِ «قال الذهبي : كأنهُ يشــير إلى مافي شعرهِ من الاتحاد..»»، وتنــاول ترجمــة «محمد بن علي بن محمد بن أحمد بـــن عبداللــه أبو بكر الطائــي الحاتمــي »(م. ن، ص٤٣) بقولهِ «قــال الذهبي: في الأعتذار عنهُ كان رجلاً قذ تصّوف وأنعزل ..»»،

وتنــاول ترجمة «يحيى بن محمــد بن موسى أبو زكريــاء التُجيبــي التلمســاني»(م. ن) بقولهِ «قال الذهبــي: حــجّ وجاور وســمع بمكــة ..»»، وتناول ترجمــة «يحيى بــن الربيع بن ســليمان بن حرار العلامة مجدالديــن «(م. ن) بقولهِ « قال الذهبي: كـــان عـــالمـــاً بالمـــذهــب الشــافعــي والخلاف والحديـــث والتفسير.

*** الهوامش:**

(١) يُنظر ترجمته: الســيوطي، أبــو الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبــي بكر (ت٩١١هـــ)، طبقات المفسريــن، طهران، ١٩٦٠، ص٤، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت٩١١هـ) الضوء اللامع لأهل القرن التاســع، مطبعة دار مكتبة الحياة، بــيروت، ج٤، ص٦٥_ ٧٠، أبــن إيــاس، محمــد بــن أحمــد (ت٩٣٠هـــ)، بدائع الزهور في وقائع الزهور، تحقيق، محمد مصطفى، القاهــرة، مطبعة دار إحياء الكتــب العربية، ط٢، ١٣٧٩هـــ_ ١٩٥٩م، ج٤، ص٨٣_ ٨٤، ابن العماد، أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، مطبعة دار الســيرة، ١٤٠٠هـــ_ ١٩٧٩م، ج٨، ص٥١_ ٥٥، الشــوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن الســابع، بيروت، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، ج١، ص٣٢٨_ ٣٣٥.

(٢) م . ن، ص٤.

(٣) داود ، نبيلة عبدالمنعم ، دراسة في السير والتراجم والطبقات ، جامعة بغداد ، كلية التربية (ابن رشد) ، ١٤١٩هـــ١٩٠٨م ، ص٢١.

(٤) السيوطي ، طبقات المفسرين ، ص٢٤.

(٥) جعفــر، نوري، التاريخ مجالهُ وفلســفتهُ، بغداد، مطبعة المعارف، ١٣٧٥_ ١٩٥٥م، ص٤٤.

(٦) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٦.

(٧) أبــن ســعد، محمد بن ســعد بن منيع الزهــري البصري (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د، ت، ج٥، ص٥٠٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦١٦.

(٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٦، ٢٨.

(٩) ينظــر: أبــن حبان، أبــي حاتم محمد بن حبان البســتي (ت٣٥٤هـ)، الثقات، المطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن _ الهند، أعاد تصويره مطبعة دمشــق، دار الفكر، ط١، ١٣٩٣هـــ_ ١٩٧٣م ، ج٩، ص١٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٣٦٥.

(١٠) الثقات ج٩، ص١٥٦.

(١١)السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣.

(١٢) أبن خلكان، شــمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٤٨م، ج٣، ص١٣٧.

(١٣) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٩.

(١٤) بن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٤.

(١٥) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٣.

(١٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٧٧، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج٦، ص٢٢.

(١٧) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣١.

(١٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٤، الذهبي، أبــو عبداللــه محمد بن أحمد بن عثمان، ســير أعــلام النبلاء، تحقيق: شــعيب الاناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، مؤسســة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٩٤م ج١٦، ص٤٤٩.

(١٩) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٠.

(٢٠) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٧، ١٧٩.

(٢١) السيوطي، طبقات المفسرين، ٤٢

(٢٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٥، ص٤٧٣.

(٢٣) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٦.

(٢٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص ٢٢٠.

(٢٥) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣١.

(٢٦) الخطيــب البغــدادي ، تاريــخ بغــداد ، ج٤، ص٣٧٣، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٧، ص٤٦٤.

(٢٧) تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٧٣.
(٢٨) السيوطي، طبقات المفسري، ص٢٩ـ ٣٠.
(٢٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٧٨ـ٨٣.
(٣٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٧ .
(٣١) أبـن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ٣٢٥، الذهبي، سـير أعلام النبلاء ، ج١٨، ص١٨٤.
(٣٢)السيوطي، طبقات المفسرين، ص٩.
(٣٣) أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٧٥، الذهبي، سـير أعلام النبلاء ، ج١٨، ص١٦٣.
(٣٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص١٢.
(٣٥) أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٩٢، الذهبي، سـير أعلام النبلاء ، ج٨، ص٢٧٠.
(٣٦) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٠.
(٣٧) ابـن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، صفوة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، د محمد رواس، ط٢، دار المعرفة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ج٤، ص٦٦.
(٣٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٦.
(٣٩) أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢١٦ـ ٢١٩.
(٤٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٦.
(٤١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٧٤ـ ٢٧٥ .
(٤٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ٢٦.
(٤٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٧٢.
(٤٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٤،، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٦، ١٤، ١١
(٤٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٣، ص٢٢٥.
(٤٦) السيوطي، طبقات المفسرين ، ١١ ، ١٥.
(٤٧) الذهبي، سـير أعلام النبـلاء، ج٢٠، ص٤٥٦، أبن كثير، أبو الفدء إسـماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـــ)، البداية والنهاية، مطبعة المعارف، ط١، بيروت ، ١٩٦٦م، ج١٢، ص١٧٥ .
١٣٣ ـ م ، ن .
(٤٨) السيوطي، طبقات المفسرين ص ٨، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٣٦، ٤١، ٤١.
(٤٩) ابـن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٣٩.
(٥٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص١٠، ٢٦، ٢٦.
(٥١) أبـن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٥٠، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٥٥.
(٥٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٨.
(٥٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص٣٣٦، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٧٥.
(٥٤) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٢٠،، ٢٠ ، ٢٠.
(٥٥) أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٦ـ ١٢٧ .
(٥٦)السيوطي، طبقات المفسرين ص ٤، ٤، ٤، ٢٤، ٣٢، ٣٣، ٣٥.
(٥٧) أبـن حجر العسـقلاني، شـهاب الدين أحمـد بن علي (ت٨٥٢هـ)، لسـان الميزان، مؤسسـة الأعلمي، ط٢، بيروت، ١٩٧١م، ج٦، ص٢٦٣.
(٥٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٧.
(٥٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص٣٤٧ ـ ٣٤٩.
(٦٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٨.
(٦١) أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٩٤.
(٦٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣.
(٦٣) الذهبي، سـير أعلام النبـلاء،ج٢٣، ص١٣١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٦٩.
(٦٤) السـيوطي، طبقات المفسري ص ٣، ١٩، ٣٢، ٣٩، ٤١، ٤٢
(٦٥) أبن العماد، شذرات الذهب، ج٣، ص٢٣٦.
(٦٦)السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٢.
(٦٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٩٧ـ ٢٠٠.
(٦٨) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٨.
(٦٩) اليافعـي، أبـو محمـد عبدالله بن أسـعد بـن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، ط٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م، ج٤، ص١٦٤.
(٧٠) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٤٣.
(٧١) اليونينـي، قطب الدين أبو الفتـح موسى بن محمد بن أحمد البعلبكي الحنبلي (ت٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م ، ج٤، ص١٤٩.
(٧٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص٣٩، ٤١.
(٧٣) أبن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٢٥، ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص١٥٣.

Analysis of the methodology and resources

of the interpretive layers of Siouti

By: Dr. Alaa Nafie Jassim 

Abstract

Historical studies are studies that have been concerned with the heritage of the Arab nation and the flags of Arab and Islamic thought. Studies on Muslim historians are one of the most important historical studies in Islamic thought issues and their contribution to the advancement of Arabs and Muslims to other nations and peoples.

The study of history reveals an important episode of the intellectual heritage of the nation and the identification of the features of Arab Islamic history and the consolidation of the foundations of the Arab-Islamic historical research method. Such studies require the introduction of the methods of historians, their methods and their resources, and then a means of revealing their sources of information and indicating the contributions of historians and scientists in life. Intellectual through the ages.

The importance of these studies has returned to the study of the flags and spokespersons of Arab Islamic thought, who carried the torch of culture and the brigade of free thought of the most important historical studies civilized nation no matter how elevated in the ladder of civilization can not forget its scientists and thinkers and give them a great share in the present and future.

The study included highlighting one of the scholars of the eleventh century, Suyuti (T 911H) who contributed to the intellectual and cultural life, and that his book layers of the interpreters of the important books that addressed the interpreters, scholars and modernists.

The books of the classes of different ages have received great attention due to their importance and the meanings of the translations of the famous commentators, companions, followers and followers of the narrators of Hadith, grammarians, linguists, writers and preachers.

The interpreters are the pioneers of this science and its men who rely on them to show the truth and publish it among the people. The interest in interpreting its men and classifying its layers was expressed in the folds of literature, history and class books.



لامـــيَّة العرب للشـنفرى

(قراءة تراثية معاصرة)

أ.م.د. صبيح مزعل جبار*

● مقدمة:

حظيـت (لاميـة العرب) للشـنفرى وهو أحد الشـعراء الصعاليك في عصر ما قبل الاسـلام بإهتمام أدبي ونقدي كبير ليس من قبل العرب وحدهم، بل ومن قبل العديد من المستشرقين، والباحثين القدماء والمحدثين. واللامية المكونة من (ثمانية وستين بيتاً) وبنيت على (البحر الطويل) ترجمت الى لغات عديدة، وتناولتها دراسات نقدية عديدة، فهي اي اللامية شكلت انعطافة مهمة في مسـيرة الشـعر الجاهلي، وكانت عنواناً لشعر شعراء تيار شعبي جاهلي واسـع، اطلق عليه تسـمية تاريخية، ظلت ترددها دراسـات الحياة الادبية لأجيال عديدة، ولأكثر من خمسة عشر قرناً.

واللاميـة شرحها قديمـاً، الخطيب (التبريـزي) والزمخـشري، وابن الشـجري وابن اكرم وغيرهـم، وترجمهـا حديثاً ريدهـوس الى الانجليزية، وعلق عليها وترجمت الى الفرنسـية، وشرحـت كما ترجمت الى اليونانيـة والايطالية والى لغات اخرى حية، كما عنى بدراسـتها المسـتشرق تيـودور نولدكه فحققها ويصفهـا (عمر فروخ) في تاريـخ الادب العربي، بان (لاميـة العرب) قد بلغت في الحسـن والفصاحة مبلغاً عظيماً، ويعد الشـنفرى من اشـهر الصعاليك في العصر الجاهلي.

---

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد



ومن أملح شعرائهم والصعلوك في لغة العرب: الفقير، الذي لا مال له، ولاإعتماد، وقد تصعلك المرء اذا صار كذلك، قال حاتم طي في هذا المجال:

غنينا زماناً بالتصعلك والغنى

فكلاً سقاناه بكأسيهما الدهرُ

أي عشنا زماناً، وتصعلكت الإبل، اي خرجت أوبارها وانجردت، وطرحتها أي سقطت أوبارها، فالصعلوك لغة : هو الفقير الذي لامال له، ولا إعتماد، والتصعلك ظاهرة عرف بها العصر الجاهلي، وقام بها أفراد ومجموعات احتقرهم المجتمع القبلي، فعاشوا على هامشه. أن الصعلكة ظاهرة اجتماعية واسعة، ينطوي تحت لوائها مئات كثيرة من المجتمع غير متجانسة، ولكن يجمعهم الفقر والتهميش والنظرة الدونية. والصعلكة لاتخص الشعراء وحدهم بل تضم فئات اجتماعية متنوعة يجمعها ظلم قوانين القبيلة وتقاليدها، وصرخات الجوع، واهات الالم.

وهبات التمرد على القبيلة، وتقاليدها وعدم مراعاتها النظرة العادلة بين أفرادها. وسواء أكان الصعلوك شاعراً أم غير شاعر، خليعاً او منبوذاً لسواد بشرته، فإنه يجد نفسه غريباً، ووحيداً في مواجهة العالم، محروماً من عطف القبيلة وحدبها ورعايتها، وليس له من يرد عنه غائلة الجوع والتهميش ففي شعر السليك بن السلكة يظهر ان الجوع كان يستبد به في الصيف حتى اذ قام، فانه يشعر بالاغماء الشديد، فيريه الدنيا ظلاماً من أثر الجوع [١].

وحين انسلخ الصعاليك من العصبية القبلية حرموا منها، اذ ان العصبية القبلية كانت ضمانة لكل فرد من افراد العصر الجاهلي، لذلك نشأت بينهم رابطة عصبية شدت بعضهم الى بعض، فقد كان الصعلوك يجدب على رفاقه ويساعدهم،مخاطراً بنفسه في سبيل انقاذهم ويقسمَّ لهم قسماً من الرزق، الذي يحص عليه، واللافت ان الصعلوك كان يخاطر بنفسه في سبيل الحصول على الغنيمة، ويعود فيبددها على رفاقه. فالروح الرفاقية تسود بين الصعاليك، وتهيمن بينهم أخوة العيش والمصير، فيسعون معاً ويقاتلون معاً، ويرثون من يموت منهم، كما فعل تأبط شراً عندما رثى الشنفرى فقد قال:

على الشنفرى ساري الغمام ورائح

غزير الكلى من صَيَّبِ الماءِ باكرُ

لقد إستطاع الصعاليك، بفضل المسار الذي خطوه لانفسهم ان يضفوا على تسميتهم السلبية (الصعاليك) أبعاداً جديدة، ويرتفعوا بها بحيث صارت اسم علم يدل على حركة حظيت باهتمام الباحثين المحدثين والمعاصرين اهتماماً يفوق الاهتمام الذي عومل به هؤلاء الصعاليك ابان حياتهم، فخصهم بعض الدارسين بدراسة مستقلة،واعدوهم ثائرين متمردين [٢].

انَّ الواقع التاريخي يثبت من خلال تحليل بنية المجتمع القبلي في المرحلة الاخيرة من العصر الجاهلي الاتي :

١- ظهور علامات الإنحلال في النظام البدائي للانتقال من الاقتصاد الطبيعي الى الاقتصاد البضاعي حتى التبادل النقدي، ومن ابرز هذه العلامات : تقلص المشاعية البدائية وظهور الملكية الخاصة لوسائل الانتاج.

٢- بداية تحول سلطة رئيس القبيلة عن اساسها القديم، وهو مراعاة التقاليد القبلية فقط الى اساس جديد، هو مراعاة الوضع الاقتصادي للرئيس الى جانب الوضع القبلي التقليدي.

٣- زوال الوضع الامومي (الطوطمي) في العلاقات العائلية، وسيادة العلاقات الابوية (البطريركية).

وأضافة الى الظواهر الاقتصادية والاجتماعية السابقة يجب النظر الى الاهمية البالغه لوجود لغه عربية، وشعر عربي في المرحلة الاخيرة للجاهلية، هما على مستوى متطور يكاد يتخطى مستوى النظام الاجتماعي القبلي في تلك المرحلة، بالرغم من كونهما – اي اللغة والشعر- يحملان انعكاسات أمينة لمختلف ظاهرات هذا النظام [٣].

الظروف التي أفرزت هذه الظاهرة:

ان الملكية الجماعية البدائية كانت الاساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي، ولكن الملاحظ من تاريخ الجاهلية ان هذا الاساس يقترب من الانهيار كلما اقترب مجتمع الجاهلية من نهايات القرن السادس واشرف على بدايات القرن السابع الميلادي، ففي هذه الفترة ذاتها تكاد تكون اشكال الملكية الجماعية هذه تنحصر في شكل واحد، هو ملكية المراعي، وبعض الابار والعيون، يبدو انه ملكية مشاعة لبعض القبائل[٤].

من هنا بدأت تظهر بين القبائل في البادية علامات بارزة للتفاوت في ملكية الثروة، حيث أخذت تتكون فئات عليا من الرؤساء وعائلاتهم تملك الاعداد الكثيرة من أصناف الماشية، ولا سيما الابل على نحو يفوق كثيراً ما يملكه بعض افراد القبيلة مع كون افراد آخرين لايملكون شيئاً، وكذلك شأن ملكية العبيد أحياناً، وهذا الفارق استتبع ان يبسط الرؤساء سيطرتهم على المراعي والتجمعات المائية لمنافعهم الفئوية، وان يبتكرون السند الحقوقي لهذه السيطرة باسم حق الاولوية لهم كفئة متميزة.

لقد كان التمايز الاجتماعي بين الفئة العليا من القبيلة والفئات الدنيا منها، يتجلى في مظاهر كثيرة من ابرزها : تميز الرؤساء بنصب خيامهم في المرتفعات المشرفة على خيام سائر ابناء القبيلة، وبافضلية هذه الخيام من حيث القيمة النوعية، وبامتياز مقتنياتهم المنزلية، كالسجاجيد النفيسة والاواني المعدنية والزجاجية الغالية الاثمان، وبافضل الاسلحة، واجمل أسرجة الخيل والابل في حين كان فقراء القبيلة يعانون الشقاء المادي.

ولم تكن ظاهرة الصعلكة المعروفة عن هذه الفترة من الجاهلية سوى نتيجة مباشرة لهذا الشكل من التفاوت والتمايز الاقتصادي- الاجتماعي. ولم يكن الصعاليك سوى فئة من فقراء القبائل المختلفة عبرت بانسلاخها من جماعاتها القبلية وتفردها في الصحراء للغزو والسلب عن واقعين اثنين لهما دلالة واحدة : عبرت اولاً عن خروجها على الانتماء الذي يلزمها الالتصاق بحياة القبيلة والانقياد لأوضاعها وأعرافها مهما لقيت من عوز واضطهاد وعبرت ثانياً عن حاجة مادية لم تستطع احتمالها في ظل القبيلة، اما دلالة ذلك فهي ان التمايز الاجتماعي قد بلغ من تاثير على الفئات المستضعفة حداً يدفع بعضها الى تفكيك علاقاتها القبلية، وهذه الدلالة تشكل علامة بذاتها على الانحلال الذي يتسرب الى داخل النظام القبلي[٥].

إن هذه الفوارق الاقتصادية – الاجتماعية، كانت قد بدأت تحدث اشكالاً أولية من التململ والتمرد (الصعاليك، الطرداء) كعلاقة على بدء تحول هذه الفوارق الى تناقضات فعلية، تصبح أساساً لانقسام المجتمع الى طبقات، وان بصورة جنينية[٦].

الشنفرى ولاميته : انشودة الصحراء:

(لامية العرب) قصيدة الشنفرى الطويلة، إذ بلغ عدد أبياتها (ثمانية وستين بيتاً) وبنيت على (البحر الطويل) وقد حظيت بشروحات عديدة قديماً وحديثاً، ونالت قسطاً كبيراً من الاهتمام

العربي والاستشراق الغربي والشرقي والقصيدة تبدأ بالآتي:

١- أقيموا بّني أمي صُدورَ مَطيِكمْ
فَإني إلى قوم سوَاكُمْ لأَ مْيَلُ
٢- فَقَدْ حُمَّت الحاجاتُ و الَّليلُ مُقْمرُ
وَ شُدَّتْ لطياتٍ مطايا وأرحُلَ
٣- وإنْ مُدتَ الايدي الى الزاد لم اكنْ
باعجلهم إذ أجشع القوم أعجلُ

يبدأ الشنفرى قصيدته أو (لاميته) بمخاطبة رفاقه أو قومه (بنو أمي) بان تقف أبلهم تجاه اي شطر تيممون، فهو اي الشاعر يستهويه صحبة قوم غير قومه، وصدور الابل، تعني الجهة التي يراد الوصول اليها. والقيام هنا يعني الوقوف، والشاعر هنا كان قد اختار،واتخذ قراره بالبراءة من قومه واعتزالهم، وانه قد اختار قوماً سواهم[٧].

ومطلع قصيدة (لامية العرب) مطلع خطابي موجه الى قومه وهذا يعني أن خطابه مسموع لدى قومه، وقوم الشنفرى معروفون، اي (الصعاليك) وهم الفقراء والمهمشون فهو يوجه الخطاب اليهم ويعدهم قوماً، وهم كذلك او هم فئة كبيرة، او جماعات شعبية واسعه الانتشار، توحدهم المعاناة وشغف العيش، والاذلال والقمع والاضطهاد، وبنوا الام هم بنو البشر بمعنى اخر.

وفي استعراضنا (للامية العرب) بأبياتها (الثمانية والستين) وجدنا لزماً علينا ان نتوقف عند بعض القضايا الكبرى، التي تثيرها اسئلة القصيدة في واقعها التاريخي، الذي كنا قد استعرضناه في ماسبق من البحث، فما أثارهما البيتان الاتيان ينبغي التوقف عندهما قليلاً، لتامل طبيعة التفكير والوعي، الذي انتج مثل هذه القضايا الاجتماعية والسياسية والعقلية :

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى
وفيها لمنْ خافَ القلي متعزلُ
لعمركَ ما في الارض ضيق على امرئ
سرى راغباً او راهباً وهو يعقلُ

منذ مطلع القصيدة يتبين لنا، ان الشاعر (الصعلوك) هذا لم يكن وحيداً في ساحة الدفاع عن النفس، وتحقيق الحقوق المستلبة بل هو قائد لهذا التيار الشعبي العريض وشاعرُ تجاوز السائد والمالوف من اشعار تلك الحقبة الزمنية القاسية، وثقافة مثقفيها.. ففي البيتين الانفي الذكر نلتقي بقضيتين مهمتين:

الاولى: اسلوبا الترهيب والترغيب، اللذان يمارسهما أصحاب السلطة والنفوذ مع كل من يخالف القوانين الجائرة، التي يفرضها رؤساء القبائل والمتنفذون على مرؤسيهم، وهما أسلوبان مورسا في العصر الحديث من قبل سلطات الاستبداد والقمع مع كل من يعارض سلطاتها.

فالشنفرى يذكرنا بالاساليب التي مارستها معه ومع (بني أمه) السلطة القبلية الاستبدادية وقوانينها الجائرة، الامر الذي يحتم عليه أن يبحث عن طريق آخر يستطيع من خلاله ان يحافظ على حياته. وهذا الطريق هو طريق الهرب واللجوء الى المنافي البعيدة، وكانت هذه المنافي في ذلك الوقت هي الصحراء البعيدة الواسعة، ومجتمعها الحيواني المتوحش الذي فضله على غيره.

والقضيه الثانية: هي قضية العقل (وهو يعقل). وهنا تعبير عن ثقافة الشعراء وموقفهم من العقل وحريته في التفكير، واتخاذ القرارات استجابة لحرية الراي واحترام العقل البشري، الذي تعرض للالغاء من قبل بعض (السلفيين) الاسلاميين منذ النصف الثاني من القرن الاول

الهجـري على يد (الجبريــين) وموقفهم الرافض للعقــل، ولاصحــاب حريــة الــراي، والعقلانية أي (القدريــين)، وهذا يعنــي أن مثقفي ما قبل (الســلفيين) هم أكثر وعياً واكثر احتراماً للعقل واهميتة في حياة الانسان.

وفي البيتــين الســابع والثامــن يتحدث الشــاعر (الصعلــوك) عــن قضيتين أساســيتين، يدخلان في هذا الــصراع الدامــي، ويطبعانــه بطابعهما التناقضي الحاد، وهما قضية الشجاعة والبسالة اولاً، التــي يشــعر بوجودهــا، وهــي تغطي كل كيانــه، وتســتحوذ عــلى مشــاعره. والقضيــة الثانية، هي قضية القناعة والجشــع وهما أمران متضادان ومرتبطان بالشجاعة والبسالة ايضاً، التــي يتميز بهما الصعلوك، وقد عبر الشــنفرى عن الشجاعة والقناعة في قولة:

وكلَّ أبي باسلُ غيْرَ أنني

إذا عُرضت أولى الطرائد أبْسَلُ

وأنْ مُدَّت الأيدي إلى الزادِ لم اكن

بأعجَلهمْ إذْ أجْشعً القَوم أعجلً(٨)

فالشنفرى يرى في نفسه، وفي نفس كل صعلوك مطــارد، يــرى الشــجاعة والبســالة متوجتــين بالقناعــة والشــهامة والمتضادتــين مع الجشــع والطمع، المدفوعين بدوافع العجلة والتسرع.

فالشجاعة أوالبســالة، التي يتميز بها الصعلوك أصبحت صفة ملازمة لمن ينتمي الى صفوف هذه الجماعــات التي خلعتهــا القبائل في الصحراء، وحاربها واســتعبدها الاغنياء في المدن العربية في عــصر الجاهلية، وهذه الجماعــات تصافت على الوفاء بينها وبين قضيتها الاســاس، وهي قضية الوجود الانســاني في واقعــه التاريخي، والحفــاظ عــلى اســتمرارية الحيــاة.. وكثــيراً مــا وجدنــا الشــعراء الصعاليــك يحثــون على مقاطعــة المتخاذلــين مــن بــين صفــوف هذه الجماعات الواســعة، ويحرضون النســاء على عــدم الارتبــاط والتعــاون معهــم، وتحديــداً الجبنــاء مــن بــين صفوفهم، وفي هذا الســياق يقول السليك بن السلكة (٩).

فلا تصَلي بصعْلوك نَؤوم

إذا أمــسى يُعَــدّ مــن العيــال

ولكــن كلّ صعلــوك ضروبٍ

بنصل الســيفِ هامات الرجال

وفي البيتــين الرابــع والعشريــن والخامــس والعشريــن مــن (اللاميــة) يتحــدث الشــاعر (الصعلــوك) عن نفســه، وعن إرادتــه الحرة، يتحــدث عــن هــذا التحــول في مســيرة حياته الغارقــة في الاذلال والتهميــش والجــوع، ويتحــدث عن اتخــاذه لقــراره الاخــير، الذي ألزمــه حمــل الســلاح، والانخــراط المباشر في مقارعــة قوانــين القبيلــة ونواميســها الجائرة وهو القائل :

ولكن نفساً مرة لاتقيم بي

على الذام الاريثما اتحول

وأطوي على الخمصِ الحوايا كما

أنطوت خيوطة ماري تغار وتقتل(١٠)

وواضح أن رجع الحديث في هذين البيتين يعود الى المجتمع وناسه ومواصفاته ومعاييره، وكانه يضيــف الى ماســبق ونــوه به مــن ان ميله عن قومــه ومجافاتــه لهم، لم تكن بســبب انحراف في نفســه، وزيغ عن الصواب، وانما كان بسبب انحراف في هذا المجتمع ذاته، وزيغ عن مســالك الحــق، وان هــذا الانحــراف في ســلوك المجتمع القبــلي لــم يكن وليــد الصدفة، وانمــا نابع من قوانين ونواميس القبيلة، التي يقرها الرؤســاء، ويلتزم بها المرؤوســين، وكانها شيئ منزل من الســماء والخروج عليها يعد خروجاً عن قوانين القبيلــة وعاداتها وتقاليدها، التي تحكم اعضاء

القبيلـة، سـواء اكانت هذه القوانـين جائرة ام غير جائرة.
وعلى هذا الاساس جاء قرار (الشنفرى) بالحرب، وحمل السـلاح ضـد قوانين الظلم والاسـتعباد، وتجويـع فئات واسـعة مـن المجتمـع واذلالهم لاسـباب لم يكونوا يوماً ما طرفاً فيها، فمن اجبر الآبـاء على ان يتزوجوا (إمات) سـود ثم يتخلون عن أبنائهم ومن بينهم أبناء برزوا في الشـجاعة ومنهم من تميز بالشعر، وبرع فيه ؟
لقـد ارتفـع الشـنفرى في لاميتـه، التـي تسـمى بـ(لاميـة العرب) في تصويـر الحياة الجاهلية، الى مسـتوى الخلق الفني الموهوب، حتـى أضحـت لاميته، مـن اهم وثائـق الفن والحياة المعبرة عن نموذج المعيشـة الجاهلية.
إن الشـنفرى حـين اختار الصحـراء منفى لـه كان ينطلق من فلسـفته الخاصة ونظرته الى طبيعـة الحيـاة في ظـل مجتمـع تسـيره وتحكمـه أهواء القبيلـة وعاداتها وتقاليدها، التـي لاتسـاوي بـين أبنائها، الذيـن هم من قبيلـة واحـدة، الامـر الـذي يتعـارض مـع فلسـفة الشـنفرى ورؤيتـه للحيـاة، فهـو يرفـض التمييـز ولايقبل الاهانة والسـكوت عليهـا، وهـو الشـاعر (البـارز) والفتـى الشـجاع، الذي يرفـض الاذلال، لذلك اختار له منفـى بعيداً عن ظلـم القبيلة انطلاقاً من قوله في اللامية :

لعمرك مـا في الأرض ضيـق عـلى امـرئ
سرى راغبـاً أو راهبـاً وهـو يعقـل

وهـو يعقل، وهذا أمر هام، واشـارة نادرة تـدل عـلى التفكير والوعـي العقـلي في زمن تميـز بالجاهليـة أولاً، وبالخيـال الشـعري ثانيـاً وفي زمـن طغـى فيـه ضنـك العيش، بالنسـبة للشـنفرى، وامثالـه، كمـا تميـز بإنسـحاق الانسـان، وشـل قدراتـه عـلى التفكير والتعقل.
وفي قول الشنفرى في اللامية أيضاً :

وفي الأرض منأي للكريم عن الاذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل

فالشـنفرى هنـا كان يـرى بان كريـم النفس يجـد في التنقـل في الارض ما يبعـد به عن أن يتحمـل الضيـم، او ان يلحقـه الاذى، وان من خـاف بغض الناس له يسـتطيع أن يعتزلهم، ويبتعد عما يفعلون.
فحرية الانسـان المضطهد يمكـن ان تكون في هـذه الارض الواسـعة، اذ ان الارض لاتضيق على امرئ عاقل، شـد الرحال سـواء أكان هذا المـرء راغباً في الرحيل، مقبلاً عليه ام راهباً له، متحسـباً عواقب المجهول، الذي يصاحبه.
ويبـدوا ان الترهيـب والتعذيب كان سـائداً في عـصر الجاهليـة، مثلمـا هو سـائد في عصرنا الراهـن، لانهمـا مرتبطـان بالخـير والـشر، والاثنان صفة ملازمة للانسـان منـذ الخليقة وحتـى الان، فـان من يتخـذ مثل هـذا القرار عليـه ان يختـار مجتمعـاً – اذا كانـت هناك فرصـة للاختيار – آخـر يجد فيـه الاطمئنان عـلى حياتـه، وعدم الاعتـداء عـلى كرامته كما يجـد فيه حرية التعبـير عن مواقفه وعن آرائه وسـلوكه الشـخصي، والشـنفرى حـين اختار مجتمع الصحـراء، كان مقتنعـاً بخياره هذا، فقد قال في لاميته :

هم الاصل لامستودع السرَّ ذائع
لديهم ولا الجاني بما جَرّ يخذلُ

إن مطلـع هذا البيت (هم الاصل) يحمل دلالات عميقـة جـداً، أثـارت ضجـة عالميـة في عصرنا الحديـث، ويدخـل العلم طرفـاً أساسـياً فيها. وان هـؤلاء الاهل الجدد لا يذيعـون في الناس ما

يستودع لديهم من اسرار، ولايخذلون العائذ بهم، وإن كان ذا جرائر، وهو يرى بانه ليس عبئاً على هؤلاء الاهل الجدد، ولا على صحبته لهم، وهو ليس بالذي يستغل منها شمائلها التي يحبها وكانت (اللامية) قد افتتحت بمخاطبة الاهل والاصدقاء من ابناء جلدته المهمشين :

أقيموا بني امي صدور مطيكم
فإني إلى قومٍ سواكم لأمْيَلُ

إذن فهو قد اختار (اجناساً) أخرى بدلاً من ابناء جلدته، من ابناء البشر الذين ينتمي اليهم، إذ أن إلفته للارض التي اختارها، وما فيها من وحوش، ليست إلفة تعشق ومحبة لذاتها، لكنها الفة بقرار يأئس ممن حوله، وهي الفه فيها عنت ومشقه، ولكنه يصبرّ نفسه عليها.

وبالتالي، فان حياة المجتمعات، وما حصل فيها من تحولات تاريخية، عبر مراحل التطور المادي للتاريخ كانت محط اهتمام الادب والفن. فالادب والفن يشكلان إبداعاً واحداً، يؤرخ لحياة المجتمعات وأزماتها وصراعاتها وتحولاتها، وهذا ما يؤكد عليه هاينه عندما قال: ((غريبة هي نزوة الناس، انهم يطلبون تاريخهم من يد الشاعر، وليس من يد المؤرخ، إنهم يطلبون ليس تقريراً أميناً عن حقائق مجردة، بل تلك الحقائق التي انحلت عائدة الى الشعر الاصلي الذي جاءت منه))[١١].

*** الهوامش:**

(١) ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي : د. صبيح الجابر: ص٤٣، ٤٤.

(٢) ديوان الشنفرى : اعداد وتقديم : طلال حرب : ص٢١، ٢٠.

(٣) المصدر نفسه : ص ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٤١.

(٥) المصدر نفسه: ص ٢٤٩.

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ص ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٢.

(٧) ينظر : المهمشون في التاريخ الاسلامي : د. محمود اسماعيل: ص١٦، ١٧.

(٨) ينظر : في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى : ١٢ وديوان الشنفرى (لامية العرب) اعداد وتقديم : طلاب حرب: ص ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٣، ٦٤، ٦٥.

(٩) ديوان الشنفرى : لامية العرب : ص ٥٦.

(١٠) المصدر نفسه : ص ١٥.

(١١) ينظر : ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي : د. صبيح الجابر : ص٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥

المصادر والمراجع:

١- النزعات المادية في الفلسفة العربية – الاسلامية / د. حسين مروة / بيروت – لبنان / ط١، ٢٠٠٢ – ط٢ –٢٠٠٨ / اربعة مجلدات.

٢- المهمشون في التاريخ الاسلامي / د. محمود اسماعيل / رؤية للنشر والتوزيع / القاهرة – ط١ –٢٠٠٤.

٣- تاريخ الادب العربي / د. عمر فرّوخ / دار العلم للملايين / بيروت- ط٦ / ١٩٩٢ / ستة مجلدات.

٤- ديوان الشنفرى / اعداد وتقديم : طلال حرب / الدار العالمية–بيروت–لبنان ط١-١٩٩٣.

٥- ظاهرة الغربة والحنين في الشعر العربي / د. صبيح الجابر / دار ومكتبة عدنان / بغداد – شارع المتنبي / ط١-٢٠١٣.

٦- في التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى / محمد علي ابو حمدة / مكتبة الاقصى / عمان – الاردن / ط١_ ١٩٨٢.

٧- من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام / بندلي جوزي / دار الاداب.

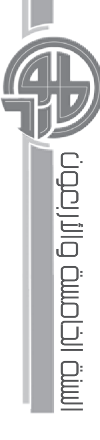
Lamiyat Al-Arab by Al-Shenfary

(Contemporary literary reading)

By: Dr. Sabeih Mezal Jaber 

Abstract

The study of (Lamiyat Al-Arab) to Al-Shenfary in a light of the historical material approach or in scientific one that will discover the nature ,social, economical, cultural life through its historical reality ,or through the second Jahiliya and also the last one concerned with Islamic call from many deep questions that presented Epic poem which had great effect on the history and the heritage of Arabic literature ,specially the poetic field. This poem to Al-Shenfary made the Russian Kratechkovesky represented it as (the desert chant)that had differ from ignorant consideration an ignorant poetry as (tribe poetry) whereas (Al-lamiya) had considered from the raids ,this would rebel against tribe , its traditions ,its laws and others.



هاشمية الأنبار

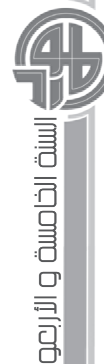
في ضوء التنقيبات الأثرية

د. سعدي إبراهيم الدراجي*

● المقدمة:

تعد الأنبار مدينة قديمة إذ يعتقد بعض الباحثين بأنها من المدن البابلية، وقد تطورت في العهد الساساني حتى أصبحت شهرتها في العراق تلي شهرة مدينة طيسفون. وقد سورت وحصنت لتكون قلعة أمام غارات الرومان المستمرة على حدود هذه المملكة من ناحية الفرات. وموقعها على نهرين هما الفرات وعيسى اكسبها أهمية خاصة.

أما هاشمية الأنبار التي بناها أبو العباس السفاح سنة (١٣٤هـ)، فإنها بنيت بجانب الأولى، وبها قبره، وقد سكنها من بعده المنصور قبل أن يشيد عاصمته الجديدة بغداد. وعلى الأرجح أن هاشمية الأنبار بقيت قائمة حتى نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي استنادا إلى اللقى الأثرية التي عثر عليها المنقبون في المدينة. وهي اليوم عبارة عن مجموعة من التلول الكبيرة فيها بعض الأطلال التي تشير إلى بنائها بالآجر واللبن. وتقع شمال غرب مدينة الفلوجة بمسافة لا تزيد عن ٦ كم. وقد قامت دائرة الآثار والتراث ولأول مرة في عام (١٩٩٩م) بالتنقيب في نقاط منتخبة منها ولأربعة مواسم استمرت حتى عام (٢٠٠٢م)[١].



* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

كشفت في أثنائها عن أدوار حضارية متعاقبة تمثلت بطبقات سكنية قوامها مجموعات من الوحدات البنائية وجد فيها لقى أثرية متنوعة بعضها جرار فخارية وأخرى مزججة ومسارج وأدوات حجرية ونحاسية وزجاجية مختلفة الاستعمالات، فضلا عن المسكوكات الذهبية والفضية والنحاسية، يعود بعضها إلى أواخر العصر الساساني وهي دراهم تحمل صور لكسرى وبعضها الآخر من العصر العباسي مضروبة في عصر الخلفاء أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والأمين والمأمون. ودنانير ذهبية من زمن الناصر لدين الله. كما وجدت مجموعة من الدراهم بلغت أكثر من (٢٠٠) درهم تعود للحقبة التيمورية وهي مؤرخة بين (٨٣٠ ـ ٨٥٣هـ).

● آراء المؤرخين في موقع الهاشمية والأنبار:

أختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في موضع هاشمية الأنبار التي بناها أبو العباس السفاح سنة (١٣٤هـ) ، إذ رجح بعضهم بأنها بنيت على الأنبار القديمة ومنهم البلاذري (ت ٢٧٩هـ) الذي أتى برواية تفيد في تأسيس الهاشمية على عهد أبو العباس السفاح.[٢] ويتفق الطبري (ت ٣١٠هـ) مع البلاذري بان أبو العباس السفاح بنى هاشميته في الأنبار القديمة[٣]، وكذلك أبن الفقيه الهمداني (ت ٣٦٥هـ)[٤] وكذلك فعل ياقوت الحموي[٥] .

وهناك فريق آخر من المؤرخين يعتقد بأنها بنيت بجانب الأولى أو بقربها، وفي كتابه المشهور (الأخبار الطوال) قدر الدينوري (٢٨٢هـ) تبعد المسافة بين المدينتين – الهاشمية والأنبار – نصف فرسخ[٦]. وفرق أيضاً بعض المتأخرين بين المدينتين ومنهم ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ)[٧] وابن عبد الحق[٨]، وآخرون[٩] ويذكر شمس الدين أبن خلكان (ت ٦٨١هـ) رواية عن الهاشمية تناقض ما جاء في النصوص السابقة[١٠]، ويكررها في صفحة أخرى من كتابه[١١]. ومهما تكن درجة الاختلاف في روايات المؤرخين حول الموضع القديم للأنبار أو للهاشمية، فعلى الأرجح إن الهاشمية بنيت بقرب الأنبار العتيقة أو شمالها كما سيأتي ذكره، وتوسعت في العصر العباسي حتى ذابت الأولى فيها. ويؤكد هذا الرأي بعض النصوص التاريخية كما عند الطبري[١٢] حين ذكر السفاح[١٣].

● إختطاط هاشمية الأنبار وأبرز معالمها الحضارية:

لم تسهب مصادرنا العربية في طريقة اختطاط هاشمية الأنبار، كما فعلت مع الأمصار والمدن العربية الأخرى مثل البصرة والكوفة والقيروان وواسط وبغداد.... بيد إن المصادر نفسها تتفق على أن الخليفة أبو العباس السفاح قد اختط مدينة جديدة قرب الأنبار القديمة عرفت بالهاشمية، ويعد أبو حنيفة احمد الدينوري(ت٢٨٢هـ) أقدم من فصل في إخطاط المدينة في زمن أبو العباس السفاح الذي «سار من الحيرة في جموعه حتى أتى الأنبار، فإستطابها، فابتنى بها مدينة بأعلى المدينة عظيمة لنفسه وجموعه، وقسمها خططاً بين أصحابه من أهل خراسان، وبنى لنفسه وسطها قصرا عاليا منيفا، فسكنه، وأقام بتلك المدينة طول خلافته، وتسمى إلى اليوم (القرن ٣هـ) مدينة أبي العباس»[١٤] ويفهم من النص الذي أورده الدينوري إن أبو العباس ابتنى الهاشمية بأعلى الأنبار القديمة أو شمالها، وقسمها بين

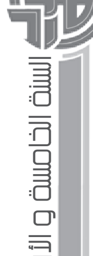
أصحابـه بعـد أن جعل قلـب المدينة ووسـطها لـه ولخاصته، فبنـى على الأرجح لنفسـه قصرا ومسـجدا جامعـا كما فعـل خليفتـه أبو جعفر المنصـور مـن بعده في بغـداد. وهو في السـياق نفسه الذي أورده اليعقوبي [١٥].وذكره ابن عبد ربه الاندلسي(ت٣٢٨هـ) في العقد الفريد[١٦].

ويبـدو أن السـفاح أقـام في الأنبـار مصانـع وقصـور عديـدة حيـث تذكر بعـض المصادر «انه لما بنى (السـفاح) مدينة الأنبار دخلها مع أبـي جعفر أخيـه وعبد الله بن الحسـن، وهو يسـير بينهما ويريهما بنيانه وما أقام فيها من المصانع والقصـور....»[١٧] ومن هذه القصور قصر الخلافة الذي يقع في وسـط المدينة وكان منيفـا ويعـرف بـــ (الرصافـة) وهذا الاسـم يطلـق أحيانا على الهاشـمية بأسرها كما يذكر ابـن عبـد الحق(ت٧٣٩هـــ). والحقيقة ليس لدينا معلومات عن قصر الخلافة في الهاشـمية توضـح شـكله وتخطيطه وكل مـا نملكه عنه انه كان واسـعا ومنيفا في بنائه[١٨].

أما المسـجد الجامع في الأنبار فلم يكن من بناء السـفاح، بل هـو بناء قديم، لذلـك عده بعض المؤرخين ثالث مسـجد أسـس في سواد العراق وكان أول مسـجد بنـي بالسـواد هو المسـجد الـذي بنـاه سـعد بن أبـي وقـاص وأصحابه بالمدائن وقد وسـع وجدد واحكم بناءه على يد حذيفـة بن اليمـان (ت ٣٦هـ)، يليه مسـجد الكوفـة الـذي أختطـه سـعد عـام (١٧هـ)، ثـم مسـجد الأنبـار[١٩]. إذن المسـجد الأول في الأنبار بني من قبل سـعد بـن أبي وقاص بعد تحرير المدينة بسـنوات قليلة وعلى الأرجح هو جامع بسـيط في عمارتـه وتخطيطه لا يختلف عن تخطيـط الجوامع المعـاصرة له في كل من البـصرة والكوفة. وهو غير المسـجد الذي بناه أبو العباس السـفاح في الهاشمية، والأخير نال عنايـة كبيرة حيث نقل إليه مواد وزخارف من الجامـع الأموي في حلـب، وذات المواد هي من جملة الآثار الأموية التـي نقضها بني العباس من بلاد الشـام[٢٠]. وموقعه في وسط المدينة قرب قصر الخلافة.

وحـول تخطيـط الجامع وعمارته فعـلى الأرجح إنه يشـبه جامعي الكوفة وواسـط إذ يتكون من صحن مكشـوف يحيط به بيت صلاة ومجنبتان ومؤخرة. مبني بالأجر والجص وأروقته مسـقفة بالخشـب مثل باقي بيوت المدينة، وربما سقوفه المسـتوية تسـتند على أعمدة حجريـة لها تيجان مزينة بزخارف نباتية وهندسـية كما في جامعي الكوفة وواسط . ولعل التنقيبات الأثرية التي من المؤمل أن تسـتأنف في المستقبل تكشف عن بقايا هذا الجامع، لاسـيما وأن الصور الجوية الملتقطة لتلول الأنبار في عام(١٩٣٤م) توضح ملامح من أطـلال لبناء في وسـط المدينة يشـبه الجامع كما يظن بعض الباحثين[٢١].

إن جامع الأنبار كان مدرسـة كبيرة طيلة العصر العبـاسي درس فيهـا عـدد مـن العلمـاء ورواة الحديث المشهورين في عصرهم، ومنهم على سبيل المثـال خطيـب الأنبـار علي بن محمـد بن محمد الشـيباني الانبـاري (ت٤٨٦هـــ)[٢٢]، والمحدث محمد بـن أحمد أبن الخـلال وكان إماماً لجامع الأنبـار (ت٥٤٦هـ)[٢٣]. وينسـب إلى الأنبار عدد كبير مـن العلماء ورد ذكرهـم في تراجم الرجال، عاشـوا في هذه المدينة في العصر العباسي أو بعده وهؤلاء الأعلام لا يحدهم الحصر.



ومن المعالم الحضارية البارزة في مدينة الأنبار دير قديم للنصارى تحدثت عنه مصادرنا بشيء من الإسهاب عرف بدير العُمر أو دير الغراب[٢٤] ويقال له دير ماريونان نسبة إلى راهب بهذا الاسم كان قادما من جزيرة قبرص في نهاية القرن الرابع الميلادي وبعد موته دفن في الأنبار وبنيت فوق قبره كنيسة[٢٥]، ويذكر ياقوت الحموي أن دير ماريونان كان يعرف أيضا بدير عمر ماريونان. وكان كبيرا ومحصناً بسور وهو مجاور لجامع المدينة[٢٦].

وهو ما أجاد الشابشتي (ت٣٨٨هـ) وصفه [٢٧]. وقد وصفته الشعراء وذكرته في قصائد كثيرة[٢٨].

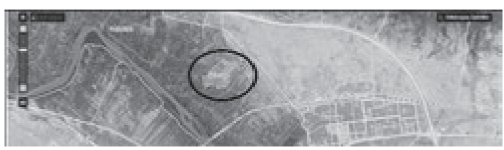
● **الهاشمية بعد وفاة السفاح:**

على الرغم من إن المنصور قد تركها بعد أن آلت إليه الخلافة وانصرف عنها لبناء مدينة بغداد، إلا أن الهاشمية بقيت مزدهرة لقرون بسبب موقعها السوقي على الفرات وقربها من العاصمة ومكانتها الاقتصادية. لذلك لا غرو أن يصفها أبي إسحاق الاصطخري (ت٣٤٦هـ) في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بأنها «مدينة عامرة آهلة ذات نخل وزرع وشجر»[٢٩] ووصفها أخر بأنها «مدينة نزهة وعامرة ذات نعمة غاصة بالسكان»[٣٠]. وفي القرن السادس الهجري وصفها الإدريسي (ت٥٦٠هـ) بأنها مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وبها قلعة وفيها خيرات وفواكه كثيرة[٣١].

ومما زاد من أهمية الأنبار موقعها الاستراتيجي على الفرات وقربها من بغداد عاصمة الخلافة، إذ تعد أولى المحطات الرئيسة للمسافرين إلى الشام في العصر العباسي، كما تعد أحيانا أخر المحطات للقادمين إلى بغداد عبر الفرات أو مع القوافل عبر الطريق الصحراوي[٣٢]. لذلك لا غرو أن يمر فيها الخلفاء والوزراء والأمراء وكبار رجال الدولة. بل أتخذها بعض الخلفاء العباسيين متنزهاً ومنهم الخليفة العباسي المهدي الذي كان يخرج إليها للتنزه والصيد[٣٣].وممن نزلها من الخلفاء أيضاً هارون الرشيد سنة (١٨٥هـ)[٣٤]

● **موقع المدينة وطبيعة التل الأثري:**

تقع هاشمية الأنبار إلى الغرب من مدينة بغداد بمسافة تقدر بـ (٦٨كم). وهي جنوب الصقلاوية بقليل وشمال مدينة الفلوجة بـ(٦كم) فقط. وموضعها في الوقت الحاضر ليس على كتف الفرات كما هو الحال في المدن المعاصرة لها في العصر العباسي مثل دمما، والفلوجة العليا، وصرصر، وكوثي. وجميعها تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات، أما الأنبار فتبتعد عن كتف النهر بمقدار(٢ كم) تقريباً. وتقع عند تقاطع دائرة عرض(٢٢- ٣٣٠) شمالاً وخط طول (٤٣- ٤٣٠)شرقاً. وهي اليوم ضمن الحدود الإدارية لناحية الصقلاوية التابعة لقضاء الفلوجة المرتبط بمحافظة الأنبار. (الصورتان – ١، ٢)



(الصورة – ١) موقع الأنبار وبعده عن الفلوجة



(الصورة – ٢) حدود موقع الأنبار الأثري

● **بداية الكشف الاثري:**

دلـت التنقيبـات والمجسـات التـي عملت في النقـاط المختارة مـن التل الأثري إن هاشـمية الأنبـار كانـت معززة بأسـوار دفاعيـة لم يبق منها الكثير سـوى أجزاء غير مكشوفة في الجهة الشرقيـة من المدينـة، وذلك بسـبب الانتهاكات والتجاوزات المسـتمرة من قبل أصحاب المزارع القريبة منها. أو بسـبب الفيضانات التي طالما كانـت تهدد بغـداد بالغـرق فتهب السـلطات الحاكمـة لـدرء الفيضـان في هـذه المنطقة من خلال تعزيز السـدود بالحجـارة والأتربة التي تؤخـذ من بعض المواقـع القريبة ومنها الأنبار. وآخر اعتداء شـهدته تلـول الأنبار كان في ربيع عـام (١٩٦٨م)، حيث شـهد الفـرات ارتفاعا مهـولا في منسـوب مياهـه فهرعت السـلطات إلى تعزيـز السـدود الواقعة غرب تلـول الأنبار بالأتربة المخلوط بكسر الآجر من موقع هاشمية الأنبـار. وممـا زاد الطـين بله إن حمـل الأتربة والآثـار كان بوسـاطة الجرافـات (الشـفلات) الأمر الذي أضاع أجزاء مهمة من المدينة لاسيما المعالم التي تقع في أطرافها.

والحقيقـة لـم تختـف المعالم البـارزة في موقع هاشمية الأنبار إلا بعد تأسيس مدينة الفلوجة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والفلوجة في أول أمرهـا قرية تابعـة إلى ناحية الصقلاوية ثم أصبحت ناحية في العام (١٣١٨هـ / ١٩٠٠م).

إن جميـع منشـآت الصقلاويـة والفلوجـة كانت مشـيدة بآجر الأنبار الـذي بقي ينقل على ظهـور الدواب من قبـل النُقاب ليبـاع للراغبين بالبناء حتى عام (١٩٣٤م). حيث منع قائمقام الفلوجة آنذاك الأهـالي من نقل الآجر وبيعه بعد أن كتـب كتابـا إلى متصرف لـواء الدليم بتاريخ (٨/٥/١٩٣٤م) يعلمـه بأنـه منـع الناس من النبـش وأخذ الأجر من موقـع الأنبار وطلب منه مفاتحـة مديرية الآثار القديمـة في بغداد لإيفاد متخصصين للكشـف عـن الموقع بغيـة معرفة أهميته التاريخية ليتسـنى لهم الاستمرار بالمنع أو السـماح للنـاس بنقـل الطابوق مـن المدينة الأثرية.

لاسيما وان أهالي الصقلاوية والفلوجة اعترضوا على قـرار القائمقـام بحجة انـه لا يوجد محل آخـر قريب يتزودون منه بمـواد رخيصة الثمن تعينهـم عـلى بناء مسـاكنهم وقد اعتـادوا منذ عقـود على نقـل الآجر من هـذا الموقـع، وفعلا فقـد اسـتجابت مديريـة الآثار القديمـة لطلب متصرفية الأنبار على عجالـة وأوفدت فريق من الخـبراء بتاريـخ (٢٦/٥/١٩٣٤م) إلى موقـع الأنبار وعلى رأسـهم مدير الآثـار آنذاك الألماني (يوردن) والـذي كتب بدوره تقريرا إلى مرجعه معالي وزيـر المعارف يخبره عـن طبيعة الموقع وأهميتـه التاريخية وقد شـجع عـلى تأييد قرار قائمقـام الفلوجة في منع الأهـالي من نقل الأجر منه بوصفة يمثل أحدى العواصم العباسية[٣٥].

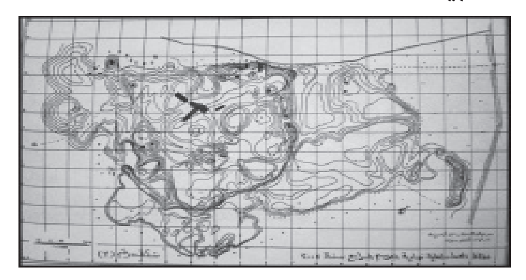
● **طوبوغرافية التل وبداية التنقيب:**

لقـد بينت الصـور الجوية الملتقطـة للمدينة الأثريـة في عام (١٩٣٤م) والخرائط الكونتورية التي رسـمت قبيل البـدء في التنقيـب إن المدينة غـير منتظمة الأبعـاد، طولها يربـو على (٢كم) وعرضهـا (١كـم) تقريبا. وان أعـلى نقطة فيها ترتفـع في الوقت الحـاضر عن السـهل المجاور بحـدود (١٣م) (الخارطـة – ١) وقـوام المدينة الأثرية اليوم سلسلة من التلال المترابطة المتباينة



في الارتفاع. يخلو سطحها من الأبنية والجدران باستثناء ضريحين. ولا شك في أن خلو المدينة من المنشآت كان بسبب الدمار الهائل الذي تعرضت له في العهدين العثماني والملكي، وقد بنيت في طابوق الأنبار مدينتين هما الصقلاوية والفلوجة كما أسلفنا.

تنتشر على التل اليوم آلاف الكسر من الطابوق والفخار معظمه خال من التزجيج وقطع أخرى من الزجاج الملون فضلا عن قطع من المسكوكات النحاسية المتآكلة بفعل الرطوبة والأملاح. وتوجد في الجهة الغربية من الموقع مقبرة حديثة ومزارين تعلوهما قباب حديثة البناء، أحدهما يقع خارج حدود المدينة يسمى (أبو الفياض) والثاني ضمن حدود التل الأثري يسمى (أبو خمرة). والموقع محاط بالمزارع من بعض الجهات مما سهل على الفلاحين التجاوز عليه ولاسيما من الجهتين الشمالية والشمالية الغربية.



(الخارطة – ١)

الخارطة الكونتورية لموقع الأنبار عن دائرة الآثار والتراث

وعلى الرغم من أهمية المدينة من الناحيتين التاريخية والحضارية فإنها لم تكن على جدول الأولويات في الخطط المعدة في دائرة الآثار والتراث بوصفها المعنية في الكشف الأثري، حتى تموز عام (١٩٩٩م). حيث بدأ الموسم الأول للتنقيب واستمر إلى نهاية كانون الأول من السنة نفسها.

وقد أسفرت التحريات الأولية في الموقع عن تعيين أربع نقاط للتنقيب للموسم الأول في العام (١٩٩٩م)، تم اختيارها وفق معطيات علمية وفنية. الأولى في الجهة الجنوبية الغربية وتمثل الحفريات الرئيسة والثلاث الباقية توزعت على الجهات الشمالية والجنوبية والغربية. وتقع في المربعات الموشرة في الخارطة الكونتورية للموقع E.9,H.10,C.10,C.9 .

- **العمارة ومواد البناء:**

على الرغم من استمرار التنقيبات لأربعة مواسم في الهاشمية، فإنها لم تكشف إلا جزءاً يسيرا من المساحة الكلية للمدينة الكبيرة. كما إن التنقيبات فيها لم تقتصر على نقطة معينة من التل الأثري ثم التوسع منها أفقيا وعموديا، بل تشتت الجهود في نقاط عدة اختيرت بناء على معطيات علمية وفنية على أمل أن تسفر أحداها عن نتائج طيبة توصل المنقبين إلى أهم معالم المدينة ومنشآتها وسورها ومداخلها وتكشف عن أول استيطان فيها. كما ان الصورة التي رسمتها التنقيبات للأحياء السكنية لم تكتمل بسبب حجم الدمار الهائل الذي أتى على المدينة جراء التنقيب عن الآجر من قبل سكان المنطقة وإعادة استعماله في البيوت الحديثة. وهناك سبب آخر أسهم في النبش أيضا هو اتخاذ بعض التلول في المدينة الأثرية مقابر لدفن المسلمين من أهل المنطقة لقرون طويلة ما ساعد على تخريب الكثير من جدران وأرضيات الطبقات البنائية.

والحقيقة إن التنقيبات قد أخفقت في الوصول إلى المنشآت العامة في المدينة مثل المسجد الجامع ودار الإمارة كما إنها لم تكتشف قصور كبيرة، وجميع المكتشفات اقتصرت في المواسم الأربعة

على بيوت السكن وكانت بسيطة لعامة المواطنين. تتكون من مجموعة حجـرات تنفتح على صحن مكشـوف، ويفصل بين هذه البيوت أزقة ضيقة أحيانا لا يزيد عرضها عن مترين أو ثلاثة.



ص(الصورة – ٣) جانب من تنقيبات الأنبار

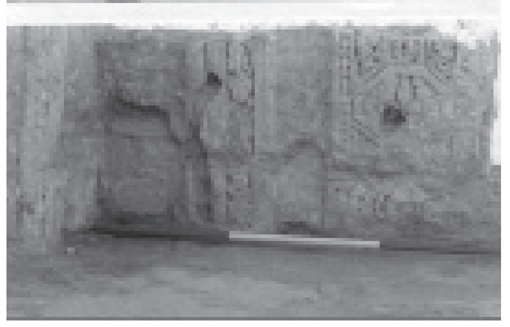
لقد كشـفت التنقيبات في المواسم الأربعة عن بيوت سكن كثيرة، ومعظم هذه البيوت صغيرة المساحة والقليل منها تتمتع بمساحات واسعة. كما ان الوحدات البنائيـة التي تتوزع في داخل هذه البيوت صغيرة ومتباينة في المسـاحة. منها حجـرات أبعادها لا تتعـدى (٢,٥×٢م) ومنها واسع نسبيا، وتربو أبعادها على (٤,٢٠× ٤م)، نجدها مزودة أحيانـا بدكة من البناء (١,٢٠× ٢م) هـي بمثابة سرير ثابت للنـوم والجلوس. بيـد إن تنقيبات الموسـم الرابع عام (٢٠٠٢م) كشـفت عن بيـوت واسـعة، ومنها على سـبيل المثـال دار في وسـط المدينة لهـا أهمية خاصة بوصفها ذات مساحة واسعة وحجراتها كبيرة، وموقعها على الخارطـة الكنتورية ضمن المربع (H.8). وتصميـم الدار تقليـدي لا يختلف عن تصميـم البيوت الأخرى المكتشـفة. يتوسـطها صحـن مكشـوف (٥,٦٠×٤,٦٠م) مغطـى بالآجـر (٢٠×٢٠× ٥سـم) في وسـط الصحن بالوعة لتصريف المياه[٣٦].

إن بعض جدران هذه الدار مبنية باللبن على أسـس من الآجـر وبعضها الأخـر مبني بالآجر فقط، ومجصصـة من الداخل والخارج. وتضم الـدار المذكـورة خمسـة حجرات واحـدة منها كبـيرة أبعادها (٧×٣,٣٠م) كسـيت أرضيتها بالجص وزخرفت جدرانهـا الأربعة بإزارة من الزخارف الجصية ولا نعلم ارتفاعها لانقطاعها بسـبب عمليات التخريب وقلـع الآجر، وارتفاع المتبقـي منهـا مـتر تقريبـاً. وقـوام الزخرفـة عنـاصر نباتية تمثـل أغصاناً وأوراقـاً متنوعة تتشـكل داخل أطر هندسية لترسم لوحات فنية تذكرنا بزخارف سامراء المشهورة.

ولا شـك في أن وجـود الزخـارف في عدد من البيوت السـكنية يعكـس أهمية هـذه البيوت، ويؤكـد اسـتمرار اسـتعمال هذا الأسـلوب من الزخرفـة في العـراق. وفي الوقـت نفسـه يؤرخ إلى طبقـات البنـاء عنـد مقارنتهـا بالزخارف المكتشـفة في المدن العراقية الأخرى مثل البصرة والكوفـة وواسـط وسـامراء. ويقينـا لـو قدر

للتنقيبات أن تستمر سنوات أخرى لكشفت عن بيوت وقصور كبيرة جدرانها مزينة بالزخارف الجصيــة. ومــن الأهميــة بمكان أن نشــير هنا إلى الجــس الذي قامــت به هيئــة التنقيب أثناء الموســم الرابع (٢٠٠٢م)، وكان في أعلى نقطة من المدينة، إذ كشــفت فيه عن وحدات ســكنية وجدت ضمن الطبقة الخامسة على عمق(٩م)، كانــت جدرانها مزينة بالزخــارف الجصية، ما يدل على قدم الزخارف الجصية في هذه المدينة. وبصورة عامة فإن الزخارف القليلة المكتشــفة في بيــوت هذه المدينة تعتمــد على عناصر نباتية محددة بأطر هندســية، بعضها مجرد خطوط مســتقيمة ناتئــة تتقاطــع لترســم مربعــات مكــررة ذات خطوط مزدوجــة تضم في داخلها منحنيــات ودوائر بارزة في غاية من البســاطة. وهذه الزخارف وجدت في الطبقة الخامسة من النقطة الشمالية ج. وهو ما يؤكد قدمها. وهناك نــوع ثان مــن الزخرفــة وجدت في نقــاط عدة منها النقطة الوســطية بـــ ضمن المربع(H.8) في الــدار الســالفة الذكــر، وزخارفهــا تشــبه زخارف ســامراء من الطراز الأول والتي تعتمد بالدرجــة الأولى على العنــاصر النباتية مصورة بشــكل قريب من الطبيعة داخل اطر هندسية، وتتمثــل العناصر النباتية بورقة العنب الثلاثية أو الخماســية الفصــوص ذات حفــر بســيطة أصطلــح عليها بــ (العيــون). وهي تنطلق من أغصان ملتوية تحمل معها ما يشــبه العناقيد. وبجانب ورقة العنب هناك ورقة أخرى اعتمدت بالزخرفة هي الورقة الرمحية المرتبطة بالساق وجعلهــا الفنان تتوســط اللوحــة داخل الأطر المثمنة وحولهــا أوراق العنــب، وهناك المراوح النخيلية (البالميــت) وقد ظهرت في أحد البيوت مكــررة في أحــد الأشرطة التــي تزيــن جانبي النوافذ أوالأبواب





(الصــورة ــ٤ــ زخــارف جصيــة)

ومــن الأهميــة بمــكان عنــد دراســة هذه الزخارف وتحليــل عناصرها أن نلحظ طريقة الحفــر حيث أعتمد الفنان على أســلوب الحفر العميــق الفاصــل بــين العنــاصر وخلفياتهــا ليحقــق نوعا مــن التباين بين الظــل والضوء.

وهذا الأسلوب معروف في الطراز الأول من زخارف سامراء وتاريخها يرجع إلى منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وأمتاز هذا الطراز أيضاً بصغر العناصر الزخرفية التي اعتمدت على ورقة العنب وعناقيدها وقربها من الطبيعة، لان فن التجريد لم يظهر في زخارف سامراء على نحو واضح إلا في الطراز الثالث.

● **مواد البناء:**

أسفرت التنقيبات في المواسم الأربعة عن أرضيات كثيرة داخل بيوت السكن ومنها أرضيات الصحون والحجرات ومعظمها مبلط بالآجر المربع من الحجم الكبير المعروف بالفرشي (٣٢×٣٢×٧سم)، وهناك آجر من النوع الفرشي أكتشف بكميات محدودة يغطي أرضيات بيوت أبعاده (٣٧× ٣٧× ٧سم)، وهذا النوع يختلف عن الآجر المستعمل في بناء الجدران والأقبية والآبار والأخير أبعاده (٢٠×٢٠×٥سم). والآجر محلي مصنوع في المدينة نفسها. حيث اشتهرت المنطقة منذ القدم بإنتاج أنواع جيدة من مواد البناء ولاسيما الآجر والجص. علما أن ثخن معظم الجدران المبنية بالآجر (٦٠سم).

ومن المفيد ذكره أن هناك صعوبة في معرفة أشكال الآجر والتثبت من قياساته عبر العصور التاريخية لحضارة بلاد الرافدين، فمثلما اختلف شكله اختلفت أبعاده أيضا. ولم يقتصر تباين الآجر بين المدن وأدوارها الحضارية بل تعداها إلى أن يظهر الاختلاف خلال طبقة واحدة تعود لفترة زمنية معينة. وعلى الرغم من التباين المذكور فقد سادت في بعض العصور أشكال متشابهة تقريبا هدت ألأثريين إلى التعرف على بعض الأدوار التي مرت بها بعض المدن العراقية القديمة(٣٧).

وبجانب الآجر اعتمد المعمار في بناء البيوت على اللبن وبشكل كبير حيث أظهرت التنقيبات جدراناً مبنية باللبن المربع ذي أبعاد مختلفة منها كبير الحجم (٢٧×٢٧×٧سم)، ومنها بحجم الآجر نفسه. أما المواد اللاصقة فتشمل الجص والطين، وفيما يخص الجص فالمناطق القريبة من الأنبار غنية بالحجر الكلسي، كما أنها ذات غطاء نباتي طبيعي ينتشر على شكل شجيرات تغطي مساحات واسعة أستغلها الناس في هذه المناطق للوقود، ليس هذا فقط بل أن جمع الحطب في هذه المناطق وبيعه أصبح مهنة أثناء العصر العثماني. حيث كان الناس ينقلون حزم الحطب كل يوم إلى بغداد بالزوارق عبر نهر عيسى لبيعه هناك.

ومن المعروف إن الحطب هو من أقدم أنواع الوقود المستعمل في صناعة الآجر. وافتقار العراق إلى الغابات دفع الناس إلى الاعتماد على النباتات الصغيرة والأدغال المتوفرة في الأراضي المهملة والتي يكثر فيها أنواع عديدة من الشجيرات الصالحة لهذا الغرض وجمعه وحمله إلى الأفران مناط عادة بالنساء اللواتي يتقاضين أجور زهيدة على ذلك. فضلا عن روث الحيوانات أو فضلاتها التي تصلح كوقود بعد تجفيفها(٣٨).

لقد شجع توافر الحجر الكلسي والوقود بكثرة في المناطق القريبة من الأنبار الناس على إنتاج أرقى أنواع الجص في العراق وهي مستمرة حتى يومنا هذا. حيث تنتشر الأفران الخاصة بهذه

الصناعة قرب الأنبار، وهي أفران تقليدية تعرف محليا ب (الكور)، ومفرها كورة، [٣٩] واللفظة ترد بالكتابات الاكدية بمعنى فرن لشي الطابوق أو الفخار وتلفظ كورو (kuru)[٤٠].

ولعل كثرة الأفران الصناعية (الكور) داخل البيوت السكنية في الأنبار تؤشر نشاطاً اقتصادياً وصناعياً مهماً داخل المدينة، ومعظمها أفران صغيرة دائرية الشكل قطرها متر واحد مبنية بالأجر وتكون في العادة عميقة لشي الفخار بالدرجة الأساس والزجاج. فعلى سبيل المثال أظهرت الحفريات ضمن الموسم الثاني (٢٠٠٠م) والتي أجريت في النقطة(E. 9) عن فرنين الأول بيضوي قطره (٢م) ذي سقف مقبب وقد سقط جراء العبث والتقادم، والثاني بمواصفات الفرن الأول نفسها، وهو دائري قطره متر واحد مبني بالطابوق، وقد وجد بالقرب من هذين الفرنين بقايا كتل كبيرة من عجينة الزجاج. كما وجدت كميات من اللبن حول الفرن الأول لعلها كانت مهيأة للشي. كما أظهرت حفريات الموسم الرابع في المربع(G.H.8)فرناً لشي الفخار قطره (٩٠سم) فيه آثار حرق وداخله بعض المخاريط الفخارية التي تستخدم لتثبيت الأواني أو تعليقها أثناء الفخر مزود بفتحة أيقاد صغيرة تتجه نحو الشمال الغربي.

وبصورة عامة يمكن القول إن الأفران التقليدية في العراق من ارخص الطرائق لشي الآجر والفخار وإيقادها يعتمد على الدغل والحطب الذي ينبت بالأراضي المهملة، ولا يختلف تصميم الأفران في العصر العباسي عن مثيلاتها في العصر العثماني تعلوها قباب مزودة بمدخل واحد يغلق عند الإيقاد ولا يفتح إلا بعد إنهاء عملية الشي.

● **اللقى الاثرية المكتشفة ودلالاتها:**

ظهرت أثناء التنقيبات مجموعة من المقتنيات الفخارية والزجاجية والمعدنية والعاجية ومسكوكات ذهبية وفضية ونحاسية. وهذه المقتنيات تعكس شيئا من طبيعة الحياة لدى سكان المدينة ومستوى معيشتهم، وهي بحد ذاتها شكل من أشكال الفن لها خصائصها وطرزها، وكذلك تساعد على معرفة الفترة التاريخية للطبقات الأثرية ولاسيما بعد مقارنتها بمثيلاتها التي وجدت في مدن ومواقع إسلامية أخرى.

١- الصناعات الفخارية: (الصورة - ٥)

تتصف فخاريات الأنبار بشكل عام بالخشونة حيث صنعت من طينة مخلوطة بشيء من الرمل المخلوط أحيانا بالحصى الناعم وهي لا تخلو من الشوائب والأملاح. وقد أظهرت التنقيبات أشكالاً متعددة من الفخار بعضه مزجج ومعظمه غفل عن ذلك، وتمثلت بالجرار ذات الأحجام المختلفة والأواني والصحون والمسارج (المصابيح) والدمى. وجميعها من مستلزمات الحياة اليومية في المنزل.

وهناك مجموعة من الجرار الصغيرة المزججة باللون الأخضر أو الأزرق مخروطية الشكل أو ذات بدن دائري مصنوعة بعناية تشبه جرار سامراء التي تعود إلى القرن الثالث الهجري[٤١].

كذلك أظهرت الحفريات جراراً متوسطة وأخرى كبيرة الحجم غير مزججة ذات أبدان كروية منفوخة أو بيضوية، بعضها مكسي بمادة القير من الداخل مما يدل على استعمالها في حفظ السوائل. وأخرى اسطوانية الشكل خالية من القاعدة والمقبض تُحمل على مساند.

فضلا عن ذلك فقد أنتج الفخارون في مدينة

الأنبار أنواعا أخرى أبدانها مزخرفة بوساطة القالب أو اللصق والزخرفة الأخيرة تعرف عند المختصين بـ (الباربوتين) وهي تعود إلى أواخر العصر العباسي. أما الزخارف فكانت متنوعة بعضها هندسية ونباتية وأخرى رسوم حيوانية مثل الغزال والأسد والقط.

لقد عثر على عدد من جرار الباربوتين الكبيرة والمتوسطة، أرتفاع أحدها كان (٧٢سم) وقطر بدنها (٥٢سم) ليس لها قاعدة وذات فوهة دائرية ولها ثلاثة مقابض مزينة بضفيرة من الباربوتين وعلى بدنها خطوط متموجة ومتقاطعة. كما عثر في حفريات الأنبار على أوان وصحون دائرية مزججة ومزينة بأنواع الزخارف الهندسية والكتابات. وهي ذات ألوان متعددة منها الأزرق والأخضر والأسود والأصفر. وهي على الأرجح تعود للقرنين السادس والسابع الهجريين[٤٢].

وبين الصناعات الفخارية التي عثر عليها المصابيح أو المسارج المزججة وغير المزججة، وكانت تعد من أهم وسائل الإنارة لرخص ثمنها وسهولة صناعتها حيث وجد منها أشكال متنوعة. ومن بين المقتنيات الفخارية في الأنبار الدمى التي تصنع لعب للأطفال على شكل فرسان على صهوات الجياد أو أشكال حيوانية. فضلا عن الصور الآدمية حيث عثر في حفريات الموسم الرابع على لوح فخاري أبعاده (١٨×٩×١سم) مرتب على هيئة امرأة بارزة المعالم ترتدي قميصاً وعلى رأسها غطاء ولها جدائل مدلات إلى الأمام.

إن بعض الآنية الفخارية أو كسر الفخار المزجج التي عثر عليها في الموسم الثاني كانت تحمل كتابات بسيطة بعضها بالخط الكوفي منها عبارة (محمد رسول الله) و (علي رض) و (الرسول محمد ص) والأخيرة على سبيل المثال مكتوبة باللون القرمزي على قاعدة مزججة باللون الأصفر. كما ظهرت بعض الأسماء مكتوبة بالمداد الأسود منها جرة كبيرة ارتفاعها ٧٠سم وقطرها ٥٠سم تحمل اسم صاحبها أو صانعها (سبيل الابراهيمي). وهناك كتابة أخرى بالسريانية وجدت على ثلاثة أوان من الفخار مما يشير إلى إن بعض سكان الأنبار كانوا يدينون بالنصرانية ولهم فيها أديرة. ومن أهمها دير العمر او ماريونان[٤٣]، كما أسلفنا.



(الصورة – ٥) مجموعة من الأواني الفخارية المزججة وغير المزججة

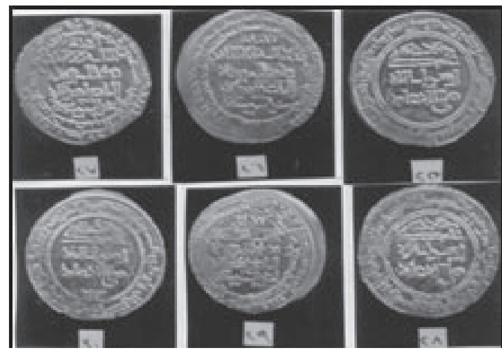
٢- صناعة الزجاج:

لكثرة ما عثر على كسر الزجاج في موقع الأنبار أخذ المنقبين يعتقدون إن صناعة الأواني الفخارية الصغيرة قد أهملت لانتشار صناعة الزجاج في المدينة. حيث عثر في الجزء الغربي من المدينة على كتل كثيرة من العجينة الزجاجية بألوان متعددة وعدد من الأفران، مما يدل على إن هذه المدينة كانت لها الريادة في هذه الصناعة، لاسيما ان المواد الأولية وعلى رأسها السيليكات متوافرة

في المنطقة. كما عثر على مجموعة طيبة من القناني والقوارير والأواني الزجاجية الصحيحة والمكسورة، وهي متقنة الصنع بعضها شفاف أو نصف شفاف وبعضها معتم وهي ذات لون رصاصي أو أزرق فاتح أو أبيض. ومعظمها ذات بدن اسطواني أو كروي أو مربع. وبجانب القناني والصحون وجدت بعض الاساور ومراود الكحل.

٣- المسكوكات: (الصورة - ٦)

لا شك في أن للمسكوكات أهمية كبيرة في تحديد عمر الطبقات الأثرية، وهي مصدرا من مصادر التاريخ السياسي والاقتصادي للدولة والمدن التي تسك فيها العملات. وهاشمية الأنبار من بين المدن الإسلامية التي ضربت فيها المسكوكات في العصر العباسي، ما يعكس أهميتها التاريخية والحضارية. لذلك لا غرو أن يعثر فيها المنقبون على مجموعة من الدنانير والدراهم والفلوس. ففي الموسم الأول (١٩٩٩م) عثر على مجموعة من المسكوكات معظمها نحاسية وعدد منها فضية تعود الى مختلف العصور الإسلامية أموية وعباسية وواحدة أيوبية وأخرى ايلخانية تحمل اسم اباقا خان ابن هولاكو، فضلا عن العثمانية



(الصورة - ٦) دنانير ذهبية من الموسم الرابع

كما عثر في الموسم الثاني (٢٠٠٠م) على مجموعة أخرى أهمها كنز من الدنانير الذهبية عيار (٢٤)، محفوظ بقاعدة أناء فخاري مزجج ومغطى ببدن قنينة زجاجية حمراء داكنة اللون تراوحت أوزانها بين (٤,٥ - ١٢,٥غم). وهي تحمل مكان الضرب مدينة السلام وتاريخها بين (٦٠٠ - ٦١٨هـ)، أي أن جميعها مضروب في عهد الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ -٦٢٢هـ). كما عثر على مجموعة أخرى من المسكوكات الفضية بلغ عددها (٢٤)مسكوكة محفوظة في جرة فخارية معظمها يعود إلى عصر الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ).

أما المجموعة الثالثة فتتمثل بالفلوس النحاسية وهي مجموعة طيبة لما تحمل من مادة علمية قيمة بدلالات تاريخية وجدت مبعثرة على سطح التل وبين طبقاته البنائية. وهي اموية وعباسية وايلخانية وعثمانية.

أما في الموسم الثالث فنحن لا ندري ما اكتشف من مسكوكات فيه لاختفاء التقارير الخاصة بتنقيبات هذا الموسم حيث تعذر علينا الحصول عليها كما أسلفنا. أما الموسم الرابع (٢٠٠٢م) وهو الأخير، فقد أكتشف فيه كنوز من المسكوكات المهمة، بوصفها تعكس النشاط الاقتصادي والاجتماعي لهذه المدينة، وفي الوقت نفسه تؤرخ للطبقات وتحدد أدوارها التاريخية. وأهم مجموعة عثر عليها من هذه المسكوكات هي مجموعة من الدراهم الفضية بلغ عددها (٢٨٥) درهماً، منها (٨٥) مؤرخة في القرنين الأول والثاني الهجريين. أي أموية وعباسية مبكرة، والأموية بعضها ضرب في مدينة واسط وتبدأ من خلافة الوليد بن عبد الملك

وتنتهي بخلافة مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية. وهي تحمل على الوجه عبارة التوحيد وعلى الظهر سورة الإخلاص. أما العباسية فتبدأ بخلافة أبي العباس السفاح مرورا بالمنصور والمهدي والرشيد والأمين وتنتهي بخلافة المأمون (١٩٨ –٢١٨هـ)، مضروبة بالكوفة وواسط ومدينة السلام.

والجدير ذكره إن هذه المجموعة من الدراهم فيها مسكوكات فضية ساسانية بعضها يحمل على الوجه صورة الملك الساساني كسرى الأول وعلى الظهر دكة النار المجوسية وعليها كتابات بالفهلوية. وبعضها الأخر يحمل على الوجه اسم الملك كسرى الثاني وصورته ومعه اسم الوالي الحجاج بن يوسف، وعلى الطوق بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا النوع من المسكوكات مصنف عند المختصين على انه إسلامي على الطراز الساساني، وهي مضروبة في بداية تعريب المسكوكات. لذلك تعد ذات أهمية عند متابعة مراحل التعريب التي نضجت في عهد عبد الملك بن مروان.

وهناك مجموعة أخرى لا تقل أهميتها عن المجموعة الأولى، وقوامها دراهم فضية بلغ عددها أكثر من مائتي درهم وجدت في حالة جيدة من الحفظ في جرتين من الفخار. تعود للفترة التيمورية مؤرخة في السنوات (٨٣٠ – ٨٥٣هـ). وهي تحمل أسماء السلاطين التيموريين كما يحمل بعضها مدن الضرب مثل مدينتي كاشان وسمرقند.

ومن المفيد ذكره، ان هذه المسكوكات التيمورية تؤكد حقيقة مهمة مفادها إن هاشمية الأنبار كانت نابضة بالحياة أثناء القرن التاسع الهجري. ولاسيما إنها وجدت في الطبقة الأولى التي تمثل أعلى نقطة بالتل الأثري، وعلى بُعد نصف متر فقط من سطح التل، أي وجدت ضمن الطبقة الأحدث عهداً، والتي ترتفع عن السهل المحيط بالمدينة بـ (١٣م) كما هو مؤشر على الخارطة الكنتورية للموقع الممثل بالمربع (N.9).

وعلى الأرجح إن هذه النقطة سلمت من النبش العشوائي الذي كان يقوم به سكان المناطق القريبة بقصد الحصول على الآجر في العصر العثماني وبعده، وذلك لكونها مقبرة قديمة استعملت لدفن المسلمين من أهل المنطقة لفترات طويلة من التاريخ حيث ظهرت قبورها أثناء التنقيبات بين الطبقات البنائية وبأعماق مختلفة.

وعلى هذا فان الهاشمية لم تُهجر قبل منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وربما استمر فيها السكن حتى أواخر القرن التاسع الهجري، أي قبيل العصر العثماني الذي بدأ في عام (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م)، والحقيقة لم يكن لهاشمية الأنبار دور يُذكر في بداية العصر العثماني، في حين شاع ذكر الفلوجة العليا التي تقع جنوب الأنبار بحدود(٣٠كم). والأخيرة محطة مهمة لإستقبال البضائع القادمة من الشام عبر نهر الفرات، حيث كانت تنقل إلى الفلوجة بالشخاتير ثم تنقل مرة ثانية على ظهور الحيوانات إلى بغداد[٤٤].

*** الهوامش:**

(١) تعذر على الباحث من الحصول على تقارير الموسم الثالث (٢٠٠١) من دائرة الآثار والتراث لاختفائها.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٨١.

(٣)الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ص٣٧٥.
(٤) ابن الفقيه الهمداني، البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص٢١٦.
(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٥٧.
(٦)الدينوري، احمد بن داود ، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٠، ص٣٩٠.
(٧)ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، تحقيق أحسان عباس، دار صادر بيروت،١٩٧٤، ص٢١٥
(٨) ابن عبد الحق، الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،ج١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢، ص١٢٠.
(٩)الحميري، محمد بن عبد الله، الروض المعطار في أخبار الأقطار،ج١، تحقيق إحسان عباس، دار السراج، بيروت، ١٩٨٠، ص٥٩١.
(١٠)ابن خلكان، شمس الدين احمد، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ج٢، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠، ص٢٩٠.
(١١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٤.
(١٢)الطبري، المصدر السابق، ج٧، ص٤٧٠.
(١٣) القرماني، احمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج٢، دراسة وتحقيق احمد حطيط و فهمي سعيد، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٧٤.
(١٤)الدينوري، المصدر السابق، ص٣٧٥.
(١٥) اليعقوبي،أحمد بن إسحاق، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٢، ص٢٠
(١٦)ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص٢٩٣.
(١٧)المصدر نفسه، ج٥، ص٣٣٣.
(١٨) الجاحظ ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق احمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢-١٩١٤، ص٣٨٨.
(١٩) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٨٤. ابن الفقيه الهمداني، البلدان، ص٢٦٣
(٢٠) الغزي، كامل بن حسين الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج٢، دار القلم، ط٢، حلب، ١٤١٩هـ، ص١٨١.
(٢١) أنظر التعلق الذي كتبه سالم الالوسي عن الأنبار، في مجلة سومر، م ١٧، ١٩٦١م، ص١٥٣، هامش ٣٧.
(٢٢) الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج١٠، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص٥٦٦.
(٢٣)المصدر نفسة، ج١١، ص٨٩٥.
(٢٤) ابن عبد الحق، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٧.
(٢٥) موسيل، الفرات الأوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية، ترجمة صدقي حمدي و عبد المطلب عبد الرحمن داود، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤١١-١٩٩٠، ص٥٨٧.
(٢٦) ياقوت الحموي، المصدر السابق، م٢، ص٥٣٧.
(٢٧) الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، دار المدى، بغداد، ٢٠٠٨، ص٦٣.
(٢٨) المصدر نفسه، ص٦٣.
(٢٩)الاصطخري، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، ص٥٤
(٣٠)كاتب مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ج١، تحقيق وترجمة الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص١٦٣.
(٣١)الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج٢، عالم الكتب، بيروت،١٤٠٩، ص٦٥٦.
(٣٢) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، ج٢، دار الشرق العربي، د.ت، ص٥٠٣.

(٣٣) – ابن الجوزي،جمال الدين، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ج٨، تحقيق محمـد عبد القادر عطا و مصطفى عبـد القـادر عطـا، دار الكتب العلمية، بـيروت ١٤١٢ – ١٩٩٢، ص٢١١. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ٢٩٧.

(٣٤) الدينوري، المصدر السابق، ص٣٩٠.

(٣٥)دائرة الآثار والتراث/ قسـم التوثيق/ أضبارة رقم ٥/ ٣٩ تلول الأنبار.

الحقيقة لم نطلع على الصور الجوية البالغ عددها خمسة عشر كما ورد في إحدى المراسـلات التـي دارت بين وزارة الدفاع ومديريـة الآثار القديمة عام ١٩٣٤، وان الاضبارة الخاصـة بموقع الأنبـار والتي يحتفظ بها قسـم التوثيق بدائرة الآثار اليوم ليس فيها سوى صورتين.

(٣٦) تقريـر أولي عـن هيئة التحـري والتنقيب في مدينة الأنبار الأثرية، الموسـم الرابع ٢٠٠٢، قسم التوثيق، دائرة الآثار والتراث.

(٣٧)عباس علي التميمي، الطابوق صناعته وقياسـاته في العراق القديم، سومر، ج١-٢، م٣٨، ١٩٩٢م، ص٢٧٩.

(٣٨) سعدي إبراهيم الدراجي، صناعة الآجر (الطابوق) في العـراق أواخر العصر العثماني «دراسـة في الأسـاليب وتقنيات العمل» مجلة دراسـات في التاريخ والآثار، العدد ٤٠، ١٩١٤، ص١٦١.

(٣٩)الكُورُ: للكلمة مدلولات ومعان كثيرة في معاجم اللغة وجمعها أَكْوارٌ وأَكْـوُرٌ وكِيرانٌ، والكور هو مِجْمَرَةُ الحَدَّاد يوضع فيه الجَمْر وتُوقَدُ فيه النار وهو مبنيّ من طين. اما الكِيرُ فهـو الزِّقُّ ويعني جلد غليـظ ذو حافاتٍ ينفخ فيه الحداد. ينظر ابن منظور، لسان العرب ، م٤، دار صادر، بـيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٥٦م، مادة كور. الفيروز آبادي، القامـوس المحيط، ج٢، المطبعة المصريـة، مصر، ١٩٥٢، ص٢٢٣.

(٤٠)د. صـلاح رشـيد الصالحـي، الكلمـات الاكديـة في اللهجة التراثية البغدادية، ندوة البيوت التراثية البغدادية، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، ١٩١٢م، ص١٣٠.

(٤١) هيرسفيلد، تنقيبات سامراء،ج٢، ترجمة علي يحيى منصور، بغداد، ١٩٨٥، ص١٦

(٤٢) حيدر فرحان حسين، فخاريات مدينة الأنبار الأثرية تنقيبات الموسم الأول ١٩٩٩، سومر، م٥٣، ص ٤٣٠.

(٤٣) الشابشتي، المصدر السابق، ص٦٣.

(٤٤) سعدي ابراهيم الدراجي، الفلوجة العليا في المصادر الجغرافية وكتب الرحلات، المورد، العدد٣، ٢٠١٦، ص٩٧ -١٣٠.

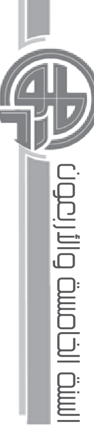
Hashimiyat Al-Ambar through heritage inspecting

By: Dr. Saadi Ibrahim Al- Daraji 

Abstract

Ancient Ambar was as Babylon city as some researchers thought and it may be developed through the Sasan reign until it became famous in Iraq after Taysafon city . it had surrounded to be as a castle agains Rome . it sited beside Euphrates and Jesus which gave it special importance

Hashimiyat Al Ambar that had built by Abu Al Abbas Al safah in 134 AH it would be built beside the first one and it had lived by Al·Mansur before he built his capital (Baghdad) it also had stayed until the end of 9th century /the fifteenth M .it appears today as group of that sited in the north of Fallujah in a distance about 6 KM . The office of heritage tried to inspect in some choice points for four seasons arrived to 2002 . through inspecting it can discovered the civilization role as building units there in addition to gold cooper and silver money which can be back to Susan reign that was as Dirhams that printed Cesar photo in it and also founded many kinds of dirhams in it.



قلعة أربيل

دراسة في المصادر الأثرية والتاريخية



م.د. لقاء شاكر خطار*

● **المقدمة :**

يناقش البحث قلعة أربيل وفقاً للمصادر الأثرية والتاريخية، وكونها من أقدم المدن المحصنة والمأهولة بالسكان، كما كانت شاهدا على مراحل تاريخية عدة منها السومرية والأكدية والبابلية والاشورية والميدية والساسانية والأسلامية، مما أعطى ذلك للباحث دافعا لدراسة الموضوع

أن أهمية الدراسة تكمن في أعطاء فكرة واضحة عن تاريخ بناء القلعة، فضلا عن ذكر أهم المصادر الأثرية والتاريخية التي تركت لنا وصفا شاخصاً عن القلعة والمدينة المحيطة بها.

● **الموقع الجغرافي :**

تقع مدينة أربيل (٣٠٠) كم شمال بغداد، وهي مدينة تاريخية قديمة تشتهر بقلعتها، ويرجع بعض المؤرخين تاريخ وجود قلعة أربيل الى ما قبل أكثر من ٦٠٠٠ سنة، وهي بذلك من أقدم المراكز الحضرية الحية التي سكنها الناس ومنذ أقدم العصور، كما انها عاصمة منطقة أقليم كردستان(١).

* مركز احياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

وتوصف جغرافية أربيل بأنها معقدة كونها تقع في منطقة الأراضي المتموجة والمحاذية للمنطقة الجبلية الشمالية الشرقية من جهة ولمنطقة السهول الجنوبية والجنوبية الغربية من جهة أخرى [٢].

أما أرتفاع القلعة عن مستوى سطح البحر فيبلغ ٤١٥ م وتتربع على مرتفع لسطح المدينة يبلغ ارتفاعه حوالي ٢٦ م بمساحة تقرب من ١٠٩ ألف متر مربع، مما يجعلها منطقة تمتاز بالرطوبة [٣] وعن حدودها فيمكن القول انها يحدها من الشمال تركيا وقسم من محافظة نينوى ومن الجنوب محافظة التأميم، ومن الشرق أيران وقسم من محافظة السليمانية، ومن الغرب محافظة نينوى [٤] وتبعد مدينة أربيل حوالي (٨٧) كم الى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل وحوالي (٩٦) كم الى شمال مدينة كركوك، كما وتبعد حوالي (٣٤٦) كم عن مدينة بغداد وتقع المدينة على خط طول (٤٤) درجة شرقا وعلى خطي عرض ٣٦و٣٦،٥ درجة شمالا [٥] وتقدر مساحة ألارض المشغولة في المدينة حوالي(١٥٤٠)هكتارا[٦].

● **الجذور التاريخية لقلعة أربيل :**

أن تسمية مدينة أربيل هي في الحقيقة تسمية قديمة ، وهذا ما أشار اليه الكثير من الباحثين في كتاباتهم لاسيما الباحث الاثري المعروف (طه باقر)، أذ جاء ذكرها لاول مرة في كتابات الملك السومري (شولكي) أو شومكي بحدود (٢٠٠٠ ق. م) بصيغة (أوربيلم)، ووردت أيضا بصيغة (أربيلا بالفتح)، حيث كانت ضمن أمبراطورية أور الثالثة [٧] .

وذكرت أربيل أيضا في الكتابات البابلية والاشورية بصيغة (أربلا) ، وورد أسم معبدها في الكتابات المسمارية بصيغة (أي – كشان ـ كلاما) ومعناه بيت سيدة الاقليم [٨] ويوجد فيها معبد مهم للاله أشور [٩].

أما النقوش الفارسية المكتوبة بالخط المسماري فسمتها بأسم (أربيرا) بينما ذكرتها المصادر اليونانية القديمة بأسم (أربيلا)، في حين أطلقت عليها المصادر العربية والبلدانيون العرب أسم (أربل) أي الارض المخضرة [١٠] ومن المحتمل أن الموقع الممتاز للمدينة قد أضفى أهمية جديدة عليها وذلك لوقوعها في سهل أربيل على ملتقى العديد من الطرق المهمة التي تربط شمال القطر بوسطه وجنوبه، ومنها يتم الدخول الى المنطقة الجبلية ذات ألاهمية الاقتصادية الكبيرة، ونظرا لهذه الميزة، فقد اصبحت المدينة مركزا تجاريا لطرق القوافل عبر قرون طويلة، ألامر الذي حافظ على المدينة وأسمها القديم من الأندثار في حين أندثرت مدن أشورية كثيرة كانت يوما ما مشهورة [١١] وتميزت مدينة أربيل بأحداثها التاريخية منها أحتفال الملك الاشوري (ناصر بال ٨٨٥ –٨٦٠ ق. م) بأعدام الملك (كيرخي) وتعليق جثته على اسوارها، وقيام سنحاريب سنة (٦٨١ ق. م) بأيصال الماء اليها خلال قناة تمتد من وادي باستورة لمسافة (٢٠) كم وما زالت أثار هذا المشروع باقية [١٢]. وتجدر الاشارة الى أن اربيل أشتهرت بالمعركة التي وقعت بين الاسكندر المقدوني من جهة وداريوس ملك الفرس من جهة أخرى عام (٣٣١ ق. م)، تلك المعركة التي عرفت في التاريخ القديم بمعركة (أربيلا)، وفيها انتصر الاسكندر المقدوني على الجيش الفارسي وبسط سيطرة المقدونيين فيما بعد على أرض الامبراطورية الفارسية، الامر الذي حدد مصير قسم كبير من اسيا لفترة كبيرة من الزمن [١٣] ويقال ان داريوس الملك الاخميني بعد خسارته الحرب أتجه نحو أربيل وترك في قلعتها كنوزه ثم هرب، وقتل على يد بعض أتباعه، وفي نهاية القرن الثالث الهجري أصطدم الهذبانيون الاكراد بنفوذ الدولة العباسية محتفظين بأمارتهم في أربيل واتخذوا من قلعتها كرسيا لهم طيلة عهد السيطرة البويهية على العراق (٣٣٤-٤٤٧هـ)[١٤] .

حافظت قلعة اربيل على وضعها المميز فيما بعد، وخلال فترة الحكم الاسلامي، حتى بلغت أوج عظمتها في القرن الخامس الهجري، في عهد الدولة الاتابكية (٥٢٢- ٦٢٦هـ) [١٥] . وقد ورد ذكر قلعة اربيل ووصفها من قبل العديد من الشخصيات أمثال ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) أن أربيل هي قلعة ومدينة كبيرة في فضاء واسع من الأرض، وإنها شبيهة بقلعة مدينة حلب الا أن قلعة أربيل أكبر واوسع رقعة، وإنها محاطة بخندق عميق، وهي كانت مدينة كاملة فيها أسوار ومنازل، وجامع للصلاة وكذلك فيها المدرسة التي بناها ألامير(سرفتكين الزيني) نائب زين علي كجك، وسميت بمدرسة القلعة، وقد أصبحت القلعة المقر الرسمي للامير ألاتابكي سنة (٥٣٩ هـ) [١٦] ويعتقد الاثريون أن القلعة ليست ألا بقايا مدينة أشورية مهمة تعرف بأسم (أربا ـ أيلو) ومن المحتمل جدا أن القلعة كانت تضم كل المدينة كل المدينة يوما ما ومع التطور التاريخي أصبحت تقع على طرف المدينة [١٧]، وقد بقيت القلعة مسورة في العهود الاسلامية وكانت تضم مركز للسكن وحصنا للدفاع كما كانت تضم في العديد من جهاتها بعض الابراج ومكامن الدفاع، لم يظفر بها المغول في هجماتهم المتوالية على اربيل، وبقيت القلعة طيلة العهود التالية التي تلت الاحتلال المغولي الاخير سنة (٦٥٦هـ) حصنا قويا للدفاع، وأخر ذكر للقلعة كمركز دفاع عسكري كان عند احتلال نادر شاه لأربيل سنة (١٧٣٢ م) حيث حاصرها لمدة ستين يوما قبل ان يفتحها [١٨] .

ولقد وصف سائح مر بأربيل سنة (١٧٦٦ م) القلعة « انها أجتمعت عليها البيوت ولاسيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع احد أن ينفذ خلالها الى داخل المدينة (القلعة) » الا من داخل باب القلعة [١٩] نستنتج من ذلك أن السائح كان يطلق على أربيل اسم القلعة الأمر الذي يشير الى أنه حتى ذلك التاريخ كانت القلعة تضم معظم الفعاليات البشرية رغم انه من الممكن جدا وجود فعاليات قرب القلعة ولكن خارج اسوارها [٢٠] أن ماتقدم يشكل مادة أساسية للاعتقاد أن القلعة مرت بثلاثة أدوار مكانية هي :

الأول: ان القلعة كانت هي المدينة بأكملها .

الثاني: أن القلعة كانت القسم الأكبر من المدينة .

الثالث: أن القلعة جزء صغير من المدينة [٢١].

قلعة أربيل في كتب الرحالة العرب والأجانب:

وصف السائح الذي مر بأربيل عام (١٧٦٦م) القلعة بأنها كانت كل المدينة أو قسما منها، كما كانت ذات كثافة سكانية عالية كما وصفها الرحالة الالماني الاصل (نيبور) عام (١٧٣٣-١٨١٥ م) أثناء رحلته من البصرة الى أربيل عام (١٧٦٦ م) أذ ذكر في وصفها مانصه:

« أنها أجتمعت عليها البيوت ولاسيما حول حافة التل بصورة متماسكة فلا يستطيع أحد أن ينفذ خلالها الى داخل القلعة الا من داخل باب القلعة » [٢٢] مما يوضح ذلك أن القلعة كانت تمتاز بفعاليات بشرية بمختلف النشاطات، كما ورد ذكر القلعة في رحلة (جيمس ريج) التي قام بها الى أربيل عام (١٨٢٠م) وكان الهدف من الرحلة لأربيل الحصول على مسح شامل للمنطقة في أطار بعثة علمية [٢٣]، وورد ذكر القلعة في رحلة (المنشىء البغدادي) وهو محمد بن أحمد الحسيني الذي كتبها عام ١٨٢٢ م، وأورد فيها معلومات عن عدد سكان القلعة وماحولها الذي بلغ (٥٠٠٠) نسمة منها (٤٠٠٠) نسمة في داخل القلعة و(١٠٠٠) نسمة خارجها [٢٤]، كما وصف ياقوت الحموي قلعة اربيل كانت عبارة عن مدينة كاملة تتم فيها كافة الفعاليات البشرية [٢٥].

يتضح مما تقدم أن هذه المعلومات التي دونت من قبل الرحالة العرب والاجانب عن قلعة أربيل قد شكلت جانبا غزيرا من المعلومات الاثرية و

التاريخية والجغرافية والسياسية وتأتي أهمية اربيل من اهمية القلعة التي حافظت على المدينة وحمتها في كل المراحل التاريخية، وبعض الكتاب اشار الى أنه لولا القلعة لتعرضت المدينة الى تغير حتى في مكانها، وهذا طبيعي، إذ لايوجد ما يمنع انتقال القلعة الى مكان أخر، لانها لاتقع على نهر يحول دون هذا الانتقال وكذلك لايحيط بها عائق كالجبل، بل ان المدينة ومن ثم القلعة واقعة وسط سهل مترامية الاطراف، كما هو معروف ولهذا فأن هذه القلعة حافظت على استمرار بقاء مدينة اربيل وفي هذه البقعة، واستمرار الحياة فيها، بل وبقاء المدينة محتفظة بأسمها القديم [٢٦] ،فعلاقة القلعة بالمدينة كانت علاقة قوية من حيث استيعابها السكان ومؤسساتهم الوظيفية انذاك، وأصبحت القلعة اليوم رمزا أثريا وتاريخيا للمدينة من حيث نسيجها الحضري والتراثي.

- **أسباب بناء القلعة :**

كان الدافع وراء بناء القلعة هو وسيلة دفاعية بالدرجة الاساس، ولذلك تعد قلعة أربيل التي بنيت على شكل دائري، وفق أغلب المصادر التاريخية أحدى أقدم المدن المستوطنة في التاريخ القديم، اذ بدأ السكن فيها منذ ألاف السنين [٢٧]، وهي كانت شاهد على حضارات قديمة منها السومرية والاكدية والبابلية والاشورية والميدية والفارسية والرومانية والساسانية والاسلامية، ويقول أكثر الباحثون بأن القلعة تقع وسط مدينة أربيل ويعود تاريخ بنائها الى فترة ماقبل تدوين التاريخ، وبنيت أصلا لأغراض دفاعية [٢٨]، ويظهر ذلك من شكلها الاسطواني، والقلعة تدور حولها الكثير من القصص، منها إن القلعة كانت عبارة عن تلة من الارض، قام الناس ببناء بيوتهم عليها بشكل دائري حفاظا على أرواحهم ووممتلكاتهم، ويحيط بالقلعة سور من جميع الجهات، وتمتاز القلعة بشوارع ضيقة لاتكاد تكفي لعبور المارة والحيوانات، كما توجد بعض الطرقات التي تسمح بمرور العربات التي تجرها الخيل [٢٩]، أذ كانت القلعة تفتقر الى الشوارع العريضة والمستوية، فغلب عليها طابع الخصوصية من حيث وجود الأزقة الضيقة والمتعرجة، وبنيت القلعة على شكل يتيح التجمعات السكانية [٣٠] .

أما بالنسبة للسور الذي يحيط بالمدينة فقد أثر بشكل أو أخر على أتجاهات ومقاييس الشوارع والازقة والوحدات السكنية مما أثر بدوره على أستغلال مساحة المدينة بشكل مكثف عن طريق تقليص مساحات الشوارع والبيوت والتوسع العمودي، مثل أنشاء بيوت ذات طبقتين، أضافة الى أنشاء السراديب فيها، بغرض الافادة منها في خزن المواد الغذائية أو للقيلولة فيها أيام الصيف الحارة، اما بالنسبة لسوق القلعة فهو يمتد على طول القلعة [٣١] ويمكن القول أن القلعة مرت بثلاثة أدوار مكانية، حيث كانت المدينة بكاملها في بادئ الامر، ومن ثم أصبحت القسم الاكبر من المدينة، واخيرا أصبحت الجزء الاصغر من المدينة [٣٢] وأهم مايميز القلعة هو مسألة الصعود اليها الذي لايتم الامن خلال بابين قديمين هما:

الأول: الباب الجنوبي المواجه لسوق المدينة، كان عبارة عن برج قديم يعود تاريخ بناءه الى عام (١٨٦٠م)، وكا ن منظره يوحي بأنه كان حصنا منيعا، وكان امتداد الباب الى داخل القلعة يضفي الى سراي الحكومة ومدرسة ومستوصف ودار للعجزة [٣٣]، الا أنه هدم عام (١٩٦٠م)، وتم تشييد الباب الجنوبي الجديد من قبل المكتب الاستشاري العراقي [٣٤]، والذي لاعلاقه له بالباب القديم في كل ادواره التاريخية [٣٥] .

الثاني: الباب الشمالي المواجه لقصبة عنكاوه، وكان الباب الرئيس للقلعة الواقع في الجهة الجنوبية منها يمثل برجا عظيما، كان منظره يدل على أنه كان حصنا للقلعة، وقد هدم هذا الباب خوفا من أنهياره

تتكون القلعة من ثلاثة أحياء مشهورة هي :

١ـ حـي الـسراي: الحـي الاول كان يعرف بـ (الـسراي)، لأن أغلـب دوائـر الدولـة في العهد العثمانـي، كانـت موجودة في هـذا الحي، ويقع عنـد البوابـة الرئيسـية الجنوبيـة، وكان الحي عبـارة عـن أزقة ضيقـة (كوجه) ويقـع في هذا الحـي زقـاق الاغوات، وكان يسـكن فيـه وجها وأشراف أربيل، ويقع فيه ايضا مسجد ومدرسة الحـاج أبراهيم أفندي، وتكية شـيخ زاده، وهي أقدم التكايـا القادرية في أربيـل، ويعود تاريخ انشـائها الى العهـد الاتابكي، كمـا يوجد في هذا الحـي دار وديـوان الحاج ويسي أغـا(وهو جد الوجيـه الاربيلي التركماني الشـهير(عطا أغا)، وديوان رشـيد أغا، ودار الشـيخ جميل افندي، والحـاج قاسـم أفنـدي، والحـاج عبـد القـادر جلبي، وشـهاب جلبي، ومحمـود جلبي، وأحمد جلبي، وسـنان جلبي، ومسـكن شـيخ أغا، كما يوجـد دار وديان الأربيلي المعروف (علي باشـا دوغرامجـي)، ودار الشـاعر التركمانـي الكبير عبـد الرزاق أغا، وغيرهم مـن وجهاء أربيل [٣٦]، وتشـير بعض الأحصائيات الى أن نسبة السكان في هـذا الحي تبلـغ (١٧٧٩)، وان عـدد الدور يبلغ ١٩٩ دار، وان اعلى نسـبة سـكان كانت في هـذاالحـي[٣٧].

٢ـ حي التكية: هذا الحي يقع في الجهة الشمالية الغربية من القلعة، وهناك أراء عدة حول تسـميته بهذا الاسـم، فهناك من يقول سـمي بالتكية نظرا لوجود تكية الشـيخ إبراهيم الكيلانـي، التي تقع في هـذا الحي، وهناك من يقول أنه سـمي كذلك لوجود تكية الشـيخ عبد الله المؤذن المتوفى سنة (١٨٣٩م)، والاحتمـال الاخير ارجح اسـتنادا الى تاريـخ التكية الموغـل في القدم [٣٨]، وقـد أندثرت آثار هذه البناية القديمة بعد شـق وتبليط الشارع الذي يربط البوابة الجنوبية بالبوابة الشمالية [٣٩]. ومن الجدير بالذكر أن من أقدم الاثار الدينية في هذا الحي هو الجامع الكبير في القلعة أو كما يطلق عليه بملا أفندي جامعي وحمام القلعة، كما ويقع في هذا الحي (دار بروغ) أي الزقاق الضيق، وسمي بهذا الاسم لضيق طريق هذا الزقاق، وزقاق الامام (أمام كوجسي)، وسـمي بهذا الاسم لوقوع ضريح الشيخ الكيلاني وزقاق (يدي قزلار)، أي الفتيات السـبعة وزقاق الخرابة (خرابا كوجسي)، وسمي بهذا الاسم لوجـود موقـع لأبنية مهمـة فيهـا، وموضع لجمع النفايـات [٤٠]، كما يوجد في هـذه المحلة العديد من المدارس الدينية الصغيرة مثل مدرسة ومسجد ملا رسول أفندي[٤١] واشتهر حي التكية ببعض الدور السـكنية مثل دار قاسم أغا، التي تعود ملكيتها الى المرحـوم العلامة ملا رشـاد المفتي، كما تقع في هذا الحـي دور عائلة اليعقوبي، والقارئ الكبير سـيد مروان كركولي، والحاج أليـاس أفندي [٤٢]، والحاج خضر ومحمد سـلطان ترزي، وأحمـد أفندي وملا عبد الكريم قهوهجي والسـيد يحيى والسـيد قادر ودار الحـاج مـلا خـضر ودار ياسـين وجرجيس طوبال وعثمان قـادر جلبي ومحمد رجب حلوجي وملا عثمان وسـيد كريم دهمرجي والحاج قاسـم نونـو، وأخرين [٤٣]. ويذكر أن عدد الدور السـكنية في محلة التكية هو (١٣٨) دارا، ويبلغ عدد نفوسها حسب أحصاء ١٩٧٧ م، بـ (١١٤٢) نسمة [٤٤] .

٣- حـي الطوبخانـه: يقع هذا الحـي في الجهة الشمالية الغربية من القلعة، وترجح غالبية المصادر بأنه أكتسب هذا الاسم لوجود مدفع (طوب)، نصب فيه منذ زمن العثمانيين، وكان المدفع يطلق الطلقات عنـد أذان المغرب وعند الامسـاك طوال أيام شـهر رمضـان المبارك من كل عـام، ويوجد في هذا الحي (حرم كوجه سي) أي زقاق الحرم و(كنيسة كوجه سي) أي زقاق الكنيسـة، وسمي بهذا الاسم لوجود الكنيسة القديمة، ويوجد ايضا في هذا الحي مسجد أسـعد أفندي، ومسـجد كور عمر أغا وتكية الحاج مـلا صالح يكن (يكـن تكه سي)، ومـزار قرخلار، وبيعة اليهود (يهودلار كنيسـه سي)، ويوجد في هذا الحـي دار وديـوان محمد أغا وعمرأغـا، أضافة الى

دورالعوام ومنها ، دار الحاج حسن وحسين أغا ومعروف الحاج وداود أغا (قصاب باشي) ومحمد طورجي ومحمد أمين سلطان أغا وعبد الكريم أفندي وعبد الرزاق أفندي وشكر بربر وغيرهم (٤٥). وعدد الدور السكنية (١٦٥) دارا (٤٦) . ويذكر إحصاء أجرته سلطات الانتداب البريطاني في عام ١٩٢٠ م ، أن مجموع سكان أربيل كان يبلغ (١٠٦) ألف نسمة ، وقد توزع السكان فيها وفقا للمجموعات الدينية التالية : (مسلمين ٩٠,٧٥ ، مسلمين ، يهود ٤,٥٪ ، مسيحين ٣,٩٪ ، أيزيديين وديانات أخرى ٠,٩) (٤٧) ، ويمكن القول وفقا لهذه الاحصائية أن اربيل كان يسكنها غالبية مسلمة، أضافة الى أطياف دينية أخرى.

أهم المعالم الاثرية في أربيل :

أولا : منارة جولي وتقع غرب المدينة ، ويبلغ ارتفاعها ٣٧ م ، واهم مايميزها طريقة بناءها با لأجر والجص ومزينة بزخارف تضاهي زخارف منارة (سنجار) وزخارف منارة الجامع النوري (الحدباء) في الموصل ومنارة داقوق ، وتوصف منارة جولي بأنها قائمة على قاعدة مثمنة ولها بابان مغلقان يفضي كل منهما الى سلم ، ويوجد في بطن المنارة أسطوانة يدور حولها السلمان اللذان يدخل المرء اليها من البابين المذكوريين ، ويبلغ عدد درجات السلمين ١٣٢، درجا من كل جانب لا ألتقاء بينهم الا في بداية ونهاية المنارة ، بحيث يمكن لشخصين أن يصعدا أو ينزلا دون أن يرى أحدهما الاخر (٤٨) ، ويبلغ أرتفاع هذه المنارة خمس واربعين مترا (٤٩) .

ثانيا : تل قالينج أغا ، الذي يقع جنوب المدينة ، وتدل البقايا من قطع الفخار والزجاج وغيرها في الاتربة السطحية على أن الموضع كان مستوطنا بشكل ما منذ عصور ماقبل التاريخ لاسيما في الالف الخامس ق. م ووجد في التل عددا من الجرار الكبيرة ، ومتنوعة الاحجام ، قسم منها كانت تحتوي على بقايا حلي مصنوعة من الخرز الملونة والاحجار الكريمة والملونة مثل حجر اللازورد والعقيق وقليل من الحلى الذهبية ، كما عثر على نفق بعمق ٦أمتار تقريبا وبأتجاه الشمال ، يقول بعض المؤرخين أنه يتصل بالقلعة (٥٠).

ثالثا : السوق الكبير : أي سوق القيصرية في مدينة أربيل ،ويعد هذا السوق من الاماكن القديمة ويتكون من ثلاثة طوابق ، أحده تحت الارض ، ويعتبر السوق من المراكز التجارية الحيوية لحد الان وللسوق أكثرمن عشرة مداخل مثل مدخل (سوق القصابين) و(سوق الصاغة) وبابيين بأتجاه الشرق وباب بائعي الاجبان شمالا وباب النجاريين ، وباب أخرلجانب الحرفيين شرقا بالقرب من جامع التي برماغ وباب البزازين شرقا ، وباب التنكجية ، وباب الصفارين والحدادين جنوبا عند جامع الحاج نوري ، ومدخل عند باب القلعة شمالا ، وهناك باب القيصرية الكبير جنوبا يؤدي الى سوق الصاغة والملابس الرئيسين (٥١)

*** الهوامش :**

(١)عبد الرزاق الحسني : العراق قديما حديثا ، لبنان ، ١٩٥٦، ص ٤.

(٢)أسماعيل زبير بلال : أربيل في أدوارها ألتاريخية ، النجف الاشرف ، ١٩٧٠، ص ٦٢ .

(٣)طه باقر : المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، بغداد ، ١٩٦٦، ص٤.

(٤)دورثي مكاي : مدن العراق القديمة، ترجمة يوسف يعقوب ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص١٤٧ .

(٥)محسن محمد حسين : موضوعان في التاريخ الكردي ، بغداد ، ١٩٧٦، ص٣٥.

(٦)عبد الباقي عبد الجبار : التجديد الحضري لقلعة أربيل ، رسالة ماجستير ، مقدمة الى مركز التخطيط الحضري الاقليمي ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٥٢.

(٧)المصدر نفسه ، ص٥٥.

(٨)المصدر نفسه ، ص٥٦.

(٩)المصدر نفسه ، ٥٧.

(١٠)صلاح حميد الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة أربيل ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص٣١٨ .

(١١) خليـل حسـن الزركانـي : قلعـة أربيـل مـن القلاع الشامخة في التاريخ ،بحوث المؤتمر العلمي الثاني ، أربيل ، شباط ، ٢٠١٣ ، ص ٥٧.
١٢) عبـد الـرزاق عباس : نشـأة مدن العـراق وتطورها ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٨٨ .
١٣)جيمـس ريـج : رحلـة ريـج في العراق سـنة ١٨٢٠ ، ترجمة بهاء الدين نوري ، بغداد ، ١٩٥١ .
١٤) المنشئ البغدادي : رحلة المنشئ البغدادي عام ١٨٢٢، بغداد ، ١٩٤٨، ص ٧١.
١٥) صلاح الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة أربيل ، دراسة مقارنـة في جغرافيـة المدن ، مجلـة الجمعيـة ، الجغرافية العراقية ، المجلد الحادي عشر ، بغداد ، ١٩٨٠، ص ٣١٧.
١٦) عبد الباقي عبد الجبار : مصدر سابق ، ص ٥٥.
١٧) المصدر نفسه ، ص٥٦.
١٨) هاشم خضر الجنابي : مدينة أربيل دراسة في جغرافية الحضر ، الموصل ، ١٩٨٨، ص٧٠.
١٩) المصدر نفسه ،ص٧١.
٢٠) المصدر نفسه، ص٧٠.
٢١) عبداللـه حداد : مجلة كاروان الاكاديمية ، أربيل خلال القرنيين الماضيين ، العدد ٥٠.
٢٢) المصدر نفسه ، ص٥٢.
٢٣) نيبـور : رحلـة نيبـور الكاملـة الى العـراق ، مراجعة وتقديم سالم الالوسي ، مؤسسة الوراق ، ٢٠١٢، ص ٥٨.
٢٤) عبد الباقي عبد الجبار ، المصدر السابق، ص٥.
٢٥) نيبور : المصدر السابق ، ص ٤٤.
٢٦) سعيد احمد : قلعة أربيل في التاريخ ، الحوار المتمدن ، العدد٥٥، لسنة ٢٠١١.
٢٧) المصدر نفسه.
٢٨) سـعدي أبراهيم الدراجي : أثـر التجوية على الحجارة المسـتخدمة في تغليف الواجهات الداخلية للبيوت التراثية في قلعـة أربيل ، بحوث المؤتمر العلمي الثاني ، اربيل ، ٢٠١٣، ص ٩٢.
٢٩) عبد الله حداد : المصدر السابق ، ص٤٠.
٣٠) المصدر نفسه.
٣١) المصدر نفسه.
٣٢) وزارة البلديات ، مديرية التخطيط ، التصميم الاساسي لمدينة أربيل ، بغداد ،١٩٧٧، ص١٠.
٣٣) المصدرنفسه.
٣٤) عبد الباقي عبد الجبار ، المصدر السابق ، ص٥٥.
٣٥) المصدرنفسه.
٣٦) المصدرنفسه.
٣٧) عبد الرزاق الحسني ، المصد ر السابق، ص٢٣٦.
٣٨) المصدر نفسه.
٣٩) المصدر نفسه.
٤٠) محسن محمد حسين : أربيل في العهد الاتابكي، بغداد، ص٢٨.
٤١) المصدر نفسه.
٤٢) المصدرنفسه.
٤٣) المصدر نفسه.
٤٤) احمد حسـين : أربيل بوابة الحضارة ، الحوار المتمدن ، لسنة ٢٠١١.
٤٥) المصدر نفسه.
٤٦) المصدر نفسه.
٤٧) المصدر نفسه.
٤٨) المصدر نفسه.
٤٩) عبد الباقي عبد الجبار : المصدر السابق ، ص٥٢.
٥٠) المصدر نفسه ، ص٥٣.
٥١) أحمد حسين : المصدر السابق ، الحوار المتمدن .

Erbil Castle
Study in archaeological and historical sources

By: Dr. Liqaa Shaker Khattar 

Abstract

The Castle of Erbil is among the archaeological and historical sites in the world, which is still inhabited by humans. Historians date back 6000 years. The importance of the castle is that it was a monument to the succession of civilizations in this ancient region. The citadel passed many Sumerian, Babylonian and Assyrian civilizations , In addition to the Islamic civilization, civilizations that had an interest in Mesopotamia, and this fortress was composed in the time of the Ottomans from three areas, namely the Serail, which includes the important circles of state in the Ottoman era, and most of the circles were located at the main gate south and inhabited The city's dignitaries were supervisors, traders, clerics and the Tikkiyyah sect, which is located in the north-west of the citadel. The neighborhood of Tikkiyah was known by the name of Sheikh Al-Muezzin Abdullah Al-Mutafi in 1893. This neighborhood is located in the north-west of the castle. The neighborhood gained this name in relation to the existence of a brick cannon that was erected there since the time of the Ottomans. It used to fire shots at the ears of Morocco. The citadel also encircled its markets, which included merchants and merchants. The dwellings are built in an intensive manner, and You are composed of several floors, the most important of which is the basement, which served as a sanctuary protecting from the heat, in addition to the storage of feeders and food supplies, and still some of the effects of this role so far tells the story of the first urban home and archaeological in ancient history.

